

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

سلسلة «الندوات»

الأمثال العامّية في المغرب
تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي

ندوة «لجنة التراث»

التابعة لأكاديمية المملكة المغربية

بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي

الرباط

6-5 شوال 1422

22-21 دجنبر 2001



مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

سلسلة «الندوات»

الأمثال العامّية في المغرب
تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي

ندوة «لجنة التراث»

التابعة لأكاديمية المملكة المغربية

بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي

الرباط

5-6 شوال 1422

21-22 دجنبر 2001

أكاديمية المملكة المغربية

العنوان : شارع الإمام مالك، كلم 11، ص. ب. 5062

الرمز البريدي 10100

الرباط – المملكة المغربية

تليفون 75.51.13 (037) / 75.51.24 (037)

75.51.35 (037) / 75.51.89 (037)

فاكْس 75.51.01 (037)

الإيداع القانوني : 2002/2004

ردمك : 9981-46-030-3

الآراء المعبّر عنها في هذا الكتاب
تلزم أصحابها وحدهم

مطبعة المعارف الجديدة – الرباط

سنة 2003

أعضاء أكاديمية المملكة المغربية

هنْري كيسنجر: و.م. الأمريكية.
موريسْ دريون: فرنسا.
نيل أرمسترونغ: و.م.الأمريكية.
عبد اللطيف بن عبد الجليل: المملكة المغربية.
عبد الكريم غلاّب: المملكة المغربية.
أوطو دو هابسبْورغ: النمسا.
عبد الوهاب بنمنصور: المملكة المغربية.
محمد الحبيب ابن الخوجة: تونس.
محمد بنشريفة: المملكة المغربية.
أحمد الأخضر غزال: المملكة المغربية.
عبد الله عمر نصيف: م.ع. السعودية.
عبد العزيز بنعبد الله: المملكة المغربية.
عبد الهادي التازي: المملكة المغربية.
فؤاد سزكين: تركيا.
عبد اللطيف بربيش: المملكة المغربية.
محمد العربي الخطابي: المملكة المغربية.
المهدي المنجرة: المملكة المغربية.
أحمد الضُّبيب: م.ع. السعودية.
محمد علال سيناصر: المملكة المغربية.
أحمد صدقي الدجاني: فلسطين.
محمد شفيق: المملكة المغربية.
لورد شالفونت: المملكة المتحدة.
أحمد مختار امبو: السينغال.
عبد اللطيف الفيلالي: المملكة المغربية.
أبو بكر القادري: المملكة المغربية.
جان بيرنار: فرنسا.
روبير امبروكَجي: فرنسا.

عز الدين العراقي: المملكة المغربية.
دونالد فريدريكسون: و.م.الأمريكية.
عبد الهادي بوطالب: المملكة المغربية.
إدريس خليل: المملكة المغربية.
عبّاس الجراري: المملكة المغربية.
بيدرو راميريز فاسكيز: المكسيك.
محمد فاروق النبهان: المملكة المغربية.
عبّاس القيسي: المملكة المغربية.
عبد الله العرْوي: المملكة المغربية.
برناردان كانتان: الفاتيكان.
عبد الله الفيصل: م.ع. السعودية.
ناصر الدين الأسد: م. الأردنية الهاشمية.
أناتولي كَروميكو: روسيا.
جورج ماطي: فرنسا.
إدواردو دي أرانطيس إي أوليفيرا: البرتغال.
محمد سالم ولد عدود: موريتانيا.
بّو شو شانغ: الصين.
إدريس العلوي العبدلاوي: المملكة المغربية.
ألفونصو دولاسيرنا: المملكة الإسبانية.
الحسن بن طلال: م. الأردنية الهاشمية.
محمد الكتاني: المملكة المغربية.
حبيب المالكي: المملكة المغربية.
ماريو شواريس: البرتغال.
عثمان العُمير: م.ع.السعودية.
كلاوس شواب: سويسرا.
إدريس الضحّاك: المملكة المغربية.
أحمد كمال أبو المجد: ج. مصر العربية.

الأعضاء المراسلون

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

1- سلسلة «الدورات» :

1- «القدس تاريخياً وفكرياً»، مارس 1981.
2- «الأزمات الروحية والفكرية في عالمنا المعاصر»، نونبر 1981.
3- «الماء والتغذية وتزايد السكان»، القسم الأول، أبريل 1982.
4- «الماء والتغذية وتزايد السكان»، القسم الثاني، نونبر 1982.
5- «الإمكانات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية»، أبريل 1983.
6- «الالتزامات الخُلُقية والسياسية في غزو الفضاء»، مارس 1984.
7- «حق الشعوب في تقرير مصيرها»، أكتوبر 1984.
8- «شروط التوفيق بين مدة الانتداب الرئاسي وبين الاستمرارية في السياسة الداخلية والخارجية في الأنظمة الديمقراطية»، أبريل 1985.
9- «حلقة وصل بين الشرق والغرب : أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون»، نونبر1985 .
10- «القرصنة والقانون الأممي»، أبريل 1986.
11- «القضايا الخُلقية الناجمة عن التحكم في تقنيات الإنجاب»، نونبر 1986.
12- «التدابير التي ينبغي اتخاذها والوسائل اللاّزم تعبئتها في حالة وقوع حادثة نووية»، يونيو 1987.
13- «خَصاص في الجنوب وحيرة في الشمال : تشخيص وعلاج»، أبريل 1988.
14- «الكوارث الطبيعية وآفة الجراد» ، نونبر 1988.
15- «الجامعة والبحث العلمي والتنمية» ، يونيو 1989.
16- «أوجه التشابه الواجب توافرها لتأسيس مجموعات إقليمية»، دجنبر 1989.
17- «ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية»، مايو 1990.
18- «اجتياح العراق للكويت ودور الأمم المتحدة الجديد» ، أبريل 1991.
19- «هل يُعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار؟»، أكتوبر 1991.
20- «التراث الحضاري المشترك بين المغرب والأندلس»، أبريل 1992.

21- «أوروبا الإثنتي عشرة دولة والآخرون»، نونبر 1992.
22- «المعرفة والتكنولوجيا»، مايو 1993.
23- «الاحتمائية الاقتصادية وسياسة الهجرة»، دجنبر 1993.
24- «رؤساء الدول أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية»، أبريل 1994.
25- «الدول النامية بين المطلب الديموقراطي وبين الأولوية الاقتصادية»، نونبر 1994.
26- «أيُّ مستقبل لحوض البحرالأبيض المتوسط والاتحادالأوروبي؟»، مايو 1995.
27- «حقوق الإنسان والتشغيل بين التنافسية والآلية»، أبريل 1996.
28- «وماذا لو أخفقت عملية السلام في الشرق الأوسط؟»، دجنبر 1996.
29- «العَوْلَمة والهُوية»، ماي 1997.
30- «حقوق الإنسان والتصرّف في الجينات»، نونبر 1997.
31- «لماذا احترقت النمور الأسيوية ؟»، ماي 1998.
32- «القدس أنقطة قطيعة أم مكان التقاء ؟»، نونبر 1998.
33- «هل يشكّل انتشار الأسلحة النووية عامل ردع ؟»، ماي 1999.
34- «فكر الحسن الثاني : أصالة وتجديد»، أبريل 2000.
35- «السياسة المائية والأمن الغذائي للمغرب في بداية القرن الواحد والعشرين»، نونبر 2000. (مجلدان باللغة الفرنسية).
36- «السياسة المائية والأمن الغذائي للمغرب في بداية القرن الواحد والعشرين»، نونبر 2001. (مجلد واحد باللغة العربية).
37- «أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر »، أبريل 2001.
38- «أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتب عن العولمة»، نوفمبر 2001.
39- «العلاقات الدولية في العشْرية الأولى من القرن الحادي والعشرين : أيّ أفُق ؟»، أبريل 2002.

2- سلسلة «التراث» :

40- «الذيل والتكملة»، لابن عبد الملك المراكشي، السفْر الثامن، جزءان، تحقيق محمد ابن شريفة، 1984.
41- «الماء وما ورد في شربه من الآداب»، تأليف محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، مارس 1985.
42- «مَعْلَمة الملْحون»، تصنيف محمد الفاسي، القسم الأول والقسم الثاني من الجزء الأول، أبريل 1986، أبريل 1987.

43- «ديوان ابن فَرْكون » تقديم وتعليق محمد ابن شريفة، ماي 1987.

44- «عين الحياه في علم استنباط المياه» للدمنهوري، تقديم وتحقيق محمد بهجة الأثري 1409هـ/1989.

45- «مَعْلَمة المَلْحون»، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثالث، «روائع المَلْحون» 1990.

46- «عمدة الطبيب في معرفة النبات»، القسم الأول والقسم الثاني، لأبي الخير الإشبيلي، حققه وعلق عليه وأعاد ترتيبه محمد العربي الخطّابي، 1411/ 1990.

47- «كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، لابن زهر، حقّقه وعلّق عليه محمد بن عبد الله الروداني، 1411/1991م.

48- «مَعْلَمة المَلْحون»، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثاني، القسم الأول، «معجم لغة المَلْحون»، 1991.

49- «مَعْلَمة الملْحون»، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثاني-القسم الثاني وفيه : «تراجم شعراء المَلْحون»، 1992.

50- «بغيات وتواشي الموسيقى الأندلسية المغربية »، تصنيف عز الدين بناني، 1995.

51- «إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع »، لمحمد البوعصامي، تحقيق عبد العزيز بن عبد الجليل، 1995.

52- «معلمة الملحون، مائة قصيدة وقصيدة في مائة غانية وغانية »، تصنيف محمد الفاسي، 1997.

53- «رحلة ابن بطوطة »، خمسة أجزاء، تحقيق عبد الهادي التازي، 1997.

54- «كنّاش الحائك»، تحقيق مالك بنّونة، مراجعة وتقديم عباس الجراري، 1999.

3- سلسلة «المعاجم» :

55- «المعجم العربي-الأمازيغي» الجزء الأول، تأليف محمد شفيق، 1990.

56- «المعجم العربي-الأمازيغي» الجزء الثاني، تأليف محمد شفيق، 1996.

57- «الدارجة المغربية مجال تَوارد بين الأمازيغية والعربية» تأليف محمد شفيق، 1999.

58- «المعجم العربي-الأمازيغي» الجزء الثالث، تأليف محمد شفيق، سنة 2000.

4- سلسلة «الندوات والمحاضرات» :

59- «فلسفة التشريع الإسلامي» الندوة الأولى للجنة القِيَم الروحية والفكرية، 1987.

60- «وقائع الجلسات العمومية الرسمية بمناسبة استقبال الأعضاء الجدد»، دجنبر1987 (من 1401هـ/1980 إلى 1407/1986) .

61- «محاضرات الأكاديمية»، 1988(من 1403هـ/1983إلى1407/1987) .

62- «الحرف العربي والتكنولوجيا»، الندوة الأولى للجنة اللغة العربية، فبراير 1408/ 1988.

63- «الشريعة والفقه والقانون»، الندوة الثانية للجنة القيم الروحية والفكرية 1409/1989.

64- «أسس العلاقات الدولية في الإسلام»، الندوة الثالثة للجنة القيم الروحية والفكرية 1409/1989.

65- «نظام الحقوق في الإسلام»، الندوة الرابعة للجنة القيم الروحية والفكرية، 1410/1990.

66- «الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء»، الندوة الخامسة للجنة القيم الروحية والفكرية، 1412/1991.

67- «قضايا استعمال اللغة العربية»، الندوة الثانية للجنة اللغة العربية، 1414/1993.

68- «المغرب في الدراسات الاستشراقية »، الندوة السادسة للجنة القيم الروحية والفكرية، مراكش 1413/1993.

69- «الترجمة العلمية»، الندوة الثالثة للجنة اللغة العربية، طنجة 1995.

70- «مستقبل الهُوية المغربية أمام التحديات المعاصرة»، الندوة السابعة للجنة القيم الروحية والفكرية، تطوان 1417 / 1997.

71- «هجرة المغاربة إلى الخارج»، الناظور 1419 / 1999.

72- «الموريسكيّون في المغرب»، الندوة الثانية، شفشاون 1421 / 2000.

5- سلسلة مجلة «الأكاديمية» :

73- «العدد الافتتاحي»، وفيه سرد لوقائع افتتاح جلالة الملك الحسن الثاني للأكاديمية يوم الإثنين 5 جمادى الثانية عام 1400هـ، المرافق 21 أبريل 1980م.

74- «الأكاديمية» العدد الأول، فبراير 1984.

75- «الأكاديمية» العدد الثاني، فبراير 1985.

76- «الأكاديمية» العدد الثالث، نونبر 1986.

77- «الأكاديمية» العدد الرابع، نونبر 1987.

78- «الأكاديمية» العدد الخامس، دجنبر1988.

79- «الأكاديمية» العدد السادس، دجنبر1989.

80- «الأكاديمية» العدد السابع، دجنبر 1990.

81- «الأكاديمية» العدد الثامن، دجنبر 1991.

82- «الأكاديمية» العدد التاسع، دجنبر 1992.

83- «الأكاديمية» العدد العاشر، شتنبر 1993.

84- «الأكاديمية» العدد 11، دجنبر1994.

85- «الأكاديمية» العدد 12، سنة 1995.

86- «الأكاديمية» العدد 13، سنة 1996.

87- «الأكاديمية» العدد 14، سنة 1997.

88- «الأكاديمية» العدد 15، خاص بالموريسكيين في المغرب، سنة 1998.

89- «الأكاديمية» العدد 16، سنة 1999.

90- «الأكاديمية» العدد 17، سنة 2000.

91- «الأكاديمية» العدد 18، سنة 2001.

الأمثال العامية في المغرب
تدوينها واستثمارها العلمي والبيداغوجي

(مَحاور الندوة)

يتداول الناس في المجتمع المغربي عدداً هائلاً من الأمثال العامية (بالدارجة أو اللهجات الأمازيغية)، وهذا ما يعكسه تنوع الدواوين التي جمعت هذه الأمثال واهتمت بها. وجل أصحاب هذه الدواوين ، سواء كانوا مغاربة أم أجانب، هم من المولوعين بالثقافة الشعبية لكنهم في غالب الأحيان لم يهتموا بالاستثمار العلمي لكل المعطيات السوسيوثقافية التي تتضمنها الأمثال الشعبية، ففي مجموعات الأمثال الموجودة في الساحة تباين كبير في ما يخص تعريف المَثَل ومعالجته وتفسيره والتعليق عليه وكتابته وتصنيفه وترتيبه ...الخ ، أما الدراسات الأكاديمية فهي نادرة جداً، وجلها أنجز بجامعات أجنبية.

يوجد توافق ضمني ـ أو يكاد ـ بين كافة المهتمين بالمثل، إن لم نقل بين عموم الناس، حول كُنْهِ هذه الوحدة الكلامية . إلا أن الأمر يبدو مستعصياً عند محاولة الإتيان بتعريفٍ علمي، أي عند محاولة تقديم وصف دقيق لمكونات هذا النوْع من الخطاب الموروث. كما لا يخلو من صعوبة عند فرز التراكيب التي اكتملت فيها صفات المثل من جهة، والتراكيب التي لم تتوفر على هذه الصفات من جهة ثانية. فمن الأوصاف والسمات الأساسية التي يرتكز عليها المثل نذكر ما يلي :

1– السمات الشكلية من حيث ضبط طريقة المناقلة (الاستنساخ)، أي النقل الكتابي للمثل، ومن حيث نمط التدوين والمعالجة الإلكترونية أو غير ذلك.

2- السمات التركيبية التي تُخضع المقولة لكل شروط تركيب الجملة، إذ يشترط في المثل أن يكون جملة مفيدة.

3- السمات الوظيفية التي تبرِّر استعمالات المثل وفقاً لاستراتيجيات التخاطب وتحقيق أهداف التواصل.

4- السمات الجمالية (التعبيرية، الشعرية)، من تراكيب ومميّزات، ومن سجع وقافية وأوزان إيقاعية... الخ.

5- السمات السوسيولسانية، لضبط مدى شيوع المثل في المجتمع وتقنينه بالخصوص في فرز المعطيات : «من يُوظِّف أي شكل من الأمثال في التخاطب ؟ ومَع مَن ؟ وعلى أي أساس ؟» (من حيث السن والجنس والوسط المجتمعي ...الخ). كما ينبغي الانكباب على سمات المثل على اختلاف بيئة نشأته وتداوله.

6- السمات السيميائية، في ما يتعلق بخصوصيات المثل في تأدية وظائفه من حيث الاعتماد على المجاز والرمز ...الخ.

7- السمات السوسيوثقافية، من حيث اختزال الأمثال لظواهر خاصة بثقافة الجماعة وقيمها وطرق عيشها.

8- السمات التاريخية، إذ تندرج في عدد من الأمثال إشارات إلى عوامل أو أحداث تاريخية، أحياناً لم يعد لها أثر في الذاكرة العادية سوى ما يشير إليه المثل، و من ثَمَّ فهي تُيسِّر فهم المدلول وتؤرخ له في الوقت نفسه.

وهكذا فإن كلا من هذه السمات تكون زاوية أو منظوراً للبحث في المثل، من خلال يوم دراسي ينتظم بتعاون بين لجنة التراث التابعة لأكاديمية المملكة المغربية والجمعية المغربية للتراث اللّغوي، الهدف المتوخى من مساهمات المشاركين فيه هو الوصول إلى إرساء أسس مشروع واسع سيتوج بإصدار مدونة شاملة للأمثال العامية في المغرب، ويُجِيب عن أهم التساؤلات المرتبطة بهذا الحقل المعرفي من قبيل :

- ما نوع المشروع ؟ وما خصوصياته ؟
- ما دور الأدب الشعبي ؟ وما انعكاساته على المجتمع ؟
- ما المعايير الأدبية لهذا الصنف من التراث الشعبي ؟
- ما أسباب نزول المثل ووظائفه ؟
- ما العلاقة بين المثل العامي والفصيح، وبين المَثل وأجناس أدبية أخرى كالأقصوصة واللّغز والأحجية ؟
- كيف يمكن توظيف هذا الرصيد ؟
- ما هي الآفاق العلمية والاجتماعية والتربوية المتوخاة منه ؟
- ما الفائدة من تدوين الأمثال وتسجيلها والعناية بها وجعلها رهن إشارة الأجيال الصاعدة.

وحتى يسهل تناول هذه الأسئلة من خلال أبحاث أو مداخلات كتابية أو شفوية أو شهادات تقترح هذه الورقة المحاور الأساسية لموضوع الندوة، وهي التالية :

- **المحور الأول** : إشكالية جمع الأمثال وتدوينها ونشرها.
- **المحور الثاني** : مناهج دراسة الأمثال.
- **المحور الثالث** : إمكانيات استعمالها في مختلف الميادين ولاسيما في برامج التربية والتعليم.

الفــهـرس

تمهيد

يتداول المغاربة أعدادا هائلة من الأمثال بالأمازيغية وبالعربية العامية. وتتجلى وفرة هذه الأمثال في تنوع مختلف الدواوين التي جمعتها واهتمت بها خلال المائة سنة الماضية.

وينتمي أصحاب تلك الدواوين، من مغاربة وأجانب، إلى شريحة من المثقفين الولوعين بالثقافة الشعبية، غير أن ما قام به هؤلاء الباحثون لم يكن يتعدى عملية الجمع والترتيب والشرح، فأهملوا بالتالي الاستثمار العلمي لكل المعطيات السوسيو ثقافية التي تجسدها الأمثال الشعبية. ولعل هذا ما يفسر ذلك التباين الواضح الحاصل في الساحة العلمية فيما يرتبط خاصة بالتعريف بالمثل ومعالجته وشرحه والتعليق عليه ورسمه (أو كتابته) وتصنيفه وترتيبه ... وبإبراز هذه الأعمال فإن هذا الميدان لم يعرف إلا القليل من الدراسات الأكاديمية الجادة، وقد أُنجز معظمها في مؤسسات جامعية أجنبية.

ويمكن القول إن هناك توافقا ضمنيا بين كافة المهتمين بالمثل، إن لم نقل بين عموم الناس، حول كنه هذا النوع من الخطاب الموروث. غير أن الأمر يختلف كلما دار الحديث عن التعريف العلمي له ومحاولة تقديم وصف دقيق لمكوناته. ولا يخلو الأمر من صعوبة كذلك عند فرز التراكيب التي اكتملت فيها صفات المثل من جهة، والتراكيب التي لا تتوفر على هذه الصفات من جهة ثانية. فالمثل يرتكز على أوصاف تركيبية ودلالية متشعبة يجب الإلمام بها.

ولقد قامت أكاديمية المملكة المغربية بالتعاون مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي، بتنظيم أيام دراسية حول المحاور الثلاثة الآتية :

1. بحث إشكاليات جمع الأمثال المغربية وتدوينها،

2. التفكير في مناهج دراستها،

3. النظر في إمكانية استعمالها في مختلف الميادين وخصوصا في برامج التربية والتعليم.

وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية المغربية للتراث اللغوي التي يحتضنها المعهد الجامعي للبحث العلمي تعمل من أجل الحفاظ على التراث الثقافي المغربي وصيانته وتنميته. ومن الأصناف التي تهتم بها الجمعية، الأدب الشفوي والعادات والتقاليد والتاريخ الشفوي والسيَر وكذا المعاجم والقواميس.

وتتجلى منهجية الجمعية في مقاربات مختلفة متكاملة قصد الوصول إلى الأهداف المتوخاة، منها:

– رصد وتدوين مختلف أصناف التراث اللغوي المغربي،

– نشر الأعمال التي من شأنها أن تحافظ على التراث أو تساهم في إنعاشه وتطويره،

– استثمار هذه الأصناف من التراث في البرامج التعليمية والتربوية.

خطاب افتتاح أعمال الندوة

عباس الجِراري
عضو الأكاديمية

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السيد أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية،

السيدة رئيسة الجمعية المغربية للتراث اللغوي،

زملائي أعضاء الأكاديمية،

إخوتي الباحثين،

حضرات السيدات والسادة،

يسعدني أن أفتتح أولى جلسات هذين اليومين الدراسيين اللذين تعقدهما الجمعية المغربية للتراث اللغوي، بتعاون وتنسيق مع أكاديمية المملكة المغربية وفي رحابها، لبحث مختلف القضايا التي تتصل بالمثل الشعبي، ولا سيما ما يتعلق بجمعه وتدوينه واستثماره في المجالات العلمية والتربوية والاجتماعية واللغوية والتاريخية.

ولعلنا في غير حاجة إلى أن نستحضر أن المثل من حيث هو، عامياً كان أو مُعرباً، يتشكل في جملة تتميز بالقِصر والإيجاز. وهي على قصرها وإيجازها ترمي إلى معنى كبير ومغْزى عميق، غالبا ما يشار إليهما تلويحا وكناية في غير توضيح ولا تصريح.

والمثل حين يصاغ بلغة الشعب، يكون أوسع انتشاراً بين أفراده وأقوى أثراً فيهم ؛ ومن ثم أكثر تداولاً على الألسنة، لنقل الأفكار وإبراز التصورات، والكشف عن الواقع المعيش وما يكون فيه من تجارب خاصة وعامة، وما يكون فيه كذلك من أفراح ومسرات وأحزان وأزمات.

وبسبب هذا التداول، وعلى الرغم من أن المثل يكاد يكون تركيباً جاهزاً إن لم نقل وحدة كلامية جامدة، فإنه قد يتعرض لبعض التغيير أو الاختلاف في لفظه، مع المحافظة على معناه. وقد يصل الأمر إلى استبداله، فيبقى مضمونه ويضيع شكله، على ما يكون عادة في هذا الشكل من تعبير جميل لا يخلو في الغالب من إيقاع مسجوع يقربه إلى الناس ويسهل ذيوعه وانتشاره.

وعلى الرغم من الجهود الحميدة التي بذلها باحثون مغاربة وأجانب لجمع - ولو محدود - لتراث الأمثال، ومحاولة دراسته، فإن الحاجة اليوم تلح على ضرورة وضع مشروع للنهوض بهذا التراث، يتسم بالاتساع والتكامل، والسعي إلى استيعاب كل متعلقات المثل والإشكاليات التي يثيرها.

وهي إشكاليات كثيرة لاشك، تبدأ من التحديد العلمي لمفهومه، إلى النظر في المنهجية الملائمة لجمعه من مواقعه وبيئاته، وتدوينه وكيفية كتابته، إلى جانب تصنيفه وشرحه ودراسته، ثم توظيفه في المجالات المشار إليها.

وإنها أهداف تقتضي البحث في أسباب نزوله والغاية الأولى منه، دون إهمال مدى العلاقة التي له مع المثل المعرّب، وكذا مع أجناس تعبيرية أخرى، ولاسيما مع الأحاجي والألغاز التي لا يخفى أنها كذلك ذات غِنى كبير في الأدب الشعبي وغيره من الآداب.

هذه كلها قضايا كبيرة ومعقدة. ولسنا نزعم أننا في هذين اليومين الدراسيين سنبثُّ فيها، ولكن يكفي أننا سنحاول مقاربتها عبر المحاور المسطرة لجلسات هذا اليوم، عسانا ننتهي إلى خطة علمية تسعفنا في تحقيق ما نتطلع إليه من غايات.

وإذا ما تسنى لنا في هذه الجلسة الأولى أن ندير النقاش من خلال عروض ومن خلال ما سيتصل بهذه العروض من مداخلات، إذا تسنى لنا أن نضبط المثل ، وكيف يمكن أن يكون المنهج المجدي في الجمع ، فإننا سنكون قد حقّقنا الغاية من هذه الجلسة وعلى غرارها ستكون بقية الجلسات، لأن القصد من هذين اليومين ليس أن نخرج بدراسات أكاديمية أو أن ننتهي إلى نتائج فيما يتعلق بالأبحاث المتعلّقة بالأمثال الشعبية ولكن أن نتفق – كما سبق أن قلتُ – على خطّة أو على مقاييس منهج للتعامل مع المثل، سواء بالنسبة للجمع أو بالنسبة للدراسة أو بالنسبة للقضايا الأخرى المتعلقة بالأمثال الشعبية.

إن الصعوبة كبيرة حين نتحدّث عن المثل، بل حين نتحدث عن كل أنماط التراث الشعبي، لأن هذه الأمثال وهذه الأنماط التراثية الشعبية هي وليدة الشعب، أي وليدة مختلف فئات الأمة ، يتداولها الناس في حياتهم اليومية ، ويتداولونها ربما ببعض الاختلاف من إقليم إلى آخر أو من مدينة إلى أخرى، وكل هذا يثير صعوبات بالنسبة للذين يريدون أن يجمعوا المثل كخطوة أولى.

إذن كيف سنجمع هذه الأمثال مع مراعاة كل هذه الظروف وهذه الحيثيات التي تحيط بالمثل كنمط شعبي تداوله الناس منذ قرون وخلال أزمنة متعدّدة وفي أماكن مختلفة ؟

هذا إذن هو موضوع المحور الأول الذي تدار حوله هذه الجلسة وهو أن تنظر في قضية جمع الأمثال وتدوينها.

ولا أريد أن أستبدّ بالكلمة على الرغم من أن الموضوع يغري بالحديث، وأستأذنكم في أن ندخل مباشرة إلى الاستماع للعروض التي سنمهّد بها للمناقشة، لأن المناقشة ستكون ذات أهمية بالنسبة لهذا المحور.

وقبل ذلك أعطي الكلمة للأستاذة زكية عراقي سيناصر، رئيسة الجمعية المغربية للتراث اللغوي.

كلمة الجمعية المغربية للتراث اللغوي

زكية عراقي سيناصر

أودُّ قبل كل شيء أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان للسيد أمين السر الدائم وللسادة أعضاء أكاديمية المملكة المغربية الذين قدموا لجمعيتنا كل الدعم العلمي والتشجيع المعنوي في مجال اهتماماتنا بالتراث اللغوي؛ وإن عناية أكاديمية المملكة بمشاريعنا ورعايتها لأعمالنا لجدير بكل ثناء وتقدير.

ومما عزز نشأتنا ووطّد عزمنا ما وجدناه من تفهم وتشجيع من طرف أعضاء الجمعية الشرفيين الذين نعتبرهم قدوة علمية لأعمالنا وتوجهاتنا، وأعني هنا السادة : الأستاذ عباس الجراري، الأستاذ محمد بنشريفة، والأستاذ عبد الكبير الخطيبي، والأستاذ محمد علال سيناصر، والأستاذ أحمد رمزي الذين نعبر لهم عن جزيل الشكر على مساعدتهم لنا، كما نشكر السادة المشاركين في هذه الندوة على مساهمتهم بتناول الموضوعات التي كلّفوا بها.

وإنه لمن دواعي الابتهاج حضور نخبة من الباحثين والمثقفين ومحبي الأمثال، من جهات مغربية مختلفة يمثلون في هذه الندوة مقومات ثقافية متكاملة.

وأرجو أن تتضافر جهودنا في هذه المناسبة وفي مناسبات سانحة أخرى، خدمة لتنمية البحث في حقول الأمثال ومروج الحكم.

وأغتنم هذه الفرصة لأشاطركم رأينا في هذا الميدان وأعرض عليكم بعض اهتمامات الجمعية المغربية للتراث اللغوي :

لقد انطلقنا من فكرة تجلت لدينا، نحن جماعة من الأساتذة الباحثين، مفادها قلة مجالات البحث الجامعي في التراث اللغوي المغربي؛ وبعد الاطلاع

على وضعية ومستوى الدراسات التراثية في دول مختلفة، تبين لنا أن الميدان الثقافي عندنا يتوفر على كافة الشروط لإقامة أسس للبحث التراثي، حيث توجد أرضية خصبة في هذا المجال، كما لاحظنا أن قطاعا مهما من هذا التراث يستجيب لمواصفات العلوم ويخضع لمقاييس دولية متعارف عليها في ميدان البحث؛ واعتبارا لذلك فقد بادرنا بوضع هذا التخصص في إطار جمعوي مؤكدين أن التراث يناشدنا ويسترعي تكريس جهودنا، كما هو الشأن في بلدان أخرى لها الباع والصدارة في البحث.

إن تراثنا واعد بدرره المكنونة ويتطلب الاعتكاف والمثابرة، بالرغم مما قد يعترض الباحث في علوم من هذا الصنف، من إشاعات وأفكار متضاربة وما يلاحظه من مواقف متباينة نذكر منها بالخصوص الملاحظات التالية :

هناك من يعتبر أن لا قيمة إلا للأدب المكتوب ولا يقيم وزنا للأدب المنقول شفويا.

– وهناك من لا يُعير أي اهتمام للدراسات التي لا تعتمد على لغة رسمية، ويعتبر ذلك إمَا ثانويا أو متناقضا مع الثقافة السائدة.

– ونجد أخيرا من يرفض، دون تمييز، جميع الأعمال التي كانت محطَ اهتمام المستشرقين.

كل هذه المواقف والأحكام المسبَقة لا تخدم التراث بل تنال منه وتعارض استمراريته وتناقله الطبيعي بين الأجيال.

إننا على يقين أن البقاء للأصلح وأن تراثنا ثابت بقيمه، والعناية به كفيلة ببلورة معالمه. ولقد بينت البحوث الحديثة أهمية المقومات الثقافية في تكوين الهوية وشخصية المواطن وتوازن المجتمع.

إننا نلاحظ بارتياح أن انشغالاتنا كباحثين تصادف توجهات جديدة وحلولا تم إدراجها أخيرا في المشاريع الرسمية، نذكر منها ما ورد في مشروع الميثاق

الوطني للتربية والتكوين حيث أصبح من الممكن الاستئناس باللغة الأم في التعليم الأولي والتفتح على الأمازيغية في بعض الجامعات.

إن أعمالنا في مجال التراث وما نساهم به فرادى وجماعة، سواء في ميدان الأمثال وغيرذلك من الأصناف الأدبية المتنوعة كالقصص والسير والمعاجم يعتبر من قبيل نشر الإبداع وتقريب الموروث الشعبي من الأجيال الحديثة ؛

وما ذلك إلا استجابة لضرورة البحث وإنصافا للهوية ومساهمة في تحقيق توازن ثقافي وسياسة لغوية متكاملة .

سنسير إذن في هذا الاتجاه بعزم وقناعة لا ندخر وسعا لإنجاز مشاريعنا حسب ما أخذناه على عاتقنا كما تشير إليه الوثائق المؤسسة للجمعية المغربية للتراث اللغوي.

البحوث

جمع الأمثال عند القدماء

محمد بنشريفة

يرجع عدد من تراث الأمثال في اللغة العربية إلى العصر الجاهلي، فقد كانت الأمثال حكمة العرب في الجاهلية، ومازلنا نتمثل ببعض هذه الأمثال إلى يومنا هذا مع أنه مضى على إرسالها أكثر من خمسة عشر قرنا، فنحن نقول على سبيل المثال : مواعيد عرقوب. وذلك لمن يخلف الموعد، وفي هذا أكبر دليل على سيرورة المثل في المكان والزمان وهي السيرورة التي ضرب بها المثل فقيل: (أسير من مثل) وقد كانت هذه الأمثال تسير وتنتشر بطريق الرواية والسماع، ولكن قيمتها الأدبية ووظيفتها البلاغية دعتا إلى تدوينها عناية بها وحفاظا عليها، أما قيمتها الأدبية فهي أنها وعاء للحكمة العربية، وأما وظيفتها البلاغية فيوجزها أبو عبيد القاسم بن سلام أحسن إيجاز إذ يقول : "وبها (أي بالأمثال) كانت العرب تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه" (١).

ومن هنا كانت مكانة الأمثال لا تقل عن مكانة الشعر عند العرب في الجاهلية فكما أنهم دونوا في هذا العصر المعلقات دونوا كذلك صحائف في الأمثال وقد ورد ذكرها في المصادر، وبعد ظهور الإسلام وفي القرن الأول للهجرة قام ثلاثة من رواة القصص والأخبار بجمع أمثال العرب وتدوينها في كتب هي اليوم مفقودة ولكنها ظلت معروفة حتى القرن الرابع للهجرة وهؤلاء المدونون الأولون للأمثال العربية هم عبيد بن شرية الجرهمي وصحار بن عياش العبدي وعلاقة بن كرسم الكلابي، وكانوا يقصون قصص الأولين على معاوية بن

أبي سفيان، وتولى علاقة منهم الكتابة عن يزيد بن معاوية، وقد ذكر ابن النديم في «الفهرست» وياقوت في «إرشاد الأديب» أنهم ألفوا كتبا في الأمثال، وقال ابن النديم إنه رأى من كتاب علاقة في الأمثال خمسين ورقة، وقد كانت هذه الكتب المفقودة هي الأساس الذي قامت عليه كتب الأمثال التي ألفت في القرن الثاني للهجرة، وأصحابُها هم أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة 145 هـ والمفضل الضبي المتوفى سنة 170 هـ ويونس بن حبيب المتوفى سنة 182 هـ وأبو فيد مؤرج السدوسي المتوفي حوالي 198 هـ. وقد وصل إلينا من مؤلفات هؤلاء في الأمثال كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي وكتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، وكلاهما مطبوعان، وكتاب المفضل الضبي هو أقدم مجموعة في الأمثال العربية ومؤلفه هو جامع القصائد العربية القديمة المعروفة بالمفضليات، ويشتمل كتاب الأمثال للضبي على مائة وستين مثلا وهي مصحوبة بالقصص التي كانت سببا في قولها ومعظمها يتعلق بأيام العرب. وقد كان هذا الكتاب متداولا بين الدارسين في المشرق والمغرب وفي فهرس ابن خير الفاسي الإشبيلي سلسلة روايته لهذا الكتاب، وكتاب مؤرج مختلف عن كتاب الضبي فهو أقل عددا منه، فمجموع أمثاله مائة لكن مؤرج أكثر توثيقا وإسنادا والضبي يعنى بقصص الأمثال، أما مؤرج فإنه يهتم بشرح ألفاظ المثل وإيراد الشواهد الشعرية. وتجدر الإشارة إلى أن النسخة الخطية الوحيدة من كتاب مؤرج توجد في مكتبة الإسكوريال، وهي في الأصل مكتبة السلطان زيدان السعدي، ومعنى هذا أن كتاب مؤرج كان معروفا في المغرب.

وقد جاء بعد الضبي ومؤرج لغويون مشهورون وضعوا كتبا في الأمثال ولكنها لم تصل إلينا، وهؤلاء هم النضر بن شميل وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد وأبو عمرو الشيباني وأبو الحسن اللحياني وأبو محمد ابن الأعرابي وأبو عثمان سعدان بن المبارك. وإذا كانت كتب هؤلاء قد ضاعت فإن أبا عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224 هـ جمع رواياتهم في كتابه الممتاز في الأمثال. وقد جاء هذا الكتاب الجليل جامعا ومتضمنا لما سبقه ومتميزا في منهجه، يقول أبو عبيد في مقدمته : "وقد ألفناها – يعني الأمثال – في كتابنا هذا على منازلها، ولخصنا

صنوفها، وذكرنا المواضع التي يتكلم بها فيها، وتضرب عندها، وأسندناها إلى علمائها واستشهدنا بنوادر الشعر عليها أو على ما أمكن منها".

يشتمل كتاب الأمثال لأبي عبيد على 1386 مثلا وهي مبوبة ومرتبة حسب الموضوعات ومشروحة شرحا لغويا مع بيان مضرب المثل ومورده، ولعل أول ما نلاحظه هو هذا التوسع في عدد الأمثال بالقياس إلى المجاميع السابقة، وسبب هذا أن أبا عبيد لم يقتصر على أمثال العرب في جاهليتها ولكنه سجل أيضا الأمثال التي استعملت منذ ظهور الإسلام إلى وقته ومنها عدد من الأحاديث النبوية التي صارت أمثالا، وقد انتشر هذا الكتاب في أرجاء العالم الإسلامي وكان يروى ويدرس في المشرق والمغرب وشرحه عدد من العلماء وكان عليه إقبال كبير في المغرب والأندلس، ويدل على ذلك تجريد ابن عبد ربه له وإدراجه في «العقد الفريد» وشرح أبي عبيد البكري، وشرح أبي بكر محمد بن أغلب المرسي وترتيب ابن المرحل له على حروف المعجم، وتوظيف أبي الربيع الكلاعي لأمثال هذا الكتاب وتضمينها في كتابه «نكتة الأمثال ونفثه السحر الجلال». وكتاب الأمثال لأبي عبيد هذا مطبوع بتحقيق صديقنا الدكتور عبد المجيد قطامش، وأما شرحه لأبي عبيد البكري فقد نشره صديقنا الدكتور إحسان عباس وفيه إضافات عديدة بيّنها البكري في المقدمة إذ يقول : «أما بعد فإني تصفحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم فرأيته قد أغفل تفسير كثير من تلك الأمثال فجاء بها مهملة وأعرض أيضا عن ذكر كثير من أخبارها فأوردها مرسلة فذكرت من تلك المعاني ما أشكل، ووصلت من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل، وبينت ما أهمل، فنبهت على ما ربما جهل، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها، وأمثلة جمة غير مذكورة ذكرتها، وألفاظ عدة من الغريب فسرتها".

لقد كان لكتاب الأمثال لأبي عبيد تأثير كبير في كتب الأمثال التي ألفت بعده، ويقول أحد الدارسين لتراث الأمثال العربية إنه لم يؤلف مثله في طريقته إلى اليوم.

وقد ألفت بعده بقليل، أي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري عشرة كتب، وأصحابها هم أبو عكرمة الضبي وأبو محمد التوزي وابن السكيت ومحمد بن حبيب وأبوإسحاق الزيادي والجاحظ وابن قتيبة وأبو جعفر البرقي وأبو الحسن الأصفهاني وأبو طالب المفضل بن سلمة الضبي. ولم يصل إلينا من كتب هؤلاء إلا كتاب أبي عكرمة وكتاب المفضل بن سلمة. فالأول – حسب مخطوطته في الإسكوريال – صغير الحجم لا يشتمل إلا على 120 مثلا أو عبارة ليس فيها ترتيب موضوعي أو أبجدي، وبدلا من أن يتقدم أبو عكرمة بالتأليف في الأمثال إلى الأمام فإنه رجع إلى الوراء. وأما كتاب المفضل بن سلمة المسمى بالفاخر فقد نشره المستشرق ستوري في ليدن سنة 1915 وأعاد نشره في القاهرة عبد العليم الطحاوي سنة 1960 وهو يشتمل على 521 مثلا أو قولا سائرا. ومع أن الفاخر لا يصل إلى درجة كتاب أبي عبيد في عدد أمثاله وترتيبه فإن له ميزة تظهر في عنايته البالغة بقصص الأمثال والعبارات وفي توسعه في شرح ألفاظها، ولهذا وقع الاهتمام بروايته ورجوع المؤلفين بعده في الأمثال كالميداني وغيره إليه. وقد ألف ابن الأنباري في الربع الأول من القرن الرابع الهجري كتابا في الأمثال على غرار كتاب الفاخر سماه «الزاهر» وذهب بعضهم إلى أن كتاب «الزاهر» منقول من كتاب الفاخر، ولكن المقارنة الدقيقة بين الكتابين لا تؤيد هذا القول، فالأمثال والأقوال في «الزاهر» أكثر عددا، فهي تصل إلى 834 مثلا وقولا كما أنه أوسع شرحا وأكثر حديثا، وقد لقي هذا الكتاب رواجا في الأندلس منذ أدخله إليها أبو علي القالي الذي سمعه من مؤلفه، وهو رواج لم يلقه الفاخر، وقد كان محقق هذا الكتاب ذكر في مقدمته أنه نسخه ليحققه وينشره، ويبدو أنه لم يتمكن من ذلك.

وقد ألف ثلاثة من معاصري ابن الأنباري كتبا في الأمثال وهم نفطويه وابن أبي اليسر الرياضي وأحمد بن اسماعيل القُمّي، ووصل إلينا منها كتاب ابن أبي اليسر الرياضي وعنوانه : «تلقيح العقول في الأمثال والحكم» ويقع في 157 فصلا وتوجد منه مخطوطة في مكتبة ليدن وستتقدم بتحقيقه بنت صديقنا الدكتور محمد مكي لنيل الدكتوراه من جامعة مدريد. أما كتاب القمي فاسمه «جامع الأمثال»

ويقول القِفْطي إنه "كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام إلا أنه أكبر وأكثر شرحا وبيانا". وقد نقل السيوطي في المهر بعض مواده، ومعنى هذا أنه كان موجودا في مطلع القرن العاشر الهجري، ويبدو أنه فقد بعد ذلك. ومن أهم كتب الأمثال التي ألفت في القرن الرابع أيضا كتابان : أحدهما كتاب «الدُّرَّة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة الأصفهاني، وهو مطبوع في دار المعارف بمصر سنة 1972 بتحقيق صديقنا عبد المجيد قطامش، وكان قد نال به درجة الدكتوراه وأهدى إلي نسخته المرقونة، ويتميز هذا الكتاب بأنه خاص بالأمثال المبدوءة بأفعل من كذا. ويذكر حمزة الأصفهاني في ديباجة كتابه أن الأصمعي له كتاب في هذا النوع من الأمثال مقداره عشر ورقات، وللحياني كتاب يقترب من ذلك، وأن أبا عبيد ضمن الباب الذي خصصه لهذا النوع بعض ما ورد عند الأصمعي واللحياني، ثم جاء محمد بن حبيب بعد هؤلاء فألف في ذلك كتاباً سماه «المنمق» وأخذ ما عندهم وزاد عليه زيادة كبيرة فوصل إلى ثلاثمائة وتسعين مثلا. أما حمزة الأصفهاني فقد بلغ عدد أمثال كتابه بصيغة أفعل ألفاً وثمانمائة مثل.

والكتاب الثاني هو «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري المتوفى حوالي سنة 400 هجرية، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات، وهو يشتمل على 3000 مثل مرتبة ترتيبا أبجديا، وهو يخلو من الأمثال المولدة التي يوجد عدد منها عند حمزة الأصفهاني وانتقدها عليه العسكري، ونرى من خلال هذين الكتابين مدى نمو الأمثال وكيف تزايد عددها مع مرور الأيام والأعوام، ومع تتابع الكتب التي كان كل واحد منها يجمع ما قبله ثم يزيد عليه، وقد بلغ نمو الأمثال ذروته في القرن الخامس عند الزمخشري والميداني. فكتاب «المستقصى» يشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمائة مثل، أما «مجمع الأمثال» فقد وصل العدد فيه إلى 6000 مثل فيها أمثال قديمة وأمثال مولدة وأمثال نبوية وأيام عربية، وهذا أعلى عدد فيما هو معروف وهو حصيلة كتب الأمثال التي سبق ذكرها، فقد بلغ عدد ما رجع إليه الميداني منها أكثر من خمسين كتابا.

وكان أبو الحسن علي الواحدي شيخ الميداني ألف ثلاثة كتب في الأمثال سماها : «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز»، وقد وصل إلينا منها «الوسيط» في

نسخة مخطوطة وحيدة بالخزانة العامة بالرباط، وقد نشرها في الكويت باحث من الأردن وأهدى إلي نسخة منها، ولا يحتوي هذا الوسيط إلا على 184، ولسنا ندري عدد ما ذكره في «البسيط»، وأشير بعد هذا إلى كتاب في الأمثال طبع في حيدر أباد غير منسوب، ويظن أن جامعه من أهل القرن الخامس أيضا، ويبلغ عدد الأمثال في هذا الكتاب 1375 وهي مرتبة ترتيبا أبجديا ومشروحة شرحا موجزا.

ولم يقف التأليف في الأمثال الفصيحة عند القرن الخامس، لكنه بلغ غايته في هذا القرن عند الميداني، فلم يكن في وسع الذين ألفوا في الأمثال الفصيحة القديمة أن يزيدوا على ما عنده. وقد اتجه بعضهم إلى التأليف في أمثال المولدين وأمثال الخواص وأمثال العوام والأمثال المصنوعة. فأمثال المولدين هي التي ظهرت في الأمصار الإسلامية وقد كثرت في العصر العباسي، ونجد بعضها في كتاب الأمثال لأبي عبيد الذي سبق ذكره ثم أصبحت عند الميداني قسيما للأمثال القديمة فهو في كل حرف يخصص قسما لهذه وقسما آخر للأمثال المولدة. وقد خص بعض المؤلفين هذه الأمثال المولدة بالتأليف، ومنهم أبو المطهر الأزدي في كتابه حكاية أبي القاسم البغدادي وهي تشتمل على أمثال البغداديين وكناياتهم وإضافاتهم وغير ذلك من تعابيرهم التي جرت مجرى الأمثال، ومثلها «رسالة الأمثال البغدادية» التي تجري بين العامة لأبي الحسن علي بن الفضل الطالقاني، والأمثال المولدة لأبي الفرج علي بن الحسن بن هندو، والأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي والأمثال العامية المصرية لشرف بن أسد المصري، وأمثال العوام لأبي يحيى الزجالي القرطبي التي قمت بتحقيقها ودراستها.

وقد ظلت العناية بجمع الأمثال موجودة ومتجددة في مختلف الأعصار والأمصار الإسلامية، وقد كان هذا التراث سواء منه الفصيح أم العامي من مكونات المثقف والمتحدث، فلم يكن يخلو شعر شاعر ولا نثر كاتب من استعمال الأمثال الفصيحة كما أن الأمثال العامية كانت تجري كثيرا على ألسنة الناس رجالا ونساء، ولكن ضرب الأمثال أصبح نادرا في هذا العصر بحكم المتغيرات العديدة. وهذا ما دعا المعتنين في البلدان العربية إلى جمع الأمثال الوقتية

وتدوينها. ونجد اليوم أكثر من كتاب في أمثال البلد الواحد، كما هي الحال على سبيل المثال في بلدنا حيث تعددت مجاميع الأمثال المغربية العامة والخاصة، الأمر الذي دعا إلى إحداث قاعدة معطيات تجمع هذه الأمثال وتحفظها وترتبها ليسهل توظيفها واستعمالها.

وإني في ختام هذه التذكرة الموجزة أهنئ القائمين على الجمعية المغربية للتراث اللغوي على القيام بهذا العمل وآمل أن يتسع نشاطها للأنواع الأخرى من تراث المغرب اللغوي.

وفيما يخص مسألة جمع المعطيات ، فإنها تتم في الغالب بشكل عشوائي ولا تسير وفق مناهج محدّدة تسمح بمواءمتها مع مختلف مجالات البحث. أما ترتيب هذه المعطيات، فمعظم الأعمال اختارت إما التصنيف الأبجدي أو التصنيف الموضوعاتي، وهي طرق لا تتلاءم مع طبيعة المثل الذي يتميز بقابلية الشكل والمضمون للتغيّر.

SANCHEZ DIAZ Cap. Ramon (1957)

- "Refranero Marroqui". - in Mauritania, Tanger, pp. 346-347.

SBIHI ES-SLAOUI Si Ahmed Ben Mohammed (1931)

- Proverbes inédits des vieilles femmes marocaines. (Recueillis par Si A. SBIHI, Nadir des Habous Kobra de Meknès. Traduits et commentés par A. BENCHEHIDA, Interprète Civil près le Tribunal du Pacha de Meknès). - Fès : M. DEBAYEUX Editeur.

SERVIER Jean (1986)

- Méthode de l'ethnologie . - Paris : P.U.F. ; coll. Que sais-je? n° 2313.

SICARD Jules (& Marty)

- "Recueil de proverbes français avec leurs équivalents ou analogues arabes". - in Le Maroc Catholique, Rabat ; (publié par les RR. PP. Franciscains du Vicariat. Organe mensuel du Catholicisme au Maroc, 1934 à 1939) ; [637 prov.].

TAYLOR Archer

- (1931) The Proverb . - Cambridge, Mass. : Harvard University Press.

YOUSI Hasan (al-) [1040-1102 / 1630-1-1692]

- Zahr al-akam fî al-amthâl wa al-hikam . 3 t. - Casablanca : Dâr al-Thaqâfa. Texte établi par HIJJI Mohammed et al-AKHDAR Mohammed; Manchûrât MacHad al-Abhâth wa al-dirâsât li al-Tacrîb, 1981.

ZEMMAMA Abdelkader (1965-1966)

- "Al-Amthâl al-maghribiya". - in Majallat-al-Bahth al-Cilmî, n° 6, année 2 ; Sept. - Déc. 1965, pp. 114-143 ; et n° 7, année 3, Janv. - Avr. 1966, pp. 147-203 [820 prov.]

ملخّص

إعداد قاموس للأمثال العربية المغربية التي لم يسبق نشرها

عندما نتفحص مجموع الأعمال المنشورة حول الأمثال العربية المغربية ، يتبيّن لنا أن مضامين جُلِّها تتّسم بالتكرار كما أن تحليل ما جُمع من معطيات لا يسمح بوصف المثل وصفاً دقيقاً. فعملية شرح المثل والتعليق عليه تتطلّب توافر عناصر تتعلق بلغة المثل وبالظروف التي استدعت وضعه.

MARÇAIS William (1911)

- Textes arabes de Tanger. (Transcription, traduction annotée, glossaire).- Paris : Imprimerie Nationale. Ernest. LEROUX, Editeur; MDCCCCXI. Bibliothèque de l'Ecole des Langues Orientales Vivantes.

MARTINEZ DRISIEN José A. (1952)

- Lecturas de arabe vulgar. Seleccion de cuentos y refranes. Contribucion al conocimiento del idioma y folklore de Marruecos. - Tetuan : Instituto General Franco.

MAUSS Marcel (1947)

- Manuel d'ethnographie . - Paris : Payot ; rééd. de 1971.

MESSAOUDI Leila Benallal (1987)

- Proverbes et dictons du Maroc. - Paris/Agadir : Editions de Lunay/Editions BELVISI. [327 prov. et dict.].

MONTEIL Vincent (1947)

- "Dictons sur les Rguibat Lgwâsem". in Hespéris XXXIV, 3e et 4e tr., pp. 443-444 ; [13 prov.].

MUNIM S. Abd al-Al (Abd al-) (1968)

- Lahjat chamâl al-MaGrib. "tiTwân wa ma hawlaHa". - Le Caire : Dâr al-Kitâb al-carabi li al-Tibâca wa al-Nachr.

NABTITI Khalid (al-) (1979)

- "al-Amthâl al-maGribiya al-falisTîniya". - in Al-turâth al-Chacbi. - Bagdad : Dâr al-Jahidh ; n°s 3 et 4 ; année 10 ; pp. 32-52.

PERMYAKOV G. L. (1967)

- "Le plan logico-sémiotique des proverbes et des dictons. Contribution à une classification du Genre". - Moscou, Narody Azii Afriki ; n° 6, pp. 52-68.

QADIH Nâhid (1987)

- "al-Amthâl al-carabiya : dirâsatuHâ wa maSâdiruHâ". - in : al-Fikr al-carabi. - Beyrouth: MacHad al-Inmâ' al-carabî ; n° 49 ; 8e année ; pp.18-49

QITOUT Michel (1995)

- Dictionnaire bilingue des proverbes marocains (arabe-français). Paris/Montréal : L'Harmattan / L'Harmattan Inc. [1616 prov.].

RODEGEM F. M. (1984)

- "La parole proverbiale". - in : Richesse du proverbe ; vol. 2 ; Lille, Université de Lille III ; P.U.L. ; pp. 121-135.

- Le chapitre IV est extrait de Language in Social Groups, Stanford University Press, 1971 (pp. 311-350).

- Le chapitre V est extrait de The Social Construction of Literacy, Jenny Cook-Gumperz ed., Cambridge University Press, 1986 (chap. 3).

Tous ces textes ont été révisés et adaptés pour l'édition française par Isaac Joseph.» (cf. p. 4)].

HAKIM Mohammed Ibn cazzûz (1954)

- Refranero marroqui. t. I. - Madrid : Instituto de Estudios Africanos.

HYMES Dell H. (1984)

- Vers la compétence de communication . - Paris : Hatier -Crédif. Coll. : Langues et apprentissage de langues (L.A.L.). Traduction de France MUGLER.

IDRISI Allal (al-) (1977)

- "Amthâl cirâqiya wa maGribiya muqârana." - in Al-Turath al-Chacbi . - Bagdad : Dâr al-Jahidh n° 10, année 8, pp. 193-198.

KASRI Hoceïn (El-) (1987)

- "La littérature orale". - in : La Grande Encyclopédie du Maroc ; 12 vol. - Rabat : G.E.M. ; vol. 5 : pp. 132-142.

KHATIBI Abdelkebir (1974)

- La blessure du nom propre. - Paris : Denoël. [48 prov. : voir annexes II et III, pp. 53-58].

LABOV William

- (1976) Sociolinguistique . - Paris : Minuit. Traduit de l'anglais par Alain KIHM.

- (1978) Le parler ordinaire : la langue dans les ghettos noirs des États-Unis. 2 tomes. Paris : Minuit. (Traduit de l'américain par Alain KIHM).

LEVI-PROVENÇAL Evariste (1922)

- Textes arabes de l'Ouargha, dialectes des Jbala (Maroc septentrional). - Paris : Leroux. Publ. de l'I.H.E.M., IX.

LÜDERITZ H. (1899)

- "Sprüchwörter aus Marokko mit Erläuterungen im Dialekt des nördlichen Marokko". - in M.S.O.S. , pp. 1-46 ; [92 prov.]

MALOUX Maurice (1992)

- Dictionnaire des proverbes, sentences et maximes . - Paris : Larousse.

COLIN Georges S. (1955)

- Chrestomathie marocaine. - Paris : Adrien-Maisonnneuve ; pp. 161-171 ; [349 prov.].

DAOUD Mohammed (1964)

- "Alf mathal wa mathal min amthâl tiTwân. - in Majallat al-Bahth al-cilmî, n° 2, année 1, mai / août, pp. 9-61.

FASSI Mohammed (el-) (1960-1961)

- "al-Amthâl al-maGribiya bi al-luGa al-carabiya al-câmmiya". - Le Caire : Majmac al-luGa al-carabiya ; al-Buhûth wa al-munâDarât ; pp. 207-242 ; [200 prov.]

FERRANAT V. de (1926)

- "Proverbes marocains." - Genève : in Bibliothèque Universelle et Revue de Genève, pp. 611-620 ; [30 prov.].

FISCHER August. (1898)

- "Marokkanische sprichwörter". - Berlin : M.S.O.S. (Mittheilungen des Seminars für Orientalische Sprachen), pp. 188-230 ; [71 prov.].

FLAMAND Pierre [1959]

- Quelques manifestations de l'esprit populaire dans les juiveries du Sud Marocain. Casablanca. [700 proverbes et autres expressions usuelles].

FRANCIS Jacques (1979)

- Dialogiques. Recherches logiques sur le dialogue . - Paris : P.U.F.

GOFFMAN Erving

- (1987) Façons de parler . - Paris : Minuit. Traduit de l'américain par Alain KIHM [Titre de l'édition originale : Forms of Talk 1981].
- (1991)Les cadres de l'expérience. - Paris : Minuit. Traduit de l'américain par Isaac Joseph avec Michel DARTEVELLE et Joseph PASCALE. [Titre de l'édition originale: FRAME ANALYSIS An Essay of Organization of Experience ; 1974].

GUEMPERZ John (1989)

- Engager la conversation : introduction à la sociolinguistique interactionnelle . - Paris : Minuit. Traduit de l'anglais par Michel DARTEVELLE ; Martine GILBERT et Isaac JOSEPH.
- [«- Le chapitre I est extrait de Language and Social Identity, John Gumperz ed., Cambridge University Press, 1982 (chap. 1).
- Les chapitres II, III et VI sont extraits de Discourse Strategies, Cambridge University Press, 1982 (chap. 2, 6 et 7).

- (1971) "Proverbes juifs marocains concernant le mariage." - in Proverbium n° 16, pp. 597-601 ; [44 prov.]

BENCHENEB Mohammed (1905-1907)

- Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb . 3. vol. - Alger : Publications de l'Ecole des Lettres d'Alger.

BENCHERIFA Mohammed (1971 ; 1975)

- Amthâl al-cawâmm fi al-Andalus li Abi Yahya Cubayd Allâh Ben Ahmed al-ZAJJALI al-QurTubî (617-694 / 1220-1294) = Proverbes Andalous de Abu Yahya Ubaid Allah al-ZAJJALI . - Fès : Imprimerie Mohammed V al-Thaqâfiya wa al-Jâmiciya. Première partie : Etude (1975) ; deuxième partie : Edition, commentaire et comparaison par BENCHERIFA M. (1971). (Publications du Ministère d'Etat Chargé des Affaires Culturelles et de l'Enseignement Originel). [Environ 2000 prov. marocains comparés aux proverbes andalous (les prov. marocains sont cités dans les notes et les commentaires)].

BENALI al-Hoceïn ben Abdellah (1996, 1999)

- Qisas wa amthâl min al-MaGrib. - Casablanca : Imprimerie Najâh El-Jadîda. [t. 1 et 2: 1168 et 1893 prov.]

BRUNOT Louis (1928)

- "Proverbes et dictons arabes de Rabat." - in Hespéris VIII, 1er tr., pp. 59-121 ; [200 prov.].

BRUNOT Louis et MALKA Elie (1937)

- "Proverbes judéo-arabes de Fès." - in Hespéris XXIV, 3e tr., pp. 153-181 ; [100 prov.].

BURIDANT Claude et SUARD François (1984)

- Richesse du proverbe . 2 vol. - Lille, Université de Lille III : P.U.L. Vol. I : Le proverbe au Moyen Age ; vol. II : Typologie et fonctions . Etudes réunies par C. BURIDANT et F. SUARD. (Actes du Colloque de parémiologie ; Lille : 6 au 8 mars 1981).

CHERRADI El-Fadili Mohammed et KABBAJ Mohammed (1981)

- Un bouquet de proverbes marocains ou l'authenticité du Maroc à travers ses proverbes. Casablanca : Imprimerie Idéale. [700 prov.].

CHMAOU Mohammed Ben Ahmed

- (1980) al-Mujtamac al-maGribî kama caraftuhu khilâla khamsîna sana : 1350-1400 H. Rabat : Imprimerie al-Risâla. [244 prov.]
- (1984-1991) Mi'a wa alf mathal min al-amthâl al-Chacbiya al-maGribiya. - Rabat : Imprimerie al-Macârif al-Jadîda. (Corpus I : 1984 ; corpus II : 1986 ; corpus III : 1991. [3300 prov.].

6) La collecte des proverbes a commencé en 1981 lors de la préparation de notre thèse de 3e cycle. Elle fut interrompue en 1984 : presque trois années consécutives furent consacrées au traitement du corpus et à la rédaction de ladite thèse soutenue en 1986. Nous avons repris la collecte en 1987 puis à nouveau interrompue en 1995 pour le traitement des données et la rédaction de la thèse de Doctorat d'état soutenue en 1999. L'enquête se poursuit actuellement en vue d'élaborer, cette fois-ci avec la participation de notre collègue Abdelali Sabia, *un Dictionnaire régional des proverbes arabes marocains inédits*, objet de cette communication.

7) Depuis la préparation de notre mémoire de licence : Le bilinguisme comme aliénation linguistique et culturelle (1977-78), de notre dossier de recherche (D.E.A.) : Approche sociolinguistique au discours oral –l'exemple des contes- (1978-79), de notre thèse de 3e cycle : Recueil de proverbes en usage à Oujda – contribution à l'élaboration d'un corpus général des proverbes marocains (1985-86), de notre thèse d'état : Dictionnaire des taxons parémiologiques en usage au Maroc oriental – Proverbes, locutions proverbiales, dictons, expressions idiomatiques- (1999), nous avons toujours eu recours au terrain pour collecter nos corpus d'étude.

8) Maurice Maloux propose ceci : « On a écarté l'ordre strictement alphabétique, comme étant fastidieux, et le classement par choix du mot principal, qui prête à l'arbitraire ou à des redites. C'est la préoccupation de rendre notre ouvrage attrayant qui nous a fait adopter un mode de classement fondé sur le sens intrinsèque, mais notre distribution par mot-souche (adulation, bâtard, chimère, doute, efficience, fatuité, etc.) ou par expression-thème (adversité éducatrice, bonheur est en soi [le], cœur et la raison [le], esprit chagrin, fait accompli, etc.) reste alphabétique.» (M. Maloux, 1992 : p. XII).

BIBLIOGRAPHIE

ATTAR Bouchta (el-) (1992)

- Les proverbes marocains. - Casablanca : Imprimerie Najâh El-Jadîda. [1786 prov.]

BACHMANN Christian ; Jacqueline LINDENFELD et Jacky SIMONIN (1981)

- Langage et communications sociales . - Paris : Hatier-Crédif. Collection : Langues et apprentissage de langues (L.A.L.).

BEN-AMI, I.

- (1970) "One Thousand and One Jewish Proverbs from Morocco". - Jerusalem : Folklore Research Center Studies, Vol. I, pp. 35-148, edited by D. NOY and Ben-Ami.

aussi bien par les parémiologues, entre autres chercheurs marocains, que par certains responsables chargés des Affaires Culturelles dans notre pays. Les uns et les autres sont plus que jamais intéressés par le projet.

Nous espérons que cette bonne intention se traduira effectivement par la mise en œuvre des moyens humains et matériels nécessaires afin que ce Dictionnaire général... puisse enfin voir le jour. Au niveau local, nous pouvons dire que le Groupe de Recherche en Lexicographie (G.R.L.) et l'équipe du Centre de Recueil et d'Étude des Discours oraux (C.R.E.D.O.) ont déjà pris la décision de coordonner leurs efforts pour pouvoir réfléchir ensemble aux multiples démarches à suivre...

NOTES

1) Nous pensons que le Colloque qu'organise l'Académie du Royaume du Maroc sur les proverbes marocains vient à point nommé, en ce sens qu'il permet aux chercheurs qui s'intéressent au domaine de faire le point sur l'état des recherches parémiologiques au Maroc. Nous tenons à remercier vivement ici les organisateurs de ce Colloque pour le choix fort judicieux du sujet.

2) Signalons ici la création, à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines d'Oujda, du C.R.E.D.O. (Centre de Recueils et d'Études des Discours Oraux), dont l'objectif principal est la constitution d'une base de données relatives aux différentes formes d'expression orale.

3) Voir Qadih NâHiD "Al-Amthâl al-carabiya : dirâsatuHâ wa maSâdiruHâ" (1987 : p. 18-19).

4) Pour les méthodes intensive et extensive, cf. Mancel Mauss : Manuel d'ethnographie (1971 : p. 13 sqq).

5) Voir par exemple : William Labov *Sociolinguistique* (1976) ; Id. *Le parler ordinaire : la langue dans les ghettos noirs des Etats-Unis* (1978) ; Erving Goffman Façons de parler (1987) ; Id. *Les cadres de l'expérience* (1991) ; John Guemperz *Engager la conversation : introduction à la sociolinguistique interactionnelle* (1989) ; Dell H. Hymes *Vers la compétence de communication* (1984) ; Christian Bachmann, Jacqueline Lindenfeld et Jacky Simonin *Langage et communications sociales* (1981) ; Jacques Francis Dialogiques : *recherches logiques sur le dialogue* (1979).

question. Pour que ces derniers soient présentés de manière convenable, nous procédons à leur classification par thèmes. Dès lors que ce choix est retenu, nous voyons apparaître une hiérarchisation en deux niveaux : a) les thèmes généraux, b) les mots-thèmes (ceux-ci équivalent en quelque sorte aux "Invariants" de G. L. Permyakov (1967) ou "Faits d'expériences" selon F. Rodegem (1984) ou "Expressions-thèmes" dans l'optique de M. Maloux (1992). Chacun de ces mots-thèmes chapeaute les quatre sous-classes précitées.

Nous sommes conscient du fait que le fonds culturel d'une communauté est indivisible dans la mesure où il s'inscrit dans un système général de connaissances. Nous pensons même que c'est vers une synthèse théorique des données recueillies qu'il faudrait s'orienter plutôt que vers une atomisation du savoir. Pour résumer, voici, dans l'ordre qui suit, l'organisation interne que nous suivons pour élaborer les articles de notre dictionnaire :

1. Les énoncés parémiologiques (= É. P.) dits en arabe dialectal sont reproduits tels quels. Rappelons au besoin que nous respectons autant que faire se peut l'orthographe de l'arabe classique.

2. Transcription des É. P. en caractères latins diacrités.

3. Traduction littérale et/ou intelligible des É. P.

4. Remarques sur le lexique usité dans les É. P.

5. Situation d'emploi des É. P.

6. Explication et commentaire des É. P.

C'est dire, au total, qu'en œuvrant dans la voie qui incite à la modération dans ce que nous avançons comme réponses aux questions posées, nous pensons avoir rendu possible une relative homogénéité de l'ensemble, malgré le fait d'avoir tenu à mettre en relief le caractère difficile de notre projet. Quant à l'objectif ultime qui nous occupe, c'est-à-dire l'élaboration du Dictionnaire général des proverbes arabes marocains, il pourrait enfin répondre aux vœux formulés à maintes reprises

respectivement "mets" et "animaux domestiques". Quant aux sens figurés, ils trouvent leur place dans les articles. Si nous considérons les structures analogiques des exemples cités, nous pouvons parler de "entêtement" pour "r-rwa" et "personne maligne et prudente" pour "muchch". Il en résulte que nous écartons de la nomenclature les mots sous-jacents issus d'une interprétation rendue possible grâce à la relation d'équivalence entre terme propre et terme figuré. Il en est ainsi, dans ce cas, des sens figurés : "entêtement" ; "malice et prudence". Bref, seuls les termes concrètement employés dans les énoncés sont pris en considération.

b) Classification alphabétique

Nous adoptons l'ordre alphabétique français pour la classe des thèmes généraux et des mots-thèmes ; et l'ordre alphabétique arabe pour les sous-classes : m.-c. ; m.-c. m. ; e.-c. et e.-c. m. Signalons en outre que l'ordre alphabétique français relatif aux titres des thèmes généraux jalonne notre dictionnaire du début à la fin. Pour la classe des mots-thèmes, cet ordre reprend du début à chaque fois que nous passons d'un thème à un autre. Quant aux sous-classes, l'ordre alphabétique arabe reprend du début à chaque fois que nous passons d'une sous-classe à une autre. Etant donné que les m.-c., les m.-c. m., les e.-c. et les e.-c. m. sont reproduits en arabe marocain transcrit en caractères latins diacrités, il est nécessaire dans ce cas de procéder à une classification complémentaire dans un lexique indexé où figurent ces m.-c. (m.) et ces e.-c. (m.) en arabe marocain. Bien entendu nous mentionnons dans cet index les numéros des énoncés parémiologiques où ces mots-clés et expressions-clés (métaphoriques) sont actualisés. Quant au choix de ces derniers, il est étroitement lié au thème général en question. Notre but, rappelons-le, est de faciliter autant que possible le repérage des informations contenues dans notre dictionnaire, en allant, selon les besoins du lecteur, soit vers des blocs (représentés par les thèmes généraux que nous classons en détail dans la table des matières élaborée à cet effet ; soit vers les détails (représentés par les sous-classes).

Ainsi, comme on peut le constater, les entrées de notre dictionnaire sont ordonnées selon des champs référentiels déterminés. Les énoncés parémiologiques ne sont pas juxtaposés arbitrairement, mais obéissent à un lien interne, en ce sens qu'ils sont en corrélation avec les domaines en

d'opérer autrement afin de débarrasser cette classification de l'arbitraire. Nous recourons donc aux mots-clés (m.-c.), aux mots-clés métaphoriques (m.-c. m.), aux expressions-clés (e.-c.) et aux expressions-clés métaphoriques (e.-c. m.) contenus dans notre corpus.

Le passage de l'unité phrase à l'unité mot ou groupe de mots est dicté par des contraintes d'ordre pratique. Le rangement de la nomenclature par mots permet d'adopter l'ordre alphabétique qui, ayant obtenu, à quelques exceptions près,(8) l'accord général, est communément suivi dans pareil cas car il rend la consultation aisée, ce qui est, nous en conviendrons, fondamentale pour un dictionnaire. En effet, il suffit à l'utilisateur de notre dictionnaire de partir d'un m.-c. (m.) ou d'une e.-c. (m) pour accéder facilement à tous les énoncés parémiologiques qui en usent. Nous pensons que le lecteur s'intéressera à l'idée de savoir comment un même terme, par exemple, est exploité par un proverbe, une locution proverbiale, un dicton, une expression idiomatique, décrivant diverses expériences de la vie. Il aura à sa disposition, agencées ensemble, les significations possibles qu'assignent les contextes aux m.-c. (m.) ou aux e.-c. (m) en question. Signalons au passage que le fait d'extraire un terme du cadre linguistique où il apparaît perd partiellement ou totalement sa charge sémantique contextuelle pour retrouver celle, primitive, que lui confère son statut lexical propre. Mais rappelons que ce choix n'est envisagé que dans un but purement classificatoire. Aussi est-il vrai par ailleurs que c'est le meilleur, voire le seul moyen qui s'offre au classificateur qui cherche un ordre simple, efficace et surtout systématique et connu de tous. En revanche, c'est au niveau du traitement interne que les m.-c. (m.) et les e.-c. (m) sont considérés dans leurs contextes linguistique et situationnel. Expliquons-nous : soient les énoncés parémiologiques suivants :

1. lli bGa r-rwa miyyel l-u [Litt. Celui qui veut du bouillon, incline (l'assiette) de son côté]

2. wâch l-muchch yezleg ! [Litt. Est-ce que le chat glisse !]

Nous classons les m.-c. m. "r-rwa" (= bouillon) et "muchch" (= chat) au niveau de la nomenclature en tenant compte de leur sens. Chacun figure naturellement au sein d'un champ lexical qui lui est propre ;

collectif, donc facilement vérifiables ; d'autre part, leur confinement dans des formes plus ou moins figées leur permet de survivre aux aléas de la mémoire.

SYSTÈME DE CLASSIFICATION DES DONNÉES

Nous commençons par répartir les dénominations principales désignant les proverbes en trois grandes classes : a) proverbes et locutions proverbiales, b) dictons, c) expressions idiomatiques. A ce stade de la classification, chaque groupe d'énoncés est considéré comme un tout non divisé. Ce qui nous permet de relever les critères fondamentaux qui caractérisent, des points de vue formel, sémantique et pragmatique, les divers types d'énoncés connus sous l'appellation générique : proverbes.

a) Classification thématique

Pour classer avec plus de détails la matière de notre dictionnaire, un certain nombre de sous-classes sont proposées afin de faciliter davantage le repérage et la lecture de l'information recherchée. Nous nous efforçons de ne pas éparpiller outre mesure les entrées qui présentent des similitudes de sens. Cela a comme conséquence le rapprochement des énoncés qui représentent des maillons consécutifs de la chaîne du traitement d'un thème donné. S'il y a lieu de recourir à un système de renvois, nous veillons à ce que les transitions se fassent au sein de l'ensemble thématique traité. Sachant qu'un énoncé proverbial peut en appeler un autre grâce à la richesse du contenu symbolique auquel ils réfèrent, cela ne doit pas nous faire perdre de vue qu'un tel chevauchement d'images, mal orienté, nuit à la clarté de l'ensemble.

Si telle est la nature des proverbes du fait qu'ils n'expriment pas un sens mais des sens, la classification thématique peut paraître incompatible avec ce type d'expressions essentiellement connotatives. On connaît assez le caractère insaisissable des emplois figurés pour ne pas s'obstiner à chercher un ordre systématique à base de thèmes. Ceux-ci sont d'une fluidité étonnante, à tel point qu'un seul énoncé parémiologique, surtout s'il s'agit d'un proverbe ou d'une locution proverbiale, peut être classé dans différentes rubriques. Par conséquent, il faut reconnaître la nécessité

l'informateur dans l'embarras. Tout dépend de l'habileté de l'enquêteur à s'adapter aux contextes qui régissent la communication interpersonnelle[5]. Quant au second rapport, l'informateur se considère lui-même comme un simple intermédiaire ou transmetteur, à la limite "innocent", d'un genre de la tradition orale, ici les énoncés proverbiaux. Autrement dit, les contraintes, qu'elles soient d'ordre social (religion, idéologie, politique, niveau de vie, etc.) ou psychique (peur, méfiance, doute, etc.) n'ont aucun impact susceptible d'affecter la forme et/ou le contenu du message proverbial. Ce dernier est la propriété de tous ; ou comme dirait Lord John Russel cité par Archer Taylor : «One man's wit and all men's wisdom» [= l'esprit d'un seul et la sagesse de tous] (Cf. A. Taylor, 1931 : p. 3).

L'inconvénient majeur de la méthode extensive concerne le temps dont dispose l'enquêteur. En effet, l'enquête de terrain devrait en principe s'étendre suffisamment dans le temps. Sinon il y a le risque de survoler volontairement ou involontairement certains détails linguistiques et culturels importants. Le spectre d'une enquête superficielle plane sans cesse. Si l'on prend l'exemple des défaillances mnémotechniques qui peuvent se manifester chez n'importe quel informateur, un enquêteur non averti et qui serait par surcroît pris par le temps, risquerait de considérer hâtivement certaines données recueillies comme attestées. N'ayant pas le temps de les vérifier, il élaborerait des hypothèses hardies quant au sens d'un mot, d'une expression, etc. Parallèlement à cela, l'enquêteur donnerait une importance démesurée au cumul des informations recueillies dans le but d'en sauvegarder le maximum, mais à quel prix !

Malgré ces risques encourus par un enquêteur ou un informateur incompétents, nous pensons que la méthode extensive, non expéditive, est à certains égards la plus efficace pour la collecte des énoncés proverbiaux. En ce qui concerne notre propre recherche, nous estimons que le temps consacré à la collecte des proverbes et expressions analogues en usage au Maroc oriental nous permet de les étudier avec une certaine confiance[6]. Par ailleurs, notre modeste expérience relative au travail sur le terrain[7] ainsi que notre "familiarité" avec les proverbes nous permettent d'éviter, croyons-nous, les erreurs évoquées. Ceci d'autant plus que les proverbes possèdent deux "atouts" majeurs : ils sont la propriété d'un locuteur

MÉTHODE D'ENQUÊTE

Recueillir des énoncés proverbiaux sur un terrain dont la population est en perpétuelle mutation (phénomènes de l'exode rural et de l'émigration) présuppose la pratique d'une méthode d'enquête extensive(4) dont l'intérêt essentiel est de permettre la collecte d'un maximum de données en un temps relativement court. La nature de notre travail se prête bien à ce genre de méthode dans la mesure où il ne s'agit pas de respecter rigoureusement les procédés de l'enquête intensive généralement appliquée dans les domaines de l'ethnologie, de l'anthropologie et de la sociolinguistique. Dans le cas de l'enquête intensive, il est primordial que l'enquêteur accorde tout le temps nécessaire à son accoutumance au terrain et aux hommes dans la mesure où l'on a tendance à considérer le groupe social étudié comme la cible privilégiée de l'enquête. Tout ce qu'il dit et fait porte son empreinte qui est minutieusement scrutée. Dans ce cas, l'informateur est en quelque sorte engagé dans ses paroles et gestes. Son moi est en jeu. C'est ce qui le rend justement, s'il en ressent le moindre soupçon, méfiant, réservé, voire parfois agressif. Un tel comportement ne favorise pas l'enquêteur qui, s'il ne se ravise pas à temps, risque de manquer ses entretiens. Quoi qu'il en soit, il faut comprendre qu'un enquêteur «implanté dans un groupe est comme une sonde métallique enfoncée dans un tissu vivant : même si elle est très fine, même réduite à un rayon, elle lèse des cellules du tissu qui, désormais, ne sera plus le même ; en tout cas, pendant le temps de l'observation, dans le cas le plus favorable.» (J. Servier, 1986 : p. 29).

Notre enquête diffère de celles que nous venons d'évoquer, du moins en ce qui concerne notre rapport à l'informateur et à ses propos. Un des points positifs de nos entretiens est celui qu'offre la neutralité des relations de rôles qui existent entre nous et l'informateur ; et du rapport de ce dernier à ses propos. Pour ce qui est du premier rapport, nous ne considérons pas l'informateur comme cible de l'enquête ; sauf peut-être lorsqu'il s'agit d'établir une fiche signalétique l'identifiant. Nous ne pensons pas que des informations comme l'âge, les lieux de naissance et de résidence, la durée passée dans tel ou tel endroit, l'appartenance tribale, le nom, le prénom et la fonction, soient des secrets dont la révélation mettrait

de phrases ou des segments de phrases. Nous avons dit plus haut que les proverbes véhiculés par l'arabe marocain se plient difficilement au rangement alphabétique. Or, si nous recourons précisément à cet ordre, c'est parce qu'il ne concerne pas directement les proverbes, mais les mots. Ceux-là mêmes qui figurent dans les rubriques de la classification retenue :

- Thèmes généraux (ex. Parole, communication)

- Mots-thèmes (ex. Bavardage, loquacité ; conversation, discours)

- Mots-clés (métaphoriques) : ex. heddet, hdît.

- Expressions-clés (métaphoriques) : ex. Twîl l-lsân, nbech b lsân, Herres l-lûz.

Le passage de la phrase ou d'un segment de phrase au mot est dicté par des contraintes d'ordre purement pratique. En effet, le classement de la matière par mots permet justement d'adopter l'ordre alphabétique généralement suivi dans pareil cas, puisqu'il rend la consultation plus aisée. Quant à la classification thématique, elle peut paraître, à l'instar de l'ordre alphabétique, incompatible avec les énoncés proverbiaux qui sont essentiellement métaphoriques. Le proverbe et même le dicton peuvent être classés dans plusieurs thèmes. Tout dépend des mots-clés qu'ils contiennent et des significations suggérées par les contextes. En fait l'origine de la difficulté réside en ceci : ni l'ordre alphabétique ni la classification à base de thèmes ne sont propres aux énoncés parémiologiques.

La classification fondée sur la structure des proverbes n'est pas prise en considération pour la simple raison que plusieurs de ces énoncés ayant la même structure peuvent appartenir à plusieurs registres totalement différents. Il importe de signaler ici que nous réservons une place, à la fin de notre dictionnaire, à un index où figurent, par ordre alphabétique, tous les mots contenus dans les proverbes cités. Ainsi, à partir de cet index, le lecteur peut repérer les proverbes, objet de la recherche. Lesquels sont numérotés.

l'espace, d'autre part, car nos enquêtes de terrain se limitent essentiellement, mais pas exclusivement, à la région orientale du Maroc. Il faut dire que ces choix sont dictés par la nature des moyens personnels très modestes dont nous disposons actuellement et qui sont destinés à l'enquête de terrain.

Quant à la finalité de notre dictionnaire, il se propose de cerner au préalable les problèmes inhérents à la nature même du sujet traité et de les résoudre de manière, sinon rigoureuse, du moins adaptée à l'objectif retenu afin de pouvoir poser quelques jalons permettant une organisation cohérente de l'ensemble des énoncés proverbiaux recueillis et des informations qui s'y rapportent. Cela étant fait, il nous semble qu'un seuil sera franchi en faveur du Dictionnaire général des proverbes arabes marocains ; en ce sens que ce qui sera retenu pour le Dictionnaire régional des proverbes arabes marocains inédits, pourrait l'être pour le Dictionnaire général des proverbes arabes marocains. Sinon nous aurons au moins préparé le terrain en publiant un échantillon susceptible d'ouvrir des voies fécondes aux futures réflexions. D'autre part, nous aurons mis à la disposition des parémiologues, des linguistes, des sociologues, etc. un outil de travail dont l'apport se situe au niveau du recueil et de l'établissement de nouvelles données parémiologiques transposées de l'oral à l'écrit. Ainsi, les documents oraux devenus textes écrits et transcrits constituent un objet d'étude palpable permettant de vérifier, le cas échéant, les hypothèses de recherche avancées par les spécialistes qui s'intéressent, entre autres, aux études sociologiques, sociolinguistiques et culturelles des groupes sociaux originaires de la région orientale du Maroc. Une fois dégagées et vérifiées les grandes lignes directrices de la manière d'être de ces derniers, une synthèse des éléments socioculturels qui régissent ces groupes serait alors possible.

Un dictionnaire suppose par définition une classification systématique de la matière qu'il contient. Celle-ci est d'autant plus facile à consulter qu'elle est mieux ordonnée. Ceci est possible à réaliser lorsqu'il est question d'un dictionnaire de langue dont la nomenclature est constituée de mots. En effet, ceux-ci peuvent être rangés facilement par ordre alphabétique. Notre dictionnaire s'intéresse plutôt à la classification

commencer par le début. Tout un programme d'investigation ! Rien qu'à l'idée, nous sentons pointer les difficultés génératrices de toutes sortes d'angoisses. L'absence de méthodes rassurantes susceptibles de répondre aux exigences de fond et de forme de notre dictionnaire nous laisse perplexe. Mais en acceptant volontiers l'idée selon laquelle les disciplines n'évoluent que par approximations successives, nous avons alors cru utile d'apporter notre modeste contribution.

NATURE DE NOTRE DICTIONNAIRE

De par la matière culturelle qu'il contient et la façon dont celle-ci est organisée, il se distingue des autres dictionnaires connus comme par exemple le dictionnaire de langue ou le dictionnaire encyclopédique. Cette différence mérite d'être explicitée dans la mesure où elle permet de mettre en exergue la spécificité de notre dictionnaire qui s'intéresse à un domaine précis, celui de la parémiologie. Disons donc qu'il s'agit d'un dictionnaire dont la forme et le contenu se présentent comme un ensemble de productions orales classifiées, comme un produit culturel empli de préceptes plus ou moins propres à la tradition marocaine. Alors que les types de dictionnaires cités comme exemples s'adressent à l'ensemble des utilisateurs, tous profils confondus, le nôtre est plutôt destiné à une catégorie de lecteurs qui s'intéressent directement ou indirectement au domaine en question, et partant aux aspects culturels et linguistiques véhiculés par les énoncés proverbiaux en usage au Maroc, et plus particulièrement dans la région orientale de notre pays. C'est dire que l'information recueillie ainsi que l'aire d'enquête sont intentionnellement circonscrites. Il s'ensuit que la portée de ce produit est limitée dans le temps et dans l'espace. Dans le temps d'une part car nous avons opté pour un travail synchronique basé principalement sur l'arabe en usage au Maroc oriental. Ce choix écarte de facto le recours aux époques antérieures. Par conséquent, la parémiologie arabe classique n'est pas concernée par notre travail. Nous pensons en revanche que celle-ci mérite d'être étudiée profondément et de manière spécifique par les spécialistes dans le domaine afin de mieux faire valoir toute la richesse qu'elle recèle. Signalons au passage que cette littérature proverbiale classique a été amplement étudiée aussi bien par les chercheurs anciens que par les contemporains[3]. Dans

sociolinguistique, entre autres disciplines qui s'intéressent aux proverbes, ne s'accommodent pas des méthodes peu rigoureuses adoptées jusqu'à maintenant et qui concernent le recueil, le traitement, la classification des proverbes marocains. Aussi pensons-nous que le moment est venu pour que les solutions proposées plus loin fassent l'objet d'une réflexion commune plus approfondie de la part des spécialistes, toutes tendances confondues, en vue de les affiner davantage.

Ce vers quoi d'ailleurs les enseignants-chercheurs qui s'occupent de la parémiologie semblent diriger actuellement leurs travaux universitaires ou ceux qui entrent dans le cadre de leurs recherches personnelles. Les méthodes d'analyse adoptées dans ces travaux ainsi que les corpus des proverbes qu'ils renferment sont intéressants à plusieurs titres. En conséquence, nous avons toutes les raisons de penser que ces travaux marquent un véritable tournant parce qu'ils privilégient, à l'opposé de la majorité des travaux publiés dont nous venons de parler, l'analyse, surtout linguistique, des proverbes marocains. Nous constatons néanmoins que la recherche parémiologique au Maroc accuse un retard manifeste aussi bien au niveau de la constitution d'une base de données parémiologiques, qu'au niveau des méthodes de recueil et d'analyse employées, et ce malgré les récentes recherches qui demeurent après tout le fruit d'efforts personnels.

Après plus d'un siècle, c'est-à-dire depuis 1898, date la publication de l'article d'Auguste Fischer intitulé "Marokkanische sprichwörter" (=proverbes marocains), il n'existe toujours pas de revue marocaine spécialisée qui puisse drainer vers le public les résultats des travaux réalisés dans le domaine, il n'y a pas non plus de travaux théoriques de base susceptibles de façonner et d'orienter les études parémiologiques, enfin, il n'y a pas une stratégie d'enquête bien définie à l'échelle du territoire national.

Nous estimons qu'une mise au point est nécessaire, quand bien même elle serait brève, avant de nous lancer dans un travail sans le situer au préalable dans son contexte. Aujourd'hui nous pensons que la réalisation d'un *Dictionnaire régional des proverbes arabes marocains inédits* est une étape qui s'impose vu les raisons citées plus haut. En un mot il sied de

par les paysans ou par les nomades. Or, on l'a souvent répété : c'est la communauté rurale, non urbaine, qui est sensée être plus proche du traditionnel. Non seulement elle emploie à bon escient les proverbes et dictons, en comprend parfaitement les significations et les règles de leur usage, mais aussi elle les considère comme repères qui guident son comportement, comme des traits d'esprits qui agrémentent son discours.

Le nombre des énoncés proverbiaux mis à la disposition du public s'élève à 22776 (cf. tableau ci-dessus). Ce chiffre n'est pas du tout exhaustif puisqu'il concerne aussi les redites (au moins 12000!). Ce qui montre bien que les chercheurs qui se sont assignés la tâche de recueillir des proverbes inédits sont rares. Nous pouvons citer par exemple Ahmed ben Mohammed Sbihi : *Proverbes inédits des vieilles femmes marocaines* (300 prov.), Louis Brunot : "Proverbes et dictons arabes de Rabat" [200 proverbes et dictons «inédits pour la plupart » précise l'auteur].

La classification des énoncés proverbiaux est fondée essentiellement sur une méthode traditionnelle dont on sait par expérience qu'elle est incompatible avec la nature de ce type de corpus. L'ordre alphabétique basé sur les premières lettres du premier mot du proverbe est adopté par la majorité des auteurs cités. Les autres, relativement peu nombreux, ont privilégié le classement à base de thèmes : c'est le cas de E. Westermarck (1930), Pierre Flammand (1960), Mohammed Kabbaj et Mohammed Charradi El-Fadili (1981), Mohammed Chmâcu (1984), Leila Messaoudi Benallal (1987), etc. Bref, sur ce point nous n'avons constaté aucune innovation.

Il n'en reste pas moins que pour les explications et les commentaires plus ou moins détaillés, les définitions précises des mots, les histoires, les anecdotes qui se rapportent aux proverbes publiés, la plupart des auteurs donnent des informations linguistiques et culturelles particulièrement intéressantes. C'est le cas par exemple de QiSaS wa amthâl min al-maghrib (1996, 1999) de Al-Huceïn Ben Ali Ben Abdellah.

Cela dit, nous pensons, de manière générale, que l'évolution remarquable des études parémiologiques fondées sur les progrès réalisés notamment dans les domaines de la linguistique, de la pragmatique et de la

Nous avons été attiré, lors de la lecture des ouvrages et articles que nous avons pu consulter intégralement, par l'intérêt manifeste accordé aux explications et aux commentaires des proverbes marocains au détriment de leur analyse. En effet, hormis le travail de thèse de Bouchta El-cAttar : Etude sur la structure des proverbes arabes populaires marocains (soutenue en 1974), publiée sur l'initiative de l'auteur en 1992, seul le travail d'Edward Westermarck : *Wit and Wisdom in Morocco* (1930) contient une étude détaillée de 64 pages. Elle renferme des remarques relatives à la forme et au contenu des proverbes cités. L'auteur les considère sous tous leurs aspects : syntaxiques, sémantiques, pragmatiques, stylistiques, et rhétoriques.

En ce qui concerne les informations relatives aux méthodes d'enquête sur le terrain, il n'est pas exagéré de dire qu'elles sont quasi absentes. Il semble que les auteurs n'aient pas jugé utile de préciser comment ils ont recueilli leurs corpus, ni qui les a donnés. Ceux qui l'ont fait, et ils sont rares, se sont contentés de citer nommément leurs informateurs. Dans la majorité des travaux cités, les informateurs sont relégués au second plan. Les auteurs concernés par cette remarque auraient-ils privilégié l'idée selon laquelle les proverbes sont nécessairement des énoncés anonymes, et qu'il serait superflu de les attribuer à tel ou tel informateur ? Probable. D'un autre côté, presque tous les proverbes publiés semblent avoir été dits par des informateurs originaires des villes comme Marrakech, Fès, Rabat, Salé, Tanger, Tétouan. Les recherches sur le terrain que Lévi-Provençal Evariste a effectuées chez les Jbala (montagnards du pré-Rif occidental) avaient justement pour but de recueillir des textes dits en arabe rural. L'auteur note à juste titre :

«Les orientalistes qui, durant ces dernières années, se sont occupés des dialectes arabes du Maroc, ont presque tous uniquement recueilli des textes urbains, dans les villes du littoral méditerranéen et de la côte atlantique, où il est évidemment commode de se procurer vite des informateurs choisis, et à pied d'œuvre.» (1922 : p. 3).

Les auteurs qui ont collecté des proverbes après cette date ne se sont pas intéressés de manière particulière aux proverbes et dictons employés

ID.	1971			44
Khatibi, A.		1974		48
Bencherifa, M.		1971-1975	(+)	~2000
callal, I.	1977			42
Ikken, L.	1977			101
Khalid, N.	1979			157
Chmâcou, M.		1980		244
Youssi, H.		1981		~36
Qabbaj, M. et Charradi M. F		1981		700
Chmâcu, M.		1984		1100
Abdeljalil, M. ben	1984			196
Chmâcu, M.		1986		1100
Messaoudi, L.		1987		327
Chmâcu, M		1991		1100
CAttâr, B.		1992	(+)	1786
Al-Houceïn Ben Ali Ben Abdellah		1996		1168
Quitout, M.		1997		1616
Al-Houceïn Ben Ali Ben Abdellah		1999		1893
Lamrabet, I.		1999		155
Al-Harbili A.		1999		316(?)
Peregrin, G.		?		559
Latorre		?		482

TABLEAU SYNOPTIQUE DES PROVERBES ARABES MAROCAINS ÉDITÉS

Auteurs	Dates de publication			Nbre de proverbes
	Articles	Ouvrages	Thèses	
Fischer, A.	1898			71
Lüderitz, H.	1989			92
Benchcneb, M.		1905-1907		?
Marçais, W.		1911		~40
Lévi-Provençal, E.		1922		83
Ferrana, V. de	1926			30
Brunot, L.	1928			200
Westermarck, E.		1930		2013
Ventura, B. J.	1931			1
Sbihi, A.		1931		300
Sicard, J. (&) Marty	1934-1939			487+150
Brunot, L. & Malka, E.	1937			100
Monteil, V.	1947			13
Martinez, D. J.-A.	1952			?
Hakim, M.	1954			1000
Colin, G. S.		1955		349
Sanchez, D. R.	1957			?
Flamand, P.		1959		700
Fassi, M.	1960-1961			200
Daoud, M.	1964			1001
Zemmâma, A.	1965-1966			820
Muncim, S. A.		1968		406
Ben-Ami, I.	1970			1001

fluctuation de celles-ci. Or, si l'on considère la fonction sociale attribuée aux dictionnaires en général, la matière de ceux-ci doit être ordonnée de façon systématique afin qu'elle puisse faciliter le repérage de l'information recherchée et partant la tâche de l'utilisateur. On aura sans doute compris que le fait d'affirmer au préalable la complexité de ce type de projet ne nous mettra pas hors d'état de mener à terme notre travail, ni ne justifiera a fortiori les lacunes qui pourraient s'y trouver. Aussi accueillerons-nous avec une toute particulière attention, une fois le contenu de cette communication mis à la disposition du public, toutes les remarques susceptibles de nous éclairer sur tel ou tel aspect de la question.

Le choix d'élaborer un *Dictionnaire régional des proverbes arabes marocains inédits* est né d'un besoin : les études parémiologiques au Maroc nécessitent une mise au point afin de mieux orienter la recherche dans ce domaine(1). Il est inadmissible de constater qu'en l'an 2002, les bibliothèques nationales ne contiennent pas un dictionnaire général des proverbes marocains, ni une revue spécialisée, qui s'intéresserait exclusivement aux proverbes (à l'instar de la revue *Proverbium* par exemple), pour ne citer que ce genre de production orale. Qu'en est-il des contes, des légendes, des chants de circonstance, des chants d'inspiration religieuse, des énigmes, de la poésie orale, des discours panégyriques ? Etc.(2) On s'y est intéressé certes. En témoignent les nombreux travaux universitaires réalisés par des chercheurs marocains originaires des différentes régions du Royaume et ce, dans le cadre de la préparation de leurs thèses, dossiers de recherches ou mémoires. Or, l'état d'esprit général qui a présidé à ces travaux s'est laissé guidé beaucoup plus par les différentes méthodes d'analyse que par l'objet analysé lui-même. Nous tenons à préciser que nous ne minimisons absolument pas l'intérêt scientifique de ces travaux dont certains méritent d'ailleurs d'être publiés. Il convient, nous semble-t-il, vu l'état actuel des recherches parémiologiques au Maroc, de s'intéresser davantage à la réalisation des travaux de base. Ainsi, nous pensons que le recueil, l'établissement, la classification et surtout la publication des données qui relèvent des genres oraux est une tâche qui s'impose au premier chef.

recueil et à la classification des proverbes et expressions circonvoisines, comme par exemple les dictons, les maximes et, dans une certaine mesure, une série d'énoncés idiomatiques.

On a déjà abordé ces questions sous plusieurs de leurs aspects (voir par exemple F. Suard et C. Buridant, 1984, t. 2 : p. 2) pour parvenir en fin de compte à des résultats partiels, voir parfois diamétralement opposés, mais non sans intérêt, loin de là, si l'on tient compte de leur complémentarité.

Il découle de ce qui vient d'être dit que, compte tenu de la perspective du projet que nous sommes en train de réaliser, nous ne prétendons pas nous atteler seul à la recherche de solutions définitives aux problèmes que posent plus particulièrement l'élaboration et l'édition d'un dictionnaire de proverbes qui se veut également un dictionnaire de langue vu l'intérêt que nous accordons au lexique contenu dans les énoncés en question. Autrement dit, nous nous proposons d'examiner essentiellement les difficultés qui ont un rapport direct avec la nature et la finalité de notre Dictionnaire régional.... Cela étant, il est aussitôt évident que notre contribution ne peut être que relative. C'est le recueil, l'établissement, la classification, la traduction, l'explication et le commentaire des données recueillies, comparées à celles déjà existantes, qui constituent l'objectif essentiel de notre travail.

On ne le répétera jamais assez : l'élaboration d'un dictionnaire, quelle que soit la nature de sa nomenclature ou de ses articles, est une entreprise très laborieuse. On n'arrive généralement à en esquisser les contours qu'au prix de certaines concessions souvent incontournables, surtout lorsqu'il s'agit de se lancer dans un projet dont le champ d'investigation est vierge ou presque. C'est le cas de notre dictionnaire. Ainsi, que ce soit au niveau de la forme ou du contenu, nous avons élaboré un canevas permettant l'organisation aussi bien de la nomenclature que des articles. Notre tâche devient d'autant plus difficile qu'elle s'inscrive dans le cadre de la culture marocaine véhiculée essentiellement par l'arabe dialectal. En effet, le caractère oral des données accentue davantage la

Daoud, qui ont été publiés dans des revues et périodiques. D'autres sont restés à l'état de manuscrits et constituent encore la propriété privée de leurs collecteurs.» (H. El-Kasri, 1987, vol. 5 : p. 141).

Or, trente-sept ans après, on peut noter que les différents travaux consacrés aux proverbes marocains publiés depuis 1965, ne tendent pas à atteindre cet objectif. Cependant on peut, dans une certaine mesure, accueillir avec beaucoup de satisfaction la publication de l'œuvre, malheureusement inachevée, de Al-Hoceïn ben Ali ben Abdellah : QiSaS wa amthâl min al-maghrib (tomes I et II : 1996 et 1999).

Pour notre part, nous estimons que le projet d'élaborer un Dictionnaire général des proverbes arabes marocains, qui nécessite certes beaucoup de temps, d'efforts et de moyens matériels et humains, est autant intéressant que passionnant. Aussi avons-nous pris la décision d'y apporter notre modeste contribution. C'est ainsi que nous avons commencé par rassembler le maximum de corpus édités qui comptent actuellement 24227 proverbes, dictons et expressions analogues, puis nous les avons examinés de manière systémtique dans la perspective d'élaborer un Dictionnaire régional des proverbes arabes marocains inédits.

Cette étape du travail nous a permis de relever plusieurs répétitions, tant totales ou partielles, des énoncés proverbiaux contenus dans les différents travaux consultés que nous présentons ci-dessous sous forme d'un tableau synoptique commenté. D'autre part, nous constatons que les problèmes suffisamment discutés par les parémiologues aussi bien marocains qu'étrangers et qui sont relatifs au recueil, à l'établissement, la définition, la classification et à l'analyse des proverbes ne semblent toujours pas se départir du caractère mouvant des résultats partiels auxquels sont parvenus les chercheurs, toutes tendances confondues. Des solutions plus ou moins intéressantes ont été proposées pour tenter de résoudre ces problèmes, mais très rares sont celles qui ont bénéficié vraiment de l'approbation de tous ceux qui s'intéressent au domaine. Par conséquent, nous sommes en droit d'affirmer que ces problèmes suscitent encore un vif intérêt chez les parémiologues marocains et sont incontestablement très actuels, surtout ceux relatifs à la définition, au

ÉLABORATION D'UN DICTIONNAIRE RÉGIONAL DES PROVERBES ARABES MAROCAINS INÉDITS

Mimoun NAJJI

Celui qui s'occupe de parémiologie ne peut ne pas constater que non seulement l'absence d'un *Dictionnaire général des proverbes arabes marocains* se fait cruellement sentir, mais encore elle surprend ; d'autant plus que la matière existante est impressionnante, les nombreux dépositaires de cet art verbal, encore vivace, sont tout disposés à apporter leur contribution, et les chercheurs qui s'intéressent de près ou de loin à l'arabe marocain, en tant que receptacle de la culture populaire, semblent attacher de plus en plus de l'importance à cette composante de la littérature orale qu'est le genre proverbial.

En 1965, le professeur Abdelkader Zemmâma jugea nécessaire, dans son article "Al-amthâl al-maghribiya" publié dans Majallat al-Bahth al-cilmî (1965 et 1966) d'appeler l'attention des chercheurs sur l'inexistence d'un tel Dictionnaire général..., espérant ainsi les amener à poursuivre leurs recherches en vue de combler cette lacune. Dans le même but, cet appel fut repris, vingt-deux ans après, par Hoceïn El-Kasri, Chargé de recherches au Ministère des Affaires Culturelles, dans la Grande Encyclopédie du Maroc, en ces termes :

«En 1965 déjà, Abdelkader Zemmama déplorait l'inexistence d'un corpus général des proverbes marocains. C'est que, dans ce domaine, les efforts sont restés éparpillés : chaque chercheur a réuni son propre corpus. Il en est de même des recueils de L. Brunot, de M. El-Fassi ou de M.

ملخّص

منهجية جمع الأمثال وترتيبها

تشكّل الأمثال جزءاً من ثقافة شفهية غنية وشديدة التنوع، وهي وسيلة تواصل تنطوي ألفاظها على خلاصة حِكم، لكن هذا التضمين لا يعني اللبس أو الغموض لأن الدقّة أمر مطلوب في الاستشهاد بالمثل.

وإذا كان للمثل المغربي وظيفة إيضاحية للحديث واختزالية للمواقف، فإنه يشهد في الوقت الحاضر تراجعاً في توظيفه بسبب طغيان اللغات الأجنبية وبسبب عدم تلاؤمه مع مبادىء الحياة العصرية حسب تعبير البعض.

ويطرح جمع وتحليل الأمثال في اللهجة المغربية العامّية عدة مشاكل منهجية تتعلق بطرق مناقلتها وتصنيفها. فمسألة نقل الأمثال يمكن أن تتم بالأبجدية الصواتية أو بالأحرف العربية، لكنها تتضمن بعض الجوانب التي لا يمكن التعبير عنها لاسيما أن الانتقال من وضع شفهي إلى حالة مكتوبة لا بدّ أن تطاله بعض التغييرات حتى ولو كانت طفيفة. وإذا كان من شأن تدوين المثل بالكتابة أن يفرغه من مادته الدلالية، فإن محاولة تصنيفه أو ترتيبه تنطوي على عدة خيارات يصعب التقرير في أكثرها ملاءمة لواقع الحال، لأن وضع تصنيف أو ترتيب معين يتطلب الإجابة عن عدد من الأسئلة تتعلق بمستعمل المثل، وجامعه، وطرق جمعه وتأويله.

2- Les voyelles

أ	a	hanut (boutique)	ami
أُ	u	užəh (visage)	cou
إ	i	ibra (aiguille)	lit
	ə	tməṛ (dates)	petit
ء	?	?aš (quoi)	

3- Les semi-voyelles

و	w	wali (tuteur)	jouissance
ي	j	maj (mai)	paille

Références bibliographiques

- BLACHERE, R., 1954, "Contribution à la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque", Arabica, T.1 Fsc.1.

- BLANCHET, A. & GOTMAN, A.1992. "L'enquête et ses méthodes: l'entretien", Nathan.

- CALAME-GRIAULE, G. 1970. "Pour une étude ethnolinguistique des littératures orales africaines", Langages, n°18.

- CAUVIN, J.1976, "Préalable à une recherche parémiologique", Afrique et langage n°5.

- CHEVRIER, J. 1974. "Littérature nègre", Armand Colin, U. Prisme.

- CIRESE, A.M.1969. "Willérismes et micro-récits", Proverbium n°14.

- CREPEAU, P.1977. "La variation dans les proverbes du Rwanda", Anthropos 72, 3/4.

- DUNDES, A. 1975. "On the structure of the proverb", Proverbium n°25.

- GREIMAS, A.J.1970. "Les proverbes et les dictons", Du Sens : Essais sémiotiques, Seuil.

- MILNER, G.B. 1969. "De l'armature des locutions proverbiales : Essai de taxonomie sémantique", L'Homme, Revue d'anthropologie, T. III.

- TAYLOR, A. 1965 "The study of the proverb" Proverbium n°1.

CONCORDANCES PHONÉTIQUES

1- Les consonnes

Signe arabe	Signe phonétique	Exemple en arabe	Exemple en français
ب	b	bit (chambre)	balle
ت	t	taman (prix)	tasse
ج	ž	žbəl (montagne)	jouet
ح	ḥ	ḥiṭ (mur)	
خ	x	xux (pêche)	
د	d	dar (maison)	dé
ر	r	rmad (cendre)	
ز	z	zlafa (bol)	zèbre
س	s	səllum (échelle)	souris
ش	š	šərž (selle)	chameau
ص	ṣ	ṣufa (laine)	
ض	ḍ	ḍəll (ombre)	
ط	ṭ	ṭir (oiseau)	
ع	c	cud (bois)	
غ	ğ	ğaba (forêt)	
ف	f	far (souris)	four
ق	q	qərd (singe)	
ك	k	kas (verre)	colle
ل	l	lil (nuit)	loup
م	m	mut (mort)	mal
ن	n	nab (canine)	nuit
ه	h	hiba (dont)	
گ	g	gəlb (cœur)	gâteau

est préférable à l'acrimonie des serviteurs. " et lmut bttət zit mcəllqa f- kull bit (la mort est une fiole d'huile suspendue dans chaque foyer), le premier a pour thème l'irascibilité des serviteurs alors que le second sous-entend que la mort est inéluctable, pourtant tous les deux font référence à la mort.

Pour conclure, disons que notre patrimoine proverbial offre de vastes perspectives à la recherche. Les études qui peuvent alors se faire en parémiologie ne pourront se concrétiser que si la matière proverbiale est réunie en tenant compte des faits suivants : Primo, le proverbe est un énoncé véhiculant une signification adaptée à un sujet parlant qui peut la nuancer selon les circonstances, la situation d'emploi et l'état affectif. Secundo, tout proverbe possède en général une situation d'origine et une situation d'emploi très différentes. La première peut renvoyer à une situation concrète ou imaginaire et tend à instaurer une norme alors que la seconde, toujours concrète sert à mettre en évidence la pensée du sujet parlant dans une situation précise. Tertio, pour signifier un proverbe doit d'abord être perçu comme tel puis décodé et compris par l'interlocuteur. Il se signale à ce dernier par sa fréquence dans l'usage, sa structure grammaticale ou son rythme. Enfin tradition, situation, locuteur et interlocuteur sont les composantes nécessaires à l'existence du proverbe.

NOTES

1) Calame-Griaule, G. "Pour une étude ethnolinguistique des littératures orales africaines", in Langages n°18, 1970, p.25.

2) BLACHERE, R. "Contribution à la littérature proverbiale des Arabes à l'époque archaïque ", Arabica, T. 1 Fasc. 1 , Janvier 1954, p .69.

3) Nous avons recueilli ces éléments chez des jeunes de moins de 25 ans lors d'une enquête effectuée à Marrakech en 1989.

circonstances d'énonciation, car énoncé et emploi sont intimement liés et s'interpellent mutuellement.

Pour ce faire deux méthodes sont possibles pour la collecte de la matière orale : la première est spontanée, directe et elle se fera par le biais de la transcription de tout ce que le chercheur considérera comme étant un élément proverbial. La seconde est indirecte et nécessite l'usage d'un magnétophone pour procéder à l'enregistrement que l'enquêteur entendra par la suite afin de dégager les éléments recherchés.

Mais la première méthode a l'inconvénient d'être longue car elle nécessite la transcription, et de l'élément proverbial et de sa situation d'emploi; elle implique aussi la possibilité de ne pas remarquer un proverbe ou d'en écarter certains parce que connus ou parce que ce sont des variantes. L'usage du magnétophone, dans la deuxième méthode risque d'indisposer l'informateur ou de susciter sa méfiance, mais permet à l'enquêteur de retrouver l'intégralité du texte et de pouvoir faire son travail à tête reposée, ce qui évitera alors d'éventuelles erreurs que l'enquête directe peut provoquer. L'enregistrement permet aussi de garder non seulement toutes les explications données par l'informateur, mais garde aux énoncés rythme, mélodie et mouvement.

L'idéal serait de pouvoir combiner les avantages des deux méthodes. Il serait alors souhaitable de recourir à la transcription directe chaque fois que les interventions de l'enquêteur sont nombreuses et de recourir à l'enregistrement chaque fois qu'on veut laisser parler l'informateur.

Par cette méthode combinée le chercheur a la possibilité de collecter un nombre considérable d'énoncés. L'importance d'un corpus étendu voire exhaustif réside dans les différentes possibilités qu'il met à la disposition du collectionneur ou de l'analyste dans la mesure où il leur permet d'avoir non seulement une matière abondante, et donc un maximum de thèmes, mais aussi un éventail riche et diversifié d'énoncés dont les signifiés sont similaires, contradictoires ou qui se nuancent. Par ailleurs, il permettra au chercheur de faire la distinction entre les proverbes qui possèdent un thème quelconque et ceux dont l'image véhicule le thème. Ainsi dans les énoncés : lmut b- rrdəm wala səmm lxdəm "mourir enseveli

Mais c'est parmi les adultes que le chercheur peut collecter le maximum de proverbes dans la mesure où cette catégorie de gens reste celle qui a eu la chance d'être en contact pendant longtemps avec la culture orale marocaine. Et plus la personne est âgée, plus les chances de trouver ce qu'on recherche auprès d'elle sont grandes. En effet, la personne âgée reste le symbole du témoin par excellence. Mais ceci ne doit pas être érigé en règle générale ; le questionnement des jeunes ou des personnes dans la force de l'âge peut être une source d'information supplémentaire.

Si le choix du bon informateur est une condition nécessaire pour la collecte d'un bon corpus de proverbes, le chercheur doit prendre la précaution de se mettre en contact pendant un certain temps avec une personne avant de décider si elle peut servir d'informateur. Pendant ce temps il est souhaitable de chercher à recueillir des renseignements concernant l'âge, le lieu de naissance, le milieu socioculturel du futur témoin et de savoir s'il n'a pas vécu longtemps en dehors de sa ville natale et de son milieu familial et que sa culture intellectuelle n'a pas estompé sa culture traditionnelle.

Le bon témoin est celui qui a une évolution facile et qui reste fidèle à sa culture d'origine, à ses traditions. C'est aussi celui qui n'a aucune difficulté à jongler avec sa langue maternelle, c'est-à-dire qu'il possède un vocabulaire riche, varié et jalonné d'expressions toutes faites.

C'est par la patience et le discernement qu'on parvient à trouver le témoin représentatif. Si l'âge et le milieu socioculturel d'une personne sont importants pour la collecte de la littérature proverbiale, son intelligence et son caractère sociable ne sont pas moins négligeables, car un informateur nerveux ou à l'esprit obtus ne peut être d'un grand intérêt pour le chercheur.

3-3- La conduite de l'enquête

C'est le troisième élément dans la collecte du proverbe. Une enquête bien menée permet à l'enquêteur d'engranger un maximum de proverbes. Mais ceci ne peut se faire que grâce à la conjugaison des efforts d'un nombre assez important de personnes afin de réunir la matière proverbiale au moment de son utilisation, c'est-à-dire en captant et l'énoncé et les

concernant les métiers se retrouveront chez les artisans, ceux sur l'agriculture chez les gens de la compagne ; etc.

3-2- L'usager du proverbe ou informateur

Le proverbe est en général inhérent à la vie quotidienne, de même qu'il n'est l'apanage d'aucune classe sociale ni d'aucun âge. Il n'empêche que les adultes les utilisent plus que les enfants et que chaque sexe semble avoir une prédilection pour un certain type de proverbes.

C'est habituellement entre 8 et 12 ans que les enfants commencent à faire attention aux proverbes et à les reconnaître lorsqu'ils sont en usage dans leur milieu social. Mais on peut dire aussi que les jeunes jusqu'à l'âge de 25 ans, accordent peu ou pas d'intérêt aux proverbes. Cependant, on peut constater que leur répertoire linguistique regorge d'expressions du genre həzzk lma (pour on t'a eu, tu es dépassé), xsi f wəzhək (pour mange!), masi ana rrbat (pour ne compte pas sur moi) etc. Lorsqu'ils font usage des proverbes, on peut remarquer qu'ils ont une prédilection pour ceux qui ont pour origine une anecdote du genre : tcali lik təḍḍaḍḍi ja bu ğerraf (vient donc te mesurer ô porteur de pot), kun fijja ma nəmsi l-lhəbəs kun msit l- darna (Si je pouvais marcher, c'est chez moi que j'irai et non en cellule), llahəmma fijja wala fik a ssfira bnijti (tant pis pour moi, pourvu que vous soyez épargnées ô mes jaunettes !)[3].

Remarquons aussi que les jeunes -sans que cela soit une exception- ont une prédilection pour les proverbes scatologiques et sexuels, qu'ils utilisent entre eux. Lors de l'enquête que j'ai effectuée en 1989, un jeune homme avait émis le proverbe : ila ttgəlbat ləbhima cla sswari ma ifəkkuha drari (lorsque la bête tombe à la renverse sur le chouari, les enfants ne peuvent la libérer) et d'après le contexte, j'avais cru comprendre qu'il se disait des situations inextricables, et l'informateur avait confirmé mes suppositions. Il s'est avéré par la suite que le proverbe en question ne se disait que dans la situation précise du retournement des rapports entre homosexuels hommes. Pour cela un enquêteur jeune serait le bienvenu afin de pouvoir collecter ce genre de proverbes ainsi que leurs significations.

bən cəmm zzran (il a passé la nuit dans la mare et se considère cousin germain des grenouilles). Un Marrakchi va travailler à Tanger. Un mois après, il se rend compte qu'il emprunte aux gens de cette ville leur manière de parler. Il dit le proverbe pour tempérer l'élan qu'il ressent pour ce parler. Si un Tangérois qui le connaît l'entend, le proverbe aura alors une valeur ironique visant à le remettre à sa place. Mais si sa mère l'entend, le proverbe exprimera le reproche afin qu'il ne renie pas ses origines.

Etre témoin d'une conversation où foisonnent les proverbes est chose peu courante de nos jours. Pour cela il faut réunir les conditions qu'elle nécessite. Le chercheur doit choisir un milieu où on pratique couramment le patrimoine proverbial, spécifier aux usagers l'intérêt qu'il porte au domaine et ce en utilisant soi-même des proverbes, et en valorisant à leurs yeux leur patrimoine en tant que richesse culturelle. C'est seulement à ces conditions que l'enquêteur peut s'allier la sympathie des utilisateurs qui seront alors à l'aise pour user de leur trésor et lui venir en aide pour éclairer une situation confuse ou expliquer une signification qui lui a échappé. Lorsque les gens sont en confiance, ils doublent d'efforts afin de satisfaire la curiosité du chercheur. Son contact permanent avec un ou plusieurs auditeurs initiés au domaine est essentiel pour lui. Ils le soutiennent, le stimulent et justifient même sa prise de parole, car c'est généralement dans le vrai dialogue que le proverbe peut faire une ou plusieurs apparitions de manière spontanée.

La meilleure manière pour le chercheur de s'assurer qu'il a collecté un proverbe selon les normes consiste à en faire usage lui même afin de connaître la réaction des usagers. Un proverbe utilisé à bon escient produit une réaction positive chez les auditeurs, seuls juges pour classer un énoncé soit dans la catégorie des proverbes soit dans celles des phrases ordinaires.

Pour les proverbes spécialisés, il est important de choisir des personnes en contact permanent avec ces milieux. L'âge et le sexe peuvent aussi jouer un rôle déterminant pour la collecte. Une enquêteuse aura plus de chance de collecter les énoncés à valeur scatologique ou sexuel auprès des femmes qu'un homme et inversement. Aussi, le choix de l'enquêteur dépend du milieu dans lequel l'enquête doit avoir lieu. Ainsi les proverbes

A partir de là il devient légitime de savoir quelles sont les règles à respecter pour la collecte de la matière proverbiale et quelle méthode utiliser pour pouvoir disposer d'un corpus vivant, qui livre facilement la pensée profonde de la société qui le produit, afin qu'il se prête à d'éventuelles analyses. Pour ce faire, il est nécessaire de tenir compte de trois éléments à savoir le chercheur-enquêteur, l'usager du proverbe ou informateur et la conduite de l'enquête.

3-1- Le chercheur-enquêteur

Son rôle consiste à engranger une moisson riche quantitativement et qualitativement parlant, en évitant la collection par récitation qui pose beaucoup de problèmes pour un genre aussi vivant et aussi riche en sous-entendus. Pour ce faire, il doit non seulement être locuteur natif, mais aussi être versé dans l'art de dire les proverbes, ou être en contact plus ou moins permanent avec des milieux où le patrimoine proverbial est d'usage. Si pour une raison ou pour une autre il ne peut venir à bout de cette tâche tout seul, il peut former des enquêteurs répondant à ces critères et qui pourront l'aider à effectuer le travail.

Il est évident qu'il n'existe pas de séance de proverbes comme cela est le cas pour le conte et la devinette par exemple. Ecouter les gens parler et attendre qu'ils énoncent des proverbes est difficile dans la mesure où il arrive qu'une personne fasse usage de plusieurs proverbes en un temps très réduit. De même, elle peut rester longtemps sans en prononcer un seul. Il y a même des personnes qui connaissent des proverbes sans que pour autant elles les utilisent ou qui choisissent les situations lors desquelles elles en font usage. Généralement le proverbe arrive au gré des circonstances et implique la disponibilité du chercheur, afin de pouvoir capter non pas un énoncé mort, mais un proverbe vivant.

Grâce à sa situation d'emploi le proverbe met en évidence l'affectivité de l'émetteur et de l'auditeur ainsi que sa situation d'origine, qui à bien des égards, pourra éclairer la situation d'emploi. Enfin un proverbe est un énoncé véhiculant une signification adaptée à la pensée du sujet parlant. Or, selon les circonstances, cette pensée peut être nuancée par la situation d'emploi et l'état affectif du locuteur. Exemple : bat f- lgəlta nhar u- sbəh

par quintaux et le rétablissement par le chas d'une aiguille), et ne peuvent par conséquent être considérés comme des variantes. En effet, le premier se dit de manière générale pour déprécier une chose afin de mettre en valeur une autre alors que le second est intimement lié à des problèmes de santé.

Il faut aussi remarquer que c'est l'usage qui crée la variation et que ce sont les proverbes les plus courants qui se trouveront dotés d'une ou plusieurs variantes. Enfin le phénomène des variantes peut se poser aussi au niveau de la classification et impliquera de la part du collectionneur une certaine vigilance surtout pour la classification par ordre alphabétique.

2-5- La structure rythmique

Le proverbe en tant que formule elliptique, imagée et figurée fait souvent usage d'un style où le rythme joue un rôle important. Ces formules attirent souvent l'attention de l'auditeur grâce à leur récurrence rythmique et restent déterminants pour leur mémorisation par les usagers. Cependant, il existe un nombre considérable de proverbes qui ne font usage d'aucun artifice rythmique, mais qui ont une très large audience auprès des utilisateurs. Le collectionneur néophyte doit donc faire preuve de circonspection et de discernement afin de ne pas perdre de vue toute une partie du domaine.

3- LA COLLECTE

La collecte de la littérature orale en général et celle des proverbes en particulier, est une activité tout aussi intéressante que passionnante pour le chercheur initié au domaine. Mais elle peut s'avérer une tâche ardue voire ingrate pour toute personne non formée pour ce genre de travail. Car, si le proverbe est cette expression codée prête à être utilisée par l'usager, elle est aussi intimement liée à la situation d'emploi et son milieu naturel n'est autre que le langage quotidien dans lequel elle se meut. Aussi, l'appréhension du sens du proverbe est essentiellement tributaire de la connaissance non pas de l'expression proverbiale, mais bien de l'expérience de celui qui la reçoit et de sa familiarité avec le milieu socioculturel dans lequel il la perçoit.

(compagnard), au fasi (Fassi), etc. Ceci peut amener le collectionneur à se poser des questions, à propos de l'expression originelle et qui restent souvent sans réponses.

Il est cependant nécessaire de constater que la variation volontaire exprime un besoin de s'approprier une parole considérée comme reflétant une réalité ou une expérience personnelle ce qui implique de la couler dans le moule linguistique le plus personnel qui soit. Exemple : fin kant id ikunu zuz (là où il y a à manger pour un, il y a à manger pour deux), peut devenir: fin kant id ikunu cəsra (là où il y a à manger pour un, il y a à manger pour dix) lorsque la situation implique plus de deux personnes.

Mais que la variante soit volontaire ou involontaire, elle reste une formule empruntée que l'usager fait sienne en lui conférant son empreinte stylistique et/ou morpho-syntaxique mais qui n'implique, en principe aucun changement de fond. Pour toutes ces raisons, le chercheur collectionneur de proverbes est amené à faire la part des choses au moment de la collecte. Il peut demander des explications à propos des proverbes qui peuvent poser problème, ce qui lui permettra par la suite de trancher. Il ne considérera alors comme variante qu'une expression proche d'une autre mais qui n'affecte de manière profonde ni l'image ni le sens de celle-ci et qui restent interchangeables dans tous les contextes. Exemple : gəzzar u- mcəssi b- lləft (boucher et dîne de navets) a pour variantes gəzzar u- mcəssi b lfərt (boucher et dîne des restes) ou encore gəzzar u mcəssi b- flət (boucher et dîne de "il m'a échappé"). Quel que soit le mot utilisé, le proverbe garde sa signification globale à savoir que certains gens ne savent pas profiter des avantages qui sont les leurs.

Par contre, tout autre type de variation donne lieu à une nouvelle parémie. Exemple : məskin xad məskina u- thənnat ləmdina (deux pauvres qui se marient, la ville est tranquille) ne peut avoir pour variante : məskin xad məskina u- wəldu ssəcjan (deux pauvres qui se marient enfantent des mendiants) puisque le premier se dit pour signifier que pauvreté peut être synonyme de tranquillité alors que le second met en garde contre les unions entre personnes démunies. De même, ləhdid b- lqəntar u- ddhəb b- lgram "Le fer (se mesure) au quintal et l'or (se mesure) au gramme", n'a pas le même sens que : lmərd b- lqəntar u- rraha b- cin libra (la maladie arrive

mais un tel a dit). Exemple : lli gal lfilali krəs llah icṭik žžwaž Le (Filali a dit : "Oust Pourvu que tu sois marié ! ") ou encore : lli gal lfəkrun ila fəlt mən had ddəcqa nəcti mali sədqa u- cəmmər cərs ssma ma ndəkru (La tortue a dit : "Si j'échappe à cette catastrophe, je donnerai ma fortune en aumône et je n'irai jamais à un mariage du ciel"). On remarque ainsi que la plupart des proverbes véhiculant un discours rapporté ne s'embarrassent d'aucun apparat stylistique et s'expriment sous forme de phrases anodines et sans fioritures. Lorsque le proverbe empruntant le discours rapporté met en scène des animaux, le collecteur même novice est avisé alors que le proverbe dont le protagoniste est un humain est moins facile à détecter.

S'agissant des proverbes dialogués ils se présentent soit sous forme de deux assertions corrélatives ; exemple : gal lih as hla mən kull hlu gal lih ləmḥənṭəl ila jkun baṭəl. (Il lui dit : "Y a-t-il plus doux que la douceur?" et l'autre de rétorquer : " Le poison pourvu qu'il soit gratuit !") ; soit sous forme de question/réponse ; exemple : gal lih dir lijja lhijt bu mədda gal lih xaṣṣək wəžhu (Il lui dit : " fais-moi la barbe de Bou Medda" il lui répondit: "Il te manque son visage."). L'originalité de cette forme de discours réside dans deux faits essentiels : soit que l'énonciateur du proverbe prend la responsabilité d'énoncer tout le proverbe, soit il se charge de dire la première tranche, qu'elle soit une question ou une assertion, et laisse à l'interlocuteur le soin de s'approprier la deuxième tranche. Or, si le collecteur n'est pas averti, il peut facilement être induit en erreur, à moins que le contexte ne le mette sur la voie.

2-4- La variation

Il est attesté que le proverbe n'est pas cette formule figée stéréotypée que les usagers héritent et qu'ils transmettent aux autres sans rien y changer. Il est assujetti, ainsi que tous les autres genres de la littérature orale, aux fluctuations du temps et par conséquent change et vit grâce aux variations qui peuvent l'affecter. A l'instar des autres aspects de la littérature orale, le proverbe est voyageur. Cette mobilité, même si elle ne change en rien son essence, induit un certain nombre de transformations qu'elles soient volontaires ou involontaires. Exemple lmərraksi u- lfar la twərrih bab ddar (au Marrakchi et à la souris ne montre jamais la porte de ton logis) peut selon la région où il est utilisé se rapporter au ᶜrubi

ne véhiculent en général plus le sens qu'ils avaient dans cette langue. Par exemple "ləqwafi" n'a plus le sens de rime ou celui de poésie, de même "nqajm" de "niqma" ne signifie plus "vengeance", pourtant, ils tournent tous autour de la notion de proverbe, même si les distinctions restent imprécises pour ceux qui en font usage et désignent la plus par du temps n'importe qu'elle parémie.

Or, l'utilisateur de ce patrimoine accorde-t-il une grande importance à ces distinctions ? Si oui, comment fait-il pour reconnaître une forme d'une autre ? Est-ce grâce au contexte, à la structure (nature, fonction, rôle, utilisation) ? Est-il possible de procéder à une démarcation nette entre ces différentes appellations ? Telles sont à mon avis les questions préalables que doit se poser toute personne qui s'intéresse à la collection du patrimoine proverbial.

2-2- *Les formules introductives*

Au niveau de la détection du genre, le chercheur peut être confronté à des problèmes en rapport avec sa reconnaissance. Le proverbe est assujetti à un rituel impliquant qu'il soit rapporté et non pris en charge par le locuteur. Il possède en outre un répertoire de formules stéréotypées qui vont de : llah irhəm zdudna lli galu (que la miséricorde soit sur nos ancêtres qui ont dit) jusqu à : mhəggəl flan lli ta igul (untel a raison de dire). En fait, si l'utilisation de ces formules est courante, elle n'est pas obligatoire, et peut par conséquent induire le collectionneur non averti en erreur, d'autant plus que certaines de ces formules peuvent précéder de simples phrases sans rapport avec le proverbe. C'est le cas du dernier exemple choisi.

2-3- *Le discours rapporté et le dialogue*

Si la structure rythmique est l'un des critères qui facilitent l'appréhension du proverbe, celui-ci recourt par moments à des structures relevant spécifiquement du langage quotidien comme le discours rapporté et le dialogue. Le premier genre sert surtout l'intérêt du locuteur qui en rapportant le discours d'un autre ne prend aucunement celui-ci en charge, et peut rétorquer à qui veut l'impliquer dans le message : (moi je ne dis pas,

2- PROBLÈMES LIÈS À LA COLLECTE DES PROVERBES

Parce que le patrimoine proverbial est vivant, il pose un certain nombre de problèmes au chercheur qui s'y intéresse. En effet, collecter des proverbes afin de les consigner par écrit risque de les vider de leur substance signifiante et nécessite de répondre, au préalable, à un certain nombre de questions concernant l'usager du proverbe, le collectionneur, la manipulation du corpus et son interprétation. Aussi, si la collecte de la littérature orale est tributaire de la personnalité des acteurs qui jouent un rôle déterminant dans sa transmission, celle des proverbes suppose en outre, une mobilisation de tous les agents et une actualisation de l'activité langagière qui mettront en lumière et la signification de l'énoncé, et la situation spatio-temporelle qui s'imposent. Tout préalable à une collecte de la littérature orale et spécialement à celle des proverbes, doit tenir compte d'un certain nombre de facteurs inhérents au genre et qui peuvent poser des problèmes au chercheur non initié au domaine.

2-1- La définition du genre

Le proverbe en tant qu'expression populaire, relativement courte, expressive et stéréotypée véhiculant une expérience à propos de la vie n'a jusqu'à maintenant pas pu faire le consensus des chercheurs afin de lui donner une définition qui satisfasse tous les intéressés.

Selon R. Blachère le terme "matal" recouvre en arabe une multiplicité de significations car il "s'applique assez souvent à un aphorisme attribué à un personnage ou à un sage historique ou légendaire... bien plus fréquemment aussi le substantif "matal " désigne soit un dicton ou un proverbe, soit une parole mémorable, une sorte de mot historique, proféré lors d'un événement réel ou imaginé. Parfois enfin, le terme désigne une locution idiomatique voire une formule bénéfique ou maléfique"(2). A partir de là, nous pouvons constater que les distinctions existants en Europe en général ne correspondent pas à celles proposées par d'autres civilisations. Au Maroc, la notion de proverbe charrie une terminologie assez diversifiée comme "mətla", "məcna", "həkma", "nqajm" et "qwafi" qui ne correspond pas terme à terme à celle existant en arabe classique. Par ailleurs, les Marocains utilisent ces termes alors qu'ils

1- UNE COLLECTION DE PROVERBES, POURQUOI FAIRE?

Les communautés linguistiques marocaines possèdent chacune un patrimoine folklorique important et très diversifié comprenant notamment des contes, des chansons, des devinettes, des comptines, des proverbes, etc. Peut-être plus que le conte et la devinette, le proverbe détient une place de choix dans la culture marocaine. On ne peut imaginer un marocain qui ne connaisse et n'utilise consciemment ou inconsciemment un nombre plus ou moins important de cette tranche de notre mémoire collective.

En tant que produit social, le proverbe est le véhicule de la parole sage et traditionnelle qu'il conserve intact. Il joue donc le rôle de ferment et de régulateur dans la société où il baigne. Ce véhicule de la sagesse ancestrale encourage la vertu et fait le consensus social. Il est alors doté du pouvoir de distribuer éloges ou blâmes selon les circonstances car détenteur de la parole sacrée qu'il fige dans des expressions qu'il fait bon de répéter. Il est supposé capable d'aborder tous les sujets importants, de répondre à toutes les questions et d'exprimer le dit et le non dit au moment opportun. Ainsi il peut se livrer à toutes les congruités et même à des obscénités. Par son franc parler le proverbe cingle l'amour-propre des prétentieux et incite l'homme à réfléchir à autre chose qu'à son propre ego.

L'intérêt pédagogique du proverbe n'est plus à démontrer, car il permet non seulement l'insertion de l'enfant dans le canevas social, mais lui permet aussi d'exercer sa mémoire et de prouver sa capacité à saisir le sens et à comprendre les images. Par ailleurs, si le proverbe n'est pas détenteur de l'histoire d'un peuple, il immortalise souvent des moments historiques et légendaires de sa mémoire. Par son côté humoristique, le proverbe est un outil pédagogique capable d'apprendre à l'enfant des choses en le divertissant par le rire.

Pour toutes ces raisons et d'autres encore, il devient nécessaire d'accorder à cette tranche de notre culture l'intérêt qu'elle mérite afin de la sauvegarder tout en la maintenant vivace et valable à la fois dans les domaines de la vie quotidienne mais aussi dans les domaines scolaire et pédagogique.

METHODOLOGIE
POUR LA COLLECTE DES PROVERBES

Faïza JIBLINE

INTRODUCTION

Dans les pays à tradition orale et spécialement en Afrique, la littérature orale est la courroie de transmission, non seulement des aspects les plus importants de la tradition des peuples, mais aussi de tous les principes d'ordre moral et idéologique qui leur sont propres et qui assurent leur continuité et leur pérennité. "Le rôle social joué par la littérature orale en Afrique demeure en effet considérable. Imprégnée des réalités culturelles, elle constitue un témoignage irremplaçable sur les institutions, le système des valeurs, la vision du monde propres à une société"(1). Au Maroc les littératures orales existent parallèlement à une littérature écrite, et vu le prestige dont on la pare, cette dernière risque de prendre le pas sur les autres à la fois par son statut prestigieux mais aussi par le rôle de plus en plus prépondérant de l'alphabétisation. Il s'avère donc important de préserver le patrimoine oral afin qu'il continue de jouer son rôle de guide dans le maintien et la cohésion de notre société arabo-berbère.

Dans la présente intervention, j'essaierai dans un premier temps de dégager les raisons objectives qui imposent la collecte de nos proverbes ainsi que les problèmes que peut rencontrer celui qui se lance dans cette périlleuse mais passionnante aventure. Dans un deuxième temps, je proposerai quelques éléments de méthode pour pouvoir approcher le domaine afin qu'il nous livre ses richesses sans grand dommage pour lui.

جمع وتدوين وشرح الأمثال العامّية في مدينة تطوان ومقارنتها بنظائرها في مختلف البلاد العربية

حسناء داود

لقد أحببت أن أساهم في هذا اليوم الدراسي بعرض أقوم فيه بالتعريف بكتاب والدي المرحوم الأستاذ محمد داود في موضوع "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية"، أولا لتقديري لهذا العمل الذي أنجزه وتعب في جمعه وإعداده خدمة للثقافة وللأدب المغربي، وثانيا لكوني قد اهتممت بهذا الموضوع وبهذا الكتاب اهتماما فائقا، فخصصت له من وقتي سنين وأعواما، حاولت فيها أن أرتب ما لم يرتبه والدي، وأكمل ما لم يكمله، وأشرح ما لم يشرحه، وأضيف ما غفل عنه، وأحقق ما استشهد به من الشواهد، وذلك رغبة مني في أن أخرج الكتاب في حلة مناسبة، عساه أن يكون لبنة من لبنات الدراسات الأولية التي من شأنها أن تساهم في لمّ هذا النوع من التراث الأدبي الشعبي ببلادنا وحفظه من الضياع.

ولقد شاءت الأقدار أن أخرج الجزء الأول من هذا الكتاب [1]، وهو الذي يضم المقدمات وشرح المنهجية التي اعتمدها فيه مؤلفه رحمه الله، مع الجرد الكامل لمجموعة الأمثال والتعابير والحكم والدعوات السائرة في مدينة تطوان[2] مرتبة ترتيبا هجائيا حسب الحرف الأول منها، دون أي شرح أو تفسير؛ على أن الجزء المخطوط الباقي من الكتاب [3] هو الذي يشتمل على شرح الأمثال وما يجري مجراها، مع إدراج ما يناسبها من المقارنات والاستشهادات. ولقد بذلت جهدي في السهر على مراجعة وإعداد هذا المؤلف، علما بأن والدي رحمه الله قد تركه في صورة مسودات تحتاج إلى الكثير من المراجعة والضبط والتحقيق؛

والكتاب الآن مكتمل بتوفيق من الله، ولا ينقصه إلا أن يطبع في أقرب فرصة حتى يأخذ مكانه بين المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع.

وبما أن منظمي هذه الندوة المباركة، قد قصدوا من وراء تنظيمها إلى إرساء أسس مشروع واسع سيتوج بإصدار مدونة شاملة للأمثال العامية في المغرب كله، فإنني أرى أنه من الضروري الاطلاع على كل ما أنجز في هذا المجال، سواء كان مخطوطا أو مطبوعا، حتى يتسنى توفير المادة الأولى المتكاملة والصالحة لإنجاز المشروع، ثم يتم ضبط هذه المادة والتوفيق بين آراء معديها والتقريب بين منهجياتهم، وبالتالي يتيسر اختيار الطرق المثلى لإصدار هذه المدونة بحول الله.

ولقد ارتأيت أن أقدم في عرضي هذا تجربة والدي في مجال جمع الأمثال وتدوينها وشرحها، بصفتها تجربة رائدة في ميدان تدوين الأمثال السائرة في مدينة تطوان بالخصوص، وذلك في إطار التعريف بطريقته في إنجاز ذلك العمل الذي أنجزه مقتنعا بفائدته وأهميته، شأنه في ذلك شأن بقية المفكرين المغاربة الذين جمعوا الآلاف المؤلفة من الأمثال التي تحتويها خزاناتهم، وهيأوها في انتظار أن تنشر وتقدم للباحثين والدارسين والنقاد الذين حللوا قيمة الأمثال العامية، وأبرزوا أهميتها في الدراسات والأبحاث الفكرية والأدبية واللغوية والاجتماعية والنفسية للشعب والمجتمع. وإنني لعلى يقين من أن هذه الدراسات والأبحاث لا يمكن أن تحقق نتائجها ما لم تكن هناك مادة خام تدرس وتحلل ويستنتج منها ما يرجى استنتاجه؛ ومن هنا كانت العناية بجمع وتدوين الأمثال العامية السائرة في مختلف المدن والنواحي مما ينبغي أن يعتنى به أولا وقبل كل شيء، اعتبارا أن تلك هي الخطوة الأولى التي يتم بواسطتها تهيئ تلك المادة الخام، ووضعها بين أيدي الدارسين لكي يستطيعوا تسليط الضوء عليها وإجراء أبحاثهم بناء على معطياتها.

فنعم ما قصدته هذه الأيام الدراسية، ونعم ما تنوي كل من أكاديمية المملكة المغربية والجمعية المغربية للتراث اللغوي إنجازه في هذا المجال، والله الموفق.

الأمثال العامية في كتاب "التكملة" للأستاذ محمد داود:

كان الأستاذ محمد داود في غمرة العمل في تدوين فصول كتابه الموسوعي عن تاريخ مدينة تطوان، فإذا به يجد أن عددا من الموضوعات المتعلقة بوصف المدينة والحديث عن خططها وسكانها وخصائصهم وأعمالهم ومختلف مظاهر حياتهم الاجتماعية لا مجال لذكره في كتاب التاريخ، مما دعاه لأن يفكر في تأليف كتاب جديد، وهو الذي سماه كتاب "التكملة" [4] ، ليكون ذيلا مكملا لكتاب التاريخ، مفصلا لتلك الجوانب التي تعطي صورة واضحة عن مختلف مجالات الحياة في هذه المدينة. وهكذا صار يعمل - بروح المؤرخ الذي يضبط ويسجل ويوثق المعلومات التي تفيد الباحثين في مختلف الجوانب - فحدد الموضوعات التي ستتضمنها فصول كتابه المذكور[5] ، وكان من جملة هذه الفصول فصل سماه (الأمثال العامية)، ضمنه ألفا وواحدا من هذه الأمثال، اعتبارا لكونها تصور ناحية مهمة من حياة الوسط التطواني والفئات التي تكون هذا المجتمع المتميز الذي لعبت الظروف التاريخية والجغرافية والثقافية دورا مهما في تكوين أفراده وفئاته. ولقد نشر هذا الفصل برمته في مجلة البحث العلمي[6]، فكان من البحوث القليلة التي نشرت من طرف معاصريه عن الأمثال العامية المغربية بصفة عامة.

ثم إن فكرة الخوض في هذا الموضوع قد تضخمت بتضخم المادة التي توفرت لديه، الأمر الذي جعله يفكر بعد ذلك في إنجاز تأليف خاص في هذا الميدان، فكان تأليفه لكتابه المذكور بعنوان "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية".

مؤلفات سابقة في الأمثال العامية المغربية :

ولعل من أبرز وأهم ما نشر ه المغاربة عن أمثالهم العامية كتابا للأستاذ أحمد الصبيحي السلوي [7] الذي كان ناظرا للأحباس الكبرى بمدينة مكناس، وقد ترجمه إلى الفرنسية ونشره السيد عبد القادر بنشحيدة المترجم المدني لدى محكمة باشا مكناس.

ثم نشرت بعده أبحاث قيمة لكل من العلامة المقتدر الأستاذ محمد الفاسي، الذي نشر بحثا بعنوان "الأمثال المغربية باللغة العربية العامية"[8] ، وقد ألقاه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1961، وذكر فيه أنه قد جمع إلى جانب الأمثال العامية المغربية مجموعة من الأمثال البربرية التي سيقوم بترجمتها إلى العربية، وسينشر ذلك كله في كتاب يسميه مجمع الأمثال المغربية.

وكذا الباحث الجليل الأستاذ عبد القادر زمامة الذي نشر أبحاثه في موضوع الأمثال المغربية أيضا، وذلك في كل من مجلتي "البينة" [9] و"البحث العلمي" [10]، حيث قدم مجموعة قيمة من الأمثال العامية المشروحة.

كما نشرت بعض الأبحاث التي قام بها بعض الأجانب في هذا المجال، وذلك كالكتاب الذي ألفه المستر إدوارد وسترمارك [11] بتعاون مع الشريف سيدي عبد السلام البقالي، حول الأمثال المتداولة في مدينة طنجة وقبيلة أنجرة والنواحي القريبة منهما في شمال المغرب، وكذا البحث الذي نشره المسيو لويس برونو L.Brunot في مجلة "إسبيريس" (Hespéris) [12]والذي يحتوي على مجموعة من الأمثال الدارجة بمدينة الرباط. وهي مراجع قد اطلع عليها الأستاذ داود واعتمدها في مقارناته واشتشهاداته.

بينما نجد مؤلفات قديمة أخرى قد وردت فيها مجموعة من الأمثال العامية المغربية، إلا أنها لم تحط بالموضوع بما فيه الكفاية، حيث خصصت له فصولا صغيرة غير مستوفية، أو أوردت هذه الأمثال بصيغة فصيحة أفقدتها صيغتها الأصلية وقالبها الحقيقي. ومن هذه المؤلفات ما ذكره الدكتور محمد بن شريفة[13] :

كتاب «زهر الأكم في الأمثال والحكم» لأبي علي اليوسي (المتوفى سنة 1102). وقد صرح الدكتور بن شريفة أن ما أتى به اليوسي في كتابه من الأمثال العامية إنما هو نزر يسير بالنسبة لما كان منتظرا أن يورده منها، بالإضافة إلى أنه قد أدرجها معربة باللسان الفصيح، ولعله قد جرى في ذلك مجرى من كانوا يستنكفون من الخوض في الأدب الشعبي أو الكلام العامي الذي تشتمل عليه الأمثال من هذا القبيل.

وكتاب «المحكم في الحكم » لأبي مدين الفاسي (المتوفى سنة 1181)، الذي خصص فصلا لأمثال العامة بعنوان : (فصل فيما من أمثال العامة تخيرته، وعلى حروف المعجم كما رتبوها رتبته)، وهو فصل صغير قليل القيمة في نظر الدكتور ابن شريفة، حيث إنه لا يشتمل إلا على 153 مثلاً.

- وكتاب الغالي ابن سليمان، الذي ورد ذكره في كتاب " فواصل الجمان" لمحمد غريط، حيث ذكره بقوله إن له (تويلفا في أمثال العامة)[14]، ولعل وصف هذا الكتاب من طرف غريط بأنه تويلف - بصيغة التصغير - يكفي لإدراك قيمة هذا الكتاب.

- ومخطوطة الزركلي لمؤلف مجهول، وهي مخطوطة اشتراها الأستاذ خير الدين الزركلي من مدينة مراكش، وجعلها تحت تصرف الأستاذ عبد العزيز الأهواني الذي يقول عنها إن قيمتها تكمن في أنها قديمة نسبيا وأن أمثالها جمعت من المنطقة الشمالية في المغرب[15].

وإذا كان موضوع الأمثال العامية المغربية لم ينل حظه الكافي من العناية والبحث والتدوين من طرف المؤلفين والباحثين عموما، فما بالك بأمثال مدينة صغيرة كمدينة تطوان، أو منطقة شاءت الأقدار أن تفصل عن الوطن الأم عقودا من الزمن، خضعت فيها لحيثيات وظروف سياسية واجتماعية وثقافية مغايرة لما عاشته بقية المناطق المغربية في جنوب البلاد.

وإذا كانت هذه المؤلفات وغيرها مما لم نطلع عليه، قد ضمت مجموعات من الأمثال العامية المغربية عموما، فإن الأمثال المعروفة في مدينة تطوان أو في منطقة الشمال المغربي، لم تحظ بالعناية الكافية من طرف الباحثين والدارسين المغاربة، سوى ما قد يرد منها عرضا في بعض الدراسات أو الأبحاث التي لا تشفي الغليل.

إلا أنه قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر كما يقال، والمثل العامي يقول: (دْ جا من بَرّا يْعاود ما جْرى)، فإذا كان المستر وسترمارك قد جمع ودون أمثال طنجة وناحيتها في شمال المغرب، فقد وقفت على عمل باحث أجنبي آخر

قد تصدى أيضا لجمع وتدوين أمثال هذه المنطقة من بلادنا، ذاك هو المستعرب الإسباني خينيس بركرين الذي ألف كتيبا تحت عنوان: "الأمثال المغربية – أزهار أمثال العربية الدارجة" [16]، وقد نشر هذا الكتيب في تطوان سنة 1947، ويحتوي على 161 صفحة من القطع الصغير، وهو يشتمل على قسمين:

– القسم الأول : ويضم مجموعة من 386 من الأمثال التي أدرجها المؤلف باللغة العربية الدارجة، مرتبة حسب الحرف الأول منها، مع إدراج مقابلها أو ترجمتها أو شرحها باللغة الإسبانية.

– القسم الثاني: ويشتمل على 341 مثلا من الأمثال باللغة العربية الدارجة أيضا، ولكنها دون أي شرح أو ترجمة.

ولقد ختم المستعرب المذكور كتيبه هذا بمجموعة من الأحاجي المعروفة في شمال المغرب، وكذا بعض الحكايات الشعبية القصيرة.

ومما يستشف من مجموعة الأمثال الواردة في هذا الكتيب، أنها من جملة ما هو سائر على ألسنة سكان الناحية التي كانت تحت الحماية الإسبانية في شمال المغرب، وإن كان المؤلف قد أطلق على كتابه اسم (الأمثال المغربية)، إلا أنه من الواضح أن تعميمه للعبارة لا يعني شموليته للموضوع، ومما يؤيد هذا الكلام صيغ اللهجة التي كتبت بها هذه الأمثال، إلى جانب كون المؤلف إسباني الأصل، فمن الطبيعي أن يكون اتصاله المباشر بسكان الناحية التي كانت تحت الحماية الإسبانية من المغرب.

جمع الأمثال السائرة في تطوان وطريقة تدوينها :

أما فيما يرجع إلى مساهمة الأستاذ داود في جمع الأمثال العامية بمدينة تطوان وطريقته في ذلك، فإنه قد شرع أولا في تسجيل ما يستحضره مما قد سبق له أن سمعه من الأمثال من أفراد عائلته، وخاصة المجتمع النسوي المولع بتوشيح الكلام بما يقوي معناه ويؤكد مقصده من الأمثال والحكم والمواعظ، ثم صار يجمع من أفواه أصدقائه وجلسائه ممن لهم ولع بالميدان وممن يحفظون

الكثير من هذه التعابير الجارية على الألسن، وفي هذا المجال يروي - استطرادا - أنه في بداية اهتمامه بهذا الموضوع، قد حضر في مجلس يضم بعض السادة من رفقائه، فحدثهم عن مشروعه، وأفصح لهم عن رغبته في تأليف كتاب حول الأمثال العامية، ثم طلب منهم أن يذكروا له ما يخطر ببالهم منها حتى يدونه، فما كان من أحد الظرفاء منهم إلا أن قال له: (سجل أول مثل وهو: قِلّة الشغول مْصيبة)، بمعنى أن الإنسان إذا لم يجد عملا مهما يقوم به، فإِن ذلك يشكل مصيبة بالنسبة إليه، إذ أنه يلجأ دون شك إلى الاشتغال بما قد يكون تافها لا أهمية له، وإنما يقوم به ليملأ فراغه لا غير! ، بمعنى أنه قد تصدى لهذا العمل التافه وهو جمع الأمثال، لأنه لم يجد ما يملأ به أوقاته الفارغة. والغالب على الظن أن القائل لذلك لم يكن جاهلا للهدف المقصود من جمع الأمثال وما يجري مجراها، وإنما قال ذلك قصدا على سبيل النكتة والدعابة !

وإلى جانب السماع، فقد لجأ الأستاذ داود إلى أقرب أصدقائه الذين كانوا عمدته ومرجعه في جل أعماله وأبحاثه، فيسروا له ما بإمكانهم من المادة التي أفادته في هذا الموضوع؛ ومن أهم هؤلاء الأصدقاء :

- أخوه وتوأم روحه الأستاذ الأديب الباحث المتفنن السيد الحاج مَحمد بنونة، وقد هيأ له مجموعة تشمل على 215 من الأمثال السائرة في تطوان.

- وصديقه وأليفه الأستاذ الأديب الباحث المقتدر الشريف سيدي التهامي الوزاني، الذي هيأ له مجموعة أخرى تضم 705 من هذه الأمثال وما يجري مجراها من التعابير والحكم والكنايات السائرة في هذه المدينة.

فكانت هاتان المجموعتان [17] من أهم الموارد المعتمدة في مادة كتاب "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية"؛ هذا إلى جانب تقاييد ووريقات متعددة كان بعض الأصدقاء يدونون فيها بعض ما يجمعونه من الأمثال من حين لآخر، ثم يسلمونها إليه لكي ينقلها في مكانها المناسب.

وبهذه الطريقة جمع الأستاذ داود ما جمع من هذه الأمثال والتعابير، فإذا بالفصل الصغير من كتاب التكملة يصبح بحثا ضافيا وتأليفا مستقلا، وإذا

بالأمثال المحصور عددها تصبح آلافا من الأمثال والحكم والتعابير والكنايات والدعوات، وإذا بتسجيل الأمثال مجردة يدفع به إلى ضرورة شرحها وتقريب معناها لمن لا يفهمها، وإذا به يتطلع لاستكشاف ما يقال منها في غير تطوان من بعض المدن المغربية مما يشبه ذلك لفظا أو معنى، وإذا به يوسع نطاق البحث والمقارنة، فيطلع على ما دونه الباحثون العرب عن الأمثال العامية في مختلف الأقطار العربية، ليخرج في النهاية بدراسته المقارنة التي قد تعتبر مما يقل نظيره في الكتب المهتمة بهذا الموضوع في المغرب.

أما فيما يتعلق بطريقة تدوين هذه الأمثال العامية، فإن رأي الأستاذ داود هو أن تكتب كما ينطق بها الناس، بدون تبديل أو تغيير أو إصلاح أو محافظة على قواعد اللغة العربية الفصحى، ذلك لأنه – رغم تحمسه للفصحى وحرصه على المحافظة على قواعدها – يرى أن الأمانة الأدبية تقضي بالاعتراف بأن هناك فرقا بينها وبين العامية، وأن ذلك الفرق مهما كان مقداره، يجب أن يدرك وأن يسجل، احتراما للحقيقة وحفظا وتسجيلا لملامح وسمات اللهجة الدارجة المستعملة في هذه الناحية من بلاد العروبة.

ومن هنا نجد أنه قد بين في مقدمة كتابه بعض الجزئيات التي تتجلى فيها مظاهر الاختلاف بين الفصحى والعامية، كما هو الأمر في استعمال الحروف الزائدة قبل حروف المضارعة مثلا [18]، وكذا صور النحت أو التحريف الذي تخضع له بعض الكلمات أو الجمل[19]، ثم طريقة استعمال الضمائر[20]، وكذا قواعد التثنية والجمع في الأسماء[21]، ومسألة النطق ببعض الحروف، وحذف بعضها أو زيادة البعض الآخر[22]، وكذا قواعد استعمال الأعداد والنطق بها، إلى غير ذلك من القواعد والملاحظات.

ومن أهم ما توصل إليه في مجال ضبط مظاهر الاختلاف بين الفصحى والعامية، أن الأمثال العامية، كبقية الكلام الدارج، لا يقتصر فيها على استعمال السكون بالإضافة إلى الحركات الثلاث المعروفة، التي هي الضمة والفتحة والكسرة، وإنما تستعمل فيها حركة رابعة هي التي اصطلح على تسميتها

"بالحركة"، وهكذا نجده يصف الحرف بكونه مضموما أو مفتوحا أو مكسورا أو محركا، ويقصد بالمحرك ذلك الحرف الذي ليس بساكن، وإنما ينطق به موقوفا بحركة خاصة تقع بين الضمة والفتحة والكسرة. وذلك ما يتضح لنا من قولنا مثلا: فلان كَيكْتبْ، فحرف الياء وكذا حرف التاء في هذه الكلمة ينطق بهما بطريقة معينة هي التي اصطلح الأستاذ داود أن يسميها بالحركة.

وبعدما أقر كل هذه الملاحظات التي تقرب القراء إلى معرفة بعض الأسس التي تقوم عليها اللهجة العامية في هذه المنطقة من المغرب، فتح الباب لتسجيل الأمثال التي جمعها، معتمدا في ذلك على طريقة إدراجها مرتبة ترتيبا هجائيا حسب الحرف الأول منها، معللا استحسانه لتلك الطريقة بأنها تمكن الباحث من سرعة الوصول إلى المثل بمجرد الرجوع إلى باب الحرف الذي يبتدئ به، مع اعترافه بأن طريقة إدراج الأمثال على حسب موضوعها لها أهميتها أيضا في إمكانية استطلاع الأمثال الواردة في موضوع معين بالنسبة لمن يبحث في ذلك.

ولقد سلك طريقة خاصة في عرضه وشرحه للأمثال بعد إدراجها في قوائم كنصوص مجردة كما ذكرت، وتتلخص طريقته في كونه صار يثبت المثل العامي، ثم يحول ألفاظه إلى ما يماثلها في العربية الفصحى، أو يشرح من ألفاظه الغامضة ما يمكن شرحه، ثم يبين مورد المثل إن كان معروفا، وكذا مضربه، وبعد ذلك يثبت ما وقف عليه من الأمثال العامية القريبة من لفظه أو معناه والمعروفة في باقي أنحاء المغرب بالصيغة التي تقال بها في تلك الأنحاء، كما يثبت ما يوافق معنى المثل أو الحكمة أو التعبير مما يقال في مختلف البلاد العربية بصيغها الأصلية أيضا، دون أن يغفل عن تذييل كل ذلك أحيانا بما يقارب معنى المثل من الحكم أو الأشعار أو الأقوال المأثورة باللغة العربية الفصحى، زيادة في الفائدة وتوسيعا لأفق الباحث والقارئ.

والأستاذ داود ليس ممن يلتزمون في أسلوبهم بنمط معين يتقيدون به في إطار البحث اللغوي أو التاريخي أو الاجتماعي، وإنما هو مؤرخ يهمه أن يرصد الحقائق ويدونها، وباحث يتصدى لبيان ما يرى أن في بيانه فائدة قد تهم أحد

الباحثين، فيورد الفكرة أو يصور الحادثة أو يتعرض للمسألة بكل صدق وأمانة، ويكتب أفكاره بكل وضوح وبيان، ويعقب على الأمثال والأحداث والوقائع بما يعتقد أنه الصواب، مستطردا ومفصلا، دون أن يتكلف في ذلك بالتزام الأسلوب الأدبي المنمق ولا الأسلوب العلمي الجاف، بل إنه يكتب بطريقته الخاصة التي يرتضيها لنفسه، وللقارئ أن يستحسن وينوه أو أن يلاحظ وينتقد.

مقارنة الأمثال العامية في تطوان بنظائرها من أمثال البلاد العربية :

أما في مجال مقارنة الأمثال السائرة في تطوان بغيرها من نظائرها المستعملة في غيرها من البلاد العربية، فإن الأستاذ داود، بالإضافة إلى كتب القدامى التي تشتمل على الأمثال العربية الفصيحة، كمجمع الأمثال لأحمد الميداني وأمثال العرب للمفضل الضبي وما أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد، وكذلك ما أورده بهاء الدين الأبشيهي في كتاب المستطرف وغير ذلك من المؤلفات القديمة، قد اطلع على نوعين من المصادر والمراجع :

أولهما:

مجموعة من الأبحاث والمؤلفات المشتملة على الأمثال العامية السائرة في المغرب وكذا في باقي الأقطار العربية، ومن ذلك :

- الأمثال المغربية باللغة العربية العامية"، بحث بقلم الأستاذ محمد الفاسي في أمثال مدينة فاس[23].

- الأمثال المغربية – دراسة ونماذج مشروحة"، بحث بقلم الأستاذ عبد القادر زمامة، في أمثال مدينة فاس أيضا [24].

- كتاب الأستاذ أحمد الصبيحي، في أمثال مدينة سلا [25].

- مجموعة أمثال مدينة الرباط بقلم لويس برونو [26].

- كتاب المستر إدوارد وسترمارك، في أمثال مدينة طنجة وناحيتها[27].

- "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام" في أمثال الأندلس، لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (النسخة المخطوطة للأستاذ عبد السلام ابن سودة).

- "حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر" في أمثال مدينة غرناطة، لأبي بكر محمد ابن عاصم الغرناطي[28].

- مجموعة الشيخ محمد بن شنب في الأمثال العامية السائرة في الجزائر[29].

- "مختارات من الأمثال العامية التونسية" للدكتور طاهر الخميري [30]. وكانت هذه الأمثال قد نشرت في جريدة "الصباح" التونسية في أوائل الستينيات، فاعتمدها الأستاذ داود في مقارناته قبل أن يعتمد على الكتاب المذكور.

- "التربية التونسية في الأمثال العامية" للأستاذ البشير الزريبي [31].

- "المجتمع الليبي من خلال أمثاله" للأستاذ علي مصطفى المصراتي [32].

- "الأمثال العامية مشروحة ومرتبة على الحرف الأول من المثل" في الأمثال المصرية، لأحمد تيمور[33].

- "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية" لأحمد أمين [34].

- "حدائق الأمثال العامية" في الأمثال المصرية، لفائقة حسين راغب [35].

- "أمثال العوام في مصر والسودان والشام" من كتاب "مرآة الأيام في مصر والسودان والشام" لنعوم شقير[36].

- "أمثال دير الزور حاضرة وادي الفرات" في أمثال دير الزور بسوريا، لعبد القادر عياش [37] .

- "الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن" لأنيس فريحة [38].

- رسالة "الأمثال البغدادية" للقاضي أبي الحسن علي بن الفضل الطالقاني[39].

- "الأمثال البغدادية" - لجلال الحنفي [40].

- "الأمثال البغدادية المقارنة" لعبد الرحمن التكريتي[41].

- "معجم أمثال الموصل العامية" لعبد الخالق خليل الدباغ[42] .

- "الأمثال الدارجة في الكويت" لعبد الله آل نوري [43].

- "من تاريخ الكويت" لسيف مرزوق الشملال [44].

- "الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب" لعبد الكريم الجهيمان[45].

- "الأمثال العامية في نجد" لمحمد العبودي [46].

- "الأمثال اليمانية مع مقارنتها بنظائرها من الأمثال الفصحى والأمثال العامية في البلاد العربية" لإسماعيل بن علي الأكوع[47].

- "وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية" لمحمد قنديل البقلي[48].

وجل هذه الأبحاث والمؤلفات موجود بالخزانة الداودية بتطوان.

وثانيهما :

ما أمده به العديد من أصدقائه من خارج تطوان، من مجموعات مخطوطة تضم الأمثال السائرة في مدنهم المختلفة، ومن هذه المجموعات :

- كتاب الأستاذ المؤرخ السيد عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، بعنوان (أمثال أهل فاس وما إليها)، وهو مخطوط ضخم (مرقون على الآلة الكاتبة)، يشتمل على 651 صفحة تضم ما لا يقل عن 12000 من الأمثال الرائجة على ألسنة العوام في هذه المدينة وناحيتها. وقد صدره مؤلفه بتعريف مختصر بالكتاب مع الإهداء، تليه مقدمة في ذكر موضوعه والغاية منه والمنهجية التي اختارها مؤلفه

في جمعه وتصنيفه وفائدة ذلك، أما خاتمة الكتاب فلقد اشتملت على تاريخ الانتهاء منه وهو (26 – 8 –1381 هـ الموافق 4 – 3 – 1962م)، متبوعا بما نصه: (أخذت على الآلة الكاتبة على هذا المنوال بمعهد العلوم الاجتماعية تحت رئاسة الأستاذ الجليل السيد عباس لحلو، على يد المباشرة لكتابة ذلك الآنسة غيثة شعراوية أعانها الله. الرباط في 26– 1 – 1966) .

– والمجموعة الخطية التي سلمها له الأستاذ السيد الحاج أحمد الغربي من مدينة سلا، وتشتمل على 337 من أمثال هذه المدينة العريقة.

– ثم المجموعة الخطية المشتملة على 99 من الأمثال العامية السائرة على ألسنة العوام بمدينة مراكش، (دون الإشارة إلى جامعها أو كاتبها).

– والمجموعة المخطوطة القيمة بخط الأستاذ صلاح الدين الخطيب، مدير دار الكتب الوطنية بمدينة حلب السورية، وهي مجموعة ممتازة تضم 1435 من (أمثال العوام في بر الشام)، وقد ذيلها صاحبها بالعبارة التالية: (تمت الأمثال الشامية، وهي 1435 مثلا فيها 263 مثلا فصيحا، و281 مثلا سائرة في مصر، و22 مثلا سائرة في السودان، و43 مثلا سائرة في مصر والسودان معا، والباقي 826 مثلا خاصة بعامة أهل الشام، وهناك 55 مثلا خاصة بالنساء)، ثم أتبعها بتوقيعه، مع خاتم دار الكتب الوطنية بحلب، وتاريخ إنجاز العمل وهو 5 نيسان 1973.

– والمجموعة الخطية للأستاذين أحمد عثمان نجيم وحبيب حسن الرماش من كلية التربية بالجامعة الليبية بطرابلس، وتشتمل على 124 من الأمثال الليبية.

– والمجموعة الخطية لعائلة الأستاذ ماجد صفية، نقيب المحامين بمدينة اللاذقية، وتشتمل على 428 من الأمثال السورية.

– ولعل من أهم هذه المراجع أيضا كتابا قيما في موضوع (أمثال الأردن)، وهو مرقون على الآلة الكاتبة، وقد ذيله كاتبه بعبارة (طباعة: عبد الرحيم سلامة)، دون الإشارة إلى مؤلفه ولا إلى تاريخه، مع كونه كتابا ضخما يشتمل على 453 صفحة من القطع الكبير، تضم 3183 من الأمثال العامية الأردنية المشكولة مع

ذكر مضربها باختصار، مذيلة بثلاثة فهارس : أولها لشرح معاني الألفاظ والمصطلحات التي قد تعين على فهم الأمثال، وثانيها للأعلام والقبائل والطوائف والبلدان والمواضع والشهور والحيوانات وما شابه ذلك، وثالثها للموضوعات. إلا أنني أعتقد أن الأستاذ داود قد تمكن من هذا المؤلف في فترة متأخرة من حياته، مما تعذر عليه معه أن يعتمده في مقارناته للأمثال.

ومن الجدير بالذكر أن كل هذه المجموعات المخطوطة أو المرقونة على الآلة موجودة ومحفوظة بالخزانة الداودية، ولقد استفاد الأستاذ داود من أغلبها وكذا من أغلب الأبحاث والمؤلفات المطبوعة المذكورة سابقا، وأورد منها ما يقارب الأمثال التي تقال في تطوان، مع ذكر مصدرها والرقم الذي تحمله في ذلك المصدر إن كانت مرقمة. وإن كان قد ذكر في كتابه بعضها دون البعض الآخر، والغالب على الظن أن البعض الذي لم يذكره إنما توصل به في فترة كان فيها بعيدا عن العمل في مؤلفه حول الأمثال، وأنه كان عازما على الرجوع إليه حالما وجد متسعا من الوقت، إلا أن الأقدار حالت دون ذلك.

وما دمنا بصدد الحديث عن الكتب التي اعتمدها الأستاذ محمد داود في موضوع الحكم والمواعظ والأمثال الفصيحة والعامية، فإنني أرى أنه من الجدير بالذكر، ومن باب تعريف المهتمين بالمخطوطات في هذا الموضوع بما قد يثير اهتمامهم وفضولهم المعرفي، أن أشير إلى أن الخزانة الداودية بتطوان، تضم فيما تضمه من المخطوطات والنوادر، بعض المؤلفات التي تختص بموضوع الحكم والأمثال والمواعظ، أذكر منها:

– مخطوطا بعنوان: "الكتاب المحكم المنتخب من عيون الحكم" لمؤلف مجهول، وهو مصنف صغير الحجم، إلا أنه قيم في محتوياته، حيث ضمنه صاحبه من الحكم والمواعظ الفصيحة ما هو جدير بالاهتمام.

– ومخطوطا آخر قد وقع فيه بتر وتضرر كبير أتلف كثيرا من جوانبه، إلا أنه من الممكن أن نستطلع من جملة ما اتضح من فقراته، أن عنوانه هو : "زبدة الأمثال ... [42] وقوعها عمدة الأقوال"، وهو لمؤلف مجهول أيضا، وقد ضمنه

صاحبه عشرين بابا[50]، أورد فيها من الأمثال والحكم والأقوال المأثورة باللغة العربية الفصحى ما يناسب كل باب من هذه الأبواب، ولقد توقف الناسخ عند الباب الثامن منها، وهو باب في الصمت والسكوت وحفظ اللسان.

أمثال تطوان والغاية من جمعها :

إن الأمثال كما قال ابن عبد ربه، هي " وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها للعجم ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل" [51]، وإذا كان ابن عبد ربه قد أطلق هذا الكلام دون أن يقيده بخصوص الأمثال الفصيحة، فإن الأمثال العامية بدورها يمكن أن تدخل في إطار هذا التعريف، لأنها في الحقيقة ضرب من الكلام الموشى والمعنى الموجز واللفظ المقصود النابع من صميم القلوب والمعبر عن حقيقة المشاعر، بما في ذلك من الصور البلاغية المتضمنة في إطار اللغة العامية المتداولة بين الناس؛ وبذلك تكون هذه الأمثال صورة للأدب الشعبي الصادق والشائع، الذي يستحق أن يجمع ويدون ويدرس ويقارن.

ومن هذا المنطلق، وحرصا من الأستاذ داود على رصد الحقائق وحفظ المقومات، مع ضبطها والصدق في تبليغها، فقد ألف كتابه هذا، كمساهمة منه في تجميع وتدوين وحفظ ما يتعلق بهذا النوع من الأدب الشعبي في مدينته تطوان، اقتناعا منه بالمنهجية التي ارتضاها لنفسه في مساره الفكري والثقافي، وهي أن أهل مكة أدرى بشعابها، وأنه من واجب كل باحث أو مفكر أن يساهم بما يعرفه أو بما هو متيسر لديه من المعلومات المتعلقة بمدينته أو بناحيته، حتى يتحقق من مجموع هذه البحوث والدراسات ما يكون السجل العام لثقافة الأمة تاريخا وحضارة وأدبا وفنا.

ثم إن الأمثال، بوصفها أقوالا صادرة عن أفراد المجتمع، فإنها تمثل سجلا لانشغالات هؤلاء الأفراد، وتصويرا لحياتهم وما يخالج قلوبهم ومشاعرهم من أفكار ومعتقدات تميزهم، كما أنها تعتبر من أقرب الوسائل لمعرفة السمات

والملامح المميزة لوسطهم الاجتماعي فكرا وثقافة وسلوكا، وكذا معرفة طبقات ذلك المجتمع وأحواله ؛ ومن هنا قصد الأستاذ داود أن يسجل للتاريخ ملامح المجتمع التطواني الواضحة من خلال أمثاله وأقواله وتعابيره، حيث ضم كتاب "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية" بالفعل أمثالا تصور حقيقة هذا المجتمع بما فيه من محاسن ومساوئ، وأمثالا تسجل أحداثا تاريخية خاصة أو مناسبات وظروفا لها علاقة ببعض الشخصيات أو الأماكن المعينة، وأمثالا تحفظ صورا لمظاهر قد عفا عليها الزمن فمحيت من الوجود ولم يبق منها إلا ما حفظ بواسطة المثل العامي، وهكذا. وباستقرائنا لهذه الأمثال يمكننا أن نورد نماذج لأمثال تشير إلى بعض السمات الخاصة بأهل هذه المدينة التي يقال عنها مثلا :

• (إذا كانت المْدُن غارقة في الهم حتى للرقبة ، كتكون تطاون حتى للركبة)، بمعنى أن تطوان مدينة متواضعة وديعة لا تسعى في جلب المشاكل التي تسبب لها الهم والشقاء ، وهذا المثل مما ينسب للقائد أبي الحسن علي المنظري الأندلسي مجدد بناء تطوان في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). ومما يؤيد معناه ما يقال عن التطوانيين أو ما يروى على لسان أهل تطوان أيضاً من قولهم عن أنفسهم :

• (ما نْضربُو ما نهربُو ما نْقِدّو على فتنة) ، وهو مثل يفسره بعض المغرضين بأنه يعني كون أهل تطوان جبناء تنقصهم الشجاعة والإقدام ، بيد أن معناه الحقيقي هو أن أهل هذه المدينة أهل سلم لا يبادرون إلى الاعتداء على الغير بالضرب والهجوم (ما نضربو) ، وأنهم لا يهربون ولا يفرون عند ضرورة المواجهة والدفاع والذود عن الحمى (ما نهربو) ، كما أنهم لا يحبون الفتنة ولا يسعون لإقامتها بين ظهرانيهم (ما نقدو على فتنة) ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿والفتنة أشدُّ من القتل﴾ [52] ، كل ذلك مع الحفاظ على كرامتهم والاعتزاز بشخصيتهم . وفي هذا الصدد يردد بعض الآفاقيين قولهم في وصف بعض أهل تطوان أيضا:

• (بحال جْدَاد الهند، جْلالب بُويَاط ومْناقر من هنْد) كناية عن كون بعض الناس تدل مظاهرهم على الصفاء والسلام والوداعة، إلا أنهم إذا تعرضوا للإذاية أو للمس بكرامتهم يظهر منهم ما يدل على الحدة والعنت وعدم قبول الإهانة .

وفي هذا السياق، يمكننا أيضا أن نورد نماذج لأمثال قد حفظت لنا مظاهر اجتماعية لم يعد لها وجود إلا في سجل هذه الأمثال الحافظة للذاكرة التاريخية للوسط الاجتماعي، ومن ذلك ظاهرة معاملة اليهود والرقيق معاملة خاصة، فإننا نجد أن سجل أمثال هذه المدينة حافل بالأمثال التي تتطرق لهذه الفئات التي لقيت في فترات معينة كثيرا من المعاناة والاحتقار، ومن جملة ما يقال في هذا المجال أمثال منها :

• (اليهودي إذا خْرج من عيدو، يا ويل من يْطيحْ ف ايدو)، كناية عن ضرورة الاحتياط عند معاملة التجار اليهود المعروفين بالغش والخداع.

• (إذا تْعَطّلتْ اليهودية بالنفاس، طرْنَنْ لاها الريال يطَلّل من بطْناه الراس)، للدلالة على طمع اليهود .

• (الثقال والعَقْبة والحَمّار يهودي)، كناية عن تجمع أسباب العنت والشقاء بالنسبة للدابة التي تحمل الأثقال.

• (جْنان اليهودي ، كُلْ منّو وانْعَل مُولاه)، كناية عن استغلال القوي للضعيف، مع عدم الاعتراف بفضله.

• (نقضي حاجْتي بيدي ولا نْقول للعَبد سِيدي)، ويقال على لسان من يعتز بنفسه دون أن يتملق لمن هو أدنى منه درجة .

• (المُوت بالرّدم، ولا الذلّة د الخْدم)، كناية عن استعداد النفوس الأبية لتحمل المشاق أمام تحمل الإهانة من طرف العبيد المملوكين .

• (ولدْ الأمَة ما يفلح، واذا فلح يا عَجبًا)، كناية عن أن أبناء الإماء لا ينتظر لهم نجاح أو تفوق، لسوء تربية أمهاتهم لهم.

• (اللّي خالط الخْدم لا بُدّ ينْدم ، لا سِيفا مْليحا لا قلْب مسلّم)، تحذيرا من مخالطة العبيد لقبح منظرهم وسوء أخلاقهم.

وإن كان هناك وجه آخر لوضعية هذه الفئات الشقية داخل المجتمع، حيث إن هناك من ينظر إليها بمنظار آخر، فيقول مثلا :

• (كُول ماكْلة اليْهود، وانْعَس فَفْراش النّصارى)، كناية عن عناية اليهود بمأكولاتهم وعدم اشتمالها على المحرمات، مع ما عرف عن النصارى من العناية بالنظافة .

• (الدار المْبارْكة هي دْ فيها مْبارك ومْباركة) ، بمعنى أن وجود الرقيق بالبيت يزيده بركة ويمنا.

أو من يرأف من حال العبيد فيقول بصيغة الاستنكار:

• (إذا عْيِيت آ سالْم انقُلْ الحْجَر) ، في شأن استنكار أمر من يلزم العبد بما يتعبه مدعيا أو متظاهرا بأنه يرفق من حاله.

وكذلك من يقول :

• (انْتينْ حُرّ آ سالم) ، مستنكرا أمر من يلجأ إلى التبرع بشيء لم تعد له عليه سلطة، علما بأن المثل صدر عن سيد رأى عبده على وشك الغرق ، فتبرع عليه بالعتق.

أما فيما يخص الأمثال التي قد تتضمن تصويرا لبعض الأحداث والوقائع التي تختص بالمجتمع التطواني القديم، أو تتعلق بمعلومات عن بعض الشخصيات المعروفة في هذه المدينة، بالإضافة إلى كونها تمكننا من إدراك التطور الحاصل في هذا المجتمع بالذات، وذلك حسب تغير الظروف والمعطيات وأحوال العصر والزمان. فإننا نورد نماذج لهذا النوع من الأمثال، ومنها :

• (شُوفْ واسْكُت، مكتوبة فْ بابْ التوت) ، فباب التوت هو أحد الأبواب القديمة بمدينة تطوان، وكانت العادة بتطوان قديما أن تعلق فوق هذا الباب رؤوس الثوار أو العصاة الذين يقتلون جزاءً على ما فعلوه، فتفصل رؤوسهم عن

أجسادهم وتعلق على هذا الباب. وهذا المثل يسجل هذه الظاهرة التاريخية الفريدة بتطوان، وهو يقال على سبيل التنبيه، للحض على التزام الصمت في المواطن التي يخشى فيها الضرر على المتكلم.

• (فْ سْبيل الله على الحَرْكا د تْقيماه كِيرانا)، أي في سبيل الله على الغزوة التي تقيمها وتجهزها كيرانة . وهو مثل يسجل حادثة تاريخية أيضا وهي أن أحد ملوك المغرب – ولعله المولى الحسن الأول – أراد أن يقوم بغزوة تأديبية لبعض القبائل المتمردة العاصية، فأمر عمال مملكته وحكامها بأن يجمعوا من الشعب ما يكفي من المال لتجهيز تلك الغزوة. وكان أن طرق أحد مقدمي الحومات باب دار كيرانة، وهي امرأة عجوز أيم ، من عائلة ابن كيران، وطلب منها أن تدفع له مساهمة لإقامة الحركة (الغزوة) التي سيقوم بها سيدنا، فقالت هذا المثل على سبيل الاستغراب، أو التنكيت والاستهزاء، أي إن من يريد أن يقوم بعمل كبير كهذا، لا يجمل به أن يعتمد على مثلها من الفقيرات . ويقال هذا المثل عندما يراد القيام بالأعمال الكبيرة والمشاريع المهمة، دون الاستعداد لها بما يلزم لمثلها من المال والعتاد، وكذا عندما ينتظر من الضعيف الفقير أن يشارك في العمل الجليل الكبير.

• (الله يرْحَم عَمّي فِدْريكُو، خَلّى كُلّ شِي فْ طْريقو) وفدريكو من الأسماء الإسبانية، وكانت بتطوان عائلة أندلسية مسلمة تسمى بهذا الإسم، ويظهر أن أحد شيوخها كان متفلسفا حسن التنظيم للأشياء والترتيب لها، مما أحرز به على سمعة وشهرة جعلت الناس يترحمون عليه لذلك . ويقال هذا المثل عندما توضع الأمور في محلاتها المناسبة لها، أو للتنبيه إلى ضرورة وضع الأشياء في محلها المناسب . وإنما نورد هذا المثل للاستدلال على أنه بواسطته تم الحفاظ على اسم هذه العائلة الأندلسية التي انقرضت ولم يعد لها وجود بتطوان. ومن ذلك قولهم أيضا (بحال العريش د منْضُوصة)، في تشبيه شعر الفتاة المهملة بعريش مهمل لأحد أفراد هذه العائلة الأندلسية المنقرضة بدورها .

وبالإضافة إلى كل ذلك، فإن أمثال تطوان – كباقي الأمثال العامّية المعروفة في مختلف البلاد – فيها ما فيها من الحكم والمواعظ والأخلاقيات والتجارب

والنصائح والتوجيهات والأقوال الصادرة عن مختلف الطبقات والمستويات، مما جعلها باقة من الورود المختلطة، فيها الزكي الطيب النضر، وفيها الوضيع الساقط القذر، والناس معادن كما يقال، وكلامهم مرآة لحياتهم، وكل بما لديهم فرحون ؛ ولقد قصد الأستاذ داود إدراج هذه الأمثال بما فيها وما عليها، حفظا للواقع وتبليغا للأمانة .

ثم إن الأمثال العامية بوصفها كلاما يضم من المعاني ما هو ناتج عن الممارسة اليومية لظروف الحياة بما فيها من متعة ومعاناة ومن مواجهات وتقلبات، وذلك بواسطة قوالب خاصة من التعبير اللغوي، فإنها تكون بذلك وسيلة يتوصل المرء من خلالها إلى معرفة مدى التقارب الموجود بين طرق التفكير والتعبير بين المجتمعات المكونة للأمة الواحدة، وكذا الخصائص المتعلقة باللهجات الخاصة بمختلف أنحاء الوطن الواحد، ومن هنا كانت العناية بمقارنة الأمثال مع نظائرها مفيدة وهادفة لبيان هذا التقارب، وكذا إدراك التشابه الملحوظ بين الأوساط الاجتماعية في مختلف أنحاء بلاد العروبة التي تجمع بينها عناصر عدة، منها الجنس والدين واللغة والتاريخ والثقافة والحضارة، وكمثال على ذلك نورد أحد الأمثال التي تردد في كثير من البلاد بصيغ متقاربة :

ففي تطوان يقال عن الدنيا : إذا جات تقوداه بشعرة واذا مشات تقطع السناسل .

وفي طنجة : إذا جات قودها بسبيبة، وإذا هودت كتقطع السناسل .

وفي فاس : إلا جات كاتجيبها سبيبة ، والا مشات مقطعة السناسل .

وفي اشبيلية : إذا أقبلت تقدها بشعر، وإذا أدبرت قطعت السلاسل .

وفي الجزائر: إذا جات تجيبها شعرة، وإذا صدت تقطع السناسل.

وفي تونس : إذا جات تجيبها سبيبة، وإذا مشات تقطع السلاسل.

وفي مصر: إن جات تسحب على شعرة، وإن ولت تقطع السلاسل.

وفي السـودان : الدنيـا إن جـات بحـبل العنكبـوت تنقـاد، وإن ولت تقطع سلاسل الحداد .

وفي بغداد : إذا أقبلت تنقاد بشعرة، وإن أدبرت تقطع السلاسل. ... الخ.

وهذا مثل آخر يتردد في الكثير من البلاد العربية بصيغ متقاربة أيضا، وهو ممّا يقال عندما يقوم الشخص بعمل قد فات أوانه ، حيث يقال في تطوان (حتى شاب عاد علقو لو الحجاب) ، أما في غير تطوان فيقال :

في فاس : حتى شاب عاد علق الحجاب.

وفي الرباط وسلا : حتى شاب عاد علقو لو الحجاب.

وفي مراكش : حتى شاب عاد دارو ليه حجاب.

وفي تونس : بعد ما شاب طلعوه للكتاب .

وفي الجزائر: بعد ما شاب اعطوه الكتاب .

وفي مصر: بعد ما شاب ودوه الكتاب .

وفي بغداد : عكب الشاب ودوه للكتاب .

وفي الموصل : بعد ما شاب ودونوا عالكتاب .

وفي نجد : عقب ما شاب روحوه للكتاب.

وفي الكويت : يوم شاب ودوه الكتاب.

وفي الشام : بعد ما شاب ودوه للكتاب.

وفي لبنان : بعد ما كبر وشاب حطوه بالكتاب . ... الخ.

فإذا ما لاحظنا التقارب الموجود بين هذه الأمثال، أسلوبا ومعنى، فإننا سنعلم دون شك قيمة إدراج هذه الأمثال وقيمة المقارنة بين ما يقال منها في هذه البلاد أو تلك، وكذا الغاية المتوخاة من كل ذلك .

وأخيراً نقول إن الأستاذ داود كان مربّياً قبل كل شيء، ولهذا فقد كانت مسألة توجيه الشباب وإسداء النصائح لهم من أولويات غاياته في هذا الكتاب، فلم يفته وهو يشرح أمثال تطوان، أن يذيل كثيراً من الشروح بآرائه واستنتاجاته التربوية، وذلك قصد ترويج الأمثال الداعية إلى الصلاح وتحبيذ ما يدل منها على الفضيلة ، مع تزييف واستهجان ما يدعو منها إلى الرذيلة، لأن ذلك يعتبر في نظره من أهم الوسائل الناجعة لإصلاح المجتمع وتهذيب أفراده.

بعض خصائص كتاب «الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية» :

من خصائص هذا الكتاب أنه لا يقتصر على مجرد ما يقال بين العامة من الأمثال، وإنما هو جامع لمختلف الحكم والمواعظ والتعابير والصور الكلامية الجارية على ألسن العوام بمدينة تطوان، وكذا الدعوات التي تنفجر من أعماق قلوب الأفراد الداعين بها في مختلف أحوالهم.

ولعل اعتبار الصور الكلامية المذكورة ملحقة بالأمثال أمر في محله ، لأنها في الحقيقة جمل وتعابير تقال في مناسبات خاصة وتعكس ما يحس به الناس من المشاعر وتترجم ما يعيشونه من الأحداث والوقائع. ومن الغريب أننا نجد جل مدوني الأمثال في مختلف أنحاء العالم العربي قد اعتنوا بتدوين الكثير من هذه التعابير أيضا، وإن كانت بعيدة عن الصيغة الحقيقية التي يعرف بها بالمثل [53].

أما الدعوات، فلقد خصص لها بين أمثال تطوان مجال فسيح، وذلك لأن المقصود بها هو ما يتوجه به المرء إلى الله من مطالب راجيا منه فيها جلب الخير والمنفعة له أو لغيره في حالة الرضى والمحبة، أو جر الشر والسوء على من يستحقه في حالة الغضب والكراهية والاستياء، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ داود [54] : (وعندما نتصفح الدعوات وندرس مدلولاتها على اختلاف أنواعها وأصنافها، نجد الكثير منها يدل على نفسية الداعين بها، ويعبر عما يشعرون به في أعماقهم من خير أو شر، ونجد فيها الميدان الفسيح للإفصاح عن مختلف الآمال والآلام والترغيب والترهيب، ونجد فيها ما جرى مجرى الأمثال السائرة، أي إنه يقال في مناسبات خاصة لا يتعداها ولا يستعمل فيما عداها من المواقف

والحالات، فللأفراح دعواتها وللأتراح دعواتها، وللكبار مع الصغار دعواتهم، وللأحباب دعواتهم، وللأعداء والخصوم دعواتهم، ولكل حالة من الحالات التي يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية دعوات خاصة لا تستعمل في غيرها، فلذلك نجد الدعوات تنطلق من أفواه جميع الطبقات، إذ لكل طبقة رغبات ورهبات، والكل يطلب من الله ويرجوه في جميع الحالات).

ومن خصائص هذا الكتاب أيضا أن مؤلفه قد قصد تسميته بالأمثال العامية في تطوان، ولم يسمه بالأمثال المغربية، لأنه صرح بعدم إحاطته بكل أو حتى بجل ما يقال في جميع أنحاء المغرب، علما بأن المغرب قطر متعدد المناطق والجهات، متنوع السمات والخصائص المتعلقة بكل جهة أو منطقة، وأنه إنما تطرق لما هو في مستطاعه، من باب التزامه بالقول الحكيم (ما لا يدرك كله لا يترك جله).

ومن جهة أخرى، فإنه لم يفضل تسميته بالأمثال التطوانية – كما فعل الشيخ جلال الحنفي مثلا بتسميته لكتابه (الأمثال البغدادية) في موضوع أمثال مدينة بغداد – وذلك أولا لأن هذا الكتاب ليس جامعا لكل الأمثال التطوانية، إذ أن المؤلف قد سجل ما تمكن من تسجيله منها، دون أن يحيط بمجموعها، وثانيا لأن كثيرا من الأمثال المذكورة فيه والتي تقال في تطوان، معروف ومستعمل وسائر على الألسن في غير تطوان من مختلف بلاد المغرب، بل في كثير من بلاد العروبة شرقا وغربا، إن بلفظه أو بما يقارب ذلك، مما جعله لا يجزم بنسبة هذه الأمثال إلى مدينة تطوان، بل قال إنها مما يردد في تطوان، وقد يكون مورده أصلا منها، كما قد يكون مما ورد عليها من غيرها بفضل التواصل الاجتماعي والثقافي الذي لا يتقيد بأي حد أو حاجز مادي.

وأخيراً أشير إلى أن من خصائص هذا الكتاب أيضا أنه ألف من طرف أحد الشخصيات البارزة من أعلام الفكر والثقافة في القطر المغربي، مما جعل في استطراداته وتعاليقه كثيرا من الفوائد التاريخية والاجتماعية والأدبية واللغوية وغيرها مما يفيد مختلف الباحثين.

كتاب حول المجتمع المغربي من خلال أمثاله وتعابيره ودعواته :

ولقد أدى الحال بالأستاذ محمد داود - بعد جمع هذا العدد الهائل من أمثال وتعابير ودعوات تطوان وتدوينها وشرحها ومقارنتها- إلى أن يفكر في إجراء بحث آخر يتطرق فيه لدراسة المجتمع المغربي، فأعد برنامجا أوليا لكتاب سماه "المجتمع المغربي من خلال أمثاله وتعابيره ودعواته"، وهيأ عناوين فصوله التي بلغت مائة فصل، ثم صار يدون تحت كل عنوان من هاته العناوين ما يناسبه أو ما يقال فيه من الأمثال أو الدعوات أو التعابير. فكان هذا التصنيف بمثابة تمهيد لتصوير المجتمع المغربي وإبراز خصائصه ومختلف سماته العامة، مما يسمح بإجراء الدراسات الاجتماعية العميقة لمن يهتم بذلك.

يقول الأستاذ داود في مقدمة الكتاب المذكور: (هذا الجانب[55] هو الذي سأحاول البحث فيه ودراسته دراسة أولية، مؤملا أن يكون ذلك مقدمة لعدة دراسات عميقة، وفاتحة لأبحاث جديدة مفيدة، يقوم بها من لديهم من المواد والاستعداد والوقت ما يسمح لهم بحسن الاستفادة وجودة الإنتاج في هذا الموضوع الطريف، الذي ما زال في حاجة أكيدة إلى المزيد من الدرس النزيه والبحث الدقيق والاستنتاج السليم).

ولقد اعتمد في كتابه هذا على نفس المادة التي أوردها في كتاب "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية" كما ذكرت، إلا أنه قد ركز على تصنيف هذه المادة حسب الموضوع، لتسهيل عملية الاستنتاج وإجراء الدراسات التي يمكن من خلالها أن ترسم للمجتمع المغربي صورة عامة، والتي تساعد على إدراك السمات والملامح المميزة لهذا المجتمع، الذي - وإن تباينت لهجاته أو تباعدت أنحاؤه أو تعددت عناصره - فإنه يتوحد وينصهر في بوتقة تقرب كل عناصره وتدمجها في قالب محدد تلغى فيه جميع الحيثيات لكي ينطبع بالطابع المغربي الأصيل ويعرف باسم المجتمع المغربي الواحد الموحد.

ذاك هو الكتاب الذي حاول الأستاذ داود أن ينتقل فيه إلى المرحلة الثانية من المراحل التي تخولها دراسة الأمثال العامية، وهي مرحلة الدراسة الاجتماعية

والغوص في أعماق الفكر والمشاعر لدى قائلي تلك الأمثال والممارسين لتلك الأقوال.

إلا أنني لا أخفي على حضراتكم أن هذا الكتاب ما زال في حاجة إلى العمل الجاد والطويل، حتى يمكن إخراجه في الحلة التي أرادها مؤلفه رحمه الله. فالله أسأل أن يمدنا بعونه لبلوغ المراد في استكمال الناقص منه ، إنه تعالى سميع مجيب.

الهوامش

1) إصدارات المجموعة الحضرية بتطوان - مطبعة الهداية (تطوان) سنة 1999.

2) ويبلغ عدد هذه الأمثال والتعابير والحكم والدعوات 4455، وهو العدد الذي تضمنته الطبعة الأولى من هذا الكتاب، إلا أنني قد جمعت العديد من الأمثال التي لم تدرج في هذه الطبعة، على أن أدرجها في الطبعة القادمة بحول الله.

3) ويشتمل على أكثر من 1400 صفحة .

4) هذا الكتاب ما زال مخطوطا، وقد حرر الوالد رحمه الله بعض فصوله دون البعض الآخر، ولقد اشتغلت في معظم فصوله محاولة استكمال ما به من نقص، والله الموفق.

5) يشتمل كتاب "التكملة" على أكثر من 100 فصل موزعة على ثلاثة أقسام، القسم الأول منها خصصه للكلام عن خطط المدينة، والثاني للحديث عن سكانها وأعمالهم، والثالث لوصف الحياة الاجتماعية بها. ولقد كان فصل الأمثال من جملة الفصول التي عالجها في القسم الثالث من أقسام كتابه المذكور.

6) ألف مثل ومثل من أمثال تطوان (محمد داود) - مجلة البحث العلمي الصادرة بالرباط، العدد الثاني من السنة الأولى، بتاريخ ذي الحجة - ربيع الأول 1384 هـ = ماي - غشت 1964 م. كما أصدر هذا البحث في فصلة مستقلة عن المجلة بنفس التاريخ.

7) نشر هذا الكتاب بالعربية والفرنسية، تحت عنوان فرنسي هو :

"Proverbes Inédits des vieilles femmes marocaines" Recueillis par Si Ahmed Sbihi (Nadir des Habous Koubra de Meknès) - Traduits et commentés par A. Benchehida (Interprète Civil près le Tribunal du Pacha de Meknès).

ويضم هذا الكتاب 300 مثل، إلا أنه لا يحمل أية معلومات تحدد مكان أو زمان طبعه، سوى ما ورد من تأريخ للرسالة التي وردت في مقدمته من المقيم العام الفرنسي بالمغرب السيد لوسيان سان، والتي كتبها على ما يبدو جوابا عن رسالة الإهداء التي وجهها إليه مؤلف الكتاب، وقد أرخ المقيم العام رسالته المذكورة بتاريخ : 7 غشت 1930.

8) نشر هذا البحث القيم للأستاذ محمد الفاسي في مجلة "تطوان" الصادرة بمدينة تطوان، العدد السادس في سنة 1961.

9) مجلة (البينة) الصادرة بالرباط، العدد 6 بتاريخ جمادى الأولى 1382 هـ = أكتوبر 1962م.

10) مجلة (البحث العلمي) الصادرة بالرباط، العدد 6 بتاريخ شعبان 1385 هـ = دجنبر 1965م، والعدد 7 من نفس المجلة بتاريخ محرم 1386 هـ = أبريل 1966 م.

11) ولقد اطلع الأستاذ داود على هذا الكتاب واعتمده في مقارناته ونقل عنه، وذكر أن عدد صفحاته يفوق 400 صفحة، وأنه يضم 2013 من الأمثال وما يلحق بها. وعنوانه:

Wit and wisdom in Morocco, a study of native proverbs - By Edward Westermarck London - 1930.

12) مجلة " Hespéris" عدد الأشهر الثلاثة الأولى من سنة 1928.

L. Brunot - (Proverbes et dictons arabes de Rabat) - Hespéris T. VIII - 1928.

13) في دراسته التقديمية لتحقيق كتاب "أمثال العوام في الأندلس" لأبي يحيى الزجالي القرطبي.

14) "فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان" ص 207 – طبعة 1 – المطبعة الجديدة – فاس – 1347.

15) حسب ما ورد في كتاب "إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين" ص 257 – دار المعارف بمصر – 2962 .

16) عنوان هذا الكتاب بالإسبانية:

Paremiologia Marroqui - (Florilegio del Refranero Vulgar). Por: Ginés Peregrin - Peregrin. - Imprenta Cremades - 1947 (Tetuan).

17) وهما محفوظتان في أرشيف الخزانة الداودية بخط صاحبيهما.

18) الحرف الذي يزيده العوام في تطوان قبل أحرف المضارعة غالبا ما يكون هو حرف الكاف، فيقولون في فعل (أكتب) : كنكتب، كما قد يزيدون في غير تطوان أحرفا أخرى كالتاء (تنكتب) أو اللام (لنكتب) أو الدال (دنكتب).

19) كقولهم (فاش) أو (فاياش) بمعنى: في أي شيء ؟ - وكذلك قولهم (فوياخ) أو (فيواخ) بمعنى : في أي وقت ؟.

20) ومن ذلك استعمال الواو للمثنى والجمع تذكيرا وتأنيثا. فيقال في كتبتما وكتبتم وكتبتن : كتبتُو. أما ضمير (ها) للغائبة فتقدم فيه الألف على الهاء، حيث يقال في (رأسها ووجهها وكتبتها وغسلتها) : راساه ووجهاه وكتبتاه وغسلتاه .

21) حيث لا تستعمل طريقة التثنية في العامية إلا نادرا، فلا يقال مثلا (كتابان)، بل يقال (جوج دالكتب)، أما الجمع فيكون غالبا بزيادة الياء والنون سواء في الجمع المذكر أو المؤنث، حيث يقال: الرجال خارجين والنسا خدامين والعيال جالسين. وكثيرا ما تستعمل جموع التكسير الكثيرة الأوزان.

22) فيما يخص النطق ببعض الحروف، المقصود ما ينطق به من الحروف المعقودة كحرف الجيم أحيانا (الجنازة والجوز مثلا) وكذلك حرف القاف (القمرة والقافلة مثلا). وكذلك الحروف الأعجمية مثل حرف CH وحرف P اللذين لا وجود لهما في اللغة العربية. أما الحروف التي تلغى فحرف الثاء مثلا الذي ينطق به تاء، والذال الذي ينطق به دالا، وكذا حرف الظاء الذي ينطق به ضادا.

23) انظر الهامش رقم 8.

24) انظر الهامش رقم 9 و 10.

25) انظر الهامش رقم 7.

26) انظر الهامش رقم 12.

27) انظر الهامش رقم 11.

28) ولقد اعتمد الأستاذ داود على نسختين من هذا الكتاب، إحداهما هي النسخة المطبوعة طبعة حجرية بفاس (دون تاريخ)، والثانية هي النسخة التي وردت في كتاب "إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين" (طبع مصر - 1962) ، ضمن البحث القيم الذي كتبه الأستاذ عبد العزيز الأهواني بعنوان (أمثال العامة في الأندلس)، وقد ضمنه الحديقة الخامسة من حدائق ابن عاصم، وهي في أمثال العامة.

29) أمثال جمعها وترجمها إلى الفرنسية محمد ابن شنب تحت عنوان:

Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb - Par Mohammed Ben Cheneb - Paris - 1905.

30) تونس - 1967.

31) تونس (دون تاريخ).

32) الطبعة الأولى – سنة 1962. ولقد توصل الأستاذ داود في أواخر حياته بكتاب "التعابير الشعبية الليبية – دلالات نفسية واجتماعية" بقلم صديقه الأستاذ علي مصطفى المصراتي (الطبعة 1 – طرابلس – 1982)، إلا أنه لم يتمكن من الاستفادة منه بسبب مرضه رحمه الله.

33) الطبعة 2 – مصر – 1956.

34) الطبعة 1 – القاهرة – 1953.

35) السفر الأول – الطبعة 1 – القاهرة – 1939.

36) سجل الأستاذ داود أنه طبع بمصر – 1894، وفي معجم سركيس أنه طبع أيضا سنة 1903.

37) دير الزور (سوريا) – 1969.

38) عربي – إنجليزي) – في جزأين – طبع بيروت – 1953.

39) نشر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون – طبع القاهرة.

40) في جزأين – بغداد 1962 و1964.

41) في أربعة أجزاء طبع آخرها سنة 1969 ببغداد.

42) في جزأين.

43) في جزأين – بيروت (دون تاريخ).

44) مصر – 1959.

45) في ثلاثة أجزاء – الطبعة 1 – بيروت 1383 هـ.

46) القسم الأول – الطبعة 1 – مصر – 1959. وقد صرح الأستاذ داود في كتابه "الأمثال العامية في تطوان ..." أنه لم يطلع عليه، إلا أنه يبدو أنه اطلع عليه متأخرا، بدليل وجوده من بين كتبه المحفوظة في خزانته.

47) في جزأين – الطبعة 1 – مصر 1968.

48) القاهرة – 1968.

49) هنا بتر يتعذر معه معرفة الكلمة أو الكلمات الضائعة.

50) من جملة هذه الأبواب : باب في السلاطين، باب في الإسلام والإيمان، باب في العلم والمعرفة، باب في العقل والفهم، باب في الدعاء والاستعاذة، باب في الأخلاق الحسنة، باب في المحبة والمؤاخاة، باب في الدنيا، باب في الصحة والأمن، باب في المال والغنى، باب في الكسب والتجارة، باب في الصبر وعدمه، باب في الشيب والضعف، باب

في النساء وحسنهن، باب في الظلم والظلمة، باب في الغضب والكظم، باب في السفر، باب في الجهل والحمق ...

51) العقد الفريد (كتاب الجوهرة في الأمثال) – ص 59 – الجزء 2 – مصر (1935).

52) سورة البقرة – الآية 217 .

53) يقول الأستاذ عبد العزيز الأهواني: (فكثير جدا من الأمثال لا يشتمل على سلوك أو توجيه أو حكمة –وهي مع ذلك في اصطلاح مؤلفينا القدماء من الأمثال– وإنما يضطلع بوظيفة أدبية أو بلاغية تقصد إلى عرض صور فنية تمتع الحس وترضي النفس، بما تشتمل عليه من تشبيه دقيق، أو مفارقة مضحكة، أو فن من القول طريف. ومن هنا تقوم هذه الأمثال بما تقوم به بعض الفنون من التقاط صور طريفة من الحياة لا تهدف من ورائها إلى غير الإمتاع الفني) – "إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين" – ص 251 – القاهرة – 1962.

54) في مقدمة مخطوط كتابه " المجتمع المغربي من خلال أمثاله وتعابيره ودعواته".

55) أي ما ينبعث من صميم الوسط الشعبي من الأمثال العامية التي ينطق بها الكبار والصغار والرجال والنساء، ومن التعابير الكلامية الجارية على الألسنة في مختلف الطبقات، ومن الدعوات الصالحة والطالحة التي تنفجر من أعماق القلوب في حالتي الرضى والاستحسان، أو الغضب والاستهجان.

الأمثال الحسّانية
من أهمّ روافد الثقافة بالصحراء المغربية

الطالب بويا العتيگ

لا أريد في هذه المداخلة أن أؤرخ للأمثال الشعبية الحسانية ولا أن أحاول تحديد نشأتها ومنشئها الأول لما لها من صلة بنشأة المثل عموما والمثل العربي تحديدا، خصوصا إذا علمنا أن اللهجة الحسانية التي تؤلف صرح هذه الأمثال أصلها عربي ظاهر. وما أود الإشارة إليه هنا فقط أن الموروث الشعبي الحساني بشقية المنظوم والمنثور ظل شفهيا تحفظه الذاكرة وتلوكه الألسن [1] ردحا من الزمن مما ساهم في اضمحلال كثيره تسبب في إشابة العديد منه بالنحل والخلط. ولا تخرج الأمثال الحسانية عن هذا السياق. ومما لاشك فيه أيضا أن الأمثال الحسانية كانت أسبق ظهورا من الشعر الحساني لما لها من ارتباط بالإنسان "البظاني" سواء أكان عالما أم جاهلا لأنه استقاها من محيطه البيئي فظلت الأمثال تعكس حياته بجميع تجلياتها وألوانها وصيغها وفلسفتها في الحياة [2]. ولم يرد المثل اعتباطا في القول وإنما لذلك مناسبات تقتضيه وظروف تستدعيه، ففي المجالس و الحلقات وأحاديث السمر يأخذ الناس أطراف الحديث... وغالبا ما يلجأون إلى تحسين الحديث بالآيات والأحاديث ونوادر الشعر استثارة لاعجاب السامع وإظهارا لثقافة المتكلم [3]. وظل المثل نابعا من واقعهم ببعديه المادي والروحي مما سبب في توجيهه إلى المناحي الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية الصرفة. كما ظلت الأمثال الحسانية أدبا رفيعا ونموذجا فريدا يعكس نمط الحياة البدوية بمختلف مكوناتها. وربما كان لها الفضل الأقوى في إلباس المجتمع "البيظاني" حصانة قوية مكنته من اجتياز أقوى العواصف

وأحلك الظروف بسلام كظروف الاستعمار وغيره من تحولات بيئته ومعيشته وذلك راجع أساسا لظروف البيئة الصحراوية التي تفرض نوعا من الأنس والتعاون الضروري لضمان الاستمرار. وهنا تجدر الإشارة إلى أن المثل الحساني في نظري كان له أكبر الفضل في إرساء دعائم هذا التماسك لأنه يجري على الألسن بطريقة فطرية ويؤسس تركيبة الجملة بشكل لا يكاد يفصل بينه وبين الكلام العادي، وأظنها ميزة انفرد بها الإنسان الحساني الذي يستعمل الأمثال في سياق الحديث باستمرار بحيث لا يستطيع أغلب السامعين فصله عن بقية الجملة إلا إذا كان له سابق علم به.

وإذا رجعنا إلى تعريف المثل لدى الزعيم المعتزل إبراهيم النظام والذي جمع فيه بين اللغة والبلاغة بل يركز فيه أكثر على البعد البلاغي وخاصة في جانبه التأثيري حيث يقول : تجتمع في المثال أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة [4]، فإننا نكتشف ما للإنسان الحساني من دقة في التعبير وإيجاز في اللفظ وبالتالي نستشف ما تنطوي عليه روحه من خفة وذكاء فطري لافت. حتى ليمكننا القول عنه إنه حكيم أيضا بسبب التداخل الدقيق بين الحكمة والمثل رغم ما جاء به أبو الحسن اليوسي رحمه الله من عناصر للفصل بينهما [5]. وكما يشير إليه المؤرخ المختار ولد حامد في قوله بأنه كادت كل كلمة في الحسانية يكون تحتها مثل . وكيف لا والمثل كما يقول " دستور العامة ومدرسة الجاهلين"[6].

إن الأمثال الحسانية تعكس حياة مجتمع البيظان بمختلف تجلياتها، فهي مرآته العاكسة لثقافته ومعتقداته وأنماط علاقاته الاجتماعية و ما ينطوي عليه من صراعات وأحاسيس تتجلى فيها الثقافة العربية العريقة بما تحتويه من معارف وعلوم عربية أصيلة، دون أن نغفل التأثير العربي الذي ظل يطبع الثقافة الشعبية من خلال احتفاظ العامة بالمثل الفصيح واستحضاره في وقته فطرة وسجية لدى المثقف ومن دونه مستوى على السواء بصيغة حسانية طبيعية، وهو ما يعكس ثقافتهم الواسعة وإلمامهم بأهم السير العربية القديمة. وأود أن أقف عند بعض الأمثال الحسانية الفصيحة في هذا المضمار كقولهم : أَكْرَمْ مِنْ حَاتِمْ أو أَطْلَبْ

مِنْ أَشْعَبْ أَوْ أَكْرَ مِنْ سَحْنُونْ أو أحْمَى مِنْ كُلَيْب، كناية عن المبالغة في شدة الحر، أو أَخْلَى مِنْ خَيْبَرْ أو أَصَبْ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبْ.... فإذا رجعنا إلى هذه الأمثال فهي عربية حسانية مادامت هذه من تلك ولكن الأهم هو إلمام الإنسان الحساني ببعض كوامن الثقافة العريقة، فهو على علم بكرم حاتم بن عبد الله الطائي وعلى معرفة بنوادر أشعب الطماع طفيلي الحجاز في العصر الإسلامي، وعلى علم بكليب وائل الذي اشتعلت بموته حرب البسوس، وله معرفة بجوانب من السيرة النبوية كما جاء في تعبيرهم عن الغاية بالاقفار "أَخْلَى مِنْ خَيْبَرْ" يريدون القلعة اليهودية التي فتحها النبي ﷺ. وشرّد أهلها... فضلا عن معرفتهم بالنحو كما في المثل أَنْصَبْ مِنْ أَفْعَال أَلْقُلُوبْ التي تنصب مفعولين كما هو معلوم (ظن وأخواتها) وهنا أشير إلى أنهم كنّوا بمعنى النصب الإعرابي عن معنى النصب المقصود لديهم والذي يعني الطبخ وإجادة فن الطهي [(7)].

ومن خلال اقتفاء أثر الأمثال لدى البيظان نجد أنها شكلت أهم معارفهم وأصّلت ثقافتهم لأنها من أهم الوسائل والطرق التربوية التي اعتُمد عليها في توصيل العلم وحمل الأمانة، يقول المثل الحساني : "ألِّي اخْطَأ النَّصْ يَبْگَى يْطَمَّسْ" وهو مثل يعكس الحيرة لمن لا يعرف النص الفقهي الذي يسير عليه كقولهم أيضا: "ألِّ أنْسَى حُكْمُه ما يَجْبَرْ حَدْ إفَكْدُ بِيهْ". ولتأكيد التعلم وتحديد العلاقة التي تربط التلميذ بالأستاذ بعيدا عن الغلو في الحواجز الاجتماعية، يقول المثل الحساني "أَلْعِلْمْ مَا فِيهْ سَحْوَهْ" أي لا داعي للخجل والحشمة في تحصيل العلم.

ومن خلال الأمثال الحسانية يستطيع الفرد أن يرسم العلاقة التي تربطه بغيره من عناصر المجتمع الأخرى سواء أكان صديقا أو زوجة وما يلزم المجتمع للتماسك والاتحاد ونبذ التفرقة والخلاف. فضلا عن أمثال تحث على الأخلاق الفاضلة والتمسك بالدين، وهناك منها ما يحث على العمل ونبذ التواكل، وما لها ارتباط بالأدب الفصيح من شعر ونثر فني رفيع. ففي مجال احترام المرأة من خلال الأمثلة الحسانية نجدها حظيت بأكبر عناية وأعظم تقدير بل جعلت المرأة

عنصرا أولا في تحديد قيمة الرجل وذلك من خلال المثل القائل: " لَعْيَالاَتْ أعْمايِمْ لَجْوَادْ وأُنْعَايِلْ لِكْلاَبْ". ومعناه أنهن لدى الجيد الكريم فوق الرأس ولدى النذل اللئيم تحت الأرجل.

ويقولون أيضا : "الّي أبْلاَ أبْنَاتْ مَايَعرِفْ النَّاسْ أَيْنْتَ مَاتْ" معناه من ليس له بنات لا يعلم الناس وقت موته لأن البنت هي التي ستعتني به وتبحث عن علاجه بشتى الطرق حتى ينتشر خبر مرضه أو شفائه أو موته.

وكما أشرت فهي تدعو إلى الاتحاد والتماسك ونبذ الخلاف من خلال أمثال نذكر منها على سبيل المثال: " إِتْفَاگْ رَحْمَهْ" " أي أن الاتفاق رحمة، ويقولون أيضا " حَمْلْ أجْمَاعَ رِيشْ " ، ومعناه أن العبء إذا كان على الجماعة كلها خف حمله.

كما تحث الأمثال على التشبث بالصداقة والأخوة كقولهم مثلا "لَحْبَابْ أَخْيَرْ مَنْجْوَابْ" وهو تأكيد على الاحتراز في مخاطبة الصديق لعدم إغضابه.

وتؤكد الأمثال على رؤية الشيخ المتبصر من خلال تجاربه على مر السنين وإنها ستظل أسمى وأعمق من تجربة الشاب الحدث مهما بلغ من الفطنة والذكاء... كقولهم «إشَوْفْ الشِّيبَاني التَّاكِي ألْمَا شَافْ أفكْرَاشْ ألْوَاكِفْ» ومعناه يرى الشيخ الهرم المضطجع ما لا يراه الفتى الواقف المتوقد، وتلك دلالة على أن للفئة العمرية خصوصياتها وتجاربها التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. وكثيرة هي الأمثال الحسانية التي تحث على الأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة كإكْرام الضيف وكتمان السر والاستقامة والخلق الرفيع يقول المثل الحساني: "افْشَايِتْ السِّرْ أنْدَامَه" وقولهم :"ألِّ مَلَّحْ مَامَلَّحْ جَارُ كِيفْ ألِّ مَامَلَّحْ"... وهناك أمثال حسانية كثيرة جعلها شعراء موريتانيون عظام مدرسة معروفة في شعرهم تسمى بالاتجاه الشعبي في الشعر الموريتاني الفصيح وعلى رأسها الشاعر الديماني محمد بن أحمديور وكمثال على ذلك قول المثل الشعبي "أخْسَرْ مِنْ لَبْنْ أرْحِيلْ " ويعني أن اللبن يوم الرحيل لا يروب بمعنى لا يمكنه أن يتخثر استعدادا لمخضه نظرا لكثرة

تحركه على ظهر الدابة يوم الرحيل فقال الشاعر محمد بن أحمديور:

تشوقت الأحبة يوم بانــــوا   كما اشتاق الحمام إلى الهديـــل

إذا سلكوا أَجَارِعَ ذي سبيـل   فليس إلى التواصل من سبيـــل

وإن اك بعد بعدهمُ بصـــبر   هممت فقد هممت بمستحيـــــل

كـأن القلب من جزع وشوق   غـداة رحيلهـم (لبن الرحيـــــل)

وفي مثل شعبي آخر يقول " التَّغْطَاس في ابلد االْيَدْمَا" ويكنىً به عمن ألف شيئا واعتاد عليه فزال ولم يثنه زواله عن فعل القرائن التي كانت تدل على وجوده وضمنه الشاعر أخو الشاعر السالف الذكر محنض بن احمديور في قوله :

وقفت على دار الجعيد على ادما   ودمعي على الخدين من شوقـه ادمى

ولما رأيت الدار قفرا محيــــلة   وقفت لها جراء ساكنهـــا قدمـــــا

وليس وقوفي ان أرى أم خـــالد   ولكنـه التِّغْطَاسُ في بَلَدِ أَلْيَدْمَـــا[8]

والتغطاس في بلد اليدما هو جعل اللقمة في مكان الادام حتى ولو نفذ.

وأخيرا يمكن القول إن هذه الذاكرة التي نسميها الأمثال الشعبية الحسانية قد اكْتَنَزَتْ ثقافة كبيرة واسعة متنوعة تعرضت لآفات النسيان والخلط والنحل والإخلال بسبب عدم التدوين والتداول الشفهي مما أفقدنا تراثا جما مثالا في المحافظة على الأخلاق والسير والسجايا النبيلة وحكما وتجارب نحن في أمس الحاجة إليها خصوصا في عصر السرعة والعولمة بشتى مظاهرها. وقد ظلت إشكالية التدوين رهينة التفكير في جدوى التدوين لدى العديد من المهتمين بالتراث الحساني، بالإضافة إلى معوقات كثيرة أولها عدم الوعي بضرورة تدوين هذا التراث، والإسراع بهذا التدوين لإنقاذه من الضياع والاندثار بعدما دب الخراب إلى الذاكرة السجل تحت تأثير مؤشرات عدة، كتغيير البيئة والمعيشة والعادات وطرق التعليم، مما جعل الذاكرة في انصراف سريع. وأظن أن الفرصة

قد فاتتنا بنقل هذا التراث إلى مكتوب خصوصا ما تعلق بالتراث الحساني الذي عاني من ظروف الاستعمار القاسية إلى عهد قريب مما جعله أكثر من غيره حاجة للتدوين والإغاثة. وأظن أنه سيكون متميزا وله نكهته الخاصة نظرا للبيئة التي عاش فيها الإنسان الحساني الذي قضى جل أيامه تحت الخيام حيث يتلقى تعليمه هناك أو وراء ما شيته حاديا حيث امتص من بيئته أهم سجايا الإباء والكرم والشجاعة والسلاقة في التَّعْبِيرِ، وبذلك قد يكون هذا التراث بكرا أصيلا وليد خيال خصب، مما يؤهله لامتلاك خصوصية الشمولية و التنوع ويفك رموز الذات الصحراوية الأصلية. وللإشارة فان عاملا مهما أساسيا خفف من وطأة التأثير في عدم العناية بهذا التراث وخصوصا الجانب المتعلق بالأمثال الحسانية ألا وهو الترابط الوثيق بين الجهات الجنوبية مع القطر الموريتاني الشقيق واشتراكهم في هذا التراث حيث طُبِع عدد من الكتب في ميدان الأمثال والحكايات الشعبية والشعر الحساني مما جعل روح التفاؤل تدب مجددا في محبّي هذا التراث بالمغرب مما حذا بهم إلى جعله موضوع بحث جامعي أو مداخلة في ندوة أو نحو ذلك. لكن المحاولات لازالت قاصرة وتحتاج إلى المزيد من المثابرة والعمل الدؤوب.

وثمة إشكالية أخرى تبرز بشكل كبير كلما تعلق الأمر بكتابة أية ثقافة شعبية شفهية حسانية ويتعلق الأمر بالنسق الإملائي الذي يختلف من كتابة لأخرى نظرا لغياب قواعد لغوية أساسية سواء كانت صوتية أو صرفية أو تركيبية، ويبقى تطبيق القواعد الإملائية العربية هو الملجأ الوحيد ورغما عنه سيظل الإشكال قائما ما لم تؤسس قواعد خاصة لكتابتها، تراعي كل الخصوصيات على المستويات المذكورة آنفا.

الهوامـــش

1) شذرات من الأدب الحساني: الطالب بويا لعتيك.

2) ديوان الشعر ص 5.

3) موسوعة الأمثال االحسانية ص 16 اعزيزي بن المام.

4) الأمثال والحكم الشعبية الموريتانية، النص الثاني، ص : 8.

5) كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبي الحسن اليوسي.

6) حياة موريتانيا ج 2، ص 139 المختار ولد حامد.

7) الأمثال والحكم الشعبية الموريتانية ص 15 و ما بعدها .

8) قيد الأوابد في الأمثلة الحسانية، ص 10 أخت البنين بنت محمد الأمين.

المراجع

- ديوان الشعر الشعبي – المعهد الموريتاني للبحث العلمي.
- الحكايات والأساطير الشعبية الموريتانية – اللجنة الوطنية لجمع ونشر الثقافة الشعبية.
- الأمثال والحكم الشعبية الموريتانية
- موسوعة الأمثال الحسانية عزيز بن المام.
- قيد الأوابد أخت البنين بنت محمد الأمين.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبي الحسن اليوسي.
- حياة موريتانيا المختار ولد حامد.
- شذرات من الأدب الحساني، الطالب بويا لعتيگ.

الأمثال الحسّانية
المصدر والبناء

محمد الظريف

الموضوع الذي أسعد بالمشاركة به في هذه الندوة العلمية التي تنظمها أكاديمية المملكة المغربية بتعاون مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي حول الأمثال العامية في المغرب يروم الإسهام في التعرف على جانب مهم من جوانب هذا التراث المغربي المتنوع، هو المثل الحساني.

وقد دعاني إلى الاهتمام بهذا الجانب بالإضافة إلى موضوع هذه الندوة اعتبارات كثيرة منها:

1. المكانة المتميزة التي يحظى بها هذا النمط التعبيري العامي في المجال التداولي الصحراوي. فالأمثال الحسانية تمتلك سلطة قوية عند أهل الصحراء مثلها في ذلك مثل سائر الأعراف والتقاليد وأنماط التعبير العامية التي توجه حياتهم وتتحكم في شؤونهم، يستعملونها في دعم كلامهم وتعزيز مواقفهم وأفكارهم ويتصرفون بوحيها، ولا يترددون في اتباع قواعدها والامتثال لأوامرها والعمل بتوجيهاتها. لذلك احتلت مكانة خاصة في حياتهم لا تقل عن المكانة التي يحتلها الشعر في نفوسهم إن لم تفقها قوة وتأثيرا. فإذا كان هذا النمط التعبيري المميز للصحراء - وهو الشعر الحساني - ينحصر في أوساط المغنين والمطربين والمهتمين، فإن دائرة الأمثال تكاد تشمل كل فئات المجتمع الصحراوي من نساء ورجال وصغار وكبار وأسياد وعبيد وغيرهم، وذلك لأنها لا تحتاج في تداولها إلى تعلم أو تدبر، ولكنها تكتسب كما يكتسب اللسان الحساني

وتتوارثه الأجيال كما تتوارث سائر أنماطها التعبيرية والحياتية والفكرية مثل العادات والتقاليد والطقوس وغيرها. ولذلك «فإذا كان من شيء يمثل البيئة الصحراوية ولهجتها الحسانية وحياتها البيظانية، فهذا الشيء ليس الشعر بقدرما هو هذه الأمثال المطلوقة في أحاديثهم وأسمارهم انطلاقة الإبل والغنم في كل ناحية من نواحي أرضهم[1].

2. القيم التي تعبر عنها، فهي تمثل خلاصة تجارب أهل الصحراء وعصارة خبراتهم وأفكارهم وتأملاتهم وتتضمن دروساً وقواعد في الحياة لا تقل في فائدتها وأهميتها عما انتهت إليه الثقافة العالمة من نتائج في مجال التربية والتعليم والاقتصاد وتدبير المجتمع واستغلال الخيرات، بل إن بعض ما تتضمنه من نظرات في هذه المجالات أكثر دقة وصفاء مما تتضمنه بعض العلوم والمعارف من قواعد وقوانين، وذلك لصدورها عن التجربة ومشاركة الوعي الجماعي في صياغتها ونحتها، وتأثرها بصفاء الصحراء، لذلك فهي تراث حي ومتجدد يمكن الاستفادة منه في بناء نهضتنا الحديثة واستثماره في مجالات كثيرة، وخاصة في مجال التهذيب والتنشئة الاجتماعية والاندماج الاجتماعي وإعادة ربط الجسور التي حاول المستعمر قطعها بين شمال المغرب وجنوبه، ثم إنها تفيد الدارسين في التعرف على أحوال الصحراء ونوازع أبنائها الفكرية والنفسية وعاداتهم وتقاليدهم وآلامهم وآمالهم بالإضافة إلى ما توفره من متعة لدى من يسمعها ويتذوقها ويفهم أسرارها، وما تقدمه من معطيات دقيقة وحية لمن يهتم بدراسة اللسان الحساني والبلاغة الشعبية البيظانية.

3. سوء حظها في البحوث والدراسات العلمية. فعلى الرغم مما تحتله من موقع متميز في الوعي الشعبي الحساني، وعلى الرغم مما تختزنه من قيم وقواعد في الحياة، فقد ظلت على هامش الدراسات التي أنجزت حول ثقافة الصحراء. فإذا استثنينا المتن القيم الذي ضمنه أحمد بن الأمين الشنگيطي كتابه "الوسيط"، والذي رتب فيه الأمثال الحسانية حسب الترتيب الهجائي المغربي[2] و"موسوعة الأمثال الحسانية" التي جمع فيها السيد عزيزي بن المام أربعة وثلاثمائة وألفي مثل حساني[3]، وما انتقاه المتأخرون من هذين الكتابين من

أمثال محمد يوسف مقلد[4] ومحمد نيمة[5] وغيرهم، وإذا ما استثنينا ما أنجزه بعض الباحثين الإسبان حول الثقافة الحسانية مثل «أشياء من الحسانية أو اللهجة العربية المتحدث بها في الصحراء والأطلس» (Algo Sobré el hassania o dialecto arabe que se habla en elsahara atlantico) الذي أصدرته مندوبية الشؤون الأهلية بطنجة سنة 1940 والذي أدرجت فيه بعض الأمثال الحسانية، و«قصص شعبية من الصحراء (Cuentos populares del Sahara) لفرناندو بينتو سبريان وأنطونيو خيمنيس تريگروس (Fernando Pintu Cebrian & Antonio Jimcnez TRigueros) الذي أوردا فيه بعض المأثورات الحسانية، إذا استثنينا هذه الأعمال لا نجد ما يشفي الغليل في التعرف على هذا الرافد الغني في ثقافتنا الوطنية.

وقد ساهمت في هذا الإهمال الذي عرفه هذا النمط التعبيري عوامل كثيرة: منها شفوية الثقافة الحسانية بصفة خاصة وثقافة الصحراء بصفة عامة، فثقافة هذه الأقاليم تعتمد في تداولها على الحفظ والذاكرة أكثر مما تعتمد على التدوين والكتابة، وذلك لقلة أدوات الكتابة في الصحراء وصعوبة الحصول عليها، وسرعة تعرض الصحف والمدونات للتلف والضياع، واستنكاف العرب من الكتابة بصفة عامة. وهذا موضوع لا يتسع الوقت لاستقصاء القول فيه. ومنها امتهان الثقافة العالمة للثقافة الشعبية واستصغارها لأهلها، وهذا الموضوع أيضا لا يسمح الوقت باستقصاء القول فيه. وقد ولد هذا الموقف لدى بعض الأوساط ردود فعل مضادة جعلتهم بالمقابل يحتقرون الثقافة العالمة ولا يعترفون بها ويعتبرونها ثقافة ماضوية نخبوية لا تمثل الواقع ولا تفيد الحاضر والمستقبل في شيء.

وقد ساهمت الظروف الاستثنائية التي عرفتها الأقاليم الصحراوية خلال الفترة الاستعمارية في تهميش هذا الجانب وتأخر البحث فيه، ولعل حظ هذه الأقاليم من الاستعمار كان أكثر سوءاً من باقي الأقاليم المغربية، لأن المستعمر الإسباني اتجه إلى نهب الخيرات والثروات ولم يهتم بالثقافة وتحديث المجتمع مثل المستعمر الفرنسي والإنجليزي، ولذلك ركزت البحوث والدراسات الاستعمارية الإسبانية على المسالك والقبائل والنباتات والثروات أكثر مما اهتمت بالثقافة، وما أنجز من بحوث ودراسات أساسية حول الثقافة لم يكن لغاية علمية

وإنما لمعرفة أحوال أهل الصحراء ونفسيتهم وطريقة تفكيرهم وأسلوب حياتهم.

انطلاقا من هذه الاعتبارات جاء اختيار هذا الموضوع، وسأقتصر فيه على ثلاث إضاءات : الأولى تاريخية تروم توطين الأمثال الحسانية لسانا ومجالا؛ والثانية تتناول الحقول المرجعية التي تصدر عنها، والثالثة تتناول بناءها الفني.

الإضاءة الأولى :

ترتبط الأمثال الحسانية لغويا باللسان الحساني، وهو لسان عربي لا يختلف في خصائصه كثيرا عن اللسان العامي المتداول في باقي الأقاليم المغربية، وخاصة مناطق انتشار قبائل معقل، وينتشر هذا اللسان داخل مجال جغرافي واسع يشمل بالإضافة إلى أقاليمنا الصحراوية مناطق أخرى تربطها وحدة اللهجة والتقاليد والتاريخ، وهذه الأقاليم بالإضافة إلى أقاليمنا الصحراوية هي:

1. الجمهورية الإسلامية الموريتانية بجميع أقاليمها،

2. المناطق المتاخمة للأقاليم الصحراوية المغربية جنوب غرب الجمهورية الجزائرية حيث مضارب بعض قبيلتي الركيبات وتجكانت.

3. بعض المناطق الواقعة غرب وشمال جمهورية مالي حيث مضارب بعض قبائل كنتة والبرابيش والعناصر العربية الأخرى[6].

ويضم المجال الجغرافي لهذا اللسان أجناساً مختلفة الأصول، صنهاجية وعربية وسودانية، لكن الطابع العربي يغلب عليها، وذلك لأسباب من أبرزها انتشار الإسلام في هذا المجال وتوالي الهجرات العربية عليه. وقد ارتبط هذا اللسان بشريا بقبائل حسان، وهي بطن من بطون قبائل معقل العربية التي نزحت إلى المغرب من أوائل القرن 7هـ/13م إلى مطلع القرن 10هـ/16م. وقد كانت هذه القبائل كما يذكر المؤرخون تجمعا بشريا لا يتجاوز مائتي نفر في القرن 6هـ/12م[7]، ثم تحولوا إلى تجمع كبير صار فيما بعد من أقوى التجمعات البشرية وأكثرها عددا في الجنوب المغربي.

وقد دخلت هذه القبائل المعقلية إلى المغرب ضمن قبائل بني هلال التي نقلها الموحدون من تونس أواسط القرن 6هـ/12م. وكان دخولهم المغرب على مراحل، فقد كانوا في بدايتهم في الحجاز، ثم انتقلوا إلى مصر على يد الخليفة الفاطمي عبد العزيز ابن المعز، ثم نقلوا إلى المغرب في عهد المستنصر للقضاء على المعز بن باديس الزيري، وبعد مد وجزر مع القبائل الصنهاجية وخدمتهم للموحدين والمرينيين اتجه بنو حسان منهم نحو الصحراء الكبرى وذلك في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، فاتخذوها وطنا لهم ومجالا لانتجاعهم[8]، فاستقر أبناء دليم في منطقة وادي الذهب على ساحل المحيط وانتشر اودي وأتباعه في بلاد شنقيط إلى أطراف السودان واتجه حم وقومه إلى قلب الصحراء من إگيدي إلى نهر النيجر[9]. وما كادوا يستقرون في هذا المجال حتى انصهروا فيه وامتزجوا مع باقي مكوناته القبلية وطبعوه بطابع العروبة والإسلام، فصار لفظ «العرب» علما جاريا على الجميع وسمة الحسانية سارية على العرب وغيرهم من فئات المجتمع الصحراوي انطلاقا من قاعدة تسمية الكل باسم الجزء، وإن كان بعض العرب يحتكرون هذه السمة ويسلبونها عن بعض الفئات الاجتماعية التي لا تشترك معهم في سمات العروبة مثل الزوايا واللَّحمة والعبيد. وقد تم التمازج والانصهار بين هذه القبائل العربية الوافدة من المشرق والقبائل الأمازيغية على مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية واللغوية، وذلك ما يظهر جليا من خلال الإضاءة الثانية.

ثانياً: الحقول المرجعية للأمثال الحسانية :

انطلاقا من هذه الأرضية التاريخية التي توضح المسار العام لتحرك قبائل حسان ومراحل انتشارها بالمغرب بصفة عامة وغربي الصحراء الكبرى بصفة خاصة، وانطلاقا مما جمعه أحمد بن الأمين الشنگيطي وعزيزي المام من أمثال حسانية يمكن تقسيم الأمثال العامية في الصحراء المغربية من حيث حقولها المرجعية إلى أربعة أقسام :

1. أمثال نابعة من البيئة الصحراوية.

2. أمثال مشتركة بين الصحراء وباقي الأقاليم المغربية

3. أمثال منحدرة من أصول عربية إسلامية

4. أمثال مطلقة.

وسنحاول التمثيل لكل قسم من هذه الأقسام ببعض النماذج.

1- القسم الأول، ويجسد الصحراء في مختلف مظاهرها وتجلياتها، في بداوتها وقبليتها وقساوة العيش في أجوائها وارتباط أبنائها بالأرض واعتزازهم بالذات والقبيلة، وعشقهم للحرية والكرامة، وتحليهم بالشجاعة والقيم الفاضلة وإكرامهم للضيف وحماية الجار وتلبية الدعوة، وارتباطهم بالمقدسات، وتشبثهم بروح الجماعة ونبذهم للتفرقة، وتوقيرهم للكبير وعطفهم على الصغير، وغيرها من القيم الأصيلة التي توارثتها الأجيال داخل هذا المجال المغربي الممتد ورسخت من خلالها خصوصياتها المحلية وكيانها الذاتي.

ومن النماذج التي تمثل هذا القسم:

1. «أَبِيْظَنْ مَنْ تدنيتْ وَلْ مَانُ»، أي أكثر خبرة ومهارة في الموسيقى وكلام البيظان من آلة عزف وَلَد مانُ التي يضرب المثل بمهارتها الموسيقية وتميز صاحبها. ويتمثل به لمن يجيد الحسانية ويفهم مقاصدها ويورد كلماتها ومواردها[10].

ومن ذلك أيضا:

2. «أَنْهَظ شَوْرْ لَكْوَرْ أُطَاحْ أَعْلَ إِدَيْدْبَ» وتفصيحه: نهض إلى الزنوج فأغار على (إِدَيْدبَ) وهي من القبائل العالمة، المعروفة في الصحراء، ويضرب لمن يعكس اتجاهه ويقصد غير وجهته أو لمن همَّ بأمر ثم انشغل عنه بآخر مختلف عنه[11].

3. ومن ذلك أيضا: «تَنْدغْ أَمَتْعَارْفَ» ومعناه قبيلة تندغة متعارفة، ويضرب لمن يخفي جانبا مما في نفسه عن جماعته وهم على علم به أو يحاول التستر على أمر يعرفونه[12].

4. ومن ذلك أيضا: «أَعْزِيبْ أَبْلاَ أَكْدَحْ»، وتفصيحه انتجاع الجماعة بحثا عن الكلإ والمرعى رغبة في اللبن الكثير وليس معهم إناء. ويضرب لمن لم يتخذ وسيلة أو طريقا للوصول إلى هدفه، أو لمن لم يحتط للأمر، أو في الحث على ضرورة اتخاذ الشروط اللازمة في جميع الأحوال[13].

5. ومن ذلك أيضا: «حَمْلْ أَجْمَاعَ رِيشْ»، وتفصيحه حمل الجماعة خفيف خفة الريش، ومعناه أن الأمور مهما عظمت تهون بالتعاون والتعاضد، ويضرب للحث على التعاون[14].

6. ومن ذلك أيضا: «إحَزَّمْهَ أَعْكَّالْ»، أي يمكن أن تتمنطق بعقال، ويضرب مبالغة في خفة بطن المرأة ورقة محزمها[15]، ومثله «أتْكُومْ أَعْلَ أَكْفَافْهَ»، أي تقوم اعتماداً على أكفافها، ويضرب مبالغة في سمنة المرأة[16].

7. ومن ذلك أيضا: «سَحْوَتْ لَمْبَلّحَ» وتفصيحه: استحياء «لَمْبَلّحَ»، وهي الفتاة التي تتعرض لعملية التسمين، والمعنى أنها تجتهد في ستر وجهها على حساب بقية أعضائها، ويضرب فيمن لا يناسب قصده[17].

فكل العناصر التي تشتمل عليها هذه الأمثال من ألفاظ ومعان وقيم تعبر عن البيئة الصحراوية وتترجم هموم ومشاغل أبنائها. فأسماء الأعلام البشرية والجغرافية، مثل «وَلْد مَانُ» و«إدَيْدْبَ» و«تَنْدْغَ» وغيرها صحراوية معروفة عند أهل الصحراء، والعادات والتقاليد والأعراف والأدوات التي تذكرها، مثل النجعة «التعزاب»، و«تدنيت» و«الكدَحْ» و«العْكّال» و«التبلاح» والتعاون وغيرها قيم وأنماط سلوكية أصيلَة في المجتمع الصحراوي، فضلا عما تتضمنه من نظرات وتصورات تجسد عقلية أهل الصحراء ووضوح وبساطة رؤيتهم للحياة.

وهذا النوع من الأمثال يصعب فهمه ودراسته خارج إطاره المحلي، وهذا لا يقلل من قيمتها بل يمنحها مكانة تراثية متميزة ويضمن لها الخلود والبقاء، لأن كل مثل أو أثر تعبيري فني أو أدبي لا يتميز بدفئه المحلي وتعبيره عن البيئة التي يصدر عنها تعبير لقيط يموت قبل ولادته. وهذا الطابع المحلي لهذا النوع من الأمثال يغني التراث المغربي ويزيده عمقا وثراء.

2- الأمثال المشتركة بين الصحراء وباقي الأقاليم المغربية: وتمثل نسبة لا بأس بها في هذا النمط من التراث المغربي.

ومن نماذجها:

1. «أَلْحَكّْ أَيْدُ فَصَّحْرَ»، أي وجديده في الصحراء. ويضرب كناية عن عدم وجود ما كان يلتمس وجوده[18].

2. ومن ذلك: «أَلِّ إِكَّدْ يَبْنِ مُـرَّاكَشْ يَبْنِيهَ» ويضرب للدلالة على أن من يدعي القدرة على شيء فليفعله[19].

3. ومن ذلك أيضا: «أَلِّ أَعْطَرَاسُ لَلْحَجَام مَا يَكُّولْ أَحْ»[20].

4. «أَلِّ سَبْكَكْ أَبْلَيْلَ أَخبرَ مَنَّكْ بَاحْوِيلَ»[21]

5. «الْمَخْزَنْ إِيدِيْر الرُّوحْ أَفَلَحْبَلْ»[22]

6. «اَلِّ عَظُّ لَحْنَشْ خْلَعْ لُ لَحْبَلْ»[23]

7. «أَلِّ دَارْ رَاصُ فَأَتّبَنْ يوكْلُوهْ لَحْمِيرْ»[24]

8. «سَبَّگ أَلْمِيمْ تَسْلَكْ»[25]

9. «سَالْ أَمْجَرَّبْ لاَ أتْسَالْ أَطْبِيبْ»[26].

فهذه الأمثال تتداول في جنوب المغرب وشماله بنفس الصيغ وتفيد نفس المعاني والدلالات وتؤدي نفس الوظائف، وهذا يؤكد بما ليس فيه مجال للشك وحدة التصورات والتمثلات والقيم بين المغاربة في مختلف بيئاتهم وأقاليمهم.

3- الأمثال المنحدرة من أصول عربية إسلامية، وهي كثيرة أيضا، وترتبط بالأصول الأولى للثقافة الحسانية، وتتصل في معظمها بالوعظ والإرشاد والتوجيه التربوي، ومن نماذجها:

1. «أَكْثَرْ أَمْنَ اصلَ أَعْلَ النَّبِي أَفْدَلِيلْ الْخَيْرَاتْ»، أي أكثر من الصلاة على النبي ﷺ في دلائل الخيرات[27].

2. «أَحْرَمْ مَنْ مَالْ أَلْيَتِيمْ»[28].

3. «أَنْكَرْ مَنْ صَوْتْ لَحْمِيرْ»[29].

4. «أَلْغَيُّورِ أَخْيَرْ مَنْ أَلْحَاسَدْ»[30]، الغيور خير من الحاسد.

5. «أَلِّ أَحْفَرْ حَفْرَ أَلْخُوهْ إِطِيحْ فِيهَ»[31].

6. «رُوحْ تَفْدِي رُوحْ»[32]، بمعنى قوله تعالى : ﴿النفس بالنفس﴾.

7. «هَزْ النَّخْلَ إِجِيكْ أَتْمَرْ»[33]، ويستوحي قوله تعالى: ﴿وهُزِّي إليك بِجذع النخلة تَسَّاقط عليك رُطَباً جَنيّاً﴾.

8. «أَلِّ گارِ أَرْسَالَ مَا تْغَلْبُ أَمْسَالَ»[34]، أي من قرأ رسالة الشيخ خليل لا تستعصي عليه مسألة.

فهذه النماذج تعود في أصولها إلى القرآن والسنة والثقافة العربية العالمة، وهي تدل على قوة إيمان أهل الصحراء وعمق تمثلهم لروح الإسلام وتشبثهم بمبادئه، كما تدل على تمسكهم بمذهب مالك (الرسالة) والتصوف السني (دليل الخيرات) كغيرهم من سكان باقي الأقاليم المغربية، وهذا مظهر آخر من مظاهر وحدة المغرب المذهبية والثقافية.

النمط الرابع من الأمثال الحسانية. ويعبر عن حقائق إنسانية وظواهر كونية ومبادئ أخلاقية مشتركة بين سائر المجموعات البشرية، ومن نماذجها:

1. «إِلَ عَـادْ لَكْلَامْ فَظَّ إِعُـودْ أَسْكَاتْ أَذْهَبْ»[35]، إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

2. «ذَاكْ أَلِّيَبْـرَگْ مَا تَحْتُ شِ»[36]، أي ليس كل ما يلمع ذهباً. ويضرب في الشيء البراق الذي يكون مظهره أفضل من باطنه.

3. «أَدَّهْرْ يُولَدْ أَبْلاَ أَطْرَغْ»[37]، أي أن الدهر يفاجئ بالأحوال ويأتي بما ليس متوقعا.

4. «أَبْرَ طَاحَتْ فَبْحَرْ»[38]، ويضرب فيما لا يؤمل العثور عليه.

فهذه الأمثال تعبر عن أمور بديهية يعقلها العامي والمتعلم والعجمي، وليست خاصة بأهل الصحراء وحدهم، وهي تضفي على الأمثال الحسانية بعدها الإنساني.

الإضاءة الثالثة : البناء الفني للأمثال الحسانية

تستمد الأمثال الحسانية خصائصها البنائية من مصدرين أساسيين:

1- الخصائص البنيوية للسان الحساني، وتبرز فيما يلي:

- كثرة إسكان المتحركات.

- إبدال بعض الحروف بأخرى قريبة من مخارجها أحيانا (ض/ظ...) ابيظن (منت/ بنت)،

- إدغام أداة التعريف.

- تداخل العربية والأمازيغية والسودانية (تدنيت، أدرار، «صَمْبَا يظلع مَن شَرْبُ»، أمْبُورو وتعني الخبز بالسودانية، فَتَّ: البرغوث بالسودانية...)[39]

- حذف حروف بعض الكلمات (ول/ولد)

2- بلاغة الأمثال العربية الفصيحة، وهي كما لخصها النظام أربعة لا تجتمع في غيرها من الكلام : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية.

هذه الخصائص جعلت الأمثال الحسانية منتهى البلاغة الشعبية في الأقاليم الصحراوية، وتتجلى هذه الخصائص في عدة مستويات منها:

1- الإيجاز، ومن النماذج التي تجسده:

- «أمْتَيْمَشْ» (تيمَشْ) وهو ما يصيب الإنسان عندما يفقد غِذاءً تَعَوَّدَ عليه، ويضرب لمن يظهر الحاجة إلى شيء والتعلق به[40].

– ومنها أيضا: «أَمْرَشَّخْ» أي واضح لا يحتاج إلى تفسير[41]، ومنها: «أَمْكَرْسِينْ»، أي متهيئين للسفر[42].

فهذه الأمثال الثلاثة تمثل منتهى الإيجاز في البلاغة الحسانية، فهي تكتفي بلفظ واحد في التعبير عن معاني كثيرة، وتكفي معرفة اللسان الحساني لفهم معانيها وإدراك أبعادها.

2– الكناية، وتمثلها النماذج التالية :

– «إحَزَّمْهَ أَعْكَّالْ»[43] كناية عن الجمال والرشاقة.

– «أَبْتَلْ أعْليهْ الْبَاسُ»[44] كناية عن الخجل.

– «مَا يْشَمْ أَتْرَابْ»[45] كناية عن عدم الاكتراث بالصلاة وخبث الأخلاق.

3– السجع: ومن النماذج التي تمثله :

– «أَشَّارِ أَدُّونْ بَلْهُونْ، گَايَلْ عَنُّ غَابَنْ أُهُوَ مَغْبُونْ»، ويضرب لمن اشترى التافه بالثمن البخس، يظن أنه غبن وهو مغبون[46].

– «أَلْحَادَگْ يُغْمَزْ والفَاسَدْ يُدْبَزْ»، ويضرب في مقام التنبيه والتأنيب للحيلولة دون وقوع الشخص فيما يُنهى عنه[47].

– «أَلْعَـتْمَ بَكْمَ» ويضـرب للحث على الصـمت في الظلام وعـدم إشـهـار المشاغل الخاصة وعدم رفع الصوت بالخصام[48].

4– أسلوب الشرط والتفضيل والحكاية وأضداد الكلام والمزج بين العربي والأمازيغي. ومن الأمثلة على ذلك:

– «أَلِّ أَحْفَرْ حَفْرَ أَلْخُوهْ إطِيحْ فِيهَ»[49]، أسلوب الشرط.

– «إلاَ أَدْخَلْهَ بُو أَعْمُودْ يَمْرَگْهَ بُدَبُّوسْ»، ويضرب لمن عليه أن يتنحى عن الأمر لمن هو أجدر به منه[50]، أسلوب الشرط.

- «أَرْخَسْ مَنْ مَا دَرْ فَأَشَدَّ»[51] ومَا دَرْ اسم عَلَم يضرب به المثل في الشح (التفضيل).

- «أَمْعِيزْ أَرْدَ»، تفصيحه أرْدَ و«أرد» هذا هو رجل تحكي الرواية أنه كانت عنده ثلاث شياه واضعة، فادعى أن واحدة منها ماتت بسبب الإسهال والأخرى أكلها الذئب والثالثة ماتت بسبب المرض، ويُتمثل به لمن ادعى ضياع ما كان بحوزته من غير سبب[52].

- «أَبْيَظْ بَأَكْلاَمْ أَطْرِيكْ»، وتفصيحه أبيض بكلام الطريق، ويضرب كناية عن شدة السواد فجرى التعبير بالبياض تفاؤلا به بدل السواد[52]، وهذا من أضداد الكلام.

- «أَغْرَكْ مَنْ تَاديتْ» أي أبعد غوراً من محلاب، ويتمثل به مبالغة في عمق الشيء أو كثرة ما يستعمل من الشراب[53]، وهذا من الكلام الأمازيغي.

فهذه الأساليب التي تعتمدها هذه النماذج المختلفة في التعبير عن هذه المعاني البعيدة تمتع النفس وتبعث فيها روح الدعابة في نفس الوقت فضلا عما فيها من إشارات ونظرات بالغة العمق والصفاء، وذلك مظهر واضح من مظاهر البلاغة الحسانية.

هذه بعض الإضاءات حول الأمثال حاولت استخلاصها من هذه النماذج المنتقاة مما جمعه عزيزي المام في موسوعته الضخمة وهي تعكس في مختلف تجلياتها خصوصيات البيئة الصحراوية وهموم ومشاغل أبنائها ورؤيتهم للكون والحياة وارتباطهم المتين بعمق الثقافة المغربية في أبعادها المختلفة الروحية والوطنية والإنسانية. وهي تغني بهذه السمات ثقافتنا الوطنية ورصيدنا الحضاري وتزيدهما قوة ومناعة، والسلام.

الهوامش

1) يوسف مقلد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، ص، 681، مكتبة الوحدة العربية، ط.1، بيروت، 1962.

2) أحمد بن الأمين الشنكيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، من ص. 542 إلى ص.571، مطبعة الخانجي، ط.4، 1989.

3) عزيزي بن المام، موسوعة الأمثال الحسانية، مطبعة الأطلس، ط.2، أكتوبر : 1998

4) محمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، من ص. 681 إلى ص.701.

5) محمد نيمة، الأدب الحساني والكلام المهذب بالمعاني، مطبعة المعارف الجديدة، 1998، من ص. 233 إلى ص. 244.

6) ماء العينين ماء العينين، المعجم الديني في الشعر الحساني، ضمن أعمال ندوة «الصحراء المغربية من خلال التراث والتاريخ»، ص. 181، مطبعة فضالة، المحمدية، ط.1، 2000.

7) ابن خلدون، العبر، 14/2.

8) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص.32، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

9) نفسه، ص. 32.

10) عزيزي المام، ص. 73.

11) نفسه، ص. 131.

12) نفسه، ص. 190. وتندعة قبيلة معروفة بعلم الأنساب.

13) نفسه، ص. 62.

14) نفسه، ص. 210.

15) نفسه، ص. 33.

16) نفسه، ص. 69.

17) نفسه، ص. 258.

18) نفسه، ص. 36.

19) نفسه، ص. 61.
20) نفسه، ص. 84.
21) نفسه، ص. 108.
22) نفسه، ص. 115.
23) نفسه، ص. 134.
24) نفسه، ص. 35.
25) نفسه، ص. 251.
26) نفسه، ص. 251.
27) نفسه، ص. 35.
28) نفسه، ص. 35.
29) نفسه، ص. 37.
30) نفسه، ص. 81.
31) نفسه، ص. 154.
32) نفسه، ص. 243.
33) نفسه، ص. 362.
34) نفسه، ص. 42.
35) نفسه، ص. 42.
36) نفسه، ص. 237.
37) نفسه، ص. 33.
38) نفسه، ص. 39.
39) نفسه، ص. 42.
40) نفسه، ص. 45.
41) نفسه، ص. 49.
42) نفسه، ص. 89.
43) نفسه، ص. 33.
44) نفسه، ص. 33.
45) نفسه، ص. 350.
46) نفسه، ص. 47.
47) نفسه، ص. 135.
48) نفسه، ص. 146.
49) نفسه، ص. 54.
50) نفسه، ص. 54.
51) نفسه، ص. 70.
52) نفسه، ص. 70.
53) نفسه، ص. 179.

الأمثال العاميّة في الذاكرة الشعبية من خلال أشكال الزجَل في المغرب : إمكانية الاستفادة من جَمع الأمثال من ديوان المَلحون، وفنّ الرُّباعي

عبد الرحمن المَلْحوني

أحيي- بكل اعتزاز وإكبار- جمعكم الموقَّر، بصفته مجمعا رائدا من رواد العلم والثقافة، أخذ على نفسه إمداد المكتبة الوطنية، والعربية برصيد هائل من معارفنا، بوساطة هذا المنبر العلمي: أكاديمية المملكة المغربية. إنه منبر يعرّف الأجيال الصاعدة والقادمة بحضارتنا، وأصالتنا وبكل فن من فنون القول الجميل، والفكر الأصيل. ففي هذا المبحث، سأحاول الكشف عن بعض فنوننا الشعبية في سياق هذه النّدوة العلمية المنظمة هنا حول موضوع: «الأمثال العامية في المغرب».

والواقع أن الذي أقحمني في هذا الموضوع بالذات - وإن كنت فيه مُزْجَى البضاعة بمعزل عن أعالي بحوره- هو اتصالي- عن طريق الدّرس والبحث- بفن الملحون الذي أجد فيه رافدا مجهولا من روافد جمع الأمثال العامية عند غير المشتغلين به.

وهذا الفن الأصيل ظل - على تعاقب الأجيال- خزّانا أمينا لحضارتنا، وثقافتنا.. ينعكس فيه الشعور والتفكير، وعاداتُ الأفراد وتقاليدهم.. كما تحكي قصائده، [1] وسراربه [2]، وبراوله [3]، وعروبياته ألوانا بديعةً من الطبائع البشرية، فيها مشاهد حية من الخير والشر، ومن السعادة والشقاء، وأخرى من الفضيلة والرذيلة.. ولو أن متصفحا من الدارسين والباحثين، قد تتبّع- في

إمعان- ما يزخر به « ديوان الملحون» من أمثال عامية مغربية أصيلة، لما بهره ما قد سجلته الأجيال، تلو الأجيال من درر ونفائس، وما قد وعته الأسماع من روائع ولطائف. فلقد فازت « القصيدة الزجلية» عند كثير من فحول شعراء الملحون، وأعلامهم بالحظ الأكبر، والنصيب الأوفر، مما كان يجري على لسان العامة من أمثال، ومردَّدات شفاهية، فأرسلتها « أدبيات شاعر الملحون» في غاية من العذوبة والذوق الجميل. كان فيها الأديب الشعبي مطبوع النَّفَس، خبيرا في صناعته الأدبية، محيطا بما كان يطبع مجتمعه ومحيطه، عارفا بما يؤهله تأهيلا لاختيار المثل والقول الصائب، في إيجاز لفظه، وسهولة معناه «من السهل الممتنع».

إنه رصيد هائل من الأمثال المغربية، يتضمنها «ديوان الملحون»، وقد جاءت منثورة في هذا الكناش[4] أو ذاك، وفي هاته الكرّاسة [5] أو تلك، طريفَةَ المنحى وافرة الفائدة، تعبر- وبكل عفوية وتلقائية- تعبيرا صادقا عما كان يجيش في الصدور من خواطر، في إطار من الحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، ومما له تأثير عميق وبليغ في نفوس الجماعة الشعبية من عشاق الأمثال المغربية الأصيلة.

إن هذا المبحث سوف يكون إطلالة أخرى - في نطاق الاهتمام بالأدب الشعبي المغربي الملحون- على بعض المكونات الدلالية للقصيدة الزجلية للكشف عن بعض مضامينها وإبراز سياقاتها، من خلال الحفاظ على مظاهر «الثقافة الشعبية»، والوقوف -أيضا- على ما يزخر به « الشعر الملحون» من أمثال عامية مغربية صرفة، يبدو أثرها الحاسم في معظم الخطابات الأدبية التي يتوجه بها شاعر الملحون لجمهوره العريض، من حين لحين. إن هذا الاشتغال ينحو بنا نحو الاستفادة من «الزجل المغربي الملحون» في أشكاله المتعددة، وفي أجناسه الأدبية المختلفة، بغية تحديد التقاطعات المعرفية التي طبعت الأدب الشعبي المغربي بطابع الأصالة، ليبدو هذا الاشتغال عملا جديدا في رصد الأمثال العامية في مختلف مصادر ثقافتنا الشعبية المكتوبة، والشفاهية[6].

نعم، ففي عملنا هذا، سوف نؤسس لرهان ثقافي، وطني، في أحد وجوهه الإبداعية، والحضارية، يتوخى الدارس والباحث من خلاله استحضار بعض مكونات «الذاكرة الشعبية» لإظهار سلامة مضمونها الإنساني، وأيضا لإبراز بُعْدِهَا الحضاري، والثقافي، لتحيينها في الحاضر، وإيصالها إلى جيل جديد، يبدو- في نظرنا- مطالبا بالانخراط في رسم انعطافاته الثقافية، والحضارية باستحضار مكونات الثقافة الوطنية بكل حمولتها، وما تختزنه - أيضا- من طاقات فكرية، وإبداعية واعدة. ولهذا سأقتصر في هذا المبحث على النقط التالية:

- أولاً: المثل الدّارج في «الذاكرة الشعبية» من خلال بعض أشكال الزجل في المغرب.

- ثانياً: إمكانية الاستفادة من جمع الأمثال العامية من «ديوان الملحون» وفن «الرباعي» بقسميه (الرباعي والعروبي).

- ثالثاً: المشهد الاجتماعي في الأمثال العامية من خلال النماذج المعروضة.

لقد ظل الشعر الملحون في إبداعات الزَّجَّال المغربي ظاهرة فنية فريدة في أشكالها، وأجناسها الأدبية، فكان القول الفصل -بدون منازع- في سيولة الكلمة الشاعرة وقد وفى في شمولية نادرة، ما جعل هذا الإنتاج الأدبي الأصيل رصينا طيّعا، ذا محتوى فكري حضاري دقيق. إذن، فالعامية: ما كان يسميه الجاحظ بلغة «المولّدين» و«البلديين».. وقد لاحظ في كتابه: «البيان والتبيين» في الجزء الأول، أن في كل مدينة ألسنة ذلقة، غير أن اللحن كان فاشيا فيها»..

وتحدث -في هذا السياق- الأستاذ أحمد أمين، ورأى أن العامية في القرن الرابع الهجري أصبح الاعتراف بها ساري المفعول: يُبْحَثُ في ألفاظها، وأساليبها، ويُنتقى منها أجودها، وأحسنها. فالأصول، والقواعد الأساسية للغة الضاد، جاءت مشتركة بين الفصحى والعامية، حتى ما كان يتصل منها بالقلب -مثلا- أو الإبدال، والتسهيل، والترخيم، والنحت، وضروب أخرى من البلاغة. وتمتاز العامية بمظاهر لغوية بسيطة، تجعلها في غالب الأحيان- أكثر إيغالا في

القلب، والتسهيل، وفي غيرهما. ولهذه الوجوه المشتركة بين الفصحى، والعامية، أمثلة كثيرة في «ديوان الملحون»، تناولها الدكتور عباس الجراري في كتاب "القصيدة".[7]

ومن أشكال الزجل بالمغرب التي لم يسعدها الحظ أن تمتد إليها يد الباحث والدارس في مجال الاستفادة من جمع «الأمثال المغربية»، قصيدة «الملحون» وفن «الرباعي» بقسميه. فهما يزخران- بالخصوص - بهذا اللون الجميل من المفردات الشفاهية. وتجري هذه الأمثال العامية في سياقات متعددة، وافرة الفائدة، صادقة التعبير عمّا يجيش في الصدور، في إطار بديع من الحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، بل مما له تأثير عميق في نفوس الجماعة الشعبية العريضة على تعدد شرائحها، وفصائلها.

نعم، لقد ظلت «القصيدة الزجلية» تزخر بالأمثال العامية في إيجاز لفظها، وإصابة معناها، تشيع على ألسنة العامة، والخاصة: المثقفين منهم، وغير المثقفين، وتروج - بكثرة- في المحافل والمنتديات.. وهذه الأمثال والأقوال السائرة، وإن جاءت بألفاظ غير فصيحة، فهي لا تعدم الطلاوة النثرية، والرشاقة اللفظية البلاغية، التي هي في الأمثال الفصحى المشهورة والمتداولة بين الناس إلى اليوم. والمتأمل كثيرا في قصائد الملحون- على تعدد فتراتها، وتباين مناحيها، ومشاربها- سيلاحظ -لامحالة- أن شعراء الملحون، وجمهورهم العريض من العامة، قد ظلوا مولعين بهذه الأمثال، يتناظرون بها في مجالسهم، فقلما تجدهم يقصّون حديثا من أحاديثهم المختلفة، أو يعرضون أمرا من أمورهم، إلا وتلاحظهم يؤيدون ذلك بمثل، يكون زبدة الحديث، وجوهر الأمر![8]

ولرجالات الملحون- في وضع الأمثال في مواضعها- ذوق رفيع، وحكمة باهرة، وفضل مشهور. وقد تصل صور أدبياتهم- كما هو الحال عند فحولهم- إلى أعلى مثل في البلاغة، فتعيها الأسماع بلطف مداخلها، وسياقاتها. فيسهل بذلك حفظها، وإنشادها في آن واحد. إذن، فالأمثال العامية - عن طريق إنشاد قصائد الملحون، تكون أكثر سيرا وانتشارا في مجالس الناس، وأكثر دورانا على

الألسنة من غيرها! فليس في الكلام ما هو أوقع في الأسماع، وأشد تأثيرا في النفوس من الأمثال التي تجري على ألسنة العامة في كثير من المناسبات.

ومن شعراء الملحون وفحولهم الذين جاءت قصائدهم تزخر بالأمثال المغربية، والأقوال السائرة، الشيخ عبد القادر العلمي- رحمه الله. نعم، فلقد استقبلت أشعار شاعرنا- في كل عصر، وإلى اليوم- بكامل الحفاوة والتقدير، لأنها سدّت ثغرات في هذا الميدان، ولأن العوام كانوا في أشد الحاجة- يومئذ- إلى هذه الإنتاجات الأدبية التي ساهمت - وبحظ كبير- في تثقيف الجماعة الشعبية وتنوير حياتها، فعملت هذه النصوص- على تعدد موضوعاتها- على رفع المستوى الأدبي، والفني، والثقافي، والديني في الأوساط الشعبية إلى حين [9].

نعم، إن هناك في حظيرة أهل الملحون زجالين بارعين، من أمثال شاعر الحكمة عبد القادر العلمي، على غرار المتنبي في أشعاره وريادة تجاربه، أحدثوا ضجة عارمة بوسطهم الشعبي، وحتى خارج هذا الوسط أيضا- من جراء ما كان هؤلاء يبدعون من إبداعات في شتى الأغراض الأدبية للقصيدة الزجلية. والضجة الأدبية التي أحدثها العلمي -بالخصوص- كانت منصبة على البحث والتنقيب في مجال مواهبه ومعارفه، وفي مكامن نبوغه وعبقريته. وهذا التنقيب كان يشمل كل ناحية من نواحي حياته في مختلف أطوارها، ولاسيما ما كان يتعلق منها بالناحية الصوفية التي اشتهر بها من بين رجالات الملحون المعاصرين له. ومن الشهادات التي جاءت تؤكد صلاحه وتقواه، ما ذكره مؤرخ مكناسة، ابن زيدان في «الإتحاف» حيث يقول ما نصه :

«كان -رحمه الله- من أهل المقامات العالية، والأحوال السّنية، ولا يعرف لعبا ولا لهوا، ولا ما يرجع لزخرف الدّنيا وزينتها..».

وفي هذا السياق يشير الدكتور عباس الجراري في كتاب "القصيدة" إلى أن مسار حياة العلمي قد تطّور عبر مرحلتين: الأولى كانت مرحلة عادية، عاش فيها حياة بشرية، يهوى ويعشق كغيره من الناس، ويستمتع بلذائذ الحياة وشهواتها، ما وسعه الاستمتاع. وفي هاته المرحلة نظم قصائده الغزلية والخمرية، وغير ذلك

من قصائد التسلية والترفيه! والمرحلة الثانية كانت مرحلة الإعراض عن زينة الدّنيا ومباهجها، والزهد والانقطاع عن الناس.

نعم، ففي ديوان العلمي عشرات القصائد التي تتضمن نماذج مختلفة من الأمثال المغربية، والأقوال السائرة، سواء ما قد أنتج منها في مرحلة صبواته، أو في مرحلة تجلياته[10] .

وعلى سبيل المثال والاستشهاد، نسوق قصيدة «القلب»، وهي من القصائد الزجلية ذات البعد الاجتماعي، والمنحى الصّوفي. ففيها صور رائعة من الحياة الاجتماعية التي لاحظها العلمي، وتتبّعها، مشهدا، مشهدا. وفيها -أيضا- قد جسّد المثل الشعبي، والقول السّائر، ورأى ببصيرته مجتمعا مغربيا يعيش بين أطراف القديم وأصالته، وبين مشارف الجديد وطموحاته، فأومأ- من خلال تجربة رائدة- إلى أن مجتمعه الذي عاش فيه يومئذ، كان مليئا بالمتناقضات، والمنكرات! مجتمع يعيش بين الفضيلة والرّذيلة، وبين الإرادة التي تدفع صاحبها إلى التّشبث بمكارم الأخلاق، وأفعال الخير، وبين الانجذاب القوي نحو مباهج الحياة وزينتها![11]

نعم، لقد جاء المثل العامّي في شعره يجسد بقوة هاته التّجربة الرائعة، وهذا الصّراع العنيف مع المجتمع المغربي، إنه عراك مع الحياة، دام نحو قرن مع الحياة، في رغوها وصريحها، وفي هزلها، وجدّها!

والآن نسوق - بعد هذا المدخل- بعض النّماذج من فن الزّجل المغربي لنستخلص من كل نموذج ما يتضمنه من أقوال سائرة، وأمثال مغربية عامّية، ومن هذه النّماذج المختارة ما يلي:

- **النموذج الأول :**

قصيدة : «القلب» للشيخ عبد القادر العلمي - رحمه الله-.

- **النموذج الثاني :**

لوحات زجلية من فن «الرباعيات» للشيخ عبد الرحمن المجذوب.

- النموذج الثالث :

لوحات زجلية أخرى من فن «العروبي» عند شاعر الملحون.

- النموذج الرابع :

مشاهد من المردّدات الشّفاهية، مما رصدت به العامة بعض الأحداث الوطنية ومنها ما قيل من أمثال مغربية عامية حول يوم تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

- النموذج الأول :

أمثال وأقوال سائرة في سياق قصيدة «القلب» للشيخ عبد القادر العلمي - رحمه الله -

النّص الكامل للقصيدة

«القسم الأول»

عَدْتِي يَا الْقَلْبْ الْغَافَلْ تَخْطَا الصّوَابْ

الصّمْتْ كَيْقُولُو لَعْرَبْ حَكْمَا مَجّدُوهْ اشْعَارْ الْقُدْمَا

اسْكَاتْ عَامْ احْسَنْ مَنْ كَلْمَا ابْغِيرْ نَدْمَا

وَاللّي تَبْغِي تْعَاشْرُو * زَيّنْ لُو في مَا يْدِيرْ * لاَ تَصلّحْ لُو مَعْيُوبَا

حَالُو يَبْقَا فِيهْ

وَصَّاوْ اللّوْلِينْ فَزْمَانْ اَخُرْ * اعْلَى الْمَصَانْعَا * عَادْ الصّدْقْ اعْجُوبَا

وَالخَدْعَا تَنْبِيهْ

«القسم الثاني»

تَحْسَابْ مَا اقْرِيتِي وَلاَ شَفْتِي اكْتَابْ

اسْمَعْتْ فَالْحْدِيتْ الصّمْتْ سْلاَمَة والسّكَاتْ اوْقَرْ واكْرَامَا

وْلَكْلاَمْ انْكَدْ وَانْدَامَا امْعَ لَغْشَامَا

لا تَشْكَرْ لا تَذَمْ * لا تَمْدَحْ لا تَهْجِي *خوذْ حَذْرَكْ وَاقْرَ لَعْقُوبَا
وْسَـــــرَّكْ لاَ تَفْشِيـــــــهْ
واللّي شَفْتيهْ فُوقْ جَابَا * مَتْحَرّبْ قُولْ لِيهْ * هَذِي فُرْصَا مَذُّوبَا
عَظّـــمْ واشْكَرْ لِيـــــــه

«القسم الثالث»

مَا هُوَ قْلِيلْ مَا قَاسِيتِي بِينْ لَصْحَابْ

مَنْ كُلّ جَنْسْ كُنْتِي دَايَرْ لاَفَـــا اعْــبِــيــدْ وَاحْــرَارْ وْشُــرَفَــا
اوْلاَ انْظَرْتِي عَــمْــرَكْ رَافَـــا اعْلَى لَكْيَــافَـــــــــا

شَيْ يْقَدّكْ كُلّ يُومْ * لِيعَاتْ اُوزَفْرَاتْ * هَكْذَاكْ اخْلاَقَكْ مَتْعُوبَا
والنّـــومْ انْقَرْتِيـــهْ
سِيدِي، عَشَرْتِي كُلّ قُومْ * وَسْلَكْتِي كُلّ طْرِيقْ * اُونَعْكَرْ جَرْحَكْ كَمّنْ نُوبَا
حَالَكْ غَرّبْتِيـــــــهْ

«القسم الرابع»

مَا ضَدْ لَهْنَا وَالرّاحَة إلاّ لَعْذَابْ

اغْوَاكْ مَنْ اضْحَكْ لَكْ وَاسْتَحْلِيتِي وَارْتْـخِـــيـــتِي وَاتْحَلّيـــتِي
اوْ شَايَنْ اجْرَا لِيكْ انْسِيتِـــي اوْلاَ اعْــيــتِـــــــي

مَنْ بَعْدْ افْجَى انْكَادْ قَلْبَكْ * وَاهْنِيتِي مَنْ اشْقَاكْ * صَبْحَتْ ذَاتَكْ مَسْلُوبَا
مَا فَاتْ انْسِتِيهْ
سِيدِي، وَالْمُومَنْ مَرّتِينْ مَا يَتْلْدَغْ * انْظَرَتْهَا * بْخَطّ الْعَارَفْ مَكْتُوبَا
هَاذْ الْقُـــولْ احْضِيـــهْ

«القسم الخامس»

خَمَّمْتْ فَالذّهَبْ وَالْفَضَّة هُمَا لَحْبَابْ

الْكَنْزْ وَالذْخِيرَة صَحّةْ لَبْدَانْ وْلَوْ قَرْ وَالعَزْ ولاَمَانْ

والْعْتِزَالْ عْلَى الرّقْبَانْ اهْلْ الْبَهْتَانْ

صْحَبَتْ مَنْ لاَ يْلُو نْفَعْ * كِيفْ اللّي صبْحَاتْ * نَابْتَالُو فَالقَلْبْ احْبُوبَا

لاَ حَدْ يْدَاوِيهْ

سِيدِي، واللّي قَلْبُو عْلِيكْ قَاسِي * وعْلاَشْ عْلِيكْ بَاطَلْ * تَخْضَعْ لُو بَرْطوبَة

واتْرَاعِي لَمْجِيهْ

«القسم السادس»

شَاعْ الرّيَا والاحْسَانْ اغْبَرْ والصّدْقْ غَابْ

اتْرْفَعْ لَحْيَا والعَرَضْ اوْ لَحْسَبْ والزّمَانْ بْقُومْ نَقْلَبْ

آوكُلْشِي اصْبَحْ مَتْحَزّبْ والسّبَعْ كَلْبْ

وَاضْحَى الغَرْنُوكْ * لِيتْ فالغَابَة * والزّهْلُولْ عَادْ يَتْضيّلْ بِينْ اسْهُوبَا

مَنْ وَلاَ يَا ذِيهْ

سِيدِي، والْبَازْ خَبّا امْخَالْبُو * وَالبُومَة تَصْطَادْ * لَبْرَانَا فِي كُلّ ارْكُبَة

وَاوكَرْهُمْ تَخْلِيهْ

«القسم السابع»

وَلاّتْ عَنْدْ نَاسْ الْيُومْ الصّحْبَة اسْبَابْ

اللّي تْعَاشْرُ ويَبْغِي يَشْمَتْ فِيكْ ابْلَمْنَاصَفْ مَحْتَالْ عْلِيكْ

غِيرْ تَرْكَنْ لُ يَرْجَحْ بِيكْ مَا يْخَلّيكْ

دَايَرْ كَابُوسْ لَلْغْدَرْ فْيَدّو * يَتْسَنَّاكْ غيرْ تَغْفَلْ * يَسْقِيكْ اشْغُوبَا
شَلاّ تَنْوِي فِيـــــــــــهْ
سِيدِي، وَالقَلْبْ مَلاَنْ ابْلَخْدِيعَا * والوَجهْ يْبَانْ لِيكْ * فْحُلّة مَهْيُوبَا
اِتَشْهَى تَنْظَرْ فِيهْ

«القسم الثامن»

هَذُو اشْرُوطْ عَلَمَاتْ وَوَقْتْ لَخْرَابْ
عَــادْ النْفَــاقْ يَتْــوَدّو بِيــهْ النَّاسْ الكَبِيــرْ تْصِــيــبُــو وَاسْــوَاسْ
وَالصّـغِيـرْ اتْصِـيـبُـو نَسْنَــاسْ بِينْ لَجْنَـــــــــــــــــاسْ

الحِيلَة والمْصَانْعَة * حَفْظُوهَا وَالكذبْة * عَادَتْ اطْبَايَعْهُمْ مَقْلُوبَة
مَذْهَبْهُمْ نَدْرِيــــــــــــهْ
سِيدِي خَمّمْت فُولادْ جِيلْنَا * واتْأمّلْتْ وْصَبْتْهُمْ * بَعْضَى وَاحْدَا مَضْرُوبَا
مَعْطَنْ شَرْبُو فِيــــــهْ

«القسم التّاسع»

يَغْوِيوْ بَالنّظَرْ والتّبْهِيجَة وَالثّيَابْ
يْوَرّيوَكْ السّـخِي وَالبُـخَلْ يْكتْـمُـوه والنّفَــــاقْ اعْلِيكْ يْخَــــزْنُوهْ
أوْ كُلّ مَا تَبْغِيهْ يْحَبّـــــــوهْ مَــا يْمَلُّــــــــــــــوهْ

لاَكِنْ إلَى ايْمَيْزُو طَرْفَكْ * مَنْ كَثْرْ الرّيَالْ عَامَرْ * وْيَدّكْ مَخْرُوبَة
مَنْ جَاكْ اتْسَلّيـــــــــهْ
سِيدِي، وَيْلاَ شَافُو * اجْيَابَكْ اخْوَاتْ ايْسَرْعُو * فْلَخْصَامْ ابْلَى سَبّوبَا
شَلاّ خَمّمْتِيــــــــــه

«القسم العاشر»

غَلْبُو احْيَالْهُمْ اعْلَى النّجَالْ اكَمْ السّرَابْ

اللّه يَرْحَمْ نَاس اَهْلْ الأَدَابْ مَثْلُو فَوْقَتْنَا لَصْحَابْ

كَذْيَابْ اشْتَمْلُو فَتْيَابْ شِيخْ وَشْبَابْ

الحَدْجَى عَنْدهُمْ * احْلَى مَنْ العْسَلْ * وْالعْسَلْ فْطَسَة مَصْبُوبَة

بَعدْ أَلاّ تَهْدِيهْ

سِيدِي، والغَانِي مَا يْوَدْهُمْ * وَايْدَرِيوَهْ وْلَفْقِيرْ * مَا يَوْصَلْهُمْ بَشْغُوبَا

وايْشَتْمُو لِكْ فِيهْ.

ما يُستخلَص من قصيدة «القلب» للشّيخ عبد القادر العلمي من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامية (12)

أقسام القصيدة	ما يتضمنه كل قسم من أقوال سائرة وأمثال مغربية عاميّة
القسم الأول	1- الصّمت حكْمَة، مَنُّو تْفرْقُو لَحْكَايَمْ..
	2- سْكَاتْ عَامْ، خيرْ مَنْ كَلْمَة بْغِيرْ نَدْمَة..
	3- اللّي تَبْغِي تْعَاشْرُو، زَيّنْ لُو فْي مَا يْدِيرْ..
	4- صرّفْ وَقْتَكْ، وْدِيرْ الْوَجْهَكْ حْجَابُو..
القسم الثاني	5- الصّمتْ سْلاَمة، والسّكَاتْ أوقَرْ، وَكْرَامَة..
	6- لا تَشْكُرْ، لاَ تْذَمْ، مَنْ لاَ خَلطّيهْ عَامْ
	7- سَرّك لاَتَفْشيهْ..
	8- عَظّمْ خُوكْ اَلْبُخَارِي..
القسم الثالث	9- شْحَالْ يْقَدّكْ كُلّ يُومْ مَنْ اللّيعَاتْ..
	10- كالُو نَاسْ زْمَانْ : العَشْره فَتّاشَة..
	11- كُلّ طْرِيقْ بْشَعْبَتْهَا..

أقسام القصيدة	ما يتضمنه كل قسم من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامّية
القسم الرابع	12- لَهْنَا غْنَى..
	13- مَا يَنْسَى هْمُومْ الفَطُورْ، غِيرْ اللّي مَا فَكّرْ فِي غْذَاهْ..
	14- مَا يَتْلْدَغْ مَنْ الغَارْ، زُوجْ مَرّاتْ، غِيرْ الَحْمَقْ..
القسم الخامس	15- الذّهَبْ وَالفَضّة هُمَا لَحْبَابْ..
	16- الصّحة كَنْزْ مَطْمُورْ..
	17- صَحْبَتْ اللّي مَا فِيهْ نْفَعْ، أَفْعَى بْسَمّهَا تَلْسَعْ..
القسم السادس	18- إلَى غَابْ الصّدْقْ، حَلّسْ، وارْكَبْ..
	19- اللّي مَا دارْ خُوخَة الْبَابُو، مَا يَلْقَى هِيبَة مَنْ اصْحَابُو..
	20- اللّي تَكْبَرْبَهْ، رَافْقُو بْمُودّة وَامْسَامْحَا..
	21- اللّي تَصْغَرِ بِهْ، جَانْبُو بالمَرّة تَرْتَاحْ..
	22- اللّي تَسْمَعْ لِيهْ، صَادْقُو بْنِيّة وَحْذَاقَا..
	23- الكَبِيرْ فى الجّمَاعَة كْبِيرْ، واللّي بْعَقْلُو كَايْمِيّزْ..
القسم السابع	24- كالُو : المَصَارْفَة بِينْ النّاسْ مِيزَانْ مَنْ الذّهَبْ..
	25- كالُو نَاسْ زْمَانْ: اللّي تَهْرَبْ مَنُّو، هَرْبْ لِيهْ
	26- شُوفْ الَوجْهْ بْعَقْلْكْ، لاَ تْشُوفُو بَنْظَرْكْ..
القسم الثامن	27- الحِيلَة وْالمصانْعَة، حَفْظُوهَا الاَرْذَالْ..
	28- كُلّهُمْ شَارْبِينْ مَنْ مَعْطَنْ وَاحَدْ..
القسم التاسع	29- كالُو: كُلّهَا بَشْبَكْتُو، فِيهَا حْيَالْ دافَنْ..
	30- يْوَرّيوَكْ السّخَاء، والبُخْلْ يْكَتْمُوهْ..
القسم العاشر	31- قَدّ الكسْوَة، قَدّ اللّي تَسْوَا..
	32- دَرْهْمَكْ، يْغِيّبْ هَمّكْ..
	33- الاَرْذَالْ، ذْيَابْ فِي ثْيَابْ ..
	34- قُلْ لِهْ سِيدِي حَتّى يَرْطَابُو سْيُورُو..

النموذج الثَّاني

أمثال مغربية عامية، وأقوال سائرة في فنّ «ا لرُّباعيات» [13].

«الرباعي» : شكل من أشكال الخطاب في الأدب الشعبي المغربي، وهو يَتأَلَّف- أساسا- من بيتين، وغالبا ما يكون مصرعين، ومتضمنين لحكمة، أو موعظة، أو مثل دارج، أو خاطرة أدبية.

وقد اتَّسم الكثير من فن «الرباعيات» بالانتحال، إلى حد أصبح معه ما يروج في الساحة الشعبية منسوبا إلى الشيخ عبد الرحمن المجذوب- رحمه الله-. وبهذا فقد أضيف إلى ديوانه كل ما اختلقته العامة، وما تردده الشفاه إلى اليوم في كثير من المناسبات.

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن المجذوب، أول مبدع لهذا الشكل من أشكال الخطاب الشفاهي في القرن العاشر الهجري. وقد تعددت موضوعات «الرباعي»، وانتشر في الأوساط الشعبية، انتشار النار في الهشيم. وفي هذا السياق تروي الذاكرة الشعبية الكثير من الأخبار والحكايات عن الناظم، وقد جاء بعضه منثورا في كتب السير والتراجم، وبعضه يُروَى بوساطة ميراث ومخزون الجماعة الشعبية على تعاقب الأجيال.

ونظرا لما تقدمه هذه الرباعيات من أدوار في تأصيل الثقافة الشعبية، فقد حظيت بحظوة كبيرة عند دَارِسِي الأدب الشعبي المغربي والمهتمين بأشكاله وأجناسه الأدبية.

ويذكر تاريخ مكناسة الزيتون أن الشيخ عبد الرحمن المجذوب قد توفي -رحمه الله- سنة ست وسبعين وتسعمائة للهجرة، ودفن بمدينة مكناس.

عاصر الشيخ المجذوب مجموعة من رجالات التصوّف، ومنهم الشيخ الصغير السّهلي، والشيخ الحارثي، وشيخ الطريقة العيساوية الهادي بن عيسى، وغيرهم ممن أخذ عنهم وتتلمذ عليهم.

ومع ما قد أضيف من رباعيات لا تمت بصلة إلى الشيخ عبد الرحمن المجذوب، فقد بقيت رباعياته متميزة عن غيرها بخصائص فنية، وأدبية، يعرفها الراسخون في هذا الفن الأصيل والقول الجميل.

ويشير- في هذا السياق- الدكتور عباس الجراري في كتاب "القصيدة" إلى بعض المصادر الهامة التي اعتنت برباعيات المجذوب، وبحياته وسيرته وتصوفه، ذكر منها ما يلي :

1- كتاب : مناقب محمد بن أحمد الحضيكي، ج الثاني من صفحة 190 حتى 197 ط الأولى.

2 - كتاب : مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن، لأبي حامد محمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي، صفحة : 11، 13، 18، 19، 43، 189، 190 ط حجرية.

3 - كتاب : ممتع الأسماع، في ذكر الجزولي والتباع، وما لهما من الأتباع، من صفحة : 101 حتى 107 ط حجرية.

4 - كتاب : ابتهاج القلوب، بخبر الشيخ أبي المحاسن، وشيخه المجذوب، في التعريف بالشيخ المجذوب -رضي الله عنه-، ويستمر من صفحة : 14 إلى 65 (مخطوطة ح.ع بالرباط تحت عدد : 5532).

ويشير الدكتور عباس الجراري -مرة أخرى- في كتاب "القصيدة" إلى أن هناك نسخة أخرى توجد من كتاب : الابتهاج بنفس الخزانة العامة مسجلة تحت رقم : 23025 ويبدو أنها متأخّرة عن النسخة الأولى المشار إلَيها أعلاه.

5 - كتاب : القول المأثور، من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب، تصنيف نور الدين عبد القادر، ط الثعالبية بالجزائر.

نعم، فهناك مصادر ومراجع أخرى، قد تناولت حياة الشيخ عبد الرحمن المجذوب من جوانب عدة، وكلها من خلال رباعياته التي تعددت مقاصدها، وتنوعت مشاربها، وكثر التعليق عليها بعدة لغات نظراً لأهميتها، وما ترصده من ظواهر اجتماعية وثقافية، جديرة بالبحث والدرس.

أما ما قد كتب عن المجذوب في بعض المجلاَّت، والدَّوريات، والصحف، فهو كثير جداً، يدخل في نطاق العناية بفن الرباعيات الذي له هواته والْمُولَعُون به على تعاقب الأجيال.

رباعيات

- الرباعي الأول :

سَافَرْ تَعْرَفْ النَّاسْ   وَاكْبِيرْ الْقُومْ، طِيعُو
اكْبِيرْ الْكَرْشْ وَالرَّاسْ   بْنَصّ فَلْسْ، بِيعُو

- الرباعي الثاني :

وَلْدْ ابْنَادَمْ لاَ تْرَبّيهْ   بَعْدْ مَا تْرَبِّيهْ نَادَمْ
يَا السَّايَلْنِي عْلَى الْغُولْ   الْغُولْ، هُوَ ابْنَادَمْ

- الرباعي الثالث :

الْمَالْ، يَا الْمَالْ   لِيهْ، الَبْنَاتْ مَالُو
اللِّي مَا عَنْدُو شِي مَالْ   مَا يَعْمَلْ حَتَّى كَلْبِي بْحَالُو

- الرباعي الرابع :

احْفَرْ السَرَّكْ، أُو دَكُّو   فَي الْأرْضْ، سَبْعِينْ كامَا
خَلَّى لَخْلاَيْقْ، يْشْكُو   إِلَى يُومْ الْقِيَامَة

- الرباعي الخامس :

مَنْ لاَيَطْعَمْكْ عَنْدْ جُوعَكْ   وَلاَيَحْضَرْ لِكْ، فِي مْصَابْ
لاَتْحَسْبُو، مَنْ فْرُوعَكْ   قَدْ حَاضَرْ، قَدْ غَابْ

– الرباعي السّادس :

الزَّمّـــيطَا عُـــولْتَكْ، يَالْمَـــسْكِينْ أُو دَرْهَمْ لَحْـــلاَلْ، عْلِيـــهْ تْعَـــوَّلْ
خَلِّي لَخْوَاجَا فْي عَرْقْ الْمَظْلُومْ سَابْحِينْ أُو خَلّي اعْـــوَانْ إِبْلِيسْ فَي النْعَـــايْمْ

– الرباعي السّابع :

اَلـــرَّاكَـــبْ، فَـــكَّـــرْ يُـــوْمْ تَـــنْـــزَلْ يَا الشَّـــبْـــعَـــانْ، فَكَّرْ يُومْ تْجُـــوعْ
يَالْعَـــرِيَانْ، قْـــمِـــيـــصَكْ بِينْ يْدِيكْ قُمْ تَـخْــــــدَمْ، تَرْمِي الزّلْطْ عْلِيكْ

– الرباعي الثامن :

سَـــاعَتْ الَعْـبَـادَا، سُـــوقْـــهَـــا سْكَتْ وْسَـــاعَتْ الَهْـــوَى، دَلاَّلْهَـــا يْصِـــيحْ
يْقُـــــولْ بَلْسَـــــانْ فْـــــصِـــــيحْ لَمْظَالَمْ فَي زْمَـــانًا، زْمَـــرْهَا يْسِـــيحْ

– الرباعي التاسع :

اَلطَّامَعْ يْبَـــذَّرْ، فَي امْـــوَالْ طَـايْلاَ أُوعَـــرْضُـــو فَي الزْهُـو، يْضِـــيعْ
يْنْفَقْ كْـثِـيــرْ، فْي غِـيــرْ مْـلاَمَـــا قَـــالُو : هَزْ لاَتْحَطْ مَـا فِـيـهْ سْـلاَمَـا

– الرباعي العاشر :

الْكَاعَـــا، الْكَاعَـــا، زَرْعْـــهَـــا طَارْ أُو مْـصَـايَبْ إِبْلِيسْ، فَي الدَّوَّار تْصِيَّـدْ
سَـــاهَتْ عْـــقُـــولْ أَطْفَـــالْ، بْلاَ عَـــارْ فَكَّرْ يَا الرَّايَحْ، فِي اللِّي عْلِيـهْ مَـا تْحِيَّـدْ

ما يُستخلَص من فَن الرُّباعيات من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامية

رباعيات	ما يتضمنه الرباعي من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامية
الرباعي الأول	1- سَافَرْ تَعْرَفْ النَّاسْ..
	2- كالُو: كْبِيرْ القُومْ طِيعُو..
	3- كْبِيرْ الكَرْشْ كَايتّوخَرْ في الصَّحَنْ..
	4- اللِّي هَمْتُو فِي كَرْشُو، بْنَصْ فَلْسْ بِيعُو..
الرباعي الثاني	5- اللِّي حَنْ، يَتَمَحَّنْ
	6- الْهَمْ فِي النْعَاسْ غُولْ
	7- وَلْد ابْنَادَمْ لَاتْرَبِّيهْ «الدخيل على العائلة».
	8- سَمْعُو كَلْمَة، أَو شُوفْ آشْ تَّما!.
الرباعي الثالث	9- الْمَالْ، مَرْكَبْ اللِّي مَا عَنْدُو مَرْكَبْ..
	10- الْمَالْ، لُغَةْ الزَّنْزُونْ في الجْمَاعَة..
	11- الْمَالْ فِي الطْرِيقْ، سْلَاحْ،اللِّي مَاعَنْدُو سْلَاحْ..
الرباعي الرابع	12- اللي غَابْ عليهْ ابَّاهْ فِي الجْمَاعَة، تْشَفَعْ لِهْ حْبُوبُو فِي الْكاعَا..
	13- احْفَرْ لْسَرّكْ، أَوْ دُكُّو..
	14- اللِّي كْتَمْ سَرُّو، مَلْكْ أَمْرُو..
	15- السَّرْ إِلَى تْعَدَّى زُوجْ، شَاعْ..
الرباعي الخامس	16- السَّرْ إِلَى مَاتَّحْضَى كَايْوَلِّي شَرْ..
	17- اللِّي مَا يْحَضَّرْكْ فِي طْعَامُو مَا تَسْمْع كْلَامُو..
	18- مَنْ لَايَطْعَمَكْ عَنْدْ جُوعَكْ، لاَ تحَسَبْو مَنْ فْرُوعَكْ..
الرباعي السادس	19- كَالُو نَاسْ زْمَانْ: خُوكْ في الشَّدَّة، مَاشِي في الْعَضَّة..

رباعيات	ما يتضمنه الرباعي من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامية
	20- اللِّي عَافُو الْقَلْبْ، قدْ امْدَحْ، قدْ سَبْ..
	21- كَالُو: الزَّمِّيطَا عُولْتَكْ بِالْمَسْكِينْ..
	22- دَرْهَمْ الَحْلاَلْ عْلِيهْ تْعَوَّلْ..
	23- اللِّي مَادَارْ الْخِيرْ فِي رَاسُو، بْحَالْ اللِّي فِي الكَاعَا مُوضَرَّرْ فَاسُو..
	24- اللِّي يْعَوَّلْ عْلَى لْخْوَاجَا بْحَالْ اللِّي بْغَا يْطْعَمْ الجْمَاعَة بْدْجَاجة
الرباعي السابع	25- اَلرَّاكَبْ، فَكَّرْ يُوم تَنْزَلْ..
	26- يَالشَّبْعَانْ، فَكَّرْ يُومْ تْجُوعْ...
	27- كالُو: الْعَرْيَانْ، قْمصوُ بِينْ يْدِيهْ إِلَى يَخْدَمْ..
	28- الزَّلْطْ كاتْذُوْبو الْهَمَّة..
الرباعي الثامن	29- سَاعَتْ الْعْبَادَا، سُوقْهَا سكَتْ..
	30- سُوقْ الَهْوَى، والنْوَى، دَلاَّلُو يْصِيحْ..
	31- الظَّلْمْ، كَالُو: زْمَرْ، وَلَّى اثْمَرْ..
	32- اللِّي عرَّاهْ زْمَانُو، مَافِيهْ خِيرْ الَمْكَانُو..
الرباعي التاسع	33- هَزْ، لاَتْحَطْ، الْقَاعْ تُوصَلْ..
	34- هزْ لاَتْحَطْ، مَا فيهْ سْلاَمَة..
	35- اللِّي يْبَذَّرْ، مَا يْدَبَّرْ..
	36- اللِّي ينفَقْ فْي غيرْ مْلاَمَة، مايْتَّنْصَحْ إلى يُومْ الْقِيامَة..
الرباعي العاشر	37- الْكَاعَا بْالَبْحُوطْ، زرْعْهَا طَارْ..
	38- إبليسْ في كُلْ دُوَّارْ، دَايْرْ مْصِيدْتُو..
	39- اطْفَالْ، بْلاَعَارْ..(يقال للأبرياء من الرجال)..
	40- اللي يخَمَّمْ، مَا يْخَلّي حَدْ يزَمَّمْ..

النّموذج الثّالث :
أمثال مغربية عامية، وأقوال سائرة في فنّ «العروبي»

"العروبي":

مقلوب «**رباعي**» قسمه الأستاذ محمد الفاسي إلى ثلاثة أنواع من أشكال الزجل المغربي:

– **النوع الأول** : تنظمه النساء سجية، ويغنى بمناسبة «النزايه» في البساتين وعرصات المدن التقليدية، كفاس ومراكش، عندما تعلق الفتيات «مطّايشات» (الأرجوحات) ويأخذن في اللعب، وكل واحدة تغني عروبيا» وفي الختام، يزغردن جميعا.

وهذا اللون من الأزجال المغربية لايعرف قائله، ويشاع في أوساط النساء، وكل مواضيعه تدور حول الحب، والغرام، وهو يغنى بصفة خاصة على طريقة إنشادات «الموال» والأصل في هذا اللون من الشعر العامي أن يتركب من أربعة أشطار، لذلك يسمى «عروبيا» بالقلب، أي «ربوعيا» و «رباعياً».

والنوع الثاني : من «العروبي» و يسمى «الرباعي»، وهو ما قد سبقت الإشارة إليه، وإلى مبدعه الأول، الشيخ عبد الرحمن المجدوب، وجله في الحكم، والأمثال، والأقوال السائرة. ويروج في الأسواق، وفي محافل العامة ومجالس الخاصة.

والنوع الثالث : وهو «العروبي» الذي نخصص له هاته الوقفة لنعرف به، كما هو رائج في حظيرة أهل الملحون، يتركب من «أبيات» ذات شطرين، في كل واحد منهما عشرة تقاطيع، وقد تختلف تفاعيل هذا اللون من قياس إلى غيره، ومن وزن إلى آخر، ويدرج في قصائد الملحون في بعض «القياسات» خصوصا «المشرقي» منها، ولايمكن ذلك إلا إذا ساعد الوزن في التلحين، والتلحين بالعروبي في وسط قصيدة الملحون، يسمى «تعريبا»، وذلك لأن إنشاد العروبي في وسط القصيدة له صيغة خاصة، تقرب من صيغة تلحين النساء للعروبيات

التي تسمى سلامات والعروبي يتركب -غالبا- من ثلاثة أبيات، ويزاد شطر في آخره، ويُغنَّى به بصيغة تناسب القسم الذي بعده، وهذا ما يرجع للموسيقى، ومن المعلوم أن هذا النوع من العروبي لا يغنى به على حدة لارتباط معناه بالقصيدة.

ويوجد في حظيرة أهل الملحون نوع من العروبي مستقلا تتعدد موضوعاته وتقاطيعه ويتألف من أربعة أشطار، و«ردمة» وإلى مالايمكن عده وحصره، ولابد في نهايته من الشطر الأخير المسمى، بالردمة، وغالبا ما يتضمن حكمة، أو قولا سائرا، وغير ذلك.

رباعيات

- الرباعي الأول :

مَنْ كَانْ سْوَاكْ رَافْقُو تَنْجَمْ   لاَتْرَافَقْ صَاحَبْ الفَطَاطَا والْفَكعَا

هَذَا تَمْثِيلْ، قُلْتْ أُوشَرْحُو يَلْزَم   لَكِنْ دْرَاوَهْ النّجَابْ أهْلْ الرَّفْعَا

الكَيِّسْ كَايْدِيرْ بَحْسَابْ الرَّجْعَا

- الرباعي الثاني :

وَاحَدْ تَلْقَاهْ، مَا يْقِيسْ ولاَ يَنْقَاسْ   وَاحَدْ تَلْقَاهْ، كَانْتُو، حَدّو رَاسُو

وَاحَدْ تَلْقَاهْ، بْالَفْطَاطَا كَايَمْسَاسْ   خَايَبْ لَطْبَاعْ، ليسَ يَرْضَاوَهْ وْلاَنَاسُو

مَايَتّسَمَّى ثْقِيلْ مَنْ فَاقْ بْرَاسُو

- الرباعي الثالث :

اَلْغَادِي الْبَدُّوزَة عَنْدَاكْ ،بكَلْمْتَكْ تَحْصَلْ   وَاللِّي بَاعْ خُوهْ اللَّعْدُو مَا يَسْوَى بْصَلْ

خُذْ حَذْركْ، عَنْدَاكْ تْشِيطْ او توحَّلْ   حَالْ الْبِيَّاعْ يْبَكِّي، وفَلْسُو مَايْوَصَّلْ

لَحْبَلْ التّقْطَعْ، يامَنْ رَادْ سَبِيبَا   والصَّحْ فَي بْلاَدْنَا يْكوَّدْ، يامَنْ رَادْ الْهِيبَا

كَلْمَتْ الَسَّرّ عَنْد الاَحْرَار عْجِيبَا   خَرَّجْ مَنْ فَمَّكْ بَارُودْ، وَعَنْدَاكْ كلمة غْرِيبَا

واللِّي مَايْدَارِي لَعْدُو، مَاتْشِيطْ لِيهْ مَنْ جْمَاعَتْنَا تَطْرِيبَا

- الرباعي الرابع :

الْقَمَرْ فَي السّمَا، كالُو كَايْضَـــــوِّي وَالْحَـق فَي بَلاَدْنَا أَضْـوا منـــّـو

وَالعَـوَّاد فِي اجْواقْـهُم، مايْسَـــــاوي وَخْـرُوجْــهُم مَنْ بْلاَدنا، لاغنى عَنّو

سَالْ الاَحْرارْ عن البَّاع، ولد غَنُّو

ما يُستخلَص من فنّ «العروبي» من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامية.

عروبيات	ما يتضمنه العروبي من أقوال سائرة وأمثال مغربية عامّية
العروبي الأول	1- مَنْ كَانْ سْوَاكْ، رَافقُو تَنْجَمْ..
	2- خُوكْ مَنْ وَاتَاكْ..
	3- آلفْظَاظَة والْفَكْعَا، مَا يْخَلّوْ حْبَابْ..
	4- اللّي غْضَبْ، يّخَلّي فِينْ يَرْجَعْ..
العروبي الثاني	5- مَا يْقِيسْ، مَا يَنْقَاسْ..
	6- الْفَظّ، كايَمْسَاسْ..
	7- اللّي طَبْعُو خَايَبْ، مَا يْقَبْلُو رَاسُو..
	8- مَا يَتْسَمّى ثُقِيلْ، مَنْ فَاقْ بْرَاسُو..
العروبي الثالث	9- الدّامَرْ بْكْلاَمُو يَحْصَلْ..
	10- الحُرّ بَكْلْمْتُو..
	11- البَيّاعْ، سَلْعْتُو نَصلْة، وَلّى بَصلْة..
	12- الهِيبَة، مَا هِيَ حْبَلْ، مَا هِيَ سْبِيبَة..
العروبي الرابع	13- كَلْمَتْ السّرّ، بَارُودْ عَنْد الاَحْرَارْ..
	14- الحَقّ حَقّ، والبَاطَلْ بَاطَلْ..
	15- اللّي يِصُونْ، كالُو: مَا يْخُونْ..
	16- البَيّاعْ، عْيَا مَنْ التّعْيَاعْ..

النّموذج الرابع
أمثال عامية وأقوال سائرة رصدت بها العامة
يوم 11 يناير من سنة 1944 [15]

مناسبات وطنية	بعض ما قيل من أمثال مغربية
11 يناير سنة : 1944	1- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ الْفَرْدْ، بْلَادْنَا تَرْجَعْ بَالضّدّ.. 2- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ الصّحّ، بالْخَامسْ كَتَفْرَحْ.. 3- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ الاحْرَارْ، الخَامَسْ مَا قَبْلَ تَحْزَارْ.. 4- هَاكْ الصّحّ والمَعْقُولْ، اسْيَادْنَا دَفْعُو المَنْقُولْ.. 5- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ الرّاسْ، هَزّ الذّهَبْ، حَطّ النّحاسْ.. 6- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ الرّشّ، مَا بْقَى فينْ تْحَطّ القَشْ.. 7- صُوتْ، صُوتْ، يَا بيّاعْ، فينْ الذّرَاعْ؟ مَا بْقَى تَعْيَاعْ.. 8- مُولْ القَشّ، فيهْ الفَزّ، مَكْتُوبْنَا جَا بَالزّزْ.. 9- يُومْ حْضَاشْ، يُومْ العَزّ، بْلادْنَا تَمْنَعْ الدّزّ.. 10- اللّي يتْضَرْبْ مَا هُوَ مْهَانْ، تَاريخنا يَمشِي زَرْبَانْ.. 11- اللّي كَتْبُو، مَا رَكْبُو، والخَاينْ يْبَانْ عيبُو.. 12- هَاكْ الصّحّ والمَعْقُولْ، اسْيَادْنَا الغَاوْ المَهْبُولْ.. 13- كالُو: مَهْبُولْ وَلْدْ مَهْبُولْ، اللّي يْشُوفْ ويكُولْ.. 14- اللّي شَافْنَا وَدْوَا، الله يَعْطِيهْ اللّقْوَا.. 15- كالُو : حينْ دْوَا، التّزْوَا.. 16- كلْهَا كَا يْبَيّض عْلَى قَدّ عشّو.. 17- اللّي بْغَا حَرْمَتْ دَارُو، مَا يْعَاوَدْ لَلنّاسْ أَخْبَارُو.. 18- اللّي دَارْ الهَمّة الْسَانُو، رَبّي فِي الجَمَاعَةيَرْفَعْ شَانُو.. 20- الشّا، الرّا، ما ربّاتْ حْمِيرْ.. 21- مَا يْخَافْ عْلَى أَرْضُو، غِيرْ اللي يْخَافْ مَنْ لَعْدُو لا يْعَضُو.. 22- الصَّوْلَة بالرّجالْ، مَاشِي بَالْهْبَالْ.. 23- سيفْنَا بَتّارْ، مَا نْحَمْلُو عَارْ.. 24- اللّي يَعْرَجْ، كالُو: مَا يْهرّجْ.. 25- اللّي سْكتْ أو مَا وَرّا، جَاهَدْ بْسْلَاحُو فَي ابْنِ مُرَّة..

الهوامش

1) يطلق رجال الملحون اسم «القصيدة» على مجموعة من «الأقسام» تتألف منها، ويجمعونها على «قصدان» ويسمونها كذلك «القطعة». والأقسام قد تكثر، أو تقل، والقسم الواحد يتكون من عدة أبيات، والبيت يشكل وحدة «عروضية» يتألف من أشطار والوحدة العروضية حسب بحور الشعر الملحون: المبيّت، مكسور الجناح، المشتَّب، السّوسي (انظر كتاب : القصيدة : (147-135-140-142-144).

2) يقدم شاعر الملحون لقصيدته بقطعة صغيرة تكون في نفس البحر، يمهد بها لضبط إيقاع الوزن الذي سينظم عليه، تسمى «السّرابة»، والغالب أن تتكون من هذه الأجزاء :

أ- أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول»

ب- ناعورة: وهي أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة.

ج- بقية الأبيات.

د- الرّدمة : وهي الشطر الذي يختتم به، ويكون كالفاصل بين السّرابة والقصيدة.

3) البراول : جمع برولة، وتسمى أيضا - بْرِيْوْلَة، وهي أقرب الأنواع إلى القصيدة من حيث الميزان، ونظام القوافي والأبيات، وهي من صنائع الموسيقى الأندلسية، يغلب وجودها في ميزان القدام والدّرج، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالدّريدْكَة بالنسبة للقصيدة. والبرولة لا يعرف ناظمها كالسرابة، وقد أشار الأستاذ محمد الفاسي إلى مجموعة من البراول في معلمة الملحون. كما توجد بعض النماذج -أيضا- في كتاب: القصيدة للدكتور عباس الجراري. (عن كتاب القصيدة ، صفحة : 65)

4) الكنانيش : ج كناش، سجل للتّقاييد عند أمناء المراسي، وعند غيرهم، وكانوا يسجلون فيه حساباتهم الأسبوعية، والشهرية والسنوية، لضبطها والرجوع إليها عند الحاجة وفي «اصطلاح» أهل الملحون: الكناش عبارة عن مجموع، يتكون من كراريس، يضاف بعضها إلى بعض، وحين شاعت الكتابة في صفوف الهواة من أهل الملحون، اتخذوا الكناش وسيلة من وسائل تدوين قصائدهم، وسراربهم، وبراولهم.

«انظر العدد الأول من سلسلة : «ديوان الملحون».

5) الكراسات : ج كراسة، كلمة قديمة، وسميت لتكرسها. والتّكرُّس كما جاء في اللسان: التجمع. يقال : نظم متكرس: أي بعضه فوق بعض. وهي عندهم أصلا للأوراق التي

تجمع بعدما كتبت مجزأة، ورقة ورقة، ثم أضيف بعضها إلى بعض على هيئة الكراريس عند الوراقين، وعند ناسخي قصائد الملحون قديما.

6) انظر سلسلة «ديوان الملحون» العددان : الثالث، والرابع.

7) كتاب : القصيدة، صفحة : 108.

8) الدكتور رمضان عبد التواب، «الأمثال العربية القديمة»..

9) أحمد تيمور باشا، «الأمثال العامية»..

10) سلسلة : «من أعلام الملحون» العدد الأول، الشيخ عبد القادر العلمي.

11) عبد الرحمن الملحوني «أدب المقاومة من خلال الشعر الملحون، والمردَّدات الشفاهية».. «عدد خاص من سلسلة ديوان الملحون».

12) عدد الأمثال المستخرجة من قصيدة «القلب» للعلمي : 32 مثلا مغربيا دارجيا.

13) عدد الأمثال والأقوال السائرة المستخرجة من النموذج الثاني «الرباعيات»: 40 مثلا..

14) عدد الأمثال والأقوال السائرة المستخرجة من النموذج الثالث: « العروبي » 16 مثلا..

15) عدد الأمثال والأقوال السائرة المستخرجة من النموذج الرابع، ما قيل في مناسبة «11 يناير، سنة : 1944» 25 مثلا...

مجموع ما تضمنه هذا البحث من أمثال مغربية

وأقوال سائرة : «113» مثلا مغربيا وقولا سائراً

نحو تدوين الآداب الشفهية المغربية
في إطار تطوير الحرف العربي الموسّع[1]

محمد المدْلاوي

تلخيص

يندرج هذا العرض في إطار مشروع يهدف إلى تقديم مقترحات عملية تتعلق بالحرف العربي الموسع. ويقصد بالـ (ح ع م) تطويع للخط العربي الأساسي عن طريق توسيع إمكانياته التيبوغرافية واستغلال خصائصه الكاليغرافية و أعرافه الإملائية، وتوظيف كل ذلك بشكل يجعل ذاك الحرف مقتدرا كذلك على تدوين مواد ومتون لغوية أخرى غير مادة العربية الفصحى، تدوينا تاما ومحكما، أي تدوينا لا يفتقر إلى حركات الصرف والإعراب ولا تتوقف صحة قراءة لفظه على القدرة على استنباط المعنى بناء على سياق الكلمة، كما هو شأن الإملائية العربية المعيارية الحالية.

والمواد اللغوية المقصودة هنا بالدرجة الأولى هي العربية المغربية الدارجة (ع م د) ومختلف أوجه الأمازيغية، و كذا بعض أوجه مادة العربية الفصحى (ع ف)، كالإمالة والقلقلة والغنة، إضافة إلى أبرز مظاهر متون بعض اللغات الأجنبية، كالفرنسية مثلا، مما ليس له مقابل في أصوات 'ع ف'. و يتكون هذا العرض من أقسام أربعة، ألا وهي :

القسم الأول : يتمثل في مقدمة نظرية توجز القول في مدى ارتباط صناعة الأنظمة الأبجدية بالمعرفة بالنظريتين، الصوتية الصرف (Phonetic theory)، والفونولوجية الوظيفية (Phonological theory)، وكذا بالأنظمة الفونيمية (phonemic systems) الخاصة باللغات المراد تدوين متونها.

القسم الثاني : و هو القسم المركز عليه في هذا العمل، و يقترح جملة من التعديلات الإعجامية الرامية إلى نحت صور خطية لأداء أصوات لغوية طبيعية لا تتحقق في 'ع ف'؛ و ذلك دون الابتعاد عن الأساس الكاليغرافي للحرف العربي، ومع مراعاة حيازة مزايا الاطراد والتسويغ فيما يتم اقتراحه من تعديلات. والغاية العملية من نظام الحرف العربي الموسع هي جعل هذا الحرف مقتدرا على توفير المادة التيبوغرافية اللازمة لتدوين أكبر قدر ممكن من اللغات التي لها علاقة حضارية بالعربية، سواء على سبيل تأسيس نظام إملائي جديد للغة من تلك اللغات أم لمجرد استشهادات محصورة في ميدان معين من ميادين الدراسات الأولية لتلك اللغات أو التقديم الميسر لها (vulgarisation) بواسطة لغة واصفة تستعمل الخط العربي. فليست الغاية إذن هي ابتداع مقابل عربي بديل للأبجدية الصوتية العالمية (International Phonetic Alphabet)، إذ أن هذا النظام الأخير يدخل في ميدانه (أي ميدان تبادل الدراسات اللغوية على الصعيد العالمي) ضمن أنظمة المواصفات العالمية التي لا معنى لها ما لم يحترم بعدها العالمي الضامن لحصول مزيتها التبادلية، كما هو شأن تمثيل الأعداد الطبيعية بنظام الأرقام العربية و تمثيل الماهيات الجبرية بالأبجديتين الإغريقية واللاتينية، وتمثيل العلاقات المنطقية والجبرية برموز خاصة مثل (+، −، +، X، ÷، ≠، ›، ‹، =، ⊂، ⊄، الخ).

القسم الثالث : ويحدد مجموعة من الأوفاق و المواضعات الإملائية التي يتعين اعتمادها في رسم معالم الكلمة الخطية في كل من الأمازيغية و الـ 'ع م د' ، وذلك من حيث مواطن اعتماد اللفظ، و مواطن اعتماد التقدير، بالنسبة لما يعتري لفظ المادة اللغوية من قلب أو إدغام أو فك، وكذا من حيث مواطن الفصل أو الوصل في الرسم بالنسبة لمختلف أبواب الضمائر، والأدوات، والعوامل الحرفية، في علاقتها مع الوحدات المعجمية الكبرى من اسم وفعل وصفة، وهو قسم نشير فقط هنا في هذا العمل إلى نوعية قضاياه وأبوابه دون بسط الكلام فيها لضيق الحيز، محيلين بالنسبة لما يتعلق منه بالأمازيغية على عمل سابق لنا (انظر Elmedlaoui 1999) كنا قد قدمنا خطوطه العريضة في

محاضـرة باللغـة العربية ضمـن برنامـج محاضـرات معهـد الأبحـاث والدراسـات للتعريـب (2001/02/29).

أما **القسم الرابع** فيستعرض ما يعن لصاحب هذا العمل، في هذه المرحلة من النظر والبحث، أنه يمثل مزايا الحرف العربي في باب المفاضلة بين الأنظمة الممكنة لـتدوين كل من 'ع م د' والأمازيغية، وذلك اعتبارا لكافة أوجه الأمر من النواحي التقنية التيبوغرافية، والتربوية، والسوسيو-ثقافية، والحضارية.

I. مقـدمة نظريـة

من الأصـوات اللغـوية الطبيـعيـة مـا يكون سـاريا دارجا فـي بعض اللغـات ويقوم فيها بوظيفة التمييز بين الكلمات، بينما يبقى مهملا في لغات طبيعية أخرى. هذا شـأن الوجـه المـهـمـوس للبـاء مـثـلا، أي /p/، المـوجـود مـثـلا في كل من الإنجليـزية والفـرنسـيـة، والمنعـدم في الـ'ع فـ'. ففـي الإنجليـزية مـثـلا، لا تتمـايز الكلمتـان pear، "إجـاصـة"، و bear "دبّ" إلا بتـمـايز /p/ عن /b/، وهـو تمـايز ينحصر في نهاية التحليل في أن الصوت الأول مهموس، أي لا يهتز أثناء إخراجه الحبـلان الصـوتيـان، بينمـا يـحـصـل ذلك الاهـتـزاز في الثـانـي، لذلك يصنف هذا الأخير ضمن الأصوات الموصوفة بـالمجهورة. أما المخرج، الذي هو الشفهية، وبقية صفات الإخراج، فالصوتان /p/ و /b/ متحدان فيها. ويمكن أن يقال نفس الشيء بالنسبة لتمايز الكلمتين pelle"رفش" و belle"جميلة" في الفرنسية. إن مثل هذه التمـايزات في لغـة من اللغـات هـي التي تحـدد، بالنسبـة لواضـعي الأنظمـة الأبجدية، لائحة الأصوات المميزة، أو مـا يسـمى اليوم في فرع الفونولوجيا من علم اللسـانيات بـالفونيمات (phoneme). فصوت الباء /b/ فونيم قائم بهذا الاعتبار في كل من الإنجليزية والفرنسية و كذا في العربية، حيث يتقابل مع بقية الشفهيات من ميم وفـاء، فيـمـيز مـثـلا الكلمـة الأولى عن نظيـرتيـها في التـقـابلين الثـلاثـيـن الآتيين:

1) /پـــات/ /مـــات/ /فـــات/

/عـــاپ/ /عـــام/ /عـــاف/

/ ب/ # /م/ # /ف/

ولذلك يتعين على أي نظام أبجدي يعتمد لتدوين أي واحدة من هذه اللغات الثلاث أو هي جميعا أن يفرد رسما خاصا لهذا الفونيم ليميز بذلك في الرسم ما هو مميَّز في النطق (فيكون ذلك الرسم مثلا على شكل /b/ أو/ب/ أو/ⵀ/... الخ). أما المقابل المهموس لهذا الفونيم فهو قائم بدوره بنفس الاعتبار كفونيم مميِّز في كل من الإنجليزية و الفرنسية كما رأينا سابقا؛ ولذلك أفردت له الأبجدية اللاتينية (a b c d ...) المعتمدة في كتابة هاتين اللغتين رسما خاصا به هو /p/؛ وذلك بخلاف ما سيكون عليه أمر أي أبجدية تُعتمد لكتابة الـ ع فـ على سبيل الحصر؛ إذ لن تقوم فيها الحاجة إلى هذا الحرف، وذلك لعدم قيام ذلك الصوت المهموس كفونيم مميز في معجم هذه العربية.

وإذا كانت الأبجدية العربية، و هي المعتمدة في كتابة الـ ع فـ في غير حاجة إلى ما يقابل حرفي /p/ و /v/مثلا من الأبجدية اللاتينية، فإن استعمال هذه الأبجدية لتدوين لغات أخرى كالتركية والفارسية والأردية في فترات تاريخية مختلفة، وكذا الاحتكاك ببعض أسماء الأعلام الجارية غير المكتملة التعريب (مثل Panama، Vatican)، قد جعل مستعملي الحرف العربي يعمدون منذ أجيال إلى تعديل صورتي كل من الباء و الفاء المتأصلتين في الأبجدية العربية، وذلك لأداء ذينك الصوتين في اللغات المعنية أو في الأعلام المعنية؛ فتم بذلك إدخال حرفي /پ/ و /ڤ/ مثلثي الإعجام في لوحات مفاتيح بعض الآلات الكاتبة ثم في بعض الأنظمة الحاسوبية. ولقد تم نفس الشيء بالنسبة للوجه المجهور من الكاف أي /g/ الذي درج مستعملو الحرف العربي اليوم على أدائه بالحرف /گ/ المولد انطلاقا من تعديل للكاف بواسطة نقط الإعجام، و بذلك يمكن كتابة اسم مدينة [اگادير] مثلا بأمانة وتمام بدل رسمه رسما ناقصا أو محرفا على شكل [اغادير] أو [اجادير].

يتضح من الأمثلة التقابلية السابقة ما بين وجهي الجهر و الهمس بالنسبة لكل من الباء، أي (/b/ = /p/)، و الفاء، أي (/v/ = /f/)، و الكاف، أي (/g/ = /k/) أن أساس تمايز أصوات اللغة الواحدة أو اللغات فيما بينها هو التقابل بين محددات تلك الأصوات من مخارج (شفاه، أسنان، لثة، غار، طبق، لهاة، أسلة اللسان، ظهر اللسان، بلعوم، حنجرة) وصفات إخراجية [± انغلاق]، [± جهر]، [± إطباق]، [± أنفية]، ... الخ). ويلاحظ هنا أن الصفات يعبر عنها في الحقيقة بواحد فقط من حدي التقابل مخصَّصا إما بالإيجاب [X+] أو بالسلب [X-]، فيقال مثلا [+جهر] مقابل [– جهر] بالنسبة للتقابل بين /b/ و/p/ بدل القول إن الأول مجهور بينما الثاني مهموس.

والحال أن قائمة المخارج و الصفات الإخراجية الطبيعية الممكنة نظريا قائمة محصورة. و تقوم نظرية الأصوات اللغوية الطبيعية في علم الفونولوجيا بإحصاء هذه الصفات وحصرها، كما تقوم بحصر الائتلافات الممكنة فيما بين تلك الصفات والمخارج؛ فما كل الائتلافات الممكنة من الناحية الرياضية الصرف بمحققة في اللغات الطبيعية إذا ما أخذت هذه اللغات في مجموعها؛ كما أن كثيرا من الائتلافات التي تتحقق فعلا في لغات طبيعية بعينها تبقى مهملة في لغات طبيعية أخرى. فصفة [+أنفي] مثلا لا تأتلف في لغة من اللغات الطبيعية بصفة [–جهر]، إذ أن كافة الأصوات الأنفية مجهورة في كافة اللغات. وإذا كانت صفة الهمس، أي [–جهر] تأتلف بالنسبة للمخرج الشفهي في لغات كثيرة كالفرنسية والإنجليزية، بصفة [+انغلاق] فتحقق صوت /p/، فإن ذلك الائتلاف مهمل في العربية كما رأينا، وهو مهمل كذلك في الأمازيغية. وإذاً كانت صفة [+تفخيم] تأتلف بمخرج أسلة اللسان (أي صفة [+أسلي]) في كثير من اللغات الحامية السامية كالعربية والعبرية والأمازيغية فتميز في العربية الفصحى المعاصرة مثلا الصاد عن السين، والطاء عن التاء، والظاء عن الذال، والضاد عن الدال، فلا شيء من ذلك يحصل في الفرنسية أو الإنجليزية.

اعتمادا على هذا الافتراض النظري المبني على الاستقراء والقاضي بمحدودية المخارج والصفات الصوتية الطبيعية من جهة، وبمحدودية الائتلافات

الطبيعية الممكنة بين تلك المخارج والصفات من جهة أخرى، عمد علماء الفونولوجيا والصوتيات العامة والمقارنة (انظر Kenstowizc 1994) إلى تطوير ما يسمى بالأبجدية الصوتية العالمية (International Phonetic Alphabet) انطلاقا من أساس الحرفين، اللاتيني والإغريقي، الموسعين بإدماج كثير من صور الأحرف المستحدثة في كثير من اللغات الأوروبية حديثة العهد بالكتابة والتي أسست أبجديتها انطلاقا من تطوير أحد ذينك الحرفين وتوسيعه ليغطي قائمة أبجديتها. كما ابتَدع نظامُ الـ أ.ص.ع عبر مختلف مراحل تطويره وإغنائه و تدقيقه بفضل اتساع الاستقراء وتطور النظرية كثيرا من أنظمة النقط والإعجام لتوليد صور أحرف جديدة للدلالة على أوجه أصوات تتميز بصفات صوتية طبيعية معينة جديدة مما يتم إحصاؤه باستقراء اللغات البشرية. وقد درج المختصون في هذا الباب على الحرص على حيازة مزيتي الاطراد والتعليل. فقد اصطلح مثلا في مرحلة سابقة من مراحل صياغة الـ أ.ص.ع على تمثيل صفة التفخيم عن طريق إعجام الحرف الدال على الوجه غير المفخم بواسطة نقطة في أسفله (انظر : ford 1987، فيتم التمييز بفضل ذلك بين الكلمات العربية الآتية :

2) التقابل على أساس التفخيم في الع ف (يوضع المعنى بين سنين مزدوجين "..." من الآن فصاعدا)

sayf "سيف" # ṣayf (بنقطة تحت s) "صيف"

qadam "قدمٌ" # qaḍam (بنقطة تحت d) "قضَمَ"

ومع تقدم الدراسات الفونيتيكية التشريحية وغلبة الرأي الذي يرى بأن الحركة العضوية الإخراجية الأساسية المحدثة لجرس التفخيم في الصوت المعين تتمثل في عقبة ثانوية (secondary articulation) تحدث على مستوى البلعوم الأعلى (انظر Elmedlaoui 1995 a)، فإن الصياغة الجديدة للأبجدية الفونيتيكية العالمية (أ.ص.ع) أصبحت تستعمل صورة مصغرة لحرف العين – وهو أحد الأصوات البلعومية – كعلامة إعجام تلحق كزائدة بالحرف المعين للدلالة على أنه مفخم (انظر Ladefoged & Maddieson 1996)، وذلك حرصا على حيازة مزيتي الاطراد

والتعليل في الرسم على ضوء المعارف الجديدة في نحت صور ما يتم توليده من صور الأحرف لتوسيع وإغناء الأبجدية المعينة حتى تغطي ما يراد لها أن تدونه من لغات متفاوتة قوائم الفونيمات (Phonemic systems) ولقد سلك نظام الـ (أ.ص.ع) نفس المسلك المعلل في تمثيل الصورة الإعجامية الدالة على ما تتميز به بعض الصحاح في بعض اللغات من روم الضم، كحال الغين مثلا من كلمة [غْراب] ("غُراب") في الـع م د، حيث يتم رسم إعجام هذا الروم بواسطة واو صغيرة تلحق كزائدة بالحرف الموسوم صوته في النطق بروم الضم، و ذلك من حيث أن جرس روم الضم يتمثل من الناحية الإخراجية في إحداث عقبة ثانوية بضم الشفتين موازاة مع الاعتماد على المخرج الرئيسي للصوت (أي مخرج اللهاة في حالة الغين) ومن حيث أن الواو مثال لضم الشفتين (انظر Elmedlaoui 1995a). أما الحرف العربي الموسع فيرمز لهذه الصفة بصورة ضمة مقلوبة يعجم بها الحرف فتميزه عن نظيره غير المشفه، وذلك تجنبا لما من شأن استعمال علامة / ُ / أن يولده من التباس مع حركة الضم الصريحة، والالتباس الإملائي شيء يتعين تجنبه في الرسم والإعجام والفوصلة (انظر القلقشندي، ص: 140–151).

وهكذا فإن ما يعرف اليوم بالأبجدية الصوتية العالمية هو حصيلة متطورة ومتجددة باستمرار على ضوء التقدم المعرفي الذي يحصل في ميداني الفونيتيكا والفونولوجيا. وقد ترسخ مقياسان أساسان يحكمان أوفاق توليد الحروف المستحدثة كما رأينا، ألا وهما :

– اطراد دلالة العنصر الإعجامي المعين – في حدود الإمكان – على صفة صوتية بعينها (تفخيم، تشفيه، صفير، الخ.)

– التعليل والتسويغ في صورة الإعجام المعين، في حدود الإمكان على ضوء المعرفة المحققة في علمي الفونيتيكا والفونولوجيا، أي أن يكون شكل العنصر الإعجامي موحيا بما يراد منه الدلالة عليه من صفات صوتية.

تلك إذن هي الطريقة التي يتعين اتباعها - في حدود الإمكان - في توسيع قاعدة الحرف العربي ليغطي ما تتميز به لغات أخرى يراد تدوينها به من فونيمات

مما لا يوجد في العربية الفصحى؛ وذلك سواء عن طريق ترسيخ وترسيم وتعليل رسوم أحرف وإعجامات سبق ابتداعها ووجدت مكانها على لوح المفاتيح، أو عن طريق نحت إعجامات أخرى لم تبتدع بعد.

II. الحرف العربي الموسع

1.II. تمثيل التفخيم في الحرف العربي

التفخيم (emphasis) صفة صوتية مميزة (distinctive feature) قائمة في كثير من اللغات، ومن بينها اللغات الحامية السامية (Afro-asiatic Languages)، كمختلف أوجه العربية، ومختلف أوجه الأمازيغية. ويتولد جرس التفخيم في الصوت المعين، كما ذكر سابقا، عن إحداث عقبة ثانوية (secondary articulation) على مستوى البلعوم الأعلى، وذلك عن طريق خفض ظهر مضغة اللسان. ولذلك يطلق على هذه الصفة اليوم مصطلح البلعمة (dorso-pharyngealization)؛ (انظر التفاصيل في Elmedlaoui 1995a) وتكاد صفة التفخيم تقتصر على جنس الأسليات (coronals) من صحاح اللغات المذكورة، أي تلك التي يتم الاعتماد بواسطة أسلة اللسان لإخراجها، أو ما يعرف في القاموس المدرسي بالأحرف الشمسية.

1.1.II. التفخيم في العربية

تعتبر اللغة العربية بجميع أوجهها من أغنى اللغات من حيث استغلال صفة التفخيم كصفة صوتية مميزة تتقابل على أساسها أربعة أزواج من الأصوات الأسلية، هي الآتية حسب كيفية نطق الـ'ع ف' في عصرنا.

4) **المفخمات في العربية**

[-تفخيم] : س ت د ذ

[+تفخيم] : ص ط[2] ض ظ

يتضح من الجدول أعلاه، مقارنا بما يقابله في بقية اللغات السا مية، أن اللغة العربية تتوفر على أكبر حصة من الأصوات المفخمة المميزة، أي من الفونيمات المفخمة. ولذلك كان الخط العربي المرتبط تأسيسه وتطوره بتدوين العربية أوفر الأنظمة المشهورة عددا من حيث أحرف التفخيم. فالعبرية مثلا لا تتوفر إلا على صوتين مفخمين هما الطاء والصاد، ويمثلهما في الرسم العبراني المربع الحرفان ט و צ. ويتحقق التفخيم سياقيا في العربية على مستوى اللفظ في صوتين أسليين إضافيين هما اللام من اسم الجلال، الله، والراء في سياقات مضبوطة تبعا لما يحيط بها من حركات (قارن مثلا بين جرسي الراء في كل من كلمتي رِجْل و رَجُل). وبما أن التفخيم لا يقوم بوظيفة تمييزية في هذين الصوتين بالنسبة للعربية بحيث تقابل الكلمات على أساسه كما تقابل في المثال رقم 2 مثلا، وإنما هو مشروط بطبيعة ما يحيط باللام أو الراء من حركات، وهو الواقع الذي يعبر عنه عند أهل الاختصاص بالقول إن الوجهين، المفخم وغير المفخم، في كل من اللام أو الراء لا يمثل كل منهما فونيما قائما بذاته في المعجم، وإنما هما وجهان سياقيان لفونيم واحد (two allophones)؛ بما أن الأمر كذلك، فإن واضع الأبجدية العربية لم يفرد حرفين متمايزين لا بالنسبة للام ولا بالنسبة للراء كما فعل ذلك بالنسبة لكل زوج عمودي من عناصر الجدول رقم 4 أعلاه.

2.1.II. التفخيم في الأمازيغية و في ع م د

خلافا لما هو عليه الشأن في العربية الفصحى، طورت كل من الع م د والأمازيغية نظامين فونيميّين (phonemic systems) تتقابل فيهما الكلمات وتتمايز بفضل تقابل صفة التفخيم إيجابا [+تفخيم] أو سلبا [–تفخيم] في صوت الراء كما يتضح من الأمثلة الآتية :

5) **الراء المفخمة في أمازيغية تاشلحيت**

[–تفخيم]		[+تفخيم]	
ارا	"اكتُب"	اڕاٍ	"هاتِ"

يـمّـورّي "تجـوّل" يـمّـو رّي "اِلتوى"

6) الراء المفخمة في الـع م د

[–تفخيم]		[+تفخيم]	
راب	"تـهدّم"	ۥراب	"راب"
برّا	"تـبـرّأ "	بـۥ را	"الخارج"

وقد امتد هذا التقابل الوظيفي المميز في كل من هاتين اللغتين إلى أصوات صفيرية أخرى من الفصيلة الأسلية زيادة على التقابل س/ص المعروف في العربية والعبرية؛ بل إنه امتد حتى إلى اللام والنون إذا ما اعتبرت بعض الكلمات الدخيلة التي ترسخت في المعجم. و هذه أمثلة :

7) مفخمات أخرى في الأمازيغية

[–تفخيم]		[+تفخيم]	
يزي	"ذبابة"	**يژي**	"غدة الصفراء"
يـجّـا	"زكي الرائحة"	**يـچّـا**	"كريه الرائحة"

8) مفخمات أخرى في الـع م د

زينـة	"جميلة"	**ژينـة**	"دزينة"
جـاوج	"ثـانٍ"	**چاوچ**	"عصافير"

وقد تنبه واضعو أبجدية تيفيناغ منذ العصور القديمة إلى نوعي الزاي في الأمازيغية فأفردوا لكل واحد منهما رسما خاصا في تييفيناغ (ЖН للعادية، و#للمفخمة) في الحرف الليبي القديم (انظر Cortade 1969, p : 5)، كما تنبه المتعلمون وكتبة المتون الأمازيغية في القرون الوسطى إلى نوعي الزاي (وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بمناسبة حديثه عن مدينة /أژيلا/ التي عُرّبت بلفظ [اصيلا] بمقتضى محدودية الرسم العربي ثم انتهى رسمها إلى /أصيلة/ بفعل

ما يسميه De Saussure بالإيتيمولوجيا الشعبية أو التأصيل العامي. وقد سميت قبيلة / يژنـها گن / بـ /صنهاجة/ لنفس السبب. وكان هؤلاء الكتبة يميزون الوجه المفخم للزاي بواسطة صاد معجمة بكوكبة من ثلاث نقط / ص/ كما فعل الهلالي (ق: 11 هـ؛ انظر 1998 : 36 (Boogert) في معجمه العربي - الأمازيغي. كما ميز هؤلاء الكتبة في تدوين الأمازيغية بين نوعين من الجيم فكانوا يميزون المفخم منهما بنفس الطريقة الإعجامية. وبما أن التفخيم مقصور على الأصوات الأسلية (أي ما يسميه المدرسيون بالحروف الشمسية) كما سبقت الإشارة، فلا مانع من الاحتفاظ بهذا التقليد الإعجامي وترسيخه لتطرد دلالته في باب الأسليات، إذ لن يُنذر ذلك بقيام التباس مع القيمة الخاصة لذلك الإعجام في كل من /پ/ و/ڤ/، إذ أنهما شفهيان، واستعمالهما قد ترسخ في التقاليد الحديثة لتوسيع الخط العربي بقيمته التي لم يعد بالإمكان أن تلتبس. وبهذا تكون الأحرف المفخمة التي يحتاج إليها الحرف العربي الموسع هي الآتية :

9) الأحرف المفخمة الإضافية التي يحتاج إليها الحرف العربي

الزاي المفخمة / ژ /

الجيم المفخمة / چ /

الراء المفخمة / ڔ /

(ويمكن إضافة الوجه المفخم لكل من اللام والنون عند الاقتضاء باستعمال نفس الإعجام).

أما بقية الأحرف المفخمة فهي موجودة أصلا في الخط العربي كما تبينها عناصر السطر الثاني من الجدول رقم (4) السابق.

2.II. التشفيه أو روم الضم (labialization) /ــُـ، ــُـ/

تتميز العربية المغربية الدارجة بالمقارنة بالعربية الفصحى، وكذلك الأوجه الشمالية للأمازيغية مقارنة بالأوجه الطوارقية، بكونها جميعا قد طورت صفة

صوتية جديدة تلحق الصحاح الطبقية واللهوية خاصة، وفي بعض الأصوات الشفهية كذلك، ألا و هي صفة روم الضم (labialization) ويتمثل روم الضم، كما يدل على ذلك اسمه (انظر Elmedlaoui 1995a)، في تهيئة ظهر مضغة اللسان من جهة، و الشفتين من جهة ثانية، أثناء إخراج الصوت المعني بنفس الهيئة التي يتخذانها أثناء إخراج الواو أو الضمة؛ أي أن يتم تدوير الشفتين (rounding) من جهة، و تحديب مؤخرة ظهر اللسان (anterodorsum) وإطباقها نحو السقف الرخو المسمى بالطبق (velum) من جهة ثانية، وهو ما جعل البعض يفضل استعمال المصطلح الواصف 'التشفيه الإطباقي' .(labio-velarization) ويتم تمثيل التشفيه في التدوين الصوتي العالمي بواسطة واو صغيرة تُلحق كزائدة بالحرف المراد تمييزه عن نظيره غير المشفه؛ مثلا : k^w للكاف المشفهة، في مقابل k للكاف العادية.

1.2.II. التشفيه في الأمازيغية و الـ ع م د

وإذا كان الإخراج المبين أعلاه من تهييء لظهر اللسان وللشفتين بذلك الشكل موجودا في فصيلة الحركات وما يجانسها من علل أو أشباه صحاح في كل اللغات، من حيث أن الضمة وما جانسها موجودة في كل اللغات على ما نفترض، فإن هناك من اللغات ما تلحق فيه هذه الصفة الصحاح كذلك. ومن هذه اللغات الـع م د من جهة، والأمازيغية (خصوصا تاشلحييت وتاقبايلييت)، من جهة ثانية. لقد أدى سقوط جيل سابق من الحركات في هاتين اللغتين إلى استرداد الصحاح اللهوية (uvulars، أي القاف والغين والخاء)، والطبقية (velars، أي الكاف والگاف)، وأحيانا الشفهية (labials، أي الميم والباء والفاء) لصفة ضم الشفتين والاحتفاظ بها كصفة ذاتية حينما تكون الحركة المجاورة الساقطة تاريخيا حركة ضم (Elmedlaoui 1998b, 2000، انظر كذلك شفيق 1999)، وذلك كما في الكلمات المقابلة في الـع م د لكلمات من الفصحى مثل "غُرَاب" أو "خُزَامَى" أو "أمّـي"، أي [غـْراب] و [خـْزاما] و[مّـْي] على الترتيب، بضم الشفتين وإعداد اللسان أثناء إخراج كل من الغين والخاء والميم كما في هيئته في تحقيق الضم، ولكن دون تحريك أيّ من تلك الأحرف في تلك الكلمات.

II.2.2. تمثيل التشفيه في الحرف العربي الموسع

لا يتوفر الحرف العربي الأساسي على صور خاصة لصوت صحيح مشفه ولا على إعجام خاص بصفة التشفيه، وذلك لانعدام صحاح مشفهة في النظام الفونيمي للـع ف التي من أجلها وضع الواضع هذا الحرف. وبما أن التدوين المندمج للحركات في صلب متن الكتابة هو النظام الذي سندافع عنه في إطار الحرف العربي الموسع، خصوصا بالنسبة لاستعمالات الحرف العربي في تدوين لغات جديدة غير العربية الفصحى، فإن صور الحركات من فتحة /ـَ/ وكسرة /ـِ/ وضمة /ـُ/ ستصبح رصيدا تيبوغرافيا احتياطيا زائدا؛ وكان يمكن أن توظف منه صورة الضمة كعلامة تميز الصوت المشفه مثل k^w، على شكل /كُ/، عن نظيره غير المشفه k. غير أن عادات الاستعمال المدرسي الحالي لهذه الحركات في إطار واقع سوسيو-لغوي يطبعه التعدد على المستويين الشفهي والكتابي، تجعل من غير اللائق من الناحية التربوية إسناد وظيفتين اثنتين لعلامة واحدة، خصوصا في نفس المرحلة من التعلم. و لذلك نفضل ابتدا ع واستعمال علامة الضمة المقلوبة / ـ' ـ/ لتمثيل التشفيه في نظام الحرف العربي الموسع. وبذلك ندون مثلا k^w برسم / كـ' /؛ فيحوز بذلك هذا النظام مزية التبرير والتسويغ من جهة، و مزية تجنب الاشتراك والالتباس من جهة ثانية. وبناء على هذا، يمكن التمثيل لتدوين التشفيه في الـح ع م بالشكل المبين في المجموعتين الآتيتين من الأمثلة :

10) أمثلة لمشفهات في الـع م د

[– تشفيه]	[+ تشفيه]
صـفـار "صَـغُـرَ"	صغـ ' ـار "صِغَار"
تقـال "ثَقُـلَ"	تـقـ' ـال "ثِقال" (صيغة جمع)
	غـ' ـزال "غَزال"
	غـ ' ـراب "غُرَاب"
	كـ ' ـرسي "كُرسي"

11) أمثلة للمشفهات في الأمازيغية (تاشلحييت)

[– تشفيه]		[+ تشفيه]	
يـكلا	"ظَـلّ"	يـكـ ʷـلا	"ملوّن"
ور يغلي	"لم يصعد"	ور يغـ ʷـلي	"ليس غالي الثمن"

3.II. الأصوات المركبة (affricates)

الأصوات المركبة أصوات يعتمد، لإخراجها، بنقطة ما من نقط مقدمة اللسان (anterodorso) على الغار، أي الحنك الأمامي الصلب (hard palate) وتسمى مركبة لكون جرسها يجمع ما بين جرس الإخراج الانغلاقي وإشمام من جرس احتكاك صفيري (sibilance) من قبيل صفير سأسأة السين أو الزاي (hussing)، أو صفير شأشأة الشين أو الجيم (hushing)، كما لو أن تلك الأصوات مركبة من صوت انغلاقي (stop)، شديد باصطلاح ابن جني، وصوت احتكاكي (fricative)، رخو باصطلاح ابن جني. و يجدر التنبيه هنا إلى أن صوت الجيم في العربية الفصحى، الذي ينطق اليوم في شمال إفريقيا و في المغرب على الخصوص كصوت أسلي احتكاكي صفيري منساب، كان ينطق في زمان ومكان ابن جني وحتى سيبويه من قبله، كصوت غاري (palatal) مركب انظر (Al-Nassir 1993 : 42)، إذ كذلك وصفه سيبويه ومن أخذ عنه، وكذلك ينطق اليوم في كثير من مناطق الخليج، أي بلفظ [ğ] ، الذي يقابله في الهمس كاف غارية مكشكشة [č]، كما في قول بعض لهجات المشرق [šu beteħče] "ماذا تحكي ؟"، وهو ما يسمع من خلاله أهل شمال إفريقيا [شو بيتيحشي]. ونطق [ğ] يمثل مرحلة تطورية وسطى في الانتقال من الصوت الطبقي الانغلاقي /g/ الذي هو الأصل الدياكروني لهذا الفونيم في اللغات السامية، كما تدل على ذلك المقارنة بين هذه اللغات و كما يدل على ذلك أيضا عدم انخراط الجيم في قاعدة إدغام لام التعريف التي تشمل كل الأصوات الأسلية، أي ما يسمى بالأحرف الشمسية) إلى الصوت الأسلي الاحتكاكي الصفيري /ž/ الغالب حاليا في المغرب (كنطق حرف /j/ في الكلمة الفرنسية (jour)، والذي لا يختلف عن الشين إلا بصفة الجهر، وقد كان يصنف في عهد سيبويه من الأوجه 'غير المستحسنة' لنطق الجيم في العربية (وجه الجيم

التي هي كالشين، بتعبيره). وينطق جيم اللهجة العربية الجزائرية في بعض المناطق مركبا أيضا، ولكن من مخرج أسلي وليس من مخرج غاري كما في المشرق، أي بصوت $[d^{\check{z}}]$ (كنطق حرف /j/ في الكلمة الانجليزية (jazz)؛ ونجد نظيرا له على مستوى اللفظ في كل من وجهي الأمازيغية في القبائل و في الريف، كما نجد فيهما مقابله المهموس، $[t^{\check{s}}]$، و هو الصوت المركب بـ'التشتشة' لا بالكشكشة، والذي نجده في نطق ch في الكلمة الإنجليزية child أو الاسبانية chico "صبي".

12) التدوين الصوتي لأهم الأصوات المركبة

وقد اصطلح في العشريات الأخيرة في تقاليد فرعي الدراسات الفونيتيكية و الفونولوجية على تمثيل أهم الأصوات المركبة برسم صورة حرف الصوت الانغلاقي الأقرب منها في المخرج و الجرس، مثل التاء /t/ أو الدال /d/، وإعجامه بزائدة مصغرة لصورة حرف من حروف السأسأة أو الشأشأة يكون مناسبا من حيث الجهر والهمس (أي السين أو الشين كزائدتين ممكنتين بالنسبة للتاء المهموسة، والزاي أو الجيم بالنسبة للدال المجهورة). ويتم أحيانا رسم العنصرين معا، الانغلاقي والصفيري، على نفس المستوى الخطي مع ربطهما بما يشبه علامة الوصل في تدوين الصولفيج الموسيقي (انظر Ladefoged & Maddieson)، وذلك على الشكل الآتي، حيث سنمثل علامة الوصل، المقوسة أصلا، بمجرد تسطير سفلي:

13) أهم الأصوات المركبة في اللغات الطبيعية :

	تركيب بالسأسأة (أ)			تركيب بالشأشأة (ب)		
مخرج أسلي (a	t^{s}	$\underline{ts}$	تـ^	$t^{\check{s}}$	$\underline{t\check{s}}$	تـˇ
(b	d^{z}	$\underline{dz}$	د^	$d^{\check{z}}$	$\underline{d\check{z}}$	دˇ
(c				$\check{r}$		رˇ

مخرج غاري d)................................. ğ گ̌
č ک̌

وبما أن الهيأة الكاليغرافية لأحرف الخط العربي وعادات استعماله لا تتلاءم لا مع علامة الوصل، على طريقة الصولفيج، ولا مع أسلوب الحروف المعلقة كزوائد (exponents)، بينما تنسجم هذه الكاليغرافيا مع أسلوب الإعجام، الذي يشكل أحد عناصر التوشية فها، فإننا نقترح استعمال التويج، وهو أحد أهم تلك العناصر البديعية، وذلك لتمثيل نوعي الصفير الداخل في التركيب، من سأسأة وشأشأة، خصوصا و أن علامة التويج هذه مستعملة لنفس الغاية في نظام الت ص ع (IPA)، و كانت تستعمل كذلك من طرف كتاب النصوص الأمازيغية بالخط العربي في القرون السالفة، و إن بقيمة أخرى. و بناء على ذلك رمزنا في الجدول(13) أعلاه للشأشأة بصورة التويج /ـ̌ـ/ تعجم به التاء أو الدال أو الراء أو الكاف أو الگاف حسب نوع الصوت المعني بالتركيب، بينما رمزنا بالتويج المعكوس /ـ̂ـ/ إلى الوجه المقابل الآخر من الصفير أي السأسأة.

II.1.3. الأصوات المركبة على مستوى اللفظ في بعض أوجه الأمازيغية

طورت بعض الأوجه الشمالية للأمازيغية الصنهاجية (في القبائل و الريف) أصواتا مركبة مثل /ť^{s}/ و /ď^{z}/ انظر Chaker 1990 و Chami 1978 على الترتيب)، و مثل /t^{s}/ و /d^{z}/ في القبائلية، و/ř/ في الريفية (قلعية). وإذا كان من المفروغ منه أن الحرف العربي في حاجة إلى الأحرف المولدة المقترحة في الجدول (13) أعلاه ليقتدر على تدوين هذه الأوجه من الأصوات في باب الوصف العلمي المخبري للغات الطبيعية المتوفرة على أصوات مركبة إن على مستوى اللفظ فقط (كالأمازيغية) وإن على مستوى التقدير كذلك (كالإنجليزية، والألمانية)، فإنه لا يبدو أن إملائية عادية (orthographe usuelle) لتدوين أي وجه من أوجه الأمازيغية في حاجة إلى استعمال تلك الأحرف، وذلك لأن من المبادئ المؤسسة للأنظمة الأبجدية الراسخة ألا تستعمل من العناصر الأبجدية إلا ما يقابل الفونيمات المقدرة في المعجم، أي ما يسمى بالأصول في اصطلاح سيبويه ومن

أخذ عنه؛ أما الأوجه أو ما يسميه سيبويه بالفروع، سياقية كانت أم لهجات محلية ('لغات' بتعبير القدماء) فلا يأخذها الخط بعين الاعتبار. ألا ترى بأن الأبجدية العربية لم تفرد حرفين خاصين لكل من الراء من جهة واللام من جهة ثانية، حسب الأوجه السياقية من حيث التفخيم و عدمه كما رأينا؛ كما أنها لم تفرد أحرفا خاصة لمختلف الأوجه اللهجية لنطق الجيم ('الجيم التي كالشين' و'الجيم التي كالكاف'، حسب تحديدات سيبويه، أي [ž] و [گ] على الترتيب) أو لأوجه نطق الكاف ('الكاف التي كالشين' بتعبير سيبويه، أي [č]). فالأوجه اللفظية المطردة الخاصة تغض عنها الأنظمة الأبجدية الطرف لتتكفل بوصفها وحصرها القواعد الفونولوجية فيما يتعلق منها بالأوجه السياقية، والدراسات المقارنة، في ما يتعلق منها بالأوجه اللهجية.

فأغلبية الأصوات المركبة في أوجه الأمازيغية لا ترد إلا منقلبة عن غيرها من الأصول المقابلة غير المركبة إما انقلابا لهجيا مبرما لا ينصرف نظرا لدخوله إلى المعجم السانكروني المحلي، كشأن اللام 'المرأرأة' /ř/ في ريفية الناضور، و إما انقلابا منصرفا بفعل تشديد صرفي (تشديد بعض الصيغ الصرفية، كتشديد عين 'فعّل' أو 'فعّال') أو بفعل تشديد فونولوجي ناتج عن المماثلة والإدغام (انظر Elmedlaoui 1993، 1998a، 2001a) وبناء على ذلك، يمكن التمثيل الإملائي لتلك الأصوات المركبة لفظا لا تقديرا، ليس بنحت حروف لألفاظها الطارئة في سياق سنكروني معين أو في نطاق لهجي محلي معين، ولكن عن طريق إرجاع اللفظ إلى أصوله التقديرية من الوجهة الانصرافية السانكرونية ومن وجهة المقارنة اللهجية (انظر Elmedlaoui 1999)، إذ أن التدوين الإملائي (orthographic transcription) غير التدوين الصوتي (phonetic transcription) كما ذكرنا. فاللام المرأرأة، أي الصوت /ř/، ما هي إلا نطق محلي مطرد – خصوصا لدى الجيل القديم في مدينة الناضور وأحوازها – لصوت اللام غير المشددة، سواء تعلق الأمر بلامات المعجم الأمازيغي المشترك أو بلامات الدخيل من العربية أو الإسبانية أو غيرها. ويتمثل هذا الصوت في نوع من الراء الخاطفة (flap) مشربة بجأجأةِ ما يشبه جرسَ الجيم كما هو الأمر في نطق نفس

الصوت /ř/ في اللغة التشيكية، هذا الصوت الموجود مثلا في اسم الموسيقار المشهور Dvořak صاحب سمفونية 'العالم الجديد'، الذي يتلفظ به الفرنسيون على شكل Dvorjak، محللين بذلك ومفككين الصوت /ř/ إلى العناصر التي تبدو للأذن الفرنسية مدمجة فيه ومكونة له على سبيل التوالي، وليس في الأمر توال زمني في الحقيقة (انظر Elmedlaoui 1993) ويتعين عدم الخلط هنا بين هذا الصوت، الذي هو نطق لهجي محلي للام في أمازيغية قلعية وبين الراء الأيتيمولوجية الأصلية (3) في الأمازيغية عامة، التي تتميز من جهتها في هذا الوجه اللهجي من أوجه الأمازيغية بكونها تعتل ما لم تتحرك، وتستحيل بذلك الاعتلال إلى ما يشبه ألف المد، و ذلك كقولهم [آياز] "رجُل" حيث يقول غيرهم [ارياز] في الأطلس المتوسط و [ارگاز] في سوس. ويذكرنا ذلك القبيل من الاعتلال بنطق الانجليز للراء.

وهذه الآن بعض قواعد القلب المؤدية إلى ظهور بعض الأصوات المركبة على مستوى اللفظ في الأمازيغية، نسوقها كنموذج يبين أن كثيرا من الأوجه الصوتية التي تطفو على سطح اللفظ (surface level) في النطق، ويدونها التدوين الصوتي المخبري، يمكن تمثيلها في التدوين الإملائي بمجرد إرجاعها إلى أصلها التقديري (underlying representation).

2.3.II. بعض قواعد القلب المؤدية إلى ظهور بعض الأوجه الصوتية الفرعية

أولا، بعض قواعد أمازيغية الناضور:

14) تنطق اللام غير المشددة بلفظ [رˇ]، أي [ř] كوجه لفظي محلي.

15) تنطق اللام المشددة بلفظ [دّˇ]، أي [ǧǧ] كوجه لفظي محلي.

16) تدغم اللام فيما يليها من تاء، فتشدد بفعل الإدغام، و تكتسب صفة الهمس من التاء المدغم فيها، فتنطق بلفظ [تّˇ]، أي [čč]، الذي هو الوجه الهموس لـ [ǧǧ].

17) تعتل الراء غير المشددة و غير المتحركة فتنطق كمجرد مد مفتوح [آ].

18) تنطق الكاف غير المشددة شينا كوجه لفظي محلي، كقولهم [بوبشر] لمن يسمى [بوبكر].

19) إعلال الگاف غير المشددة و نطقها ياء، كوجه لفظي محلي كقولهم آياز "رجُل" حيث يقول آخرون ارگاز، الخ.

وبناء على القواعد السابقة أعلاه، و بأخذها بعين الاعتبار، كباب من أبواب المعرفة السليقية بهذا الوجه من أوجه اللغة الأمازيغية أو كباب من أبواب تلقينه أو العمل على اكتسابه، يمكن اعتماد تدوين العمود الأول في الأمثلة الآتية في (20)، كتدوين إملائي أمازيغي عام لما هو مدون تدوينا صوتيا في العمود الثالث، الذي يمثل النطق الفعلي المحلي الخاص، والذي ليس من التربوي في شيء محاولة العمل على محوه في النطق والتلفظ بواسطة تدخلات تربوية، خصوصا وأن هناك اتجاها سوسيو-لغويا للتخلي العفوي التدريجي عنه لدى الأجيال الناشئة، كما أن هناك اتجاها نحو تحقيق الراء الخفيفة الساكنة بدل إعلالها في مثل [آياز] "رجُل"، لتنطق [اريازْ] عند نفس الجيل؛ وذلك بنفس الاعتبار الذي يرى أنه ليس من التربوي في شيء محاولة 'تصحيح' نطق الراء أو القاف عند الناشئة المتعلمين ممن تحتفظ أسرهم بالنطق الفاسي القديم الخاص لهذين الصوتين (انظر Hillili 1979) لما يقترن بهذه العادات في السوق الرمزية من قيم اجتماعية اعتبارية أمرها متروك لقانون تلك السوق بعد أن تكون كل التوازنات الثقافية والجهوية قد أقيمت على مستوى التدخل السياسي.

20) أمازيغية الناظور

تدوين إملائي	معنى	تدوين صوتي	القواعد الضابطة (أعلاه)	
اغيول	"حمار"	[اغيورˇ]	(بلام مرأرأة)	14
تاغيولت	"أتان"	[ثاغيوتˇˇ]	(بتاء مشأشأة)	16
خالي	"خالي"	[خارˇي]	(بلام مرأرأة)	14

خالتي	"خالتي"	[حاتّ ي]	(بتاء مشأشأة)	16
ولتما	"أختي"	[وتّـما]	(بتاء مشأشأة)	16
تيملالّين	"بيض"	[ثيمدّ ا رّين]	(جاجأة ثم رأرأة)	15، 14
تاملالّت	"بيضة"	[ثامدّ ا تّ]	(جاجأة ثم شأشأة)	15، 16
اريـاز	"رجل"	[آيـاز]	(بإعلال الراء)	17
لكواغض	"اوراق"	[رّ شواغظ]	(بلام مرأرأة)	17، 18
تيگزّلت	"كلية"	[ثييـزّ تّ]	(بتاء مشأشاة)	19، 16
تيگزّال	"كِلىً"	[ثييـزّار]	(بلام مرأرأة)	19، 14

ثانيا، بعض قواعد أمازيغية القبايل (انظر (Elmedlaoui 2001a)

21) إذا ما شددت الصفيريات المسأسة غير المفخمة (أي السين و الزاي) تشديدا صرفيا انقلبت في النطق إلى مقابلها من المركب (أي [t^s] و [d^z] على الترتيب).

22) إذا ما شددت الصفيريات المشأشة غير المفخمة (أي الشين والجيم) تشديدا صرفيا انقلبت في النطق إلى مقابلها من المركب (أي [t^s] و [d^z] على الترتيب).

وبناء على القاعدتين 21 و22، وبأخذهما بعين الاعتبار، كباب من أبواب المعرفة السليقية بهذا الوجه المحلي من أوجه اللغة الأمازيغية أو كباب من أبواب تلقينه أو العمل على اكتسابه، يمكن الاكتفاء في التدوين الإملائي لكثير من حالات الأصوات المركبة في القبائلية بالأحرف الصفيرية الأربعة: السين والزاي من جهة، والشين والجيم من جهة ثانية مع استعمال علامة التشديد. وبسبر المعجم واستقراء معطياته في اللهجات التي تظهر فيها الأصوات المركبة، لمعرفة إلى أي حد يطرد ارتباط التركيب في أصوات الصفير بالتشديد، يمكن البت في ما إذا

كانت هناك حاجة فعلا إلى اشتمال الأبجدية الإملائية على أحرف خاصة بدل استنتاج صفة التركيب من مجرد علامة التشديد حينما تلحق أحرف الصفير.

3.3.II. التدوين الإملائي ما بين اللهجات والأمازيغية الفصحى

إن من شأن هذا التدوين الذي يعتمد في الإملاء البنية التقديرية للمادة اللغوية كما هي قائمة في المعجم ويربطها بقواعد اللغة كما يستبطنها المتكلم السليقي و المتعلم المكتسب، والذي يعتمد كذلك الأصول الإيتيمولوجية في حالات معينة يتعين على واضعي البرامج ضبطها بناء على معطيات المقارنات الأمازيغية، إن من شان هذا التدوين أن يحقق من جهة مزية الاقتصاد في قائمة الأبجدية الإملائية اللازمة، كاقتصاد حرف [ř] مثلا في تدوين النصوص الريفية، وأن يرفع من جهة ثانية الالتباس في القراءة ما بين نطق الراء المعروفة [r] التي تعتل ما لم تحرك أو تشدد، و نطق اللام المرأرأة [ř]، وذلك في مثل الزوج التقابلي /تيسيلا/ التي تنطق [ثيسيرˇ ا] بصوت rˇ، حسب القاعدة 14، وتعني "نعال"، و/تيسيرا/ ونطقها [ثيسيرا] بالراء المعروفة، ومعناها "رِحِيّ".

هذه المقادير من درجات التقدير تضطر إلى اعتمادها كل الأنظمة الإملائية العريقة، بناء على معرفة الواضع ودرايته العلمية بأوجه اللغة المراد تدوينها. فالنظام الإملائي الذي دون به الشعر العربي القديم لم يقف عند جزئيات الأداءات اللفظية المحلية من كسكسة وكشكشة وعنعنة، ونفس الخطة اتبعت في رسم المصحف لتمكين أصحاب كل حرف من القراءة بحرف لهجتهم؛ والنظام الإملائي الفرنسي لم يقف عند جزئيات الأداءات اللفظية المحلية للراء ما بين تحقيقها في النطق كراء او كغين، ولا عند جزئيات النون الساكنة ما بين التحقيق الصحيح والإعلال بالغنة ولا عند جزئيات تحقيق التاء والدال المتحركتين بـ /i/أو /ü/ بلفظي [tˢ] و[dᶻ] على الترتيب في النطق الكندي؛ والنظام الإملائي الإسباني لم يقف عند جزئيات الأداءات اللفظية المحلية للسين في مثل casa "بيت" التي تتراوح في النطق الفعلي للناطقين والقراء حسب الأقاليم والبلدان ما بين [casa] و[caha]، ولا هو وقف عند جزئيات الزاي الذي يتراوح في النطق ما بين الزاي

عند البعض والسين عند البعض والثاء عند البعض الآخر، ولا هو وقف عند اللام المشددة في مثل caballo التي تتراوح في النطق حسب الأقاليم والبلدان الناطقة بالاسبانية ما بين **اللام** و**الجيم** و**الياء**، أما رسمها الإملائي فقارٌ على مرجعيته التي هي الأصل اللاتيني caballus وقل نفس الشيء بالنسبة للراء في الألمانية (ما بين الراء والغين)، وكذا الخاء ما بين نطق الخاء في مثل **buch** [بوخ] "كتاب" والنطق بالكشكشة الغارية غير المركبة أو بالشين الخلفية، حسب الأقاليم في مثل bücher ([büçər] أو [büsər]) "كُتُب". إن مثل هذه الاعتبارات للعلاقة فيما بين التمثيلات التقديرية والأسس النظرية للتدوين الإملائي (انظرDell 1985, p :193) هي التي جعلت العارفين بجواهر الأمور في الميدان يرفضون دعوات أمثال (Blanch-Benveniste et Chervel 1969) إلى 'إصلاح' للإملائية الفرنسية في اتجاه بتعميم التدوين الصوتي (surface narrow transcription) اللصيق بعرَض اللفظ بدل الإبقاء على التدوين الإملائي (orthographic broad transcription) الذي يعمل على تمثيل جوهر التقدير. فينبغي هنا إذن أن يميز بعض الباحثين في الحقل الأمازيغي والمهتمين حاليا بمسألة الإملائية ما بين الطرق التي كانوا قد لُقنوها في قسم DEA وألزِموا من طرف مؤطريهم باعتمادها في تدوين شواهد رسائلهم من الأمازيغية، وبين البحث في ميدان أسس الإملائية عامة والإملائية الأمازيغية على وجه الخصوص.

23) مزايا اعتماد الأصول المقدرة في التدوين الإملائي

a) **مزية تربوية**، تتمثل في جعل اكتساب قواعد الإملائية الأمازيغية متوازيا ومتكاملا مع اكتساب قدر معين من المعرفة التحليلية الدرائية باللغة تضاف إلى المعرفة بها معرفة نطق و رواية، وذلك عن طريق إدراك واع ذي هيئة صورية لعلاقات الاشتقاق ومظاهر الإبدالات و الإعلالات المطردة في اللغة، كما هو الشأن في كل الأنظمة الإملائية العريقة (انظر Elmedlaoui 1999, p : 41). وبذلك مثلا ينتبه الحاصل سليقة على تلك اللغة أو العامل على تحصيلها اكتسابا انتباها واعيا و منهجيا إلى العلاقة المطردة بين لفظي الكلمتين الدالتين على معنيي "حمار" و"أتان"، أو بين لفظي الكلمتين الدالتين على معنيي "كلِية" و"كلىً" في

الأمثلة رقم 20، من حيث أن العلامة المتطرفة لتأنيث أو تصغير الاسم هي التاء باطراد، كما في /اقّزين/ – /تاقّزينت/ ("كلب" – "كلبة") وإن كان الإدغام يحجب تلك العلامة في النطق. فالأنظمة الإملائية ليست مجرد صدى طبيعي ساذج لمتن اللفظ؛ إنها في حقيقتها وجوهر كمالها مستوى معين من مستويات إعمال الفكر الوصفي التحليلي للغة يتجاوز بكثير مستوى التجليات اللفظية التي هي كل ما في متناول ملاحظة العوام، ولذلك يكتسب الفرنسي مثلا في المدرسة تصورا جديدا للغته مخالفا لتصور غير المتمدرس، بالرغم من أن اللغة لغة أم حية بالنسبة لكليهما.

b) **مزية سوسيولغوية وتخطيطية**، من منطلق التهيئة اللغوية قصد الإبراز التدريجي لمظاهر الأصل والجذع المشترك التقديري – وليس التاريخي بالضرورة – للأمازيغية، أو ما يمكن تسميته بالأمازيغية الفصحى غير المتسمة بالعادات التلفظية المحلية، وذلك على المستويين، المتوسط والبعيد، على غرار ما يلاحظ اليوم من ظهور عربية مغربية وسطى (انظر في هذا الباب Elmedlaoui؛ Youssi 1986 ،Dell & Elmedlaoui (in press) 2000) تحل شيئا فشيئا محل اللهجات المحلية القديمة (لهجة جبالة، لهجة فاس، لهجة مراكش، لهجة سوس، لهجة واد نون والساقية الحمراء، لهجة تافيلالت، لهجة الشاوية، لهجة وجدة والمنطقة الشرقية، الخ) وتقوم في نفس الوقت كجسر مع العربية نحو الفصحى القديمة. وقد ظهرت تلك العربية المشتركة الوسطى عن طريق تخلي الأجيال الجديدة من الناطقين هنا وهناك تخليا سوسيولغويا بمفعول قوانين سوق القيم الرمزية، وليس تخليا إداريا، عن كل السمات المحلية في النطق على مستوى الأصوات (الشين والجيم المكناسيان، الراء والقاف الفاسيان، الضمة المراكشية، أنظمة النبر stress systems في جبالة والشاوية ودكالة والمناطق الحسانية والمغرب الشرقي، المجانسة بالسأسأة والشأشأة وكذلك التشفيه في العربية السوسية، انظر Elmedlaoui 1995) وعلى مستوى المعجم (/دابا/، /ضروك/، /طابطريق/ للدلالة على "الآن"؛ /خيزّو/، /زرودية/، /جعدة/، /سفنّارية/ للدلالة على "الجزر") وعلى مستوى التركيب. وقد حصل ذلك بالضبط بفضل التمدرس وبفعل

وسائل الإعلام السمعي البصري، حتى أصبحت اليوم تلك العربية الوسطى اللغة العادية الفعلية المشتركة بين جميع المغاربة في المناقشات السياسية بالتجمعات والمؤتمرات و بالبرلمان، و في الندوات الصحفية والإشهار والتغطيات الرياضية التي يقدم بعضها أجمل النماذج من هذه الع م د الفصحى، إلى حد أن هذه العربية المغربية الوسطى أصبحت تنافس اليوم الفصحى القديمة حتى في بعض المنابر التي تعتبر نفسها أكاديمية أو شبه أكاديمية (مناقشات بعض الندوات الجامعية، مناقشات هيئات اتحاد كتاب المغرب). والواقع أنه، إلى حدود السبعينيات، كان يلزم المراكشي المنغلق في محيطه والذي يحدث له أن يحل بفاس البالي، أو الفاسي المنغلق في محيطه والذي يحدث له فجأة أن يحل بجامع الفنا، أن يقضي مدة تمرينية معينة قبل أن يشرع في فهم كلام مخاطبيه. ومن الواضح أن هذه الغائية السوسيولغوية المتوسطة وبعيدة المدى في اتجاه بلورة أمازيغية فصحى هي الكامنة، على المستوى الأكاديمي، وراء مؤلفات الأستاذ محمد شفيق وعلى رأسها المعجم العربي الأمازيغي بأجزائه الثلاثة، وذلك من حيث اتخاذه المداخل المعجمية (lexical entries) ليس من وجه محلي بعينه من أوجه الأمازيغية، ولكن من العربية الفصحى - باعتبار هذه الأخيرة معطى سوسيولغويا مشتركا - ثم القيام بعد ذلك بإثبات المعلومات المعجمية التفسيرية بناء على ما يُفترض على ضوء معطيات المقارنة أنه أمازيغية فصحى، مع إشارته من حين لآخر إلى بعض أوجه النطق المحلي هنا وهناك، باعتبارها مجرد 'لغات'، بالمفهوم القديم لهذه الكلمة عند اللغويين العرب. إن الأوجه اللهجية للأمازيغية في مختلف أرجاء المغرب أشبه ما تكون بواقع اللهجات العربية في المشرق. فبالإضافة إلى كثير من المفردات المعجمية مثل /باردو/ "مع ذلك"، /عوضا/ "غرفة" نجد اللهجة القاهرية مثلا تتميز على المستوى الصوتي بنطق القاف العربية همزة، والجيم گافا، بينما تنطق بعض اللهجات الفلسطينية القاف العربية كافا محلية، بينما تنطق الكاف العربية نطقا غاريا مكشكشا (انظر Herzallah 1990, p 28) وكذلك (Shahin 1997) فيقال مثلا [كـالب] "قلْبٌ" في مقابل [كـّالب] "كلْبٌ". وإذا كان الكثير من الناس من مختلف الأعمار والمستويات الثقافية يفقه اليوم اللهجة القاهرية من الخليج إلى المحيط كما يقال،

بينما يجد الكثير صعوبة كبرى في فهم النطق الشعبي الفلسطيني أو اليمني أو المغربي (اسأل محترفي المسرح والسينيما والأغنية المغاربة) فإن مرد ذلك إلى مجرد مفعول أربعين سنة من السياسة الإعلامية السمعية البصرية المصرية. وبالمثل، وانطلاقا من تجربة جد معزولة من استراق السمع من حين لآخر في ثنايا الموجات الأثيرية الخافتة لقسمي تامازيغت الأطلسية وتاريفيت، و بناء على مجرد معرفة أولى بالوجه الجنوبي للأمازيغية،أي تاشلحييت، تمكن كاتب هذا المقال من إحراز قدرة على الفهم في كلا ذينك الوجهين الآخرين جعلته من بين عشاق بعض البرامج الناجحة رغم هزال إمكانياتها، من قبيل برنامجي/ورتي ن ينشّادن/ "حديقة الشعراء" لصاحبه المقتدر، السيد قاسّو (قسم تامازيغت) أو برنامج /مامش تلّيذ ا-يون يزوان امان/ "كيف حالك أيا من عبر اليم؟" لصاحبته، الصحافية المقتدرة أمينة شوعا (قسم تاريفيت).

فالأمازيغية الفصحى بدورها يتعين أن تبرز تدريجيا من خلال إنعاش إعلامي (أغنية، مسرح، إشهار، سينما، نقاش منابر) بدل أن تصنع صنعا دفعة واحدة من خلال كتاب مدرسي تعسفي ومن خلال حلقات التلقين المدرسية كما يتوهم إمكان ذلك بعض من لا علم لهم بقوانين اللغات عموما والذين يبلغ استهتارهم بالأمازيغية خصوصا، بدعوى تملكها، حد التجرؤ على العبث بمعجمها وبصرفها و بقوانين توسيع جذورها التي هي قوانين مطردة لا تقبل العبث (Elmedlaoui 1994)، وحد الاستخفاف عن جهالة بقيود أصواتها من حيث ما يأتلف منها وما لا يأتلف (المدلاوي 1991، Elmedlaoui 1995b)، وهو تجرؤ ينذر بابتداع أو 'استنساخ' كائن سرطاني غريب (monstre linguistique حسب تعبير سالم شاكر) لا يحوز لا مزايا لغة أم شعبية حية، ولا مزايا لغة كتاب كلاسيكية عالمة، ولا حتى خصائص مجرد لغة طبيعية كما يحددها النحو الكلي (Universal Grammar) وتصلح أن يستشهد بها العالم اللساني. مثل هذا التجرؤ لا يقوى هؤلاء القوم على إبدائه تجاه لغات أخرى محروسة يكتبون بها في انضباط كهنوتي تام لخصائص معجمها وقواعد نحوها وسنن أصواتها.

ويتعين أن يتم التدرج المذكور لظهور الأمازيغية الفصحى على محورين اثنين، و بسرعتين اثنتين، على الشكل الآتي :

24) محورا بلورة الأمازيغية الفصحى

أ. المحور التكويني التربوي (مدى متوسط) الذي يتعين أن يتضمن، من خلال أدواته، من قواعد ونصوص متدرجة و وسائل سمعية بصرية موازية بُعدا ينفتح فيه المتكون والمتعلم في وجه جهوي معين من أوجه الأمازيغية باعتبار ذلك الوجه لغة أمّا بالنسبة له، على الأوجه 'المرادفة' للمفردات ثم للتراكيب في بعض الأوجه الأخرى للأمازيغية، و ذلك في إطار الثقافة اللغوية العامة؛ ويتعين أن تعطى الأولوية في هذا الباب لمظاهر التقابلات المطردة فيما يتعلق بالأصوات (أوجه الكاف، الگاف، اللام، الخ) والقواعد والروابط، ولكلمات الاستعمال الجاري فيما يتعلق بالمعجم (انظر في هذا الباب بودهان 2002)؛

ب. محور السوق اللغوية الذي سيعمل، من خلال أنشطة للتدوين وللإنتاج مدعومة بسياسة إنعاش ثقافي وسمعي بصري لمختلف أوجه الأمازيغية، على بروز أمازيغية وسطى حيث ستختفي تدريجيا بعض الخصائص المحلية وتنتشر أخرى لا بمقتضى قرارات 'إدارية' تصدرها سلطات مجمعية أكاديمية أو جمعوية معينة، ولكن بمجرد تطور الأذواق والعادات والاستعمالات بفضل الأغنية والإشهار وتأثير النجوم الفنية في المسرح وفي السينيما وغيرهما، وبعدئذ فقط يمكن للهيئات المجمعية المختصة و المؤهلة أكاديميا ومؤسسيا أن تتدخل لقبول أو رفض إضفاء المشروعية الرسمية على ما زكاه واقع الاستعمال والتواصل الحي وإدخاله إلى المعجم أو النحو الأكاديمي للغة اللذين يصدر على أساسهما الكتاب المدرسي لاحقا، أو برفضه لاعتبارات معللة.

4.II. علامة التشديد

التشديد خاصية عروضية (prosodic property) مميزة و مؤثرة في المعنى في كثير من اللغات، ومنها اللغات الحامية السامية. ويتمثل التشديد في أن تكون للحد الصوتي (segment) المعين من باء أو تاء أو سين أو صاد، الخ. قيمةُ و'ثقل' حدين على مستوى الميزان العروضي (انظر، Dell & Elmedlaoui 1997a ,1988a Elmedlaoui 1985 1997b). وإذا كانت غلبة الميزان الصرفي (template) في بنيات

الكلم العربي تمكن القارئ الممتلك لمعرفة معينة بالعربية من توقع مواطن التشديد اعتمادا على السياق وإن لم تثبت لذلك علامة في الخط في النص العربي الفصيح، و بدرجة أقل بالنسبة للنص العربي الدارج، بالرغم مما في الحالتين من إرهاق و اضطراب في القراءة، فإن نسبة التوقع تنخفض في كثير من الأحيان إلى ما يقارب الصفر بالنسبة للأمازيغية بسبب كثرة حالات التشديد المعجمي (أي ذلك الذي لا تضبطه اطرادات الصرف)، وبسبب هامشية صيغ الميزان الصرفي في هذه اللغة بالرغم من أن صرفها، كصرف اللغات السامية، صرف غير تعاقبي (non-concatenative morphology، انظر المدلاوي 1991 وكذلك Dell & Elmedlaoui 1992) لهذا يتعين أن يتضمن الرسم علامة التشديد بشكل مطرد ومنهجي في نصوص الأمازيغية وحتى في نصوص الـع م د.

5.II. نظام الحركات (vowels)

إن أبرز ما يشكو منه الحرف العربي بالشكل الذي استغلت به إمكانياته في الإملائية العربية كما هي متداولة في التدوين الإملائي المعيار الحالي (رسائل، كتب، صحف، مطبوعات) هو الطابع الناقص (défectueux) شبه المقطعي (semi-syllabaire) لقدراته، من حيث أنه يراد مثلا بمقتضاه لمتوالية من ثلاثة أحرف مثل /ك،ت،ب/ (أي k,t,b) أن تمثل ثلاثة مقاطع فيها صوامت (consonants) و حركات (vowels) مختلفة، فتقرأ حسب المراد منها إما ka.ta.ba وإما ku.ti.ba وإما ku.tu.bun وإذا كانت غلبة الميزان الصرفي في اللغات السامية، وغلبة الوظيفة الصرفية (أي تحديد صيغ الميزان الصرفي) على الحركات في تلك اللغات تمد السياق أثناء قراءة نصوص التدوين الصوامتي الناقص بفرص لتوقع المراد تتفاوت أهميتها حسب الحالات، مما أدى - في نوع من الخلود للراحة - إلى الاطمئنان إلى الإنجاز الفينيقي القديم بالرغم من طابعه الناقص، فأخذت به العبرانية و الآرامية-السريانية والعربية دون تغيير في أساسه إلا ما كان من تعديل بقي هامشيا في الشكل (علامات ملحقة) وفي الاستعمال (علامات لا تلحق إلا في أحوال تربوية خاصة) ويتمثل في كل من حركة الماصورة عند العبرانيين (انظر Yeivin) وحركة نقطي الإعراب والإعجام عند العرب (انظر شوقي ضيف،

1968، ص:17؛ مرزوق 1975). و لذلك فما أن جُرب الإنجاز الفينيقي الأبجدي العظيم على لغة من غير اللغات السامية، هي الإغريقية، حتى برزت نقائص توظيفه في الاستعمال توظيفا مقطعيا (v. Pelletier & Goblot 1969) بشكل صارخ لا يسعف نمط الصرف الإغريقي على التخفيف منه كما يفعل ذلك صرف اللغات السامية القائم على الجذر الصامتي (consonantal root) وعلى حصر وظيفة الحركات إلى حد بعيد في المستوى الصرفي، أي تمييز الصيغ الصرفية. ولذلك اقترنت استعارة النظام الفينيقي من طرف الإغريق بإدماج هؤلاء للحركات في اللائحة الأبجدية على قدم المساواة مع الصوامت في الوظيفة والشكل (حروف مندمجة في المتن الأساسي للكتابة) وفي الاستعمال (حروف لا يستغنى أبدا عن إثباتها في متن الكتابة)، وتبعهم في ذلك اللاتينيون : .....a,b,c,d,e,f,g,h,i. أما ما يتعلق بالأمازيغية في هذا الباب، فبالرغم من كل مظاهر القرابة التي تربطها نمطيا وربما قرابيا باللغات السامية (انظر المدلاوي 1990، Elmedlaoui 1991) من حيث أهمية الجذر والصيغة (root and stem) في إقامة القاموس (dictionary)، فإن هذه اللغة تتميز عن اللغات السامية بأن من حركاتها السطحية ((surface vowels) ما ينتمي إلى جذر الكلمة وليس إلى مجرد المكون الصرفي (انظر Elmedlaoui 1999، ص 22 وإحالاتها)، وبذلك يتعذر توقع هذا القبيل من الحركات و هو كثير اعتمادا على مجرد السياق دون إثبات في الكتابة. وهذه أمثلة لذلك:

25) **أمازيغية (تاشلحييت)**

تادانت	"مُصَيرين"	تادونت	"شحم"		
تاݣات	"مصيبة"	تاݣوت	"سحاب"		
ازار	"تين"	ازور	"سطح"	ازير	"romarin"

وبناء على الواقع الذي تبرز الأمثلة أعلاه عينة منه فإن الأمازيغية لا يمكن تدوينها بحرف من الحروف السامية، عربيا كان أم غير عربي،(4) تدوينا يحوز حدا أدنى من قابلية القراءة إلا باعتماد نظام مندمج للتدوين الإملائي تندمج فيه

الحركات اندماجا تاما و مطردا في متن الكتابة. وبما أنه من الواضح اليوم أن الدارجة المغربية (انظر شفيق 17 : 1999) والأمازيغية في أوجهها غير الطوارقية على الأقل، لا تقابل، بالنسبة للحركات - كما يتم ذلك في العربية الفصحى - بين كمّي القِصَر والمد، بالرغم من أنها تقابل بالنسبة للصحاح وأشباه الصحاح (glides) بين الخفيف والمشدد، فإن ما دُرج عليه الآن من تبني التقاليد القديمة لتدوين الأمازيغية باستعمال صور الألف والياء والواو كأحرف مندمجة في متن الكتابة تمثل الفتحة والكسرة والضمة على الترتيب أمرٌ موفق، وهو امتداد لتقاليد جارية منذ العصور الوسطى كما هو جار على سبيل المثال في المعجم العربي الأمازيغي المعروف بـ"كتاب الألفاظ" لصاحبه المعروف بابن تونارت (ق:5 هـ = ق:11م، انظر Boogert 1998 : 37) إنها التقاليد التي ما تزال تذكرنا بها الصور الإملائية المتوارثة لبعض أسماء الأعلام الطوبونيمية الأمازيغية مثل تافوغالت، افورار، اكنول، اجدير، ا ـزرو، اگادير، تارودانت، تاليوين، وارزازات، تازناخت، تيزنيت، ايت باعمران، ازيلال، تيطّاوين، يموزّار، الخ. وقد كان Bruno 1931 من خلال كتابه الذي جمع فيه نصوصا باللهجة العربية الرباطية مدونة بالحرف العربي من أوائل من طبق روح هذا النظام في تدوين الحركات على الع م د، التي ليس فيها بدورها تقابل وظيفي بين القصر والمد الحركي؛ و قد تبعه في ذلك محمد الفاسي (انظر 1986a، 1986b، 1997). وهذا النظام الإملائي في باب تدوين حركات الأمازيغية هو المعتمد اليوم في كثير من المنشورات كأغلب منشورات جمعية 'امريك' وكمؤلفات محمد شفيق بالأمازيغية، وذلك بدرجات متفاوتة من حيث الاطراد والبساطة والأناقة، خصوصا فيما يتعلق بالتخلص من عادة استعمال الهمزة /ء/ في بداية الكلمة لتقوم كـ'حامل' أو 'سند' لصورة الحركة من ألف أو ياء أو واو، وهي عادة مكتسبة من الإملائية العربية التي تعكس في الحقيقة الخصائص المعجمية والعروضية للكلمة العربية من حيث إن الهمزة فونيم قائم في معجم هذه اللغة، ومن حيث أن الصورة التقديرية للكلمة في هذه اللغة لا تبدأ إلا بصحيح أو بشبه صحيح من همزة قطع أو ياء متحركة أو واو متحركة. مثل هذا الواقع غير قائم لا في الأمازيغية ولا في العربية المغربية الدارجة القديمة غير المتفصحة (انظر شفيق 17 : 1999) المتميزة في هذا الباب

عن العربية المغربية الوسطى، التي أعادت إدماج همزة القطع في المعجم. و لذلك فإن استعمال الهمزة في صدر الكلم في كل من الأمازيغية و الـع م د ليس له ما يبرره، بل إن هذا الاستعمال يتناقض في أحيان كثيرة مع الأوجه السياقية للنطق الفعلي، حيث أن الكسرة (i) أو الضمة (u) في صدر كلمة غالبا ما تنقلب في النطق في كلتا اللغتين إلى ما يقابلها من حرف علة ساكن (y أو w على الترتيب)، وذلك كلما تقدمتها حركة أخرى تنتهي بـها كلمة سابقة. فلنتأمل الأمثلة الآتية :

26) **أمازيغية (تاشلحيت)**

يشّـا "أكل" يسوا [iswa] "شرب"

يشّـا، يسوا. [iššayswa] "أكل وشرب"

فإذا ما تم التلفظ بكل من كلمتي السطر الأول من 26 منفردة، كجملة تامة مستقلة، أو مسبوقة بكلمة تنتهي بصحيح، فإن نطق كل منهما يبدأ بكسرة فعلية [i]. أما إذا ما تم التلفظ بـهما موصولتين في النطق على سبيل التركيب العطفي، كما هو الشأن في السطر الثاني، فإن كسرة الكلمة الثانية /يسوا/ تنقلب في النطق ياء ساكنة، [y]، بسبب امتناع توالي حركتين على مستوى اللفظ (hiatus prohibition) وهذا الانقلاب الأخير إلى ياء سيتناقض مع واقع الإملاء إذا ما رسمت هذه الكلمة وأمثالها على شكل /عيسوا/ أو /ئيسوا/؛ وهو الرسم الذي أدى إلى إفساد نطق كثير من المذيعين و المذيعات من الشباب في قسم تاشلحييت ممن ضعفت سليقتهم الأمازيغية في الوقت الذي يعتمدون نصوصا مكتوبة بإملائية مستنسخة عن العربية الفصحى. هذا التعميم جار كذلك على الـع م د من حيث أنـها، في حقيقة تاريخ نشأتـها، عبارة عن انصهار تاريخي لمادة معجمية أساسها وجه أو أوجه من العربية – تتخلله بعض الآراميات والعبرانيات – وصياغة لتلك المادة في قوالب و قواعد الأمازيغية التي هي القوالب اللغوية الغالبة على ألسن الأجيال التي أنشأت العربية المغربية الدارجة (انظر Elmedlaoui 2000, 1998b وشفيق 1999). فكلمة /يتيم/ ("يَـتْـيم") تنطق بلفظ [itim] إذا كانت في صدر الكلام أو تقدمتها كلمة تنتهي بصحيح؛ بينما تصبح كسرتـها

الأولى ياء ساكنة في مثل /واخّا يتيم/ "و لو كان يتيما" التي تنطق [waxxaytim].

ولكي تكتمل القدرة الإبانية للحرف العربي الموسع المدمج للحركات بصور الألف و الياء و الواو في صلب متن الكتابة، يتعين رفع وجه آخر من أوجه الالتباس من شأنه أن يقوم في تدوين لغات، مثل الـع م د والأمازيغية، مما لا تقلب فيها الياء و الواو قلبا تجانسيا كقلب الياء واوا في الفصحى /مُيقِن/ التي تصبح في اللفظ [مُوقِن]، أو قلب الواو ياء في /مِوزان/ لتصبح في اللفظ [مِيزان] (انظر Elmedlaoui 1988a)، إنه رفع الالتباس الواجب قيامه ما بين لفظي iw و yu من جهة، ولفظي uy و wi، على الترتيب، من جهة ثانية. أي أنه يتعين التمييز بالنسبة لكل من الرسمين /ي/ و/و/ ما بين استعماله كحركة واستعماله كحرف لين شبه صحيح (glide).

وكان الأستاذ محمد الشامي أول من طرح هذا الإشكال الإملائي بالنسبة للأمازيغية فيما أعلم، و قدم بشأنه اقتراحات (الشامي 1982، ص 133-134). ويتعلق الأمر باستعمال إعجام معين للتمييز بين الوجهين الحركي و شبه الصحيح لكل من جنس الياء (i,y) وجنس الواو (u,w) وقد اقترح الأستاذ محمد شفيق (شفيق 1991) استعمال علامة السكون /ـْ/ كإعجام للدلالة على الاستعمال الحرفي، وأرى الآن أن هذا الاختيار هو الأقل كلفة من الناحيتين البيداغوجية والتقنية التيبوغرافية بصفة إجمالية، بالرغم من أني (Elmedlaoui 1999) كنت قد حاولت تجنب كلفته البيداغوجية بالنسبة لمن يتعين عليه في نفس الوقت إعطاء هذه العلامة قيمة مخالفة أثناء تعامله التحصيلي مع إملائية اللغة العربية الفصحى؛ وذلك في انتظار إصلاح هذه الإملائية بشكل يخلصها من هذه العلامة الحشوية القائم طابعها الحشوي منذ حركة الإصلاح المعروفة بنقط الإعراب التي استعملت هذه العلامة، على طريقة الماصورة العبرانية، للدلالة على أن الحرف الموسوم بها غير متحرك، و ذلك بدل أن يكتفى فقط بترك الحرف المعني غير معلم بأي علامة حركية، بما أن ترك العلامة هي العلامة، كما يقول السيميولوجيون القدماء. و هذه الآن أمثلة توضح الأوفاق الاستعمالية المقترحة

في هذا الباب لتمييز الحركات عن أحرف اللين المقابلة، في إطار الحرف العربي الموسع :

27) **عربية مغربية دارجة**

مزيٍوْدة	"خُرجُ صغير"	مزيْودة	"مَزِيدة"
مسيوْطة	"سَوط"	مسيْوطة	"منفوخ فيها"
مديوْد	"مِذوَد صغير"	مديْور	"مصنوع"

28) **أمازيغية تاشلحيت**

يليوْش	"فِراء"	يميْور	"ألِفَ"
يگيوْر	"جلوس"	اغيْول	"حمار"

ور يسويْ تاجغاغت "لم يمرر الخرقة"

ور يسوي تاجغاغت "لا يساوي ثمن خرقة"

إن نظاما للتدوين مثل هذا الذي مثلنا له في كل من 27 و28 مزايا أخرى زيادة على ملاءمته للاستعمال العادي. إنها مزية الملاءمة العروضية من حيث أنه الكفيل بتمثيل البنية العروضية لشعر الملحون (انظر الجراري 1970، الملحوني 1990b, 1990a) والزجل المغربي عامة من جهة (انظر المدلاوي 2001) وللشعر الأمازيغي من جهة ثانية (انظر Dell & Elmedlaoui 1997b + (in press)).

6.II. إدماج الحركات، وكتابة العربية الفصحى (الحرف العربي الموسع المندمج)

إن استعمال هذا النظام من الإدماج الكلي للحركات في متن الخط وصلبه بدل استعمالها كمجرد عناصر إعجامية هامشية ملحقة اختياريا لمن شأنه أن يطبق منذ الآن بفعالية ومردودية على العربية الفصحى في حالات بيداغوجية خاصة، حتى قبل أن يتم أي إصلاح إملائي ممكن بشكل كلي ومعمم. من ذلك

مثلا التدوين الصوتي و العروضي في حلقات دروس الفونيتيكا والفونولوجيا والعروض، و في المؤلفات في هذه الميادين. فيكفي لتحقيق ذلك الإمكان استعمال علامة المد /~/ باطراد للتمييز بين الاستعمال الحركي غير الممدود لصور الألف والياء والواو، كما مثل لذلك في 27 و28 من خلال الأمازيغية والعربية المغربية الدارجة اللتين لا يقوم فيهما تقابل بين المد والقصر، وبين الاستعمال الحركي الممدود الذي يتعين إعجامه اطرادا بعلامة المد للدلالة على الممدودات، كما يتعين استعمال علامة التشديد / ّ / للدلالة على الكم المضعف بالنسبة للصحاح و أشباه الصحاح. و هذه أمثلة لذلك:

29) عربية فصحى (تدوين صوتي عروضي بإدماج المكون الحركي في المتن الكتابي)

الاستعمال الحركي العادي		الاستعمال الحركي الممدود	
[عـالامون]	"عَلَمٌ"	[عاَلامون]	"عالَم"
[كاتـابا]	"كَتَبَ"	[كاَتـاباَ]	"كـاَتَبَا"

7.II. حركة الشوى (schewa) /-ˈ-/

تطلق حركة الشوى، أو الحركة الفارغة، أو المختلسة – والمصطلح مصطلح عبراني دخل إلى قاموس التدوين الصوتي العالمي – على حركة مختلسة (reduced vowel) ليس لها لا لون الضم، ولا لون الكسر، ولا لون الفتح الصريح، وترسم في هذا التدوين العالمي برسم /ə/. إنها نوع من القلقلة البارزة، غير مقرونة بصحيح معين أو بفصيلة معينة من الصحاح كما هو شأن القلقلة الخفيفة المقترنة في قواعد التجويد بفصيلة الشداد المجهورة المعروفة بحمارية 'قطب جد'. هذه الحركة توجد في بعض اللغات (عبرية، مختلف اللهجات العربية الحالية، كثير من اللهجات الأمازيغية، فرنسية، انجليزية، ألمانية، الخ) ولا توجد في أخرى (عربية فصحى، إسبانية، أمازيغية تاشلحييت، الخ). وتتحقق هذه الحركة على مستوى اللفظ في أغلب أوجه الأمازيغية ما عدا

تاشلحيت (v. Elmedlaoui 1985 ; Dell & Elmedlaoui 1985) كما تتحقق في العربية المغربية الدارجة على مستوى اللفظ أيضا، و كذلك في المعجم أحيانا بالنسبة لحالات هامشية كضمير الرفع المتصل للغائبة /ət-/ وضمير النصب المتصل للمخاطب /ək-/ وسنصطلح على تمثيل هذه الحركة في رسم الحرف العربي الموسع بما كان يسميه المدرسيون بالألف المحذوفة، على شكل /ـــ' ـــ/.

في جميع الحالات التي ليس فيها وجود لحركة الشوى على مستوى التقدير، أي على مستوى المعجم، وإن كان ظهورها جليا على مستوى اللفظ، كما هو شأن أمازيغية الريف مثلا حيث ينحصر تحققها على مستوى اللفظ دون التقدير، يكون من غير الملائم إثباتها في التدوين الإملائي، باعتبار أن مكان ظهورها في الكلمة وفي ما بين الكلمات متقلب من جهة وغير قار، وإن كان منهجيا، مما يحرم الكلمة من صورة قارة تعرف بها في المعجم الإملائي، وباعتبار أن ذلك التقلب وعدم الاستقرار، من جهة أخرى، تضبطه القواعد المقطعية و العروضية، المفترض حصولها سليقة لدى الناطق أصالة، والواجب تلقينها منهجيا لمتوخي الاكتساب، وهي قواعد ليس هنا مكان تفصيلها. وبناء على ذلك يترك أمر استفادة مكان هذه الحركة، في المتون الإملائية، للسياق وللمعرفة بقواعد اللغة، كما يترك للسياق أمر تحقيق النون الساكنة في تجويد العربية على سبيل المثال إما نونا عادية، أو ميما خالصة قبل الباء أو الميم، أو ميما أسنانية قبل الفاء، أو غنة لهوية قبل القاف، أو غنة خيشومية معتلة قبل الياء. ففي أمثال حالة أمازيغية الريف، وكذا القبائل، لن تدعو الضرورة إذن إلى إثبات رسم حركة الشوى إلا إذا تُوخي التدوينُ الصوتي العروضي لغايات مخبرية ودراسية. وهذه أمثلة توضيحية للتدوين الصوتي المثبت لحركة الشوى في الريفية.

30) **أمازيغية (تدوين صوتي، غير إملائي)**

ريفـــــية	**تاشـــلحيـــت**	**المعنى**
اسڱ'اس/يسڱ'اس'ن	اسڱ'اس/ يسڱ'اسن	"سنة / سنوات"

اسنّـان / يسنّانـ'ن	اسنّـان / يسنّانّ	"شوكة / شوك"
يـخـذ'م / ثـخـذمـ'ذ	يـخـدم / تـخـدمت	"اشتغَلَ / اشتغلتَ"
ثـخـذمد'م	تـخـدمّ	"اشـتـغلـتم"

تبين كلمتا السطر الثاني أن ظهور حركة الشوى على مستوى اللفظ في الريفية و تحريكها للحرف ما قبل الأخير أدى إلى تعليق إدغام المثلين، أي النونين، نون الجمع و النون الأصلية المتطرفة، بخلاف ما حصل في تاشلحييت التي لا تظهر فيها هذه الحركة، حيث تم ذلك الإدغام. وقد حصل نفس الشيء بالنسبة للميمين في السطر الرابع. أما السطر الثالث فيبين بالنسبة لعمودي الريفية كيف يتقلب مكان حركة من الكلمة باختلاف موقع هذه الكلمة من الكلام وباختلاف ما يلحقها من عناصر متصلة، أي باختلاف ما يؤثر في البنية المقطعية.

أما واقع العربية المغربية الدارجة فمخالف في هذا الباب؛ و يغلب على الرأي بشأنها ضرورةُ إثبات حركة الشوى ليس فقط في التدوين الصوتي العروضي، و لكن أيضا في التدوين الإملائي العادي، كما تبين ذلك الأمثلة الآتية :

31) عربية مغربية دارجة

أفعال		أسماء I		أسماء II	
حبـ'س	"حَبَسَ"	حـ'بس	"سِجنٌ"	عـد'س	"عَدَس"
قلـ'ب	"قَلَبَ"	قـ'لـب	"قَلبٌ"	علـ'ف	"علَفٌ"
عـر'ق	"عَرَقَ"	عـ'رق	"عِرقٌ"	عـر'ق	"عَرَقٌ"
		عـود	"عود"	عـو'ج	"أعوَج"
		نـور	"نور"	عـو'ر	"أعوَر"

إسناد إلى المتكلم أو المخاطب	إسناد إلى الغائبـــة
كتـْبت "كَتَبتُ / كَتَبتَ"	كتبـْت "كَتَبَتْ"
سخـْفت "أغمي علي / عليك"	سخفـْت "أغمي عليها"

إن من شأن الانتباه إلى دور حركة الشوى هذه في تمييز الكلام وفي إقامة البنيات المقطعية في العربية المغربية الدارجة أن يحسن بكثير أداء تقاليد تدوين نصوص الملحون والزجل عامة، مما يساعد على ضبط كثير من مظاهر الإنشاد انطلاقا من النص المكتوب، و منها على الخصوص مظاهر إقامة الوزن، القائمة أساسا على حسن تقطيع الكلام إلى مقاطع بعضُها خفيفٌ و بعضها ثقيل (انظر المدلاوي 2001)؛ فمن شأن ذلك إذن أن يساعد على حل ذلك القبيل من المشاكل التي أشار إليها الأستاذ الملحوني (1990b) فيما يتعلق بمشاكل التدوين والإنشاد. إن من شأن اعتماد تدوين حركة الشوى في أماكنها مما لا يمكن توقعه اعتمادا على السياق أن يرفع التباسين: التباس معنوي والتباس في النطق والتقطيع الإنشادي، يسببهما استعمال جار لألف زائدة في صدر كل كلمة لا تبدأ بحرف متحرك حركة تامة. وذلك الاستعمال ليس في حقيقة أمره إلا تعميما لاستعمال ما يعرف بهمزة الوصل في إملائية العربية الفصحى بالنسبة لكل ما يبدأ بساكن على مستوى التقدير، وذلك نظرا لامتناع البدء بالساكن على مستوى اللفظ في هذه اللغة، وهو أمر غير قائم لا في الأمازيغية ولا في العربية المغربية الدارجة المتأثرة بها في هذا الباب من بين أبواب أخرى. فباستعمال حركة الشوى يمكن من جهة ضبط تقطيع الوزن في الإنشاد، ومن جهة ثانية يمكن تمييز المعنى في كلمات من قبيل [لـْحبيب] ("الحبيب") و[الـْحبيب] ("أيها الحبيب") و[لا حبيب] ("لا حبيب")، الخ. الكلمتان الأخيرتان تبينان أنه ليس من الملائم استعمال رسم حركة الفتحة لتمثيل حركة الشوى كما يحصل ذلك في بعض تداوين الملحون (انظر مثلا الفاسي 1997). كما يمكن التمييز بفضل حركة الشوى بين [سّلام] ("السلام")، و[ا سّلام] ("أيها السلام")، و[لـْسلام] ("الإسلام")، و[الـْسلام] ("أيها الإسلام")، الخ. انطلاقا من هذه الاعتبارات يمكن تخليص الأبيات الآتية من الألف الزائدة والمعرقلة أحيانا لاستنباط التقطيع الملائم في النطق.

32) 'لطف الله لخافي' للحاج احمد الغرابلي (الجراري 1970 ص 353)

باستعمال الألف الزائدة	**باستعمال حركة الشوى**
ما باقي ما يعشاق في ازمان النفاق	ما باقي ما يعشاق في زمان نّفاق
لا عهد لا ميتاق اتوجدو لا صديق	لا عاهد لا ميتاق توجدو لا صديق
الوقت اصعاب وضاق كسدت لسواق	لو'قت صعاب و ضاق كـ'سد'ت لسواق
لا باراكا فارزاق ما بقى ما يليق	لا باراكا فرزاق ما بقا ما يليق

وقال آخر (الجراري 2002، ص 54)

تا نحبّك و نهواك وفي امسبّتك يكرهوني
ما راحتي حتى نلقاك واعليك يتّحلّو اعيوني

باستعمال حركة الشوى بدل الألف الزائدة :

تا نحبّك و نهواك وفي مسبّت'ك يكرهوني
ما راحتي حتى نلقاك وعليك يتحلّو عيوني

III. أوفاق التقطيع الإملائي للكلم

باب أوفاق التقطيع الإملائي للكلم باب يعتمد فيه ليس فقط على الخصائص الصوتية الفونولوجية للغة المعنية كما فعلنا هنا بالنسبة لقضايا توفير الأبجدية الملائمة، ولكنه يأخذ كذلك بعين الاعتبار الخصائص الصرفية والتركيبية ومظان التباس تأويل متن الكتابة. و قد شكل باب تقطيع الكلم في الإملائية الأمازيغية الموضوع الرئيسي لعمل سابق لنا باللغة الفرنسية (Elmedlaoui 1999) حيث كنا قد أرجأنا صراحة، من خلال المقدمة، الحديث عن المفاضلة بين الأبجديات الملائمة لكتابة الأمازيغية إلى عمل لاحق ريثما نستجمع عناصر تلك المفاضلة بشكل منهجي، وها نحن الآن نفعل من خلال هذا العمل، باسطين القول في نفس

الوقت، من خلال الفقرات السابقة، فيما يتعلق بالأوجه التقنية لاعتماد أساس الأبجدية العربية في إطار الحرف العربي الموسع الذي نراه أكثر ملاءمة كما سنبين في القسم التالي. ونظرا لضيق الحيز هنا فإننا نكتفي في هذا العمل بدوره بالإحالة على العمل السابق في باب تقطيع الكلم، في انتظار توفر فرصة نقل خطوطه العريضة إلى العربية، مكتفين هنا بالإشارة إلى عينة من المشاكل التقنية التي يتعين حلها في إطار هذا التقطيع بالنسبة للعربية المغربية الدارجة، من قبيل (أ) وصل أو فصل أحرف الجر و بقية العوامل، والتمييز مثلا بين لام الجر، و لام التعريف، ولام التعريف المسبوقة بألف المنادى؛ (ب) التمييز بين تاء تأنيث الاسم من جهة، التي لا تظهر إلا في حالة إضافته، وتاء الغائبة من جهة ثانية؛ (ج) التمييز في الرسم ما بين واو الجماعة وضمير الغائب المنصوب أو المضاف إليه؛ الخ.

IV. مزايا استعمال الحرف العربي في تدوين الأمازيغية بالمغرب

يتراوح الاختيار والتجريب في العقود الأخيرة بالنسبة لتدوين الأمازيغية ما بين الأوجه المختلفة لحرف تيفيناغ المولدة الحديثة كما في بلاد الطوارق، والحرف اللاتيني المعدل كما في بلاد القبايل، والحرف العربي الموسع المندمج الناشئ و الغالب بدرجات مختلفة من الأناقة والمنهجية على الاستعمال في المغرب الأقصى منذ أواخر العصور الوسطى. وسنقوم عبر الفقرات المتبقية من هذا المقال بمحاولة المفاضلة بين الاختيارات الثلاثة هذه.

1.IV. المفاضلة بين الأحرف المقترحة لتدوين الأمازيغية

هذه المفاضلة مقصورة على الواقع السوسيو-ثقافي المغربي الراهن لهذا الجيل و المتميز بالسمات التالية، لا على سبيل الحصر، والتي لا ينتظر إمكان تغيير ملامحها في أي اتجاه كان – ومهما كانت الاستعدادات الإرادية – في أقل من الأمدين، المتوسط أو البعيد، في حين أن معيرة الكتابة الأمازيغية أمر مستعجل نظرا لوتيرة الإنتاج والنشر من جهة، ولراهنية القرار السياسي في

علاقته مع متطلبات الترقية الاجتماعية و السوسيوثقافية والاقتصادية ومع حدة المطلب السوسيو-ثقافي. وهذه الآن السمات المقصودة :

33) سمات سوسيوثقافية مغربية :

أ. تعدد لغوي وظيفي راسخ تاريخيا كمعطى سوسيولغوي (Elmedlaoui 2001b)؛

ب. تداول نظامين أبجديين حاليا في السلك التربوي الرسمي وفي الحياة العامة بمقتضى التعدد السابق، وذلك منذ تسعين سنة؛

ج. اختلال التوازنات السوسيوثقافية والسوسيولغوية (Boukous 1995, Chafik 2000).

IV.2. حرف تيفيناغ

فأما حرف تيفيناغ، بأوجهه العتيقة (الليبي الشرقي، والليبي الغربي، والصحراوي) والحديثة (مختلف الأوجه الطوارقية والجمعوية اليكروسكوبية)، فأساسه التيبوغرافي لا يتجاوز ما بين 22 إلى 24 حرفا، كما هو شأن الحروف الكنعانية، وهو زيادة على ذلك لم يطوٍّر في أصوله القديمة نظاما للحركات (Zakara 1994; Prasse 1972; Cortad 1969) ولو بشكل ملحق على غرار نقْط الإعراب في الحرف العربي أو نقْط الماصورا في الحرف العبراني. كما أن محدودية استعماله تاريخيا بسبب توالي نفوذ أحرف أخرى من بونيقية و لاتينية وعربية وعبرانية لم تمكنه من تطوير تقاليد كاليغرافية وإعجامية من شأن عناصرها أن تستغل في توليد أي صور جديدة على أسس معصومة من المجانية والاعتباط في أي محاولة لتوسيع طاقته. هذا ما جعل محاولات اعتماد هذا الأساس الأبجدي التاريخي كأرضية لتطوير تيفيناغية موسعة عصرية قادرة على تلبية الاستعمالات الإملائية العادية تسفر عن تضخم الأنظمة المقترحة بعدد تكاثر مبادرات الجمعيات والهواة، وعن افتقار تلك المقترحات بسبب ذلك إلى حيازة احترام المعنيين وانخراطهم في الاصطلاح وفي المجهود التربوي والتقني اللازم

للتقيد به. هذا الواقع الذاتي القائم يجعل اعتماد حرف تيفيناغ كحرف وظيفي للاستعمال الإملائي العادي، في المعطى السوسيو-ثقافي الراهن (انظر 29b) ذا كلفة تيبوغرافية-اقتصادية (صناعة برامج و ألوح مفاتيح لسوق محدودة) وتربوية (إضافة نظام أبجدي ثالث إلى كلفة التمدرس) تفوق بكثير المكاسب الممكنة لاستعماله لهذه الوظيفة بالضبط في ظل ذلك المعطى على مستوى القيمة الحضارية والتاريخية والهوياتية لتيفيناغ التاريخية، خصوصا وأن هناك مناحي أخرى يتعين فيها تحقيق هذه القيمة ورعايتها و تعهدها؛ إذ أن تجاوز حالة عدم التوازن المشار إليها في 33ج يحتم رعاية هذه القيم الحضارية والرمزية لتيفيناغ وإنعاشها من خلال العناية بالمعرفة العلمية بها في شعب التاريخ والفيلولوجيا واللسانيات المقارنة والأركيولوجيا وحتى الفنون التشكيلية والكاليغرافية من خلال ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح التيفيناغيات كمادة أساسية في فروع تلك العلوم.

3.IV. الحرف اللاتيني المعدل

من الخيارات التي دخلت مؤخرا حيز التداول في ساحة المهتمين بشأن كتابة الأمازيغية في المغرب خيار الحرف اللاتيني المعدل، والمقصود به، في إجمال، هو اعتماد الأبجدية اللاتينية كما هو مستأنس بها الآن (انظر 29b) من خلال الاحتكاك باستعمالاتها في الإملائيات الفرنسية أو الاسبانية أو الانجليزية، مع إضافة تعديلات بواسطة بعض الإعجامات، أو تعديلات في قيم بعض الأحرف، وربما بإضافة بعض الأحرف الإغريقية، وذلك باختلاف الهيئات والمجموعات والجمعيات المهتمة. هذا ما يطلق عليه في غير دراية ولا دقة في بعض الأدبيات الجمعوية تسمية أبجدية عالمية ' أو 'أبجدية كونية 'alphabet universel) وتجدر الإشارة هنا إلى أمرين أساسيين، في إطار توضيح الأمور، أولهما أن الأبجدية الصوتية العالمية (International Phonetic Alphabet) هي وحدها الحائزة في بابها على صفة الكونية والعالمية، باعتبارها تدخل في باب أوفاق المواصفات، وثانيهما أن استعمال هذه الأبجدية مقصور على جمهور علماء أصوات اللغة الطبيعية والفونولوجيا وطلبتهم، الذين لا يشرعون في تحصيلها إلا في التعليم العالي وفي عمل المخابر وإعداد الأطروحات والمقالات المتخصصة.

وهذا النظام دائم التطور في أوجه أحرفه وإعجاماتها وقيمها تبعا لتطور العلم كما سبقت الإشارة. فليست هناك أي لغة في العالم تكتب في الاستعمال الإملائي العادي الوظيفي حسب أوفاق IPA، بل إن الأمر غير ممكن عمليا. كل ما هناك أن الأنظمة الأبجدية الناشئة القريبة تيبوغرافيا من الأساسين اللاتيني والإغريقي اللذين يشكلان الأساس النمطي التيبوغرافي لنظام IPA، تستعير من حين لآخر بعض الأحرف المنحوتة في إطار IPA وذلك قصد توسيع طاقتها، أي لإقامة حرفها الموسع. فالذي يقصد إذن بتسميات من قبيل "الحرف اللاتيني" أو "الأبجدية العالمية" أو "الأبجدية الكونية" في الاستعمالات الصحفية الجمعوية في الآونة الأخيرة، مما يحيل على بعض النماذج التي جمع بها بعض المستمزغين الأوروبيين بعض النصوص الأمازيغية أو التي دون بها بعض طلبة اللسانيات الشواهد الأمازيغية أو العربية في أطروحاتهم، إنما هو الحرف اللآتيني المعدل بإضافة عناصر من الحرف الإغريقي، من مثل حرفي y ، x لأداء الخاء /خ/ والغين /غ/، أو من نسخ سابقة من أنظمة IPA مثل أحرف š ، ž للدلالة على الشين /ش/ والجيم /ج/، أو من مجرد لوحات الرموز الخاصة (special symbols) كحرفي ħ ، ε للدلالة على الحاء /ح/ والعين /ع/، وكذا بإضافة بعض عناصر الإعجام كالواو المعلقة /ʷ/ للدلالة على التشفيه، و كالنقطة أسفل الحرف لتمييز أحرف التفخيم كالضاد /ض/ والصاد /ص/ والطاء /ط/ والظاء /ظ/ عما يقابلها من غير المفخم. ولا شيء من هده العناصر التعديلية بمتوفر بشكل مباشر في نظامي لوحات المفاتيح المنتشرين عالميا، أي نظاميQWERTY وAZERTY، أي بدون اللجوء إلى الاستخراج الاستثنائي من لوحات الرموز الخاصة بالشكل الذي يستخرجها به كاتب هذا المقال انطلاقا من الرموز الخاصة في لوحة Times New Roman، وهو أمر لايتوفر بالنسبة لبعض إعجامات الطابقين العلوي أو السفلي من البنط، كالنقطة أسفل الحرف مثلا، إلا بعد إنجاز بُريمج لوجيسيالي خاص للاستخدام على شكل أوامر مركبة (macro commands)؛ وهي مناولات لا تسمح بتعقيداتها وظيفة الاستعمال الجاري اليومي الذي هو خاصية النظم الإملائية.

وإذاما اقتنعنا بما قيل في الفقرة السابقة فيما يتعلق بتيفيناغ، وبأن إضافة نظام أبجدي ثالث إلى المجهود التربوي وإلى التحملات الاقتصادية لعملية التمدرس ومحو الأمية، تشكل كلفة باهظة، وأن النتائج التربوية لتلك الإضافة غير مأمونة، وإذا ما اقتنعنا بأن أفضل السبل للشروع في إدماج تدريجي للأمازيغية في النسيج الثقافي الرسمي و في الإعلام و في المنظومة التربوية في إطار تعديل تدريجي لعدم التوازن المشار إليه في 33ج استجابة لتطلعات المجتمع الجديد وطبقا لمقتضيات ديباجة ومواد الظهير الملكي المؤسس للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، هو العمل على استثمار الرصيد الأبجدي المستأنس به سلفا من طرف المعنيين بالعملية التربوية واتخاذه أداة لنقل تدريجي بشكل منهجي غير متهافت لهذه اللغة من وضعية الشفهية إلى وضعية الكتابة المنهجية الممعيرة، إذا ما اقتنعنا بكل هذا فإن الحرفين المتبقيين المرشحين بدرجات متفاوتة من الجدية العملية و من الواقعية (الواقع الحالي للنشر الأمازيغي بالمغرب) و من سيادة روح البحث العلمي المستقرئ، ليتخذ أحدهما أساسا يوسع أو يعدل لكتابة الأمازيغية، هما الحرفان العربي واللاتيني كما هما مستعملان اليوم في المغرب من خلال الاحتكاك المدرسي، بدرجات متفاوتة، بإحدى اللغتين، العربية الفصحى والفرنسية، أو بإحداهما. وإذا ما أخذنا ما قيل للتو أعلاه حول حقيقة إمكانيات استعمال الأساس الأبجدي اللاتيني، أمكننا إجمال قصور هذا الأساس كما هو مستأنس به من خلال الاحتكاك المدرسي بالفرنسية، في النقط الآتية، بالمقارنة مع أساس الحرف العربي كما هو مستأنس به فعليا من خلال الاحتكاك بالعربية الفصحى ومن حيث إمكاناته القائمة بالقوة من خلال مشروع الحرف العربي الموسع كما بسطنا أسسه في القسم السابق من هذا العمل.

34) مظاهر القصور النسبي للأساس الأبجدي اللاتيني كنظام إملائي للأمازيغية في الواقع المغربي

أ. عدم توفره على أحرف الحلق الخمسة القائمة في الأمازيغية /هـ، ح، ع، خ، غ/ ، بينما يتوفر عليها جميعا الأساس العربي ويزيد عليها بالهمزة.

إذن : (-2 x 5 = -10)

ب. عدم توفره على أحرف الإطباق الستة، بينما يتوفر منها الأساس العربي على أربعة /ص، ض، ط، ظ/ وتضيف التقاليد الموسعة منذ القدم حرفين / چ، ـڑ/. إذن : (-1 x 6 = -6)

ج. لايتوفر على الأحرف الأسنانية اللازمة مثلا في التدوين الصوتي للريفية بينما الأساس العربي يتوفر منها على ثلاثة /ث، ذ، ظ/.
إذن : (-2 x 3 = -6)

د. لا يتوفر على حرف مستقل للشين، و يضطر إلى استعمال المركبات الحرفية /ch/وهي تطرح إشكالا في كيفية تمثيلها في حالة التشديد، بينما الأساس العربي يتوفر على /ش/. إذن: (-2 x 1 = -2)

هـ. احتياج هذا الأساس كما هو مستأنس به من خلال الاحتكاك المفترض بالفرنسية أو الإسبانية إلى مجهود تربوي لإعطاء قيمة القاف بدل الكاف للحرف q بينما يحتفظ /ق/ بقيمته في العربية. (-1)

الأحرف التي تنقص الأساس الأبجدي اللاتيني كما تبينها المحاسبة (34) أعلاه يتم تعويضها عادة إما بالاستعارة من عناصر الأبجدية الإغريقية أو من عناصر الـ IPA، وهي عناصر لا تتوفر في ألواح المفاتيح المتداولة (keyboards)، وهو ما احتسبناه في المحاسبة المذكورة كنقطتين سالبتين لكل حرف : نقطة المجهود التربوي اللازم لتعلم حرف جديد، ونقطة الكلفة التيبوغرافية التقنية. ونشير بخصوص النقطة 34هـ أعلاه إلى أن صعوبة تمثيل التشديد في المركبات الحرفية (digraphe) من مثل /ch/ يحتسب كنقطة سالبة. إن هذا الواقع القائم في قدرات الحرف اللاتيني هو ما جعل عبد العزيز فهمي الذي كان من دعاة إصلاح الإملائية العربية عن طريق اعتماد الأساس اللاتيني، يضطر إلى الاحتفاظ، ضمن ذلك الاستعمال في نوع من الهجنة، بتسعة أحرف من الحرف العربي لا نظير لها في الخط اللاتيني وهي (ج، ح، ع، خ، غ، ص، ض، ط، ظ،) زيادة على تعديل رسوم ثلاثة أحرف من الأساس اللاتيني لأداء كل من (ث، ذ، ش) (انظر يعقوب 1986، ص:83). وإذا ما عرفنا أن الأمازيغية تستغرق، باعتبارها لغة حامية

سامية، جميع فونيمات اللغة العربية، التي هي أغنى اللغات السامية في هذا الباب، بل وتزيد على ذلك أصواتا مفخمة أخرى مثل /چ،، ر، ژ/، التي لا يشكل رسمها صعوبات تربوية بفضل شكلها المسوغ، ولا حتى تقنية، من حيث أن بعضها قد وجد مكانه على بعض ألواح المفاتيح الحاسوبية، أدركنا مدى أفضلية الأساس العربي قياسا إلى الأساس اللاتيني فيما يتعلق بكتابة الأمازيغية.

وبهذا يكون مجموع النقط السالبة القابلة للاحتساب الموضوعي فيما يتعلق باعتماد الأساس اللاتيني في كتابة الأمازيغية هو (25-) نقطة، في مقابل (3-) نقطة فقط بالنسبة لاعتماد أساس الحرف العربي في إطار الحرف العربي الموسع، وهي النقط السالبة الثلاث المقابلة للمجهود التربوي اللازم لإعطاء قيمتين مختلفتين لكل من صور الألف والياء والواو ما بين إملائية العربية الفصحى كما هي عليه اليوم حيث تفيد المد ما لم تكن أشباه حروف، وبين إملائية الأمازيغية والعربية المغربية حيث تفيد مجرد حركات عادية ما لم تكن أشباه حروف فتعجم حينئذ بعلامة السكون. وكما هو منتظر، بحكم العلاقات التصنيفية بين العربية والأمازيغية من جهة (انظر المدلاوي 1990)، وبمقتضى المعطى الثقافي الراهن من جهة ثانية، فإن نسبة الأفضلية كما نرى تفوق 800% بالنسبة لأساس الحرف العربي بقطع النظر عن الاعتبارات الأخرى التي يصعب احتسابها بقيم حسابية موضوعية. ومن هذه الاعتبارات الواقع الثقافي القائم منذ منتصف العصور الوسطى (انظر Boogert 1997، المدلاوي 1997) والذي ارتبط فيه تدوين الأمازيغية على المستوى الشعبي غير الرسمي بالخط العربي، وهو واقع تواصل ترسيخه الحركة التدوينية الحديثة خصوصا مع نهاية الستينيات (منشورات امزال، AM-REC، أعمال امارير، شفيق، جهادي، دواوين مستاوي، الزياني، اخياط، يدبلقاسم، عصيد ولشكر، الصافي، حفيظي، وغيرهم) بشكل يجعل الإنتاج الحديث في متناول أنصاف المتعلمين ممن لم يستفيدوا إلا من فترة تعليم بالكتاب أو ممن استفادوا من برامج محاربة الأمية.

أما واقع ما تراكم من أطاريح لغوية حول الأمازيغية بالفرنسية أو الإنجليزية، بما استتبع ذلك من كتابة للشواهد فيها بأساس الحرف اللاتيني مما

ولد الاعتقاد بأن ذلك يعكس أفضلية ما من الوجهات التقنية والتربوية، فإنما يعكس من جهة واقع توزيع المعرفة الأكاديمية على المستوى العالمي في ميدان اللسانيات و نصيب شعب اللغة العربية بالجامعة المغربية من ذلك، ويعكس من جهة ثانية ما كان سائدا من عقلية ومواقف أيدولوجية، وما يزال، في أغلب شعب اللغة العربية في الجامعة المغربية. ومن باب إضفاء طابع الملموس على مضمون القول، لا بأس من الإشارة على سبيل الاستطراد في هذا الباب إلى عينة من سوسيولوجيا البحث الأكاديمي في هذه الأوساط في بداية الثمانينيات. فكاتب هذا العمل، الذي كان قد حصل على الشهادة المعمقة في اللسانيات العامة بقسم اللغة العربية بتأطير من الأستاذين، أحمد المتوكل وعبد القادر الفاسي الفهري، بعدما كان أعد بحثا للإجازة في نفس العلم وبنفس الشعبة تحت إشراف الأستاذ أحمد العلوي، والذي أعد بعد ذلك بالفرنسية أطروحتين في علم الفونولوجيا خارج الوطن أساسهما معطيات الأمازيغية والعربية المغربية الدارجة، واستمر بحكم هذا الواقع الأخير منخرطا في سوق التبادل العلمي الناطق بالفرنسية والإنجليزية، لم يسلك ذلك المسلك الثاني إلا مضطرا عندما رفض المسؤولون في شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بالرباط ما بين 1981-1982 تسجيل موضوع رسالة في فونولوجيا اللغة الأمازيغية كان قد تم الاتفاق المبدئي بشأنها بينه وبين الاستاذ عبد القادر الفهري الفاسي، وكان قد اشتغل فيه لمدة سنتين. وقد علل الرفض حينئذ بدعوى أن الشعبة شعبة للغة العربية وليس لغيرها. وهاهو الآن مشرف على أطروحات لغوية من هذا القبيل بشعبة اللغة العربية بكلية الآداب بوجدة تدون فيها الشواهد الأمازيغية بالحرف العربي الموسع، بعضها نوقش (انظر لعبدلاوي 1997) والبعض الآخر في الطريق وذلك بشكل طبيعي؛ و قد أشرف الأستاذ الشامي بنفس الشعبة على ما يفوق مائة بحث من بحوث الإجازة مدونة متونها الأمازيغية بالحرف العربي.

أما ما يكتب مؤخرا على أعمدة بعض جرائد الحركة الأمازيغية (أكراو امازيغ، تاويزا، العالم الأمازيغي، الخ) بالحرف اللاتيني فلا أعتقد بأن هناك من يحاول قراءته، بسبب ثقل كلفة المجهود التعليمي المطلوب من القارئ المثقف

العادي، معرّبا كان أم مزدوج التكوين، من حيث ارتفاع نسبة التعديلات المدخلة على قيم الحروف بالقياس إلى عادات القراءة المكتسبة، وبسبب الاختلاف في شكل تلك التعديلات من منبر لآخر، مما يضطر كل صحيفة أو دورية إلى تخصيص ركن قار في إحدى صفحاتها على شكل جدول 'قيم الصرف' بالأبناك يستعان فيه بالمقابل الحرفي العربي لتبين للقراء قيم تعديلاتها الخاصة (انظر مثلا جدول " "Comment lire 'Tawiza' ? " في تاويزا ع : 60، أبريل 2002، ص:2). وهكذا يتعين على قارئ الصحيفة الأخيرة أن يتعلم كيف يقرأ الريفية: arpaj n tghirdvnt " سمّ العقرب" بلفظ [ارهاج ن ثغيرضنت]، وكيف يقرأ war tehdvid ixf nnec " لم تكن حذرا" بلفظ [وار ثحظيظ يخف نّش]، وكيف يقرأ raja ad ac xzvaregh dvar nnec " انتظر كي أفحص لك رجلك" بلفظ [راجا اذ–اش خژارغ ظار نّش]، وكيف يقرأ "mmi iynu ioizzen بنيّ العزيز" بلفظ [مّي ينو يعيزّن]، الخ. (نفس المرجع).

أما مسألة التبادل والتفاهم مع بقية أوجه الأمازيغية (طوارقية، قبائلية، الخ.) فليست وحدة الحرف هي الكفيلة بتحقيقهما. فوحدة الحرف بين اللهجات الجرمانية كالهولندية والألمانية مثلا أو بين الفرنسية والكاطالانية لم ترفع في حد ذاتها أوجه الاختلاف القائمة بينها، وهي لا تفوق مع ذلك درجة الاختلافات اللهجية الحالية بين الطوارقية والقبائلية مثلا وبين أي وجه من الأوجه الأمازيغية المغربية (انظر Kossmann 1999)؛ وزيادة على هذا، وبمقدار ما يمكن أن يقوم من فهم متبادل لمنطق هذه الأوجه الأمازيغية في ظل المعطيات السوسيولغوية الحالية من طرف اللغويين المتخصصين على الأقل، فإن هناك برامج حاسوبية للقلب الآلي للنصوص من حرف إلى آخر من فصيلة برنامج TEX، كذاك الذي تم تقديمه في المائدة المستديرة حول كتابة الأمازيغية بمعهد INALCO سنة 1993 (انظر Haralambous 1994) والذي يقلب آليا أي نص إلى الحرف المرغوب فيه من بين الأحرف الثلاثة، اللاتيني والعربي و أحد أوجه تيفيناغ الحديثة، ممكّنا بذلك، من جهة، كل طرف من استعمال الحرف الأكثر ملاءمة له من حيث المعطيات الثقافية و التربوية القطرية الخاصة به، وفاتحا في نفس الوقت أبواب التبادل في

وجه ما تسمح به المعطيات التاريخية والسوسيولغوية الحالية للأسرة اللغوية الأمازيغية.

إن مثل الاعتبارات السابقة هي ما جعل باحثا بارزا في الموضوع مثل سالم شاكر (Chaker 1994)، الذي كان ذات يوم يدافع بحماس عن استعمال حرف تيفيناغ، كأساس للإملائية العادية لأمازيغية عامة، يراجع الأمر بناء على معرفة أعمق بالواقع، وبناء على التراكم الذي عرفه الأدب القبائلي في العقود الأخيرة مدونا بحرف لاتيني معدل، ونظرا لطبيعة ووسيلة واقع محو الأمية في الوسط القبائلي منذ عقود، فقد دعا هذا الباحث إلى قبول ذلك الواقع والتعامل معه، مشيرا في نفس الوقت إلى أن المغرب يتميز بواقع آخر، من حيث تأصل و ترسخ أساس الحرف العربي في تدوين الأمازيغية به، وهو نفس الواقع الذي سجلته، بالنسبة للمغرب، أشغال المائدة المستديرة حول الموضوع بمعهد الـ INALCO بباريس (v. Lafkioui 1997) .

الهوامش

1) أشكر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة على توفيرها شروط الإخراج المادي لهذا النص.

2) فيما يتعلق بالتقابل الذي يقيمه ابن جني في "سر صناعة الإعراب" بين الدال والطاء وليس بينه وبين الضاد، انظر عملنا السابق : المدلاوي 1998.

3) انظر تفاصيل التحولات التاريخية للاّم والراء في مختلف أوجه الأمازيغية في Louali-Raynal 2001.

4) كتدوين متن للهاكادا العبرانية أمازيغي اللغة مثلا بالحرف العبراني المربع (انظر Galland-Pernet et Zafrani 1974)

قائمة المراجع بالعربية

(ابجد، هوز، حطي، كلمن، سعفض، قرست، ثخذ، ظعش؛ الألف واللام غير معتبرين)

- بودهان، محمد (2002) "أي تصور لتدريس أمازيغية موحدة و مشتركة؟"؛ مقال قدم في ندوة راهنية العمل الثقافي الأمازيغي: مهام و اختيارات. و نشر نصه في العدد 60 من صحيفة تاويـزا (أبريل 2002).
- بوزينب، الحسين (1994) "لماذا كتبت عجمية المرسكيين بحروف عربية؟" ص99-122؛ المخطوط وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط.
- الجراري، عباس (1970) القصيدة. مكتبة الطالب؛ مطبعة الأمنية، الرباط.
- الجراري، عباس (2002) النغم المطرب بين الأندلس و المغرب. منشورات النادي الجراري. 22.
- يعقوب، إميل (1986) الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه. جروس برس، طرابلس، لبنان.
- لعبدلاوي، رشيد (1997) بنية العناصر الصرفية في اللغة الأمازيغية (حالة التطابق بين الفعل والفاعل). دبلوم الدراسات العليا في شعبة اللغة العربية وآدابها؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة.
- المدلاوي، محمد (1990) "مبادئ المقارنة الحامية السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية"؛ بحث قدم في الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب (كلية الآداب، الرباط، 1987/04/21)، ونشر ملخص عنه في أعمال الندوة، بينما نشر نصه الكامل في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، ع: (1990)، ص 53-95.
- المدلاوي، محمد (1991) "بنية الكلمة في اللغات الحامية السامية : بعض القيود العروضية والفونولوجية"؛ دراسات ع:5 (عدد خاص، 1991) ص 91-114.
- المدلاوي، محمد (1997) "عن التراث المتداخل اللغات في الغرب الإسلامي: نماذج للتداخل بين العربية و العبرانية و الأمازيغية" تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق (تكريما للأستاذ محمد ابن شريفة)؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية-وجدة رقم 16؛ سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 4. ص 313-328.
- المدلاوي، محمد (1998) "المصطلح الصوتي عند ابن جني ما بين الانطباعية و الصرامة الصورية". قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة؛ إعداد عبد الحفيظ

الهاشمي؛ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية–وجدة رقم 24؛ سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 8. ص 143-159.

– المدلاوي، محمد (2001) "الأسس العروضية لشعر الملحون والزجل المغربي عامة"؛ البحث في التراث الغرناطي : حصيلة وآفاق (الجزء الثاني)، إعداد مصطفى الغديري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية–وجدة رقم 41؛ سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 12. ص 137-129.

– الملحوني، عبد الرحمان (1990a) أدب المقاومة من خلال الشعر الملحون والمرددات الشفهية. دار المناهل للطباعة والنشر؛ وزارة الشؤون الثقافية، الرباط.

– الملحوني، عبد الرحمان (1990b) كتابة الشعر الشعبي الملحون: إشكالية من إشكاليات الإنشاد والتدوين. الإيداع القانوني بالخزانة العامة بالرباط 411-1990.

– مرزوق، محمد عبد العزيز (1975) المصحف الشريف؛ دراسة تاريخية وفنية. المكتبة الثقافية. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– الفاسي، محمد (1986a) رباعيات نساء فاس (العروبيات). عيون المقالات؛ الدار البيضاء.

– الفاسي، محمد (1986b) معلمة الملحون. منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

– الفاسي، محمد (1997) معلمة الملحون؛ مائة قصيدة وقصيدة في مائة غانية وغانية. منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

– ضيف، شوقي (1968) المدارس النحوية. دار المعارف بمصر.

– القاقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (غير مؤرخ) "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" (ج:3). دار الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

– الشامي، محمد (1982) "إشكالية الكتابة الأمازيغية". أعمال اللقاء الأول لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير: الثقافة الشعبية، الوحدة في التعدد. مطبعة فضالة، المجمدية.

– شفيق، محمد (ج 1 : 1990؛ ج 2 : 1996؛ ج 3 : 200) المعجم العربي– الأمازيغي. منشورات أكاديمية المملكة المغربية.

– شفيق، محمد (1991) أربعة و أربعون درسا في اللغة الأمازيغية (نحو وصرف واشتقاق). النشر العربي الإفريقي. الرباط.

– شفيق، محمد (1991) الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة 'المعاجم'.

قائمة المراجع بغير العربية

- Al-Nassir, A. A. (1993) *Sibawayh, the Phonologist. A critical Study of the Phonetic and Phonological Theory of Sibawayh as presented in his Treatise, Al-Kitab.* Kegan Paul International. London & New York.

- Blanche-Benveniste, C. et A. Chervel (1969) L'orthographe. Paris ; Maspero.

- Boogert, van den, Nico (1995) *Catalogue des manuscrits arabes et berbères du Fonds Roux* (Aix-en-Provence). Travaux et documents de l'IREMAM, n° 18, Aixe-En-Provence 1998.

- Boogert, van den, Nico (1997) *The Berber Literary Tradition of the Sous. With an edition and translation of 'the Ocean of Tears' by Mohammad Awzal.* Publication of the "De Goeje Fund" XXVII. Leyde: Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten.

- Boogert, van den, Nico (1998) *"La révélation des énigmes", lexiques Arabo-Berbères des XVIIe et XVIIIe siècles.* (traduit de l'Anglais par Claude Brenier Estrine); Travaux et documents de l'IREMAM, n° 19, Aixe-En-Provence 1998

- Boukous, Ahmed (1995) *Société, langue et culture au Maroc ; enjeux symboliques.* Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série Essais et Etudes ; n°8.

- Bruno, L. (1931) *Textes arabes de Rabat ; textes, transcription et traduction annotée.* Paris; Librairie Orientale Paul Gueuthner. Publication de l'Institut des hautes Etudes Marocianes ; tome xx.

- Catford, J.C. (1977) : *Fundamental Problems in Phonetics*, Edimbourg: Edinburgh University Press.

- Catford, J.C. (1988): *A Practical Introduction to Phonetics.* Clarendon Press. Oxford.

- Cortade, Jean-Marie (1969) *Grammaire touareg (dialecte de l'Ahaggar).* Université d'Alger ; Institut de Recherches Sahariennes.

- Dell, François (1985) *Les règles et les sons. Introduction à la phonologie générative.* Hermann ; Paris.

- Dell, F. et M. Elmedlaoui (1997) a "Les géminées en Berbère"; *Linguistique Africaine* n°19 pp:5-55. Paris.

- Dell F. et M. Elmedlaoui (1997) b "La syllabation et les géminées dans la poésie berbère du Maroc (dialecte chleuh)" *Cahiers de la Grammaire* N° 22 pp: 1-95. Toulouse.

- Dell, F. & M. Elmedlaoui (1992) : "Melodic Transfer and Quantitative Transfer in Nonconcatenative Morphology of Imdlawn Tashlhiyt Berber"; *Journal of Afroasiatic Languages* 3: 89-125 (1992), Los Angeles.

- Dell, F. & M. Elmedlaoui (in press) *The Syllables in Tashlhiyt Berber and in Moroccan Arabic.* Kluwer International Handbooks in Linguistics. Kluwer Academic Publishers; Dordrecht; The Netherlands

- Elmedlaoui, Mohamed (1985), *Le parler berbère chleuh d'Imdlawn, segments et syllabation*; doctorat de 3ème cycle, Université de Paris VIII à Saint Denis.

- Elmedlaoui, Mohamed (1988) a "De la gémination"; *Langues Orientales Anciennes, Philologie et Linguistique*; éd. Peeters, Louvain-Paris, n°1: pp:117-156.

- Elmedlaoui, M. (1988)b : " [ř] en Guelaya (Rif, Maroc): un cas intéressant pour la théorie des représentations en phonologie", 'handout' distribué au 2ème Colloque International de la Société de Linguistique du Maroc: *Langues africaines en contact*, 11-14, Rabat.

- Elmedlaoui, Mohamed (1991) "Extension de la racine en chamito-sémitique"; *Linguistique Africaine* 12(1994), pp: 93-118; Paris.

- Elmedlaoui, M. (1993) "Gemination and Spirantization in Hebrew, Berber and Tigrinya: a "Fortis-Lenis Module Analysis"", *Linguistica Communicatio*, vol. 5, numéros 1 et 2: 1993 pp. 121-176.

- Elmedlaoui, Mohamed (1995) a *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série Thèses et Mémoires, n°23.

- Elmedlaoui Mohamed (1995) b : "Géométrie des restrictions de co-occurrence de traits en Sémitique et en Berbère: synchronie et diachronie", *Revue Canadienne de Linguistique* (40)1 pp:39-76; Canada.

- Elmedlaoui, Mohamed (1998) a "Tajerrumt" de Mouloud Mammeri: lecture analytique"; *Awal, Cahiers d'Etudes Berbères* n°18 pp:115-131; Paris.

- Elmedlaoui, Mohamed (1998)b "Le substrat berbère en Arabe Marocain: un système de contraintes"; (Contact et évolution historique des langues au Maroc) *Langues et*

Littératures, Vol. XVI-1998, pp:137-165. Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Rabat.

- Elmedlaoui, Mohamed, Saïd Gafaiti et Fouad Saa (1998), éds. *Actes du 1er Congrès Chamito-Sémitique de Fès*; Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Saïs-Fès.

- Elmedlaoui, Mohamed (1999) *Principes d'orthographe berbère en graphie arabe ou latine*; Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Oujda, n° 25; Série: Etudes et Monographies, n° 6.

- Elmedlaoui, Mohamed (2000) "L'Arabe Marocain: un lexique sémitique inséré sur un fond grammatical berbère", pp: 155-187 in Salem Chaker éd. *Etudes berbères et chamito-sémitiques, mélanges offerts à Karl-G. Prasse*; réunies par Salem Chaker & Andrjez Zaborski. Peeters: Paris - Louvain 2000.

- Elmedlaoui, Mohamed (2001)a "A Cross-culturel reading in a Kabyle Berber Grammar Handbook (Mammeri's Tajerrumt)"; pp 379-401 in Hanns Kniffka, ed. *Indigenous Grammar Across Cultures*. Sonderdruck 2001; Peter Lang. Frankfurt am Main. Berlin. Bern. Bruxelles. New York. Oxford. Wien.

- Elmedlaoui, Mohamed (2001)b "Le Berbère et l'histoire du plurilinguisme au Maghreb (le cas du Maroc)" ; communication (à paraître dans les actes) faite in Languages in North Africa : Multiple Practices, Multiple Identities, Multiple Ideologies. A conference sponsored by the American Institute for Maghribi Studies (May 23-26, Tangier, Morocco).

- Galland-Pernet, et Haïm Zafrani (1974) " Sur la transcription en caractères hébraïques d'une version berbère de la haggàdàh de Pesah ; pp : 113-146 in Actes du Premier Congrès International de Linguistique Sémitique et Chamito-Sémitique. Mouton; The Hague.

- Haralambous, Yannis (1994) "Un système TEX berbère". *Etudes et Documents Berbères*; n° 11. 1994. pp 43-53.

- Herzallah, Rukayyah (1990) *Aspects of Palestinian Arabic Phonology: A Nonlinear Approach*. PhD dissertation. Department of Linguistics. Cornell University.

- Hillili, A. (1979) *Phonologie et morphologie de l'Ancien Fassi* (Parler Arabe Marocain). Thèse de troisième cycle, Paris III.

- Kenstowizc, Mikael (1994) *Phonology in Generative Grammar*. Blackwell. Cambridge. MA & Oxford, UK.

- Kossmann, Maarten (1999) *Essai sur la phonologie du proto-berbère*. Rüdiger K ppe Verlag. Köln (Grammatische Analysen Afrikanischen. Band 12).

- Ladefoged, Peter & Ian Maddieson 1996 *The Sounds of the World Languages*. Blackwell Publishers

- Lafkioui, Mena (1997) *Propositions pour la notation usuelle à base latine du Rifain*; brochure (février 1997) distribuée par le Centre de Recherche Berbère - INALCO (Paris) et qui synthétise la Table ronde: "Vers une standardisation de l'écriture berbère (tarifit): implications théoriques et solutions pratiques".

- Louali-Raynal, Naïma (2001) " Les mutations du l et du r pan-berbère. A paraître dans *Mémorial Vycichl* (2001). Edit. LINCOM EUROPA.

- Shahin, Kimary (1997) Post-alveolar Harmony : *An Examination of its Bases and Cross-linguistic Variation*. PhD dissertation. Dpt. of Linguistics. The University of British Colombia.

- Yeivin, Israel (non dated) *Introduction to the Tiberian Masorah*. transl. By E. J. Revell. Masoretic Studies 5. Scholars Press. The Society of Biblical Studies.

ملخّص

إحداث قاعدة بيانات حول الأمثال المغربية

برزت الحاجة إلى إحداث قاعدة بيانات حول الأمثال المغربية من خلال تنامي الوعي بضرورة الحفاظ على مكوّنات التراث التي يتهدّدها النسيان وذلك بتجميع المعلومات التي تتوزعها عدة مصادر (أعمال منشورة، ومصنّفات غير منشورة، وعمليات جمع الأمثال من خلال استقصاء بعض الأسر، وأبحاث ميدانية).

ويتغيا هذا العمل جمع كل الأمثال المتداولة في مختلف مناطق المغرب وذلك من أجل :

- تيسير نشرها إلى الجمهور، ما من شأنه أن يدفع الأجيال الشابّة إلى تبنيها في خطابهم اليومي ؛
- تمكين الباحثين من أداة عمل يسهل استعمالها.

وتضم المجموعة المحصّل عليها 15000 مدخل استقيت من مصادر غير متجانسة من حيث طرق تصنيف الأمثال ومن حيث اختلاف نظم نقلها. ويتوفر كل مدخل على مجموعة من الخصائص التي تيسر للمستعمل استثمار هذه الذخيرة وإيجاد الأمثال المرغوب فيها وذلك باتباع معيار واحد أو عدة معايير (الترتيب الأبجدي، الكلمة المفتاح، الموضوع، المنطقة، الخ ...).

3) Matti Kuusi, Outi Lanhakangas "The Matti Kuusi International Type System of Proverbs", 2001, 158 pages, Finlande. Dans cette classification thématique, l'auteur s'appuie sur des concepts socio-psychologiques à partir de 13 thèmes généraux divisés en 52 classes, elles-mêmes subdivisées en 325 sous-classes.

4) F. Benjelloun, Gestion des liens sémantiques dans une base de données textuelle, exemple de la base des proverbes. 31ème conférence internationale AID (Association Internationale de Dialectologie Arabe), avril 2000, Marrakech.

BIBLIOGRAPHIE

- A. CONDAMINE, "Bases de connaissances " dans Bons Termes, numéro spécial 1994, Rennes.

- S. GANCARSKI, G. JOMIER, "Un formalisme pour la gestion de versions d'entités dans leur contexte". 10èmes Journées de Bases de Données Avancées. Clermont Ferrand, août 1994.

- G. GARDARIN, "Maîtriser les bases de données " Editions Eyrolles 1993

- J. BRUNET, "Modeling the world with semantics objects. Object oriented approach in information systems. Elvesier. Science Publishers, IFIP 1991.

- A. KABBAJ, "Intelligence artificielle en Lisp et Prolog " Editions MASSON 1991.

- C. CAUVET et G. GROSZ, "Représentation des connaissances pour la conception des systèmes d'information ", INFORSID 1990.

- CH. VARINARD, "Interface en langage naturel pour l'interrogation d'une base de données ", Les cahiers Lyonnais de recherche en gestion Vol. 11, n°5, 1990.

- A.BERRACHED, " NQI " A natural language interface to relational database systems ", Master Thesis, Université de Pennsylvanie, USA, mai 1990.

t-tajer ila thleb l-wlad ka yjih ghir r-riam, u l-meskine ila thleb r-rial ka yjih l-'yal

التاجر إلا طلب الولاد كايجيه الريال و المسكين إلا طلب الريال كا يجيه العيال

le ciel donne plus de rial au riche qui souhaite des enfants, et au pauvre qui désire un rial, il donne des enfants

Ainsi, cette structure qui établit des relations hiérarchiques entre les termes du vocabulaire, permet de faire référence à l'ensemble des mots apparentés à un terme donné lors d'une recherche, pour autant qu'on ait établi au préalable les liens nécessaires.

V. CONCLUSION

La base de données des proverbes constitue un outil de référence normalisé, important par sa dimension et par la diversité des sources à partir desquelles a été puisée la matière première. Il centralise en une seule structure, tous les proverbes collectés avec toutes les informations qui les caractérisent permettant ainsi aux chercheurs, une facilité d'exploitation et un accès au patrimoine proverbial selon des critères déterminés en fonction des besoins des applications. Il offre également des possibilités d'investigations d'ensemble et de détails flexibles et variés par des méthodes plus efficaces et plus rapides que les procédés manuels. C'est un outil qui, en plus de sa fonction de sauvegarde, a l'avantage sur les ouvrages traditionnels de pouvoir, d'une part, contenir un bien plus grand nombre de proverbes, et d'autre part, être constamment mis à jour de manière aisée et très rapide.

NOTES

1) Le groupe de chercheurs est constitué de: Zakia IRAQUI-SINACEUR (linguiste, chercheur à l'I.E.R.A), Abderrahim YOUSSI (linguiste, Professeur à la FLSH), Mohammed DAHBI (linguiste, Professeur à la FLSH) et Fouzia BENJELLOUN (ingénieur informaticienne, chercheur à l'IERA).

2) Les deux dernières rubriques peuvent être répétées pour d'autres langues comme le français et l'espagnol.

d-drari rbi' l-qelb les enfants sont la joie du coeur	الدراري ربيع القلب
z-zwaj bla 'yal qlil dwamu lr-rejal (un ménage sans enfants ne dure pas lontemps)	الزواج بلا عيال قليل دوامو للرجال
l-khedma 'la l-wlad sbqat l-'ibada u l-jihad se consacrer au bien-être de sa progéniture vaut mieux que le combat et la piété	الخدمة على الولاد سبقت العبادة ۆ الجهاد

Exemple 2 : relation de spécificité

La relation spécifique permet de spécifier, pour un terme, ceux dont la portée est plus limitée. Les termes *muzuna*, *rial*, *frenk*, *metqal* qui sont des anciennes unités monétaires sont spécifiques du concept *flouss* (argent), la recherche avec le terme *flouss* permet de recueillir tous les proverbes où apparaissent les termes spécifiques, comme:

l-flous ka ydiru t-triq fl-bher l'argent dresse des ponts par-dessus les océans	الفلوس كايديروا الطريق فالبحر
la hmar la sb'a frenk ni mule ni argent	لا حمار لا سبعة فرنك
muzuna fl-keff hsen men 'chra ft-telf un sou dans le creux de la main vaut mieux que dix éparpillés	موزونة فالكف أحسن من عشرة فالتلف
z-zelth ma yreddu metqal ce n'est pas un metqal qui fera sortir de la misère	الزلط ما يردو متقال

Le "silence" désigne toutes les entités qui répondraient à la question mais que la machine n'a pas sélectionnées. Le résultat de la recherche sur le concept *mra* (femme), par exemple, ne contiendra pas les proverbes qui parlent de *mulat d-dar* (maîtresse de maison) ou de *n-nsa*, *l-'yalat* (femmes) forme plurielle souvent utilisée dans les proverbes qui parlent de la femme.

Si le "bruit" peut être atténué en utilisant, dans la recherche, des expressions avec des opérateurs de proximité des expressions logiques (intersections), éviter le "silence" nécessite plusieurs opérations de recherche, et surtout présuppose une connaissance approfondie de tout le vocabulaire de la langue.

La recherche avancée permet d'étendre la consultation à des termes liés sémantiquement, offrant ainsi le moyen de recueillir des informations pertinentes auxquelles l'utilisateur n'aurait pas pensé à priori.

Le principe consiste à construire un système de relations sémantiques entre les différentes entités en spécifiant les types de liens qui les unissent. Selon la nature des traitements, plusieurs types de liens peuvent être établis : relations génériques, relations spécifiques, relations d'association, relations de synonymie, relations d'antonymie ou relations de groupe.

La recherche à l'aide d'un type de relation donné permet de recueillir, en une opération, tous les proverbes qui contiennent l'un ou l'autre des termes liés par cette relation comme l'illustrent les exemples suivants :

Exemple1 : relation de synonymie

Les mots **wlâd**, *'yal et drâdrî* (qui veulent dire enfants, marmots, bambins) étant des synonymes, la recherche sur l'un de ces mots permet de recueillir, entre autres, les proverbes suivants :

de la structure de la base, par exemple la recherche du mot ("كرم" générosité) dans le champ "thème" fera apparaître les proverbes qui traitent la générosité ;

- en utilisant une combinaison de critères : la recherche avec plusieurs critères combinés permet de restituer toutes les entrées où figurent tous les critères en même temps, par exemple, la recherche avec le mot "مرأة" et le thème sagesse, l'utilisateur recueille les proverbes ayant pour thème la sagesse et qui parlent de la femme.

La recherche peut également se faire en utilisant le masquage et la troncature, artifice par lequel un mot est amputé d'une partie des caractères qui le composent, ceci permet d'obtenir les différentes formes d'un mot en une seule opération.

La recherche sur le mot *ydd* (main) tronqué à gauche, par exemple, recueille tous les proverbes contenant les termes *yddi* (ma main), *yddek* (ta main), *yddeha* (sa main), *yddin* (mains), etc...

La recherche sur le même mot tronqué à droite, recueille tous les proverbes contenant les termes l-ydd (la main), *fydd* (dans la main de), *f-lydd* (dans la main), *bydd* (de la main), etc...

IV.2. Recherche avancée (connexe)[4]

Bien que ces possibilités de recherche offrent une flexibilité prodigieuse, elles sont incapables de prendre en compte les liens sémantiques de la langue et ne peuvent en aucun cas éviter les phénomènes de "bruit" et de "silence" qui affectent les résultats des recherches.

Le "bruit" désigne, parmi toutes les entités sélectionnées, celles qui ne répondent pas à la question posée. Une recherche sur le mot *zra'* (blé) recueillera, par exemple, les proverbes qui parlent de *zra'* et ceux qui contiennent *zra'* (a semé).

Telles sont les principales étapes de réalisation du projet dont certaines sont déjà effectuées et d'autres sont en cours de réalisation.

IV. UTILISATION DE L'OUTIL

Par la nature même de l'organisation et de la structure de la base, il est établi des liens implicites entre les différentes entités qui permettent à l'utilisateur d'avoir, à partir du corpus, des vues personnalisées (partie des données présentant un intérêt) répondant à des critères bien déterminés.

En effet des stratégies de recherche plus ou moins sophistiquées permettent de définir des ensembles d'éléments du corpus déterminés selon les besoins des applications de l'utilisateur. Ainsi, la recherche peut se faire à partir de mots simples, à partir d'expressions logiques incluant des opérateurs booléens (union, intersection, exclusion, etc...) permettant d'associer ou de séparer les critères de sélection, ou à partir d'expressions incluant des opérateurs de proximité.

IV.1. Opérations de recherche

Avant de procéder à toute recherche, l'utilisateur peut faire une exploration de l'information contenue dans la base en visualisant les diverses catégories de données triées dans leurs indexes respectifs pour repérer l'existence des éléments de recherche. On peut, par exemple, visualiser l'ensemble des thèmes ou sous-thèmes abordés, la liste des sources traitées, etc...

La recherche peut se faire :

- en texte libre : la recherche d'un mot en texte libre permet de restituer toutes les entrées où figure le mot, par exemple la recherche avec le mot ("مراة" femme), fera apparaître toutes les entrées qui contiennent ce mot que ce soit dans le proverbe lui-même ou dans les informations complémentaires;

- en spécifiant un champ : la recherche est restreinte à un seul champ

ach y'kul l'myet kddam gh'ssalu ? آش يقول الميّت قدّام غسّالو؟

ma a'nd l'myet ma y'kul kddam gh'ssalu ما عند الميّت ما يقول قدّام غسّالو

Cette mosaïque de divergences et de redondances ne permettent en aucun cas à l'utilisateur de s'y retrouver facilement, une "normalisation" est nécessaire pour couvrir tous les types d'informations permettant ainsi d'avoir un corpus homogène.

III.3. Traitement du corpus

Le corpus de la base de données des proverbes contient actuellement 15.000 entrées saisies intégralement à l'aide d'un système de notation en caractères arabes normalisé et simplifié. Le traitement de cette matière première issue de toutes les sources possibles avec des redondances et des divergences, comporte les étapes suivantes :

- fusion des corpus relatifs aux différentes sources selon l'ordre alphabétique;

- élimination des redondances : mêmes proverbes provenant de différentes sources;

- mise en exergue des variantes régionales, lexicales, registre arabe dialectal-arabe standard;

- marquage des expressions idiomatiques;

- classification(3) des proverbes selon les thèmes auxquels ils se rapportent;

- analyse du proverbe afin d'en dégager les traits sémiques ou symboliques permettant ainsi de percevoir le proverbe à deux niveaux, signification de surface et signification profonde;

- traduction des proverbes dans la langue française, anglaise, espagnole et éventuellement dans d'autres langues;

- recherche des équivalents des proverbes dans d'autres langues.

sources recensées présentent des divergences d'un auteur à l'autre et parfois même à l'intérieur d'une même source :

- variété des systèmes de transcription et des alphabets utilisés;

- variété des modes de présentation, chaque source ordonne la matière selon des règles qui lui sont propres;

- variété des informations accompagnant les proverbes, certaines sources contiennent des informations complémentaires comme le thème, l'explication du proverbe et parfois même son origine;

- variété des structures;

- variété de la matière recueillie: expressions idiomatiques, proverbes tronqués.

Du point de vue quantitatif, la collecte systématique des proverbes à partir de toutes les sources a fait apparaître des redondances de plusieurs sortes :

- redondance "parfaite" : mêmes proverbes apparaissant dans différentes sources;

- redondance avec "nuance" : proverbes ayant la même signification mais apparaissant sous des formes légèrement différentes, exemple :

ly ' du l-hnch m n l-hbl ykhaf اللي عضّو الحنش من الحبل يخاف

ly 'du l-hnch mn d l l-hbl ykhaf اللي عضّو الحنش من ظلّ الحبل يخاف

- redondance due aux synonymes : proverbes ayant la même signification et la même forme mais utilisant différents synonymes, exemple :

sdd tsib ma th'l سدّ تصيب ما تحلّ

sdd tjbr ma th'll سدّ تجبر ما تحلّ

sdd t'lka ma th'll سدّ تلقى ما تحلّ

- redondance due aux différences de structures : proverbes ayant le même sens mais variant par leurs structures; exemple :

rendent possible sa restitution selon plusieurs critères. Le proverbe et ses caractéristiques correspondent aux différentes rubriques qui constituent la structure logique de la base, ces rubriques sont :

- source : référence d'origine du proverbe

- entrée : texte du proverbe

- thème : le thème traité par le proverbe

- sous-thème : ramification du thème

- structure : morphologie du proverbe indiquant le procédé selon lequel est construit le proverbe : idée de conséquence, relation d'opposition, relation d'équivalence, forme interrogative, forme exclamative, forme question-réponse, forme dialogue, forme énigme ou devinette avec réponses, etc...

- analyse : signification profonde qui consiste à élucider le sens du proverbe à partir de ses constituants et donner la référence de son arrière-fond connotatif

- origine : histoire ou événement d'où découle le proverbe

- idiome : indication pour les expressions idiomatiques

- anglais : traduction du proverbe dans la langue anglaise

- équivalent anglais : équivalent du proverbe dans la langue anglaise(2).

Ainsi, la richesse de cette structure et la diversité de ses champs permettent d'exploiter la base selon les intérêts spécifiques de l'utilisateur et les besoins d'application des chercheurs.

III.2. Le corpus général de la base

Le corpus de la base regroupe les proverbes éparpillés dans diverses sources, matière brute hétérogène qu'il faut reconnaître, organiser, compléter, trier et interpréter, c'est à dire qu'il faut traiter. Les différentes

II. OBJECTIFS DU PROJET

La base de données des proverbes est une des finalités du projet dans le cadre duquel s'inscrit le présent travail et qui a pour visée, d'une part, de ré-approprier le proverbe par les nouvelles générations en sauvegardant ce pan du patrimoine oral de la société marocaine, et d'autre part, d'assurer la diffusion à l'usage du grand public par la mise à la disposition des utilisateurs d'un outil de travail et de recherche normalisé pouvant répondre à toutes les questions posées à ce patrimoine proverbial. Outil de référence utile puisqu'il centralise, en une structure unique, tous les proverbes collectés avec toutes les informations qui les caractérisent : auteur, thème, explication du proverbe (signification profonde), origine du proverbe, structure du proverbe, etc...

Pour permettre une exploitation flexible de l'outil, la base de données doit être conçue de manière à offrir une certaine qualité de service et une facilité de manipulation pour l'utilisateur non informaticien, Le système de gestion de la base doit disposer des fonctionnalités suivantes :

- consultation rapide selon un ou plusieurs critères;

- extraction de sous-corpus répondant à des besoins spécifiques;

- édition de corpus trié ;

- consultation connexe qui étend la recherche à des termes ayant une relation avec les critères de recherche.

Il est à noter que les opérations de recherche que permettent ces fonctionnalités ne pourraient être exécutables manuellement sur un ouvrage traditionnel sans une dépense d'énergie et de temps considérables.

III. LA BASE DES PROVERBES

III.1. Structuration des données

La structure de la base est déterminée en fonction de l'usage, de la stratégie d'accès aux données et des liens entre ces données. L'entité logique du corpus est le proverbe avec toutes ses caractéristiques qui

CONSTITUTION D'UNE BASE DE DONNÉES DES PROVERBES MAROCAINS

Fouzia BENJELLOUN

I. INTRODUCTION

Le recours à l'informatique devient une nécessité incontournable pour maîtriser cette masse d'information de plus en plus abondante dans les différentes branches du savoir. La grande utilité des bases de données pour tout consommateur de l'information n'est pas à démontrer, elles permettent le rapprochement homme/machine en l'assistant dans l'organisation, l'exploitation et la représentation des unités d'information, en lui offrant des méthodes d'exploration et de consultation souples et rapides.

Le présent travail consiste en la constitution d'une base de données des proverbes, partie d'un projet de recherche en cours de réalisation sur le proverbe en arabe marocain, mené par un groupe de linguistes et d'informaticiens(1) au sein de l'Association Marocaine du Patrimoine Linguistique (AMAPATRIL). L'objectif principal de ce travail est de rassembler, dans un seul corpus, tous les proverbes marocains (travaux publiés, recueils inédits, collectes auprès des familles et investigations sur le terrain) constituant ainsi un outil d'étude et d'information riche et diversifié qui permet en même temps la préservation et l'exploitation souple et multiforme d'un capital culturel précieux. Outil qui a l'avantage sur les ouvrages traditionnels de pouvoir, d'une part, contenir un bien plus grand nombre de proverbes, et d'autre part, être constamment mis à jour de manière flexible et très rapide.

المثل العامّي في المغرب
بين التدوين ومحاولة التنظير

عز الدين الكتاني الإدريسي

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿اللَّهُ نُور السَّمَاوات وَالأرْض، مَثُل نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصبَاح، المصبَاحُ في زُجَاجَة، الزُّجَاجَة كَأنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيّ يُوقَد من شَجَرَةٍ مُبَارَكَة زَيْتُونَة لاشَرْقيَة وَلاَ غَرْبيَة، يَكَادُ زَيْتُها يُضيء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار، نُورٌ عَلَى نُورٌ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُوره مَنْ يَشَاءَ، وَيَضْربُ اللَّهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ صدِق الله العظيم. (سورة النور، الآية 35).

أود أن أشير في مستهلّ هذا العرض المتواضع إلى أن لفظ مَثَلَ قد ورد عدة مرّات في القرآن الكريم. وقد ذُكر في هذه الآية الكريمة مرة في صيغة المفرد ومرة أخرى في صيغة الجمع، الشيء الذي استوقفني ودفعني إلى مساءلة المتون والقواميس الاشتقاقية أو التأثيلية سواء العربية منها أو الأجنبية ، علّي أجد فيها ما يؤرخ لظهور كلمة مَثَلَ في هذه اللغة أو تلك. وسرعان ما خلصت إلى أن ثمة ما يقابل هذه الكلمة في اللغات السامية وفي غيرها، مما يدل على أنها قديمة إلى حدّ يدفعنا إلى الاعتقاد بأن تاريخ ظهور هذه الكلمة يعود إلى البدايات الأولى لتداول لغة ما بين أفراد جماعة لسانية معينة وبأن نشأة المسكوكات المثلية في مختلف اللغات تعود إلى مرحلة مبكرة من تاريخ تراكم التجارب والعلاقات والمعاملات والتواصل بين أفراد هذه الجماعة اللسانية أو تلك.

انتقلت – بعد هذه الوقفة القصيرة التي رُمت من خلالها تعقب تاريخ ظهور كلمة مَثَلَ في بعض اللغات بكيفية عامّة وفي اللغة العربية بكيفية خاصة – إلى

البحث في صيغة فَعَلَ (أو في صورة فَعَلَ كما يسميها البعض) التي وُضعت كلمة مَثَلَ قياسا عليها، فلاحظت من جهة أن صيغة فَعَلَ تُستعمَل تارة للدلالة على المفرد كما هو الشأن بالنسبة إلى: مثل أمثال أو نَفَر أنفار أو سَفَر أسفار وتارة أخرى للدلالة على الجمع كما هو الشأن بالنسبة إلى: سمكة سمك أو شجرة شجر أو أيضا بقرة بقر. ومن جهة أخرى أن العامية المغربية تستعمل كلمة مْثْلة بتسكين الحرفين الأول والثاني في عبارات مختلفة أذكر البعض منها مثل: كتقول "المثلة"، قالوا في "المثلة" المثلة كتقول إلخ... للدلالة على المثل الواحد، الشيء الذي قد يفيد بأن هذه الكلمة كانت موجودة في اللغة العربية الفصيحة فاستعارتها العامية المغربية وخففتها ليسهل تداولها بين الناس واحتفظت بها في حين أن مَثَلة الفصيحة لم تعد تُستعمل فطالها النسيان وأصبحت كلمة مثل تستعمل وحدها للدلالة على المفرد خصوصاً وقد ذُكرت عدة مرات في الآيات القرآنية الكريمة مما جعلها تحظى بالشيوع وتتمتع بالرسوخ عندما يتعلق الأمر بالتطرق إلى التراكيب المسكوكة ومعالجتها كمكوِّن هامّ في التراث اللغوي. ومع هذا كله أستطيع أن أقول إنه بالرغم من كون مثل غالبا ما تستعمل للدلالة على المفرد، فإنها قد تدلّ على الجمع ولو ضمنيا كما هو الشأن بالنسبة إلى عنوان العرض المتواضع الذي أعالجه أمامكم. ذلك أنني حينما أتحدث عن المثل العامي في المغرب فإنني أقصد مجموعة من الأمثال العامية وليس مثلا واحدا فقط .

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن ثمة كلمات أخرى تُستعمل كمرادفات لكلمة مَثَل هي: مِثل ومثال وأمثولة ومثلة وفي العامية المغربية المثلة والمثُول والمثلات والمثالِي والمثال إلخ... وإلى أن العديد ممن سبقوني إلى تناول هذا الموضوع من القدامى ومن المعاصرين قد أتوا بتعريفات واضحة ومستفيضة للمثل سواء في مقالات مركزة أو قواميس لغوية أو في رسائل جامعية للحصول على شهادات عليا أو في مؤلفاتهم التوثيقية لهذا النوع من التراث اللغوي بشِقَّيه الفصيح والعامي، أكتفي بالاستشهاد بواحد منها استقيته من مقالة مركزة جدا لزميلي الحسين مجاهد يقول فيها :

Les proverbes sont ainsi un condensé de toute la culture d'une société, de sa civilisation, de ses moeurs et de ses valeurs" p. 123 civilisation marocaine.

وأقترح ما يلي لترجمتها :

«وهكذا، فإن الأمثال خلاصة تختزل مجموع ثقافة مجتمع ما، وحضارته وتقاليده وقيمه».

إن مثل هذا التعريف المتسم بالواقعية والشمولية لكفيل بأن يحدّ من طموح الباحث مهما كان زاده اللغوي ورصيده المعرفي ويجعله يقرّ بالتقصير وبعدم الكفاية عندما يقدم على معالجة هذا الموضوع متعدد الأبعاد والمستويات سواء تعلق الأمر بجوانبه اللغوية: الصّواتية أو الصرافية أو الدلالية أو التركيبية أو التاريخية أو الثقافية أو الاجتماعية أو التواصلية الخ... ومما يزكي هذا الطرح ما أورده بوشتى العطار في كتابه :

Les proverbes Marocains (الأمثال المغربية) حيث قال :

"Ainsi donc, l'étude du dialecte marocain à travers les proverbes nous permettra d'acquérir une connaissance scientifique de la psychologie de cette société. Les proverbes expriment, en effet, la longue expérience d'un peuple. Ils enseignent à surmonter les épreuves". (p.21)

وأقترح ترجمة هذه الفقرة على النحو التالي:

«وهكذا إذن، فإن دراسة اللهجة المغربية من خلال الأمثال ستمكننا من اكتساب معرفة علمية بسيكولوجية هذا المجتمع. ذلك أن الأمثال تعكس في الواقع التجربة الطويلة لشعب ما. كما تعلّم كيفية تجاوز الصعاب».

لقد أفضى بي التأمل الطويل في الأبعاد المتشعبة والتفريعات المختلفة للأمثال عموما والعامية منها على وجه الخصوص إلى اقتراح مقاربة متواضعة جديدة تجنبني الوقوع في اجترار ما قيل وكتب في هذا الباب من جهة والغوص في تحليلات مسهبة لواحد أو لبعض من الجوانب المختلفة التي ينطوي عليها

مبحث الأمثال. تتمثل هذه المحاولة في اعتماد تصنيف ثان إلى جانب التصنيف الذي نقف عليه عندما نستعرض قسما مهمّا من المؤلفات التي رامت تدوين الأمثال بدل تركها تتناقل مُشافهة من جيل إلى جيل مما قد يعرض -لا محالة- جزءاً منها إلى التحريف أو النسيان. ذلك أن هذه المؤلفات اعتمدت التصنيف الموضوعاتي الذي أطلقت عليه اسم التصنيف الأفقي والذي اعتمده محمد القباج ومحمد الشرادي الفاضلي في كتابهما: باقة من الأمثال المغربية وليلى المسعودي في كتابها: أمثال وأقوال مغربية وبوشتى العطار في كتابه: الأمثال المغربية وعبد الكريم الأشهب في أطروحته: دراسة تركيبية وتاريخية لأمثال القنيطرة وغيرهم ممن قسموا مؤلفاتهم إلى أبواب عديدة أقتصر على ذكر بعضها هنا مثل: الصداقة، البغضاء، أصدقاء السوء، الوقار، التجربة، حسن المعاشرة، العمل، العلاقة بالمال، الوصوليون، فن العيش، نصائح لحسن السيرة، الحذر، الحب، الزواج، الحياة الزوجية، الطلاق، الحماة وزوجة الإبن، عاطفة الأمومة وغيرها من المواضيع الأخرى ذات العلاقة بالظروف الحياتية اليومية والتي تروم تقديم النصح وتقويم السلوك والتنبيه إلى اتخاذ الحيطة والحذر لتجنب الوقوع في الخطأ والمقارعة بالحجة والالتزام بالمعايير المجتمعية المتعارف عليها.

كما أقترح إدراج تصنيف آخر يمكن أن نطلق عليه اسم التصنيف العمودي الذي يتمثل في تقسيم منظومة الأمثال العامية إلى صنفين كبيرين هما: الثابت والمتغير. ويمكن أن تتفرع عنهما أصناف أخرى قد نعرض لها في مناسبة قادمة.

فأما الثابت فنقصد به المثل الموحد إما داخل البلد الواحد وهو الذي يعنينا هنا وإما داخل المجموعة اللسانية موضوع الدراسة، وهو الذي لا يطرأ عليه أي تغيير من منطقة إلى منطقة أخرى ويحتفظ. بجميع مكوناته سواء أكانت صرفية أو تركيبية أو دلالية أو مصطلحية مع صرف النظر عن التغييرات الصوتية الملازمة لطريقة نطق هذه المنطقة أو تلك. لقد استقيت – للتدليل على هذا النوع من الأمثال – بعض النماذج من المصنفات التي رجعت إليها، وتتمثل هذه النماذج في ما يلي :

- الجديد لُ جدة والبالي لا تفرَّط فيه.
- اللي ما اعطى من قليله ما يعطي من كثيره.
- اللي ما عرفك خسرك.
- اللي تخدمُ طيعُ واللي ترهنُ بيعُ.
- إلى كليتي كُلْ الشعير اللي يشبعك وإلى ركبتي اركب الَفحل اللي يمَنْعَك.
- اللي يزرع الشر يحصد الندامة، واللي يزرع الخير يحصد السلامة.
- اللي حفر شي حفرة كيطيح فيها.
- ادهن السير يسير.
- كنا وكنتو وسرنا وسرتو.
- وجه الشارفة ما يخفى ولو تحكه بالحلفة.
- الزين في بناتنا سلالة، من العمّة للخالة.
- احماتي وجه الدلو هي حارة وولدها حلو.

يتعلق الصنف الثاني - كما تدل على ذلك تسميته- بالتغيرات التي تدخل على أي عنصر من العناصر المكونة له، ومثال ذلك :

1) نهيه، نهيه ويل عمى سير وخليه.

نهيه، نهيه ويل عمى زيد وخليه.

نهيه، نهيه ويل عمى نْده وخليه.

وريه، وريه ويل عمى سير وخليه.

وريه، وريه ويل عمى زيد وخليه.

وريه، وريه ويل عمى نده وخليه.

لاشك أنكم تلاحظون معي أن الجزء الأول أي "نهيه، نهيه ويل عمى" ظل ثابتا في النماذج الثلاثة الأولى في حين تغير فعل الأمر سير في النموذج الثاني ب زيد وفي النموذج الثالث ب نده. أما النماذج الثلاثة الأخرى فقد تمّ تغيير نهيه، نهيه ب وريه، وريه. في حين لم يطرأ على المكونات الأخرى أي تغيير باستثناء استبدال فعل الأمر سير مرّة ب زيد ومرة ب نده كما كان الشأن بالنسبة للنماذج الثلاثة الأولى.

2) ما همونيش الرتوت يهموني قشور الحوت.

ما همونيش الدهوت يهموني قشور الحوت.

ما همونيش الرتوت عساك قشور الحوت.

ما همونيش الدهوت عساك قشور الحوت.

لقد عرفت هذه النماذج بدورها بعض التغييرات حيث استبدلت كلمة الرتوت ب الدهوت في النموذج الثاني والرابع واستبدل فعل يهموني الوارد في النموذجين الأول والثاني ب عسّاك في النموذجين الثالث والرابع.

3) تعلموا يا الحجامة في ريوس اليتامة

كيتعلموا الحجامة في ريوس اليتامة

لقد دخلت هنا أيضا بعض التغييرات على هذين المثلين حيث تم استبدال كلمة الحَجّامة ب كلمة الحْجامة في النموذج الثاني وفعل الأمر تعلموا ب كيتعلم في النموذج الثاني.

يتبين من خلال استعراض هذه النماذج وغيرها. مدى وفرة المادة اللغوية والسوسيو اجتماعية والسوسيو ثقافية التي يمكن رصدها وتحليلها ودراستها سواء من حيث تسلسلها التاريخي أو من حيث راهنيتها أو من حيث رسوخها في ذاكرة جماعة محدودة أو عريضة من متداوليها أو من حيث تأثيرها على سلوكاتهم في الحياة.

ومهما يكن من أمر، فإن المتصفح لمصنفات الأمثال سيلاحظ – دون ريب – مدى التطور الحاصل على طريقة التعاطي معها إن على مستوى التدوين أو على مستوى التنظير إلى درجة أنه أصبح بإمكاننا الإدلاء بالملاحظات الأساسية التالية.

فعلى مستوى التدوين نسجل ما يلي:

1. أصبحنا نتوفر – إلى جانب ما نستقيه عن طريق السماع من أمثال يرويها لنا الجدّ أو الوالد أو الجدّة أو الوالدة أو أحد الأشخاص المسنين أو ما نستخرجه من المصنفات المنشورة في مجال الأمثال- أصبحنا نتوفر على قاعدة تتضمن بضع ألوف من الأمثال العامية المغربية أكب على تخزينها وتصنيفها ومعالجتها -خلال السنين الأخيرة- فريق منبثق عن الجمعية المغربية للتراث اللغوي مما سيسهل -من دون شك- على مختلف الدارسين لمبحث الأمثال عمليات البحث المضني في المكتبات عن هذا المرجع أو ذاك.

2. أصبحنا نسير في اتجاه اقتراح طريقة موحدة تعكس بدقة كيفية نطق الوحدات الصوتية الواردة في كل مثل على حدة مما سيساعد الباحثين السوسيو لسانيين على تحديد منطقة تداول المثل بسهولة أكبر وعلى توحيد طريقة تعاطيهم مع المناقلة الصوتية للأمثال.

3. أصبحنا نلمس بجلاء مدى الجرأة والموضوعية التي يعالج بها المدونون منظومة الأمثال حيث تخلى بعضهم عن التكتم والانتقائية وأصبح يدرج في مصنفاته كافة الأمثال التي يحصل عليها، بما فيها تلك التي يحظر تداولها داخل الأوساط المغربية المحافظة، مما سيمكن على الأقلّ من حفظها باعتبارها تشكل جزءا من التراث اللغوي المغربي.

4. لم نعد نقتصر في معرض حديثنا عن الأمثال على إبراز الطابع المحلي لها كأن نقول أمثال الرباط أو سلا أو مراكش أو فاس أو القنيطرة أو غيرها من المناطق المغربية بل تجاوزنا ذلك بالتطرق إلى الحديث عن الأمثال الأمازيغية وعن تلك المتداولة والمستخرجة من عدة مناطق كما فعل الحسين بن علي بن عبد

الله في كتابه بعنوان قصص وأمثال من المغرب. نقصد من كلامنا هذا أن مبحث الأمثال كل قد نجزئه لتحقيق أغراض محددة أو لإنجاز دراسة معينة كما قام بذلك عبد الكبير الخطيبي في كتابه الاسم العربي الجريح. لكننا نتعامل معه دائما باعتباره رصيدا لغويا وثقافيا ركمته الأمة المغربية برمتها عبر السنين والأحقاب منذ نشأتها إلى اليوم.

أما على مستوى التنظير فنسجل ما يلي:

1. انتقلنا بمقارباتنا لمبحث الأمثال من مجرد التدوين لحفظها من الضياع إلى مساءلتها وتحليلها سواء من حيث المبنى أو المعنى أو من حيث الأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أدّت إلى ظهورها وشيوعها بين أفراد المجتمع.

2. أصبحنا نبحث عن الخصوصيات التي تميزها عن باقي المكونات الأخرى للتراث اللغوي مثل الحكاية والأحجية وغيرهما.

3. أصبحنا نجري المقارنات بين الأمثال العامية المغربية وبين مثيلاتها إما في اللهجات العامية العربية الأخرى أو في اللهجات الأمازيغية أو في اللغات الأجنبية الأخرى.

4. بدأ اهتمامنا ينصبّ على المكونات الصواتية والصرافية والتركيبية والدلالية والمعجمية للأمثال.

5. بدأنا نجد في مصنفات الأمثال بعض الأثبات التي تشرح أو تعرف أو تترجم بعض الألفاظ الغامضة أو الغريبة أو المتخصصة. مما يمهد لوضع معجم شامل يتضمن كافة الألفاظ الواردة في مختلف الأمثال.

6. بدأ الاستعداد لإدماج بعض مكونات التراث اللغوي المغربي في برامج التربية والتكوين مما سيسهل من جهة عملية اكتساب المعرفة والتواصل بين كافة شرائح المجتمع ومن جهة أخرى من التعريف بتلك المكونات وبالأوساط الاجتماعية المختلفة التي ساهمت في إنتاجها وفي شيوعها وفي حفظها.

7. بدأنا نلمس في التعاطي مع التراث اللغوي بصفة عامة والأمثال بصفة خاصة. الخطوات المنهجية المتبعة والتحليلات العلمية الحديثة مما سيمد الدارسين بمصنفات موثقة تيسر عليهم البحث وتوفر عليهم الوقت.

وخلاصة القول أن التئام هذه الثلة الخيرة من العلماء المتخصصين في إطار هذه الندوة المباركة دليل ساطع على مدى العناية التي يوليها أعضاء أكاديمية المملكة للنهوض بالبحث العلمي وتطويره في كافة ميادين المعرفة إسهاما منهم في تحقيق التنمية الشاملة لأفراد شعبنا ولمختلف مناطق بلدنا الحبيب.

المراجع

- عبد المجيد عابدين: الأمثال في النشر العربي القديم، دار مصر للطباعة. الطبعة الأولى، مصر.
- الحسن اليوسي : «زهر الأكم في الأمثال والحكم» ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
- عبد الكبير الخطيبي : «الاسم العربي الجريح» ، ترجمة محمد بنيس. دار العودة، بيروت لبنان، 1980.
- محمد القباج ومحمد الشرادي الفاضلي : «باقة من الأمثال المغربية» ، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب، 1981.
- ليلى المسعودي : أمثال وأقوال من المغرب. مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب، 1987.
- عبد السلام بن عبد القادر بنسودة: أمثال أهل فاس وما إليها. نسخة مرقونة.
- أبي يحيى الزجالي: أمثال العوام في الأندلس. دراسة الدكتور محمد بن شريفة. مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب 1975.

- El Attar, B. : Les proverbes marocains . Ed. Najah Eljadida, Casablanca, Maroc, 1992.
- Sijilmassi, M. et Khatibi, A. : Civilisation marocaine. Ed. Oum-Casablanca, Maroc, 1996.
- Lechheb, A. : Etude Syntaxique et historique des proverbes de Kénitra. Thèse université Paris V. 1992.

في مناهج دراسة المثَل

عبد الرحيم يوسي

ملخّص

ينطلق كل عمل علمي من التعاريف الكاملة والواضحة لكل المفاهيم المعتمدة كما لكل المصطلحات المعبرة عنها. لذا وجب الوقوف عند الأسئلة :

أولاً : "ما هو المثل؟" فرغم أن جل - إن لم نقل كل - المستعملين للغة يعرفون المثل، بصفة أو بأخرى، قد يكثر الارتباك عند طلب الإتيان بعناصر هوية هذه الوحدة اللغوية وفرز ما تختص به من سمات، مفارقة مع وحدات كلامية أخرى. هناك غموض في الصفات المميزة للأمثال ولمضامينها، إذ تجد أحيانا أن التسمية تغطي أنواع شتى من التراكيب التي لا تعدو أن تكون عبارات اصطلاحية idiomatic expressions مثل "أبرد من الثلج" و"أبصر من حية"، على وزن "أفعل من كذا"، وهي تراكيب جد وافرة في العربية لدرجة أنها مدونة بانفراد في أسفار عدة. وقد يحصل الارتباك كذلك عند ضبط هوية المثل في تدوين ما لا يعدو أن يكون تشبيها؛ فهناك الاستعمال الاستعاري لعبارة "مثل" في الدراسات القرآنية، مثلا، حيث الكلمة استعملت بمعنى: "قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر مشابهه، ليبين أحدهما الآخر ويصوره"، الخ؛ ويدخل في هذا التعريف أشكال القصص القرآنية parables أي الحكايات ذات الرموز التي تستهدف إبلاغ مغازي أخلاقية يقصد بها الوعظ والنصيحة بوسائل مجازية. فما بالك بعبارة "حكم"؟ أي الأقوال المأثورة (maxim/aphorism/ sentence, etc.) التي تتضمن هي أيضا وعظا. فكيف البلوغ إلى ضبط المفاهيم؟ وكيف يمكن تقنين المميزات وفرز

بعضها عن بعض قصد بلوغ طبقاتها، كل واحدة بصفاتها الشكلية والدلالية والوظيفية؟

ثانياً : (وانطلاقا من الميزات المدرجة أعلاه) يجدر السؤال الموالي حول الشكل: "ما هو التركيب السطحي أو الأفقي الذي يختص به المثل؟" يصطلح أيضا أن من مميزات المثل كوسيلة تخاطب هناك سمة الجمود التركيبي إذ، عكس الكلام العادي، لا يقدم ولا يؤخر. كما أن المكونات المعجمية لا تقبل التغيير بالمرادف.

ثالثاً : يكون المثل مقولة "جاهزة للاستعمال"، أي وافية التركيب تكفي وحدها للتعبير عن (أو للإشارة إلى) ما يهدف إليه المتكلم دون الحاجة إلى دمجه في تركيب أوسع. فما الذي يجعل أمثالا من التراكيب : "دفّت الحمّام" و"طاحت الصمعة"و"بحال الكمّون" و"اللسان الطويل"، الخ.، ولا يضفي هذه الصفة على : "عطى يدّ الله" و"زاهق لو الرتاج" و"خلي دار بوه" و"دجاجة بكامونها"، الخ.؟

رابعاً : تحتوي التراكيب الجامدة عموما على دلالات سوسيولسانية و-بصفة شمولية- على دلالات ثقافية وتراثية في شكل رموز ومؤشرات معتمة opaque و"دلالات تحت الدلالات" زيادة على محتوياتها اللغوية الواضحة transparent فواحدة من الأسئلة المطروحة هي : "كيف تبلَغ هذه الرموز والدلالات المشحونة ضمنها؟".

تمهيد

يتسم المجتمع المغربي، ربما أكثر من غيره، سواء الناطق منه بالأمازيغية أو بالعربية، بوفرة هائلة من الأمثال، وهي ذات تنوع مدهش كما وكيفا على الصعيدين المحلي والجهوي. ولقد أبرزت هذا التنوع الكيفي والكمي دواوين المثل الدارج على الخصوص، التي التقطت خلال ما يزيد على المائة والخمسين سنة الماضية وهي من وضع عامة المهتمين مغاربة وأجانب. وتعد هذه الدواوين بالعشرات، جل ملتقطيها من عامة المثقفين الذين، في أغلب الأحيان، لم يكن لهم

زاد غير إعجابهم وولعهم بهذا النوع من المقولات التراثية واجتهادهم في خدمة المعرفة. ولا يعني جمعهم هذا واهتمامهم أنهم قد أحاطوا برصيد أمثال المغاربة وشمُلها. والحقيقة هي أن طموحا من هذا القبيل هو بمثابة وهم إن لم نقل سرابا. ولن يتأتى أبدا جمع أمثال عشيرة من العشائر لأسباب شتى. وليس هذا هو الأمر الأهم في التعامل مع هذا الرصيد.

ومن الطبيعي أن لا تبرهن مجموعات الأمثال المدونة عن تباينات محتوى كمية الرصيد المدون وحسب، وإنما تتعداه إلى تباين طريقة معالجة وحداته كل ما تعلق الأمر بتفسير المحتوى والتعليق عليه وغير ذلك. يضاف إلى ذلك أن التباين يشمل الاصطلاح على "هوية" هذه الوحدة الكلامية، إذ هذه تتضمن تراكيب لا علاقة لها بالمثل كالعبارات المجازية مما يدخل في فرائد لغوية راسية التركيب أو جامدة والأنماط من الدعاء والتحيات، الخ. (أنظر أسفله). ناهيك عن أنماط الاستنساخ المعتمدة وما يرتبط بذلك من قواعده، سواء دُوِّنت محتويات المجموعات بالحروف العربية أو بغيرها، وناهيك عن سبل التصنيف والترتيب، الخ. ولا تزال دراسات للمثل الدارج الأكاديمية هي الأخرى نادرة جدا، وما أُنجز منها أغلبه من مؤسسات جامعية أجنبية. وهذه من الأسباب التي تحث على الإسراع بضبط دراسة المثل العلمية وتيسير طرق تدوينه؛ وهذا من بين الأهداف التي يرمي إليها عملنا داخل وحدة البحث في المثل كما ورد في عرض فوزية بنجلون هذا الصباح وكما لا شك سيرد في العروض الأخرى لأعضاء الجمعية المغربية للتراث اللغوي (أنظر إلى العروض ضمن هذه الأعمال).

I– اعتبارات نظرية و منهجية

أما عناصر العرض الذي أنا بصدد تقديمه وهو محاولة تنحو نحو التفصيل والتعمق في بعض القضايا والمشاكل المتعلقة بالبحث في المثل وتندرج ضمن اهتماماته، فهي أولا جانب نظري يعرف بالمثل تعريفا محكما و يسخر مجموع الآليات المفهومية لتحليله. ثم جانب منهجي، يوظف الطرق المواتية لاستيعاب كيفية أداء المثل وظائفه [1]. وكنه المثل نفسه هو الذي فرض هذا الاتجاه، أولا

من ناحية الشكل المتمثل في محاسنه التركيبية التي تعتمد الجمالية الصوتية Phonaesthetic والإيقاعية والعروضية، الخ. وثانيا من ناحية المضمون. وقد دعت حُمولة المثل العامي الثقافية وإشاراته المجتمعية ومبادئه ورموزه الخلقية وعوامل أخرى إلى السير في هذه الوجهة. وهذه كلها مميزات ومزايا أثارت -حدسا- انتباه المتأمل منذ آلاف السنين، مما جعلهم ينتقون النظر في واجهة من هذه الواجهات المختلفة، ويهملون غيرها. بل الأكثر من ذلك وقع كثير من الناظرين في المثل خطأ في خلط أشكال مختلفة من التراكيب الاصطلاحية الجامدة أو المسكوكة[2]. وقد لا يكون هذا الأمر هو الأكثر خطورة أو هو الحدث الذي سيستوجب النقد والمؤاخذة. إنما الأكثر خطورة هو انعدام وجود "وجهة نظر"، بالمعنى الذي وصى به دو سوسي De Saussure أي (qui crée l'objet) le point de vue أو بالأصح واجهة المنظور العلمي رغبة في تركيز البحث المنهجي وإرادة بلوغ كنه خصوصية هذا النمط اللغوي وما له من وظائف تتعدى مستوياته اللغوية، على أساس معايير معرف بها علميا، وأنماط متبعة في التحليل والعرض، مما يجب أن يكون ملائما لهذا الحقل المعرفي. إن جل الثغرات الموجودة في دراسات الأمثال ترجع إلى انعدام هذه المعايير العلمية والمنهجية، أو على الأقل إلى الخلط بين عناصرها. أضف إلى هذا وذاك أن هذه الثغرات كان لها تأثير سلبي في الجمع والتدوين، في معالجة الأمثال بصفة عامة.

قد يوجد توافق ضمني -أو يكاد- بين كافة المهتمين بالمثل، إن لم نقل بين عموم الناس، حول كنه هذه الوحدة الكلامية التي، هي بإيجاز، تتسم ب :

1. جمود التراكيب، إذ لا يقدم فيها ولا يؤخر، ولا تغير المفردات بالمرادف إلا بقيود [3]،

2. الاعتماد على الجمالية التركيبية،

3. تبليغ المعاني تحت المعاني عن سبيل المجاز والرموز عامة،

4. توظيف المثل لتبليغ ثقافة العشيرة مما تضمن 'فلسفة' كل شرائحها وجل ما يتعلق بوشائج الصلات والتعامل بين أعضائها، وطرق العيش، والقناعات

والأحكام الثابتة والمتغيرة، مما يضم المجموع ولشمل كافة أعضاء هذه العشيرة.

إلا أن هذا التوافق الضمني حول كنه المثل ذو حدود متداخلة (أي هناك تداخل بين عناصره أو أطرافه) إذ "تجتاح" حدود المثل أنواع أخرى من المقولات المسكوكة التي ليست من نوعه. ولعل أسباب هذا الخلط الناتج عن النفاذ في الحدود بين أنواع الكلام المأثور ترجع إلى عدم ضبط المفاهيم واستقصاء تعاريف كل شكل من التراكيب الكلامية. ويعود السبب في ذلك أساسا إلى شيء من التعقيد البنيوي وإلى اتساع رقعة ميادين الاستعمال والوظائف. بل إن التعقيدات البنيوية والدلالية والوظيفية هي التي جعلت من المثل الفيل المحاط بمجموعة من العمي كل منهم يروم وصفه، وكل منهم لا يعرف عنه إلا الطرف الذي يلمسه منه بين ذيل وأذن وفخذ وخرطوم، الخ.. ويتعقد الأمر أكثر فأكثر كل ما تعلق هذا الأمر بوضع تعريف للمثل شامل ودقيق وناجع، أي كلما تطلب الأمر تقديم وصف علمي يحيط بمكونات هذا النوع من الخطاب الموروث؛ وفي بعض الحالات، لا تقل الصعوبة عند ما نروم الفرز بين التراكيب التي اكتملت فيها صفات المثل من جهة، والتراكيب التي هي غير ذلك من جهة أخرى. فلقد بدا لنا جليا، ونحن ننظر في المثل (المغربي بصفة خاصة والعربي بصفة عامة) لبضع سنين أن إشكالية دراسة هذا النوع من القول متشعبة شكلا ومضمونا ووظيفة. ولقد قادتنا الممارسة إلى ضرورة فرز المثل عن التراكيب المسكوكة الأخرى على أساس السمات التي يختص بها كل نمط من التركيبات، قبل تقديم كل صنف للتحليل الذي يليق به، على أساس المنهجيات المواتية للترتيب و التصنيف. وهذا طبعا ما توخيناه استئثارا بالثغرات التي استقصينا من دواوين الأمثال المتوفرة.

وتكمن أهون هذه الثغرات، مما هو متكرر في مدونات الأمثال، وهذا منذ القديم، في إدراج وحدات لا تمت بصلة للمثل، لا من الناحية التركيبية ولا الدلالية، فبالأحرى الوظيفية؛ وكل الواجهات الثلاث متشابكة، وتساهم بالتساوي تقريبا، في ضبط هوية المثل، وفي ذات الوقت في فرزه عن ما هو ليس بمثل، من تراكيب أخرى. إن معايير الدراسة التركيبية والدلالية والوظيفية تُكوّن أسس التحليل

الدقيق الذي ييسر سبل الكشف عن الحمولات الأخرى الأدبية والثقافية والاجتماعية، الخ. بغض الطرف عن أن البحث الذي أنا بصدد تقديمه، أو لربما بفعله، يتسم بالتشعب، فإنه يطمح إلى التكامل وأبحاث الزملاء أعضاء خلية دراسة المثل في جمعيتنا من وجه وأن يختص بما يريد هو معالجته من وجه آخر[4]. وأنطلق من الأساس:

II– ما هو المثل؟

ينصب جل ما ورد أعلاه في التأكيد على أن كل عمل علمي ينطلق من التعاريف الكاملة والواضحة لكل المفاهيم المعتمدة كما يرتكز في نفس الوقت على ضبط المصطلحات المعبرة عن هذه المفاهيم. أود أيضا أن أشير هنا –في شكل قوس موجز مفتوح – إلى أن الاهتمام بجمع الأمثال، مما عرف في الكتابات البشرية الأولى مما أُرخ له وحُقق منذ قرون، لا يدخل في اعتبارنا بوصفه عرضا تاريخيا في بحثنا هذا، كما أود أن أشير في هذا القوس، إلى أن كثيرا من الباحثين من قبل، نظروا في المُدَوَّن من أمثال العرب، ودرسوه لغة وبلاغة، بما فيه الكفاية، الخ.، (أنظر، مثلا، جرد (1991) R. Sellhein [5]، in EI : 417-29؛ وبنشريفة (1975)، وانظر أيضا، ضمن هذه الأعمال العرض : "جمع الأمثال عند القدماء" لنفس الباحث). إلا أن بعض الغموض لا زال عالقا بهوية المثل، يستوجب رفع بعض أوجه الالتباس العالقة به، سواء تعلق الأمر بالمثل الفصيح أو الدارج. لذا وجب الوقوف عند الأسئلة التالية :

أولاً : الاصطلاحات التقليدية في التعريف بالمثل

نستهل التحقيق بالسؤال الأساسي أي "ما هو التعريف"، أو بصفة أصح، "ما هي التعاريف السائدة للمثل حاليا؟" فرغم ما يمكن أن يتسم به هذا التساؤل من سذاجة ورغم أن جل المستعملين للغة، إن لم نقل كلهم، لهم تصورات خاصة ويعرفون المثل بصيغ مختلفة، فإننا نجد كثيرا من الارتباك كلما رمنا الإتيان بعناصر مُعرِّفة لهوية هذه الوحدة اللغوية، وكلما رمنا فرز ما تختص به من سمات

بها يمكن مقارنتها مع غيرها من الوحدات الكلامية. إن مفردة "مثل" تتسم بالفضفضة في اللغة العربية، وتغطي، ارتكازا على وظيفة التشبيه، أنواعا مختلفة من الكلام. وقد نتج عن هذه التسمية الشمولية غموض في الصفات المميزة للأمثال ولمضامينها، إذ تجد أحيانا التسمية تغطي أنواعا شتى من التراكيب التي لا تعدو أن تكون عبارات اصطلاحية أو فرائدية [6] idiomatic expressions وهذا، على ما يبدو، ما لم يعره القدامى اهتماما في جمع ودراسة الأمثال، إذ تجد عند الميداني وكل من تبعوه، مثلا في سرد وحدات ك-'أبرد من ثلج' و'أبصر من حية' ضمن الأمثال [7]. فعكس الأمثال، وعلى غرار الوحدات المعجمية عامة، فإن هذين التركيبين وما شابههما لا يكونان سوى عبارات، وإن كانت مجازية جامدة (ويطلق على هذا النوع أيضا اسم العبارات المسكوكة، إذ بموجب ترسيخها تعتبر، مجازيا، بمثابة الوحدة النقدية التي تضرب)، فإنها تحتاج إلى دمجها مع عناصر أخرى في تركيب قائم بذاته حتى يكوّن جملة كاملة [8]، نحو :

"فلان أبصر من حية\من غراب" و"أصبح رجله أبرد من ثلج".

نضيف إلى ما سبق أن اللغة العربية توسعت وقد أثريت بفعل احتكاكها باللغات الأوربية، وهو احتكاك أضاف إليها، ضمن ما أضاف، استعارات مجازية وأنماط من الاستنساخ الدلالي calques أو loan translations أي اقتراض بالترجمة أو عن سبيلها؛ ويقصد به استعارة المضامين و المفاهيم، التي تعد الآن بالآلاف من هذه العبارات المسكوكة نحو :

- "الماء العكر" كما في الجملة "فلان يصطاد في الماء العكر"؛

- "حمامات الدم" كقولك "التطهير العرقي أدى بالصرب إلى اقتراف حمامات من الدم.

- "القطرة التي أفاضت الكأس"، عوض "القشة التي كسرت ظهر البعير"، الخ.، فكما هو بديهي ليست أية من هذه التراكيب بأمثال [9]، وإن طبعتها بعض السمات ك - (أ) الجمود التركيبي و(ب) العتمة الدلالية و(ج) المجاز والسمات الشعرية.

يندرج أيضا الارتباك في ضبط هوية المثل في تدوين ما لا يعدو أن يكون تشبيها، ولربما يعود هذا إلى الاستعمال الاستعاري لعبارة "مثل" في الدراسات القرآنية، حيث استعملت الكلمة من لدن بعض المفسرين والدارسين لـ"الأمثال في القرآن"؛ أنظر ابن الشريف (ضمن بنشريفة (1975)) الذي يقول في تعريفه إن المثل "قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر مشابهه، ليبين أحدهما الآخر ويصوره". وتدخل في هذا التعريف أشكال القصص القرآنية parables، كما وردت أيضا في الكتب السماوية الأخرى، أي الحكايات ذات الرموز التي تستهدف إبلاغ مغازي أخلاقية. زد على هذه العبارات المستعملة من أجل التشبيه أو الاستعمال المجازي. وهناك أيضا الكتب التي استهدف بها أصحابها الوعظ والنصيحة والتي تتضمن غالبا حكما أي أقوال مأثورة maxims / aphorisms / sentences مما يتضمن وعظا، نحو :

- 'من أمنك لا تخنه'
- 'الجهل شر الأصحاب'
- 'أنصر أخاك ظالما أو مظلوما'.

فكيف البلوغ إلى ضبط المفاهيم والتسميات المعبرة عنها؟ وكيف يمكن تقنين المميزات وفرز بعضها عن بعض قصد تصنيفها ووضع طبقاتها، كل واحدة بصفاتها الشكلية والدلالية والوظيفية؟ والجدير بالذكر وببساطة، أن الوظائف التخاطبية للفرائد اللغوية، وبالتالي الوظيفة اللسانية، تستعمل كأدوات معجمية بمعية أدوات أخرى بها تركب الجمل المفيدة،، في حين يسخر المثل للتواصل بصفته جملة جاهزة للاستعمال تختلف بين الأمثال والفرائد اللغوية حيث توظف هذه الأخيرة كأداة معجمية بمعية أدوات أخرى لتركيب جمل مفيدة، بيد أن المثل يسخر للتواصل بصفته جملة مفيدة جاهزة للاستعمال.

ثانياً : السمات التركيبية في التعريف بالمثل

بناءً على الميزات المدرجة أعلاه، نخص شكل المثل بالسؤال التالي : "ما هو التركيب السطحي أو الأفقي الذي يختص به المثل؟" والجواب أنه بوصفه

وسيلة تخاطب، فإنه يمتاز بالجمود التركيبي أو السك، الذي منه الوحدات المسكوكة أو "العبارات المسكوكة" التي لا يقدم في تركيبها ولا يؤخر، عكس وحدات الكلام العادي. كما أن مكوناته المعجمية غير قابلة للتغيي، ولا يستحب فيه تحوير تراكيبه بالمرادفات، مثل:

- 'الجهل شر الأصدقاء'
- 'من وضعك محل ثقة لا تخنه'
- 'قف بجانب أخيك...'

إلا أن سمة الجمود التركيبي وحدها لا تكفي لإضفاء صبغة المثل على وحدة كلامية، التي ينيف عددها عن العشر وحدات (أنظر التصنيف أسفله)، ويمتد طولها من كلمة استعارية واحدة أو اثنتين إلى تراكيب أكثر تعقيدا وأطول بنية. وهذه التراكيب هي، بعجالة :

1. الكلمة أو العبارة الفردية كما سبق التعريف بها أعلاه في :

- 'ديب' (ويقال في إنسان ماكر).
- 'رزّة القاضي' (نوع من الرغيف المقلي).
- 'ناكَت بابا ربّي' فرس النبي، أو جمل اليهود، سرغوف، وهي حشرة تشبه الجرادة ؛

وكل هذه العبارات من التراث في المعجم؛ والمفردات و العبارات :

- 'عولمة' عن الفرنسية mondialisation في المغرب، وتعرف بـ'الكوكبة' عن الإنجليزية globalization في المشرق؛
- 'خوصصة' وتعرق ب-'خصخصة' في المشرق؛
- 'في إطار (كذا)'، عن الفرنسية dans le cadre de

– الموظفون الأشباح'، عن الفرنسية كذلك، ويقصد بهم "المتقاضين لراتب دون ولوج أي عمل أو القيام بخدمة في الإدارات العمومية"؛

– 'مطاردة الساحرات'، وتشير إلى أحداث تاريخية معينة في أوربا وأمريكا؛

وكل المفردات والعبارات أعلاه من المعجم المعاصر.

2. اصطلاحات المناداة والتخاطب نحو :

– 'صباح الخير'،

–'على الراس ؤ العين' (وتلفظ عند الاستجابة لرغبة أو لطلب ما)؛

– 'لهلا يوريّك محاين' (يلين المتكلم به خطابه عند ذكر عاهة أو مرض)، الخ.؛

3. العبارات الاحتفائية والتدين نحو :

– 'سبحان الله'؛

– 'ربّنا كريم'؛

– 'لا حول ولا قوّة إلا بالله'؛

– 'الله يجعلو بزايد الرزق' (لتهنئة شخص بمولود وعند اقتناء شيء جديد)، الخ.؛

4. الأمثال والحكم والمقولات للاستشهاد كقوله ﷺ .

–'اتق شر من أحسنت إليه' و

–'ظل يوصيني بالجار حتى ظننت...'؛

5. العبارات الشعائرية والطقسية (حسب السن والجنس)

6. المداعبة والتسلي باللغة (بواسطة الألغاز، والأشعار والأغاني، والأحاجي والأقاصيص للصغار، الخ.) في :

– 'هذا سرق البيضة، هذا طيّبها...'، للمداعبة والترويض على الثقافة الشعرية.

7. البلاغات والإعلانات التجارية والدعاية السياسية والعقائدية والإيديولوجية عموما قصد الإقناع ؛ الإشهار، مثلا في:

– 'احترم قانون السير تنجّي نفسك ؤ تنجّي الغير'.

– 'باراكا من الفرّاكة' وهو شعار إشهاري يحث المستهلك على اقتناء مسحوق يغني عن استعمال خشبة غسل الثياب؛

8. العبارات المألوفة والمرموزة كالطلاسم و"رؤى" العرافين، كقولهم، مثلا :

– 'الحديد' و'عتبة' و'طابلة د المخزن' للإشارة، بالتوالي، إلى أن الزبون سوف يكتسب "سيارة" أو يشتري "بيتا" أو يحصل على"وظيف في الإدارة الحكومية"؛ وكذا في خطاب السحرة عموما كما هو الشأن بالنسبة للعبارات المستعملة في المبادلات وفي البيع بالمزاد وعند إبرام أو فسخ الاتفاقيات والمعاهدات نحو :

– 'البايع يربح ؤ الشاري يربح ؤ من صلّى على النبي يربح' للإعلان عن بدء المزاد في الأسواق؛

– 'الله يربّح' للتعبير عن التراضي في البيع، الخ.؛

9. النصوص الشفهية المتراصة من شعر وقصص ونصوص دينية وشعائرية كمثل الطرق الصوفية (مثلا ما يسمى ب-"الحزب" عند الطريقة العيساوية، الخ).

وتتميز كل هذه التراكيب، كما سلفت الإشارة إلى ذاك، بالجمود البنيوي، عكس الكلام العادي الذي هو حر البنية، لا قيود على تركيبته سوى القواعد اللغوية ودرجة نبوغ أسلوب المتكلم. ولكل صنف من أصناف الكلام المشار إليها أعلاه مميزاته، وإن سمات هذه الميزات هي المعتمدة في التعريف بهذا الصنف

التخاطبي أو ذاك. ومن البديهي أيضا أن تشترك بعض الأصناف من المقولات في اللائحة أعلاه، في سمات دون غيرها، إلا أن هناك، لا محالة، على الأقل، ميزة أو سمة واحدة ينفرد بها كل صنف، وبالتالي فإن هذه السمة هي التي تضبط هويتها. فإذا اعتبرنا المثل وحده، فإننا نجد أن مميزاته الأدبية (من سماته السجعية وإيقاعه الصواتي وأوزانه التركيبية وجماليته الدلالية على سبيل استعارات وتشبيهات، الخ.)، كلها سمات سائدة في المقولات الجامدة الأخرى. إلا أن المثل يختص بالتركيب الوافي والمفيد. ولهذه السمات التركيبية وظيفتان :

أ- تكمن الوظيفة الأولى في الحفاظ على نمط المقولة شكلا، وتساهم في ذات الوقت في تيسير وتسهيل إيداعها وترسيخها في ذاكرة المستعملين للغة.

ب- وتكمن الوظيفة الثانية في مصاحبة المضمون الدلالي بجمالية تركيبية، مما يوفر (فور إدراجها في التواصل) للمخاطبين متعة عند سماعهم المقولة التي تعتمد توظيف الآليات الصواتية المشار إليها، و هي التي بها يلفت المتكلم انتباه مخاطبه و"يمتعه"بتلك الجمالية.

إضافة إلى ميزة الجمود التركيبي، التي هي ميزة قارة في كل التراكيب المسكوكة، فإن المثل يشترك في ميزات أخرى مع كل نوع من التراكيب المسكوكة المشار إليها أعلاه. فمع الصنف الأول، مثلا، أي العبارات المسكوكة (الفرائد اللغوية) يتفق المثل في :

1- التجميد التركيبي،

2- الاعتماد في أغلب الحالات على الجمالية الصواتية والتركيبية،

3- الاعتماد على التشبيه بشتى أنواعه البلاغية،

4- الانغلاق أو العتمة الدلالية، إذ لا يدرك المعنى الإجمالي بواسطة الجمع بين المعنى الفردي لكل مفردة في العبارة الاصطلاحية أو المثل.

وهذه السمة (3) هي الأكثر شيوعا بين الفرائد اللغوية والأمثال. وهذا هو التشابه الوحيد الذي يجمع، إذ تختلف الأمثال والفرائد في : أولا، النمط التركيبي وثانيا في الوظيفة التخاطبية.

ثالثا : السمات الدلالية

يُكوّن المثل إذاً مقولة 'جاهزة للاستعمال'، أي وافية التركيب وتكفي وحدها للتعبير عن – أو للإشارة إلى – ما يهدف إليه المتكلم دون الحاجة إلى دمجه ضمن تركيب أوسع. وهذا ما يجعل التراكيب التالية أمثالا، رغم قصرها، إلى درجة أن الحذف من المقولة لا يؤثر على فعالية التواصل بين المخاطبين، حيث يكفي الشطر المكون من كلمة أو اثنتين لإعادة الوحدة كلها إلى الذاكرة :

– 'دفّت الحمّام...'

– 'طاحت الصمعة...'

– 'بحال الكمّون...'

– 'اللسان الطويل...'، الخ.،

ولا يضفي هذه الصفة على التراكيب الموالية :

– 'عطى يدَ الله'، "اجتهد في العمل وأنجز منه الكثير"؛

– 'زاهق لو الرتاج'، "فقد صوابه"؛

– 'ابرد من سوّة العتروس'، "العتروس" أي "العنـز"؛

– 'دجاجة بكامونها'، أي الفرصة المكتملة فيها جميع المزايا مثل الدجاجة التي اقتاتت بالتوابل التي تُستعمل في طهيها؛

– 'بحال الخاتم فالصبع'، "بحال" أي "مثل الخاتم الذي يروم الإصبع"؛

– 'بحال الحليب على النار'؛

– 'بحال الثور البلق'، أي "الأبلق" الخ.

وهذه التراكيب البلاغية الموظفة للتشبيه، توجد بوفرة فائقة في اللهجات المغربية كما في الفصحى، ومحل تدوينها المعجم وليس ديوان الأمثال[10].

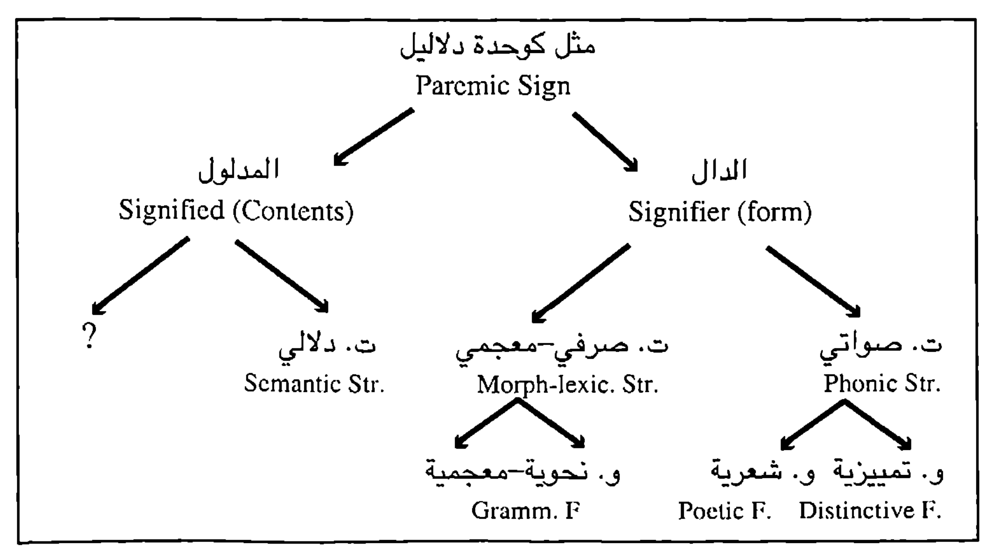
تُكوّن كل واحدة من التركيبات في الصنف الأول شطرا فقط من تركيبة أوسع كما هو معلوم، وتتمتها المحذوفة معروفة لدى المخاطبين، وحتى بصيغتها

المجزومة فإنها تُكوّن مقولة وافية تركيبا ودلالة. بل أكثر من هذا فإنها، مجزومة كانت أو وافية، لا تقبل التغيير (لا نحويا ولا معجميا) حيث يستحيل، مثلا، قولك

- 'دفوف الحمّامات' (بصيغة الجمع) أو
- 'طاحت الصميعة' (بصيغة التصغير) أو
- 'اقبح من الكمّون'(بصيغة التفضيل)، الخ.

فهي إذا بمثابة جمل مفيدة؛ بيد أن التركيبات من الصنف الثاني تحتاج إضافة أعضاء إما في مبتدئها أو في خبرها أو تحتاج إلى روابط ترسيها في الخطاب حتى تصير بهذا تركيبة مفيدة، وهذه السمة هي التي تؤهل الصنف الأول لرتبة مثل والصنف الثاني لوظيفة معجمية لا غير، رغم احتواء الصنفين لسمات مجازية.

فانطلاقا من السمات المدرجة أعلاه في التمييز بين ما هو مثل و ما هو تراكيب أو عبارات مسكوكة من الناحيتين التركيبية والدلالية، يمكن تلخيص "هوية" المثل من خلال الجدول الموالي، الذي يبرز العلائق التي تربط بين مكونات المثل كوحدة كلامية :



جدول رقم 1، ويلخص العلاقات التركيبية (ت/ Str/) والوظائف (و /F) التي تؤديها الوحدات.

يلخص الجدول إذا حالة المثل كوحدة كلامية هي بمثابة دليل لساني، يمكن تحليله في دال و مدلول قارين، يتكون الأول من التركيب الصواتي و التركيب الصرفي و المعجمي. ويحلّل التركيب الصواتي في وحدات ذات وظائف تمييزية (الفونيمات) صرفة، من جهة، تميز في الكلام مثلا بين "بات" أي 'قضى الليلة' و"باط" أي 'إبط' أو بين "زرْب" (بتفخيم الراء، وعلامة تفخيمه السكون) أي 'أسرع' و"زرّب" أي 'أحاط بشوك شجرة العناب قصد تحصينه'. ويختص علم الصواتة بدراسة هذه الوظائف التمييزية. ومن جهة ثانية يحلّل التركيب الصواتي إلى وحدات يمكن تصنيفها بالشعرية (وهي القوافي والسجع والإيقاع، إلخ.) لكونها تهدف أساسا إلى إضفاء جمالية على الوحدات الكلامية. وكما هو الشان بالنسبة للكلام العادي، فإن التركيب الصواتي يؤسس للتركيب المعجمي والنحوي، بطبيعة الحال، مع الاحتفاظ لنفسه ببعض الخصوصيات في تركيبات الأمثال. هذا، بإيجاز ما يتعلق بالدال. وتشير الرماح في الجدول إلى تسلسل الوظائف وعلاقاتها بعضها بالبعض.

أما فيما يخص المدلول فإن الجدول يظهر ازدواجية إذ يفرز أولا بين التركيب الدلالي كما في الكلام العادي نحو "ضرب زيدعمرا" عكس "ضرب عمر زيدا"، ويرد هذا التطابق بين معاني المفردات والمعنى الإجمالي للتركيبة في الأمثال الشفافة transparent نحو "من آمنك لا تخنه" و "انصر أخاك..." إلخ. ويفرز، ثانيا، بين التركيب الدلالي الكامن latent فإذا كانت الدلالات الجلية patent من اختصاص التركيبات اللغوية (من صواتة ونحو ومعجم) فيجدر أن نطرح السؤال : "على أي أساس توضع الدلالات الكامنة وكيف تتم طريقة توظيف علائقها؟" ومنه علامة الاستفهام داخل الجدول بالنسبة للدلالات الكامنة، العتمة. ويجدر بنا أن نسأل في هذه المرحلة من العرض عن كيفية "تركيب" المعاني الكامنة ضمن المثل وبالتالي أن نسأل عن الكيفية التي يسخر بها تبليغ المعاني الكامنة تحت المعاني. و هذا ما ترتكز عليه المناقشة في الباب الموالي.

رابعا : السمات المجازية العتمة

من البديهي أن المتداول للأمثال (من متكلم ومخاطب) يحس بمتعة تشبه المتعة التي يجتلبها النص الأدبي والشعري، وهي متعة نابعة -زيادة على السمات الصواتية والتركيبية المدرجة في ما سبق- من ارتباط المثل بالتشبيه والمجاز والأقاصيص والتلميحات أو الإشارات إضافة إلى شتى أشكال التعامل المجتمعي، إلخ.؛ وكل هذه المحتويات هي من مكونات مجازية عتمة، نابعة من صميم وصلب ثقافة العشيرة عبر المكان والزمان.

وبفعل هذا التكثيف الدلالي المتماسك شكلا ومضمونا، تحتوي التراكيب الجامدة عموما، والأمثال خصوصا، على دلالات سوسيولسانية، أي رموز تستمد كل واحدة مغزاها من ضروب وظروف الاستعمال؛ وتنبني بصفة عامة على دلالات ثقافية وتراثية في شكل رموز ومؤشرات عتمة opaque؛ و"دلالات تحت الدلالات"، زيادة على محتوياتها اللغوية الشفافة، أي الواضحة transparent وهذا التكثيف الدلالي هو ما تشير إليه أو ترمز له علامة الاستفهام داخل الجدول رقم (1) أعلاه. فواحدة من الأسئلة المطروحة هي : "كيف تنقل هذه الرموز والدلالات المشحونة مضامينها من متكلم إلى ومستمع في مثل ما؟"

يكفي هنا أن أذكر بالإشارة الواردة في وثيقة العمل الصادرة عن اللجنة التحضيرية لهذا الملتقى، والتي لخصت للمشاركين أسس البعض من اهتماماتنا داخل الجمعية المغربية للتراث اللغوي عندما ألمحنا إلى هذا الصنف من التراكيب. ولقد بُوب تصنيف عناصر هذا الاهتمام في ثماني نقط هي :

1- الشكلية، كما سبق الذكر، من حيث ضبط طريقة الاستنساخ، على أساس القواعد الصواتية و التركيبية والمعجمية للهجات المغربية البارزة، مثلا، ومن حيث نمط التدوين والمعالجة الإليكترونية للأمثال ولغيرها.

2- التركيبية، التي تخضع هذه المقولة لكل شروط التركيب الخاص بالجملة، إذ من ضمن ما يشترط في المثل أن يكون جملة مفيدة.

3- الوظيفية، التي تحكم استعمال المثل وفقا لاستراتيجيات التخاطب ولبلوغ أهداف التواصل.

4- الجمالية (الشعرية)، من تراكيب ومميزات من سجع ومن قوافي وأوازن إيقاعية، الخ.، وهذه تختلف وظائفها عن (3) أعلاه.

5- السوسيو لسانية، لضبط مدى شيوع المثل في المجتمع وتقنيته خصوصا في فرز معطيات : "من يوظف أي شكل من الأمثال في التخاطب؟ مع من؟ وعلى أي أساس؟ولأية أغراض؟" (من حيث السن والجنس والوسط المجتمعي، والأصل أو المنبع اللهجي)، الخ. إذ -نظرا لما تكتنز من معطيات مجتمعية- يجدر الانكباب على سمات المثل في اختلافها بين بادية وحاضرة، الخ.

6- السوسيو ثقافية، حيث فرضية اختزال الأمثال لظواهر خاصة من ثقافة العشيرة وطرق عيشها، مما لا تتضح معالمها. ومن ظواهر العيش هاته، طبعا، الظواهرالآنية، التي تعكس جل ما يتعلق بقواعد وقيم وأحكام التعامل بين أعضاء العشيرة وبتجربتهم ونظرتهم للكون بصفة عامة، كما تمثل الأمثال الأداة القادرة على حفظ أنماط من العيش لزمن طويل بعد أن تكون هذه الأنماط قد اندثرت؛ وبالمماثل، تقتبل ظواهر من الدينامية الآنية Dynamic synchrony أي ظواهر المعاصرة التي هي طور الترسيخ ضمن مكونات ثقافة العشيرة الأخرى.[11]

7- التاريخية، إذ تندرج في عدد من الأمثال إشارات إلى عهود وأحداث تاريخية، أحيانا لم يبق لها أثر في الذاكرة العادية للعشيرة عدا في المثل، وبالتالي فهي تيسر فهم المدلول في المثل وفي ذات الوقت تؤرخ له[12].

8- السيميائية في ما تعلق بخصائص المثل في تأدية وظائفه بالاعتماد عن المجاز والرمز، الخ.

وما إلى ذلك من سمات تُكوِّن كل واحدة زاوية أو منظورا للتطرق إلى البحث في المثل. إلا أن واقع أمر الأمثال يبين أن هناك "تراكما" للسمات المعبأة في تيسير محتوى المثل الدلالي. فمثلا لفهم كيف تؤدي الوحدة التالية وظيفتها :

– كذّب اللوز ؤ صدّق المشماش، ؤ كذّب الشيب ؤ صدّق الكماش؟[13]

– إلا رجعوا ناس الريال شرفا، الشريف ؤ الفقيه يمشيو يرفدوا القفّة؟

يجب أن ينصب التفكير على الإمعان في النقط المقترحة أعلاه لتحليل شتى جوانبها وبسطها للمناقشة.

في حدود ما تبقى من هذه المساهمة سأحاول إذا أن أناقش تحليل المثل من باب النقطة (8) أعلاه، أي من المنظور السيميائي، حتى أعطي لمحة عن الواجهة الأخرى لاجتهادي في دراسة المثل المغربي خصوصا من ناحية الدلالات. والمقصود بالدلالات هنا، بصفة جد بدائية، كل ما تضمنه المثل من معاني ومغازي وإشارات، لا تبرز لأول وهلة لسامع المثل إلا عند استيعابه للتركيبة عن طريق التنشئة أو التهيئة المجتمعية The socialization processes مما كان لهذا المستمع في تعامله مع أفراد العشيرة منذ الصبا، وهي التي بها يدرك معاني ومرامي وحدات كلامية، مثل 'ولو طارت معزة' و'فين ودنيك آ جحا' (بدون علامة استفهام). عكس الأمر في الكلام العادي الذي هو حر –أو مولد– التراكيب Structurally generative الذي معانيه الإجمالية مطابقة لمجموع معاني مفرداته، نحو 'ناولني الملح، من فضلك' و'اشترطت على العريس المسكين قضاء ابنتها شهر العسل في البندقية'. فالدلالات المعبر عنها في كلتا الجملتين لا يفوق مضمونها دلالات المفردات المعجمية والروابط التي توصلها والأزمنة وتذكير/تأنيث وأعداد، الخ. أما المثلين سالفي الذكر –كجل الأمثال والعبارات الجامدة أو المسكوكة– فلا المفردات المعجمية ولا التركيبة النحوية تكفي لإدراك مدلولاتهما. لذا فإن علم المعاني، الذي يقف عند وصف الدلالات التركيبة غير كاف لاستتباب المعنى كاملا.

ويمكن تلخيص جل ما تقدم في التعريف بالمثل، أنه وحدة جامدة التركيب أو مسكوكة ذات دلالات مجازية قارة تكفي وحدها للتعبير عن مضامين كاملة ومفيدة، أي دون الحاجة لدمجها ضمن عناصر تركيبية أخرى. ونظرا للسمات البيانية والمجازية وما تزدان به الوحدة من جمالية صواتية وتركيبية ودلالية، فإن

المثل يُكون أصغر نص أدبي وشعري على الإطلاق، بما يحققه من متعة ومغازي يتحف بهما المثل مستعمليه.

III- منهجية السيميوتيقا في دراسة المثل

قد يبدو واضحا بعد هذا التمهيد المفهومي والمنهجي، أن المناهج المقترحة في هذا العرض، تُؤسس لتوظيف آليات النظريات اللسانية والسيميائية، في تحليل وظائف المثل في التواصل اللغوي وفي استخدام منهجيات التحليل لنص المثل. يهدف التحليل السيميائي أساسا البثّ في كيفية تبليغ المضامين التي يكتنزها هذا النوع من الكلام. لذا فإنني أريد الوقوف عند طرق استعمال آليات التحليل – في المعالجة العلمية بالمعنى الحقيقي– وتقديم الأمثال الواردة في قاعدة المعطيات، مصحوبة بالتفاسير والتعاليق اللازمة، بما قل ودل من التفصيل، أي بما يكفي من :

- أولاً، الدقة أو المتانة – وبالأحرى التناغم – في معالجة عناصر التحليل؛
- ثانياً، الأناقة في التعبير وفي التقديم؛
- ثالثاً، الاقتصاد في التعبير؛
- رابعاً، الشمول في عدد وتنوع الأمثال.

ففي ما يخص باب الشمول مثلا، فإن دراسة المثل، بموجب تموقعه ضمن عناصر من شتى أشكال التجربة المجتمعية، ومن مكونات العلائق الثقافية للعشيرة، لن تكون مستوفية وشاملة إلا إذا انطلقت أيضا من علم متمركز بين علوم شتى، متعدد الأوجه أو التخصصات. ولعل هذا يتمثل في السيميائيات التي تختص بتحليل حدس الناس بالكون وبتجربتهم في التعامل معه ومع بعضهم البعض، وهي أيضا تؤسس لجميع ميادين العلم ولدائرة المعارف عموما.

كتب عن السيميائيات واحد من رواد هذا العلم دجون ساندرس بيرس John Sanders Peirce (1839-1914) وهو دون جدال أشهر مبدعي السيميوتيقا قائلا:

It has never been in my power to study anything - mathematics, ethics, metaphysics, gravitation, thermodynamics, optics, chemistry,, comparative anatomy, astronomy, psychology, phonetics, economic [sic], history of science, whist, men and women, wine, meteorology - except as a study of semiotic. (Letters to Lady Welby, p 32) (14)

ولا بد من التذكير هنا، ولو بصفة عابرة، بما وصف به بيرس الوحدة، في نظريته في السيميوتيقا، أي وحدة الدليل السيميائي the semiotic sign، حيث لخص مفهوم هذا الدليل في كونه "شيء يبلور لشخص شيئا ما له به صلة أو يوحي له بصفة"(15). وكما هو معروف، فإن دو سوسير De Saussure في نفس المدة التاريخية نظّر لدليله اللغوي le signe linguistique على أساس الثنائية : الدال والمدلول le signifiant et le signifié؛ فعكس ذلك، أسس بيرس لدليله على ثلاثية: The sign أي الدليل، The object أي مُدرَكُ الدليل، و The interpretant أي المفعول الذي ينبع من الدليل أو المعاني التي يبلغ.

ليس غرضي هنا مقارنة اجتهادات الرجلين ولا حتى الخوض في نقاش حول السيميائيات؛ وليس غرضي أيضا النظر المعمق والمفصل في دراسة مفهوم الدليل لأن المجال لا يتسع لذلك، وإني أكتفي بمحاولة إخضاع مفهوم الدليل السيميائي - كما سيتضح هذا في العرض - لدواليب آليات تحليل المثل واقتراح نماذج للتحليل على أساس المفاهيم التالية.

الوظيفة البيانية في المثل

أ- مفهوم الوحدة البيانية

يجدر التذكير هنا بأن المثل يُتداول كوحدة بيانية A representational unit كاملة "تُصرف" بين متكلم ومخاطب. كما أن المثل يُروج قيما دلالية ثابتة إذ هي تُبلغ، بصفة قارة، معاني يرمز مغزاها إلى شيء أو حدث أو مفهوم ما، من صميم التجربة المعيشة المشتركة للعشيرة. وتنبني كل وحدة بيانية على عدد من الأشطر الدلالية Sense groups التي تتضافر محتوياتها الدلالية في تقويم الوحدة البيانية.

ويمكن، على هذا الأساس، القول، إن كل مثل يُكون وحدة بيانية هي بدورها مكونة من عدد من المؤشرات.

ب- مفهوم المؤشر

ويعبر كل شطر دلالي عن شكل أو واجهة أو عنصر مطابق لإحدى العلاقات المعبر عنها في المثل. لذا سميت هذا الشطر مؤشرا Index [16] ويُضبط كل مؤشر على أساس المعاني المُعبأة ضمنه وعلى أساس العلاقات التي تربطه بالمؤشرات الأخرى للوحدة البيانية. وتتركب كل وحدة بيانية من مؤشرين إثنين على الأقل [17]، كما في الأمثال التالية (يرمز السطر إلى رقعة كل مؤشر) :

- خالف تّعرف
- نوّق تبيع
- هبل تربح
- سفّل ترتاح
- طاحت الصمعة علّقوا الحجّام
- دفّت الحمام الداخل يضرب ؤ الخارج يضرب

وقد تتسع دائرة العلاقات بتعدد المؤشرات حسب طول المثل وحسب تعدد دلالاته، مثلا:

- التاجر إلا سرق يقولوا نسى ؤ المسكين إلا نسى يقولوا سرق
- قلّت الشي ترشيّ ؤتنوّض من الجماعة ضربت كفّ لكفّ ؤخمّمت فالأرض ساعة [18].
- سافر تعرف الناس ؤكبير القوم طيعو كبير الكرش ؤ الراس بنصّ فلس بيعو.

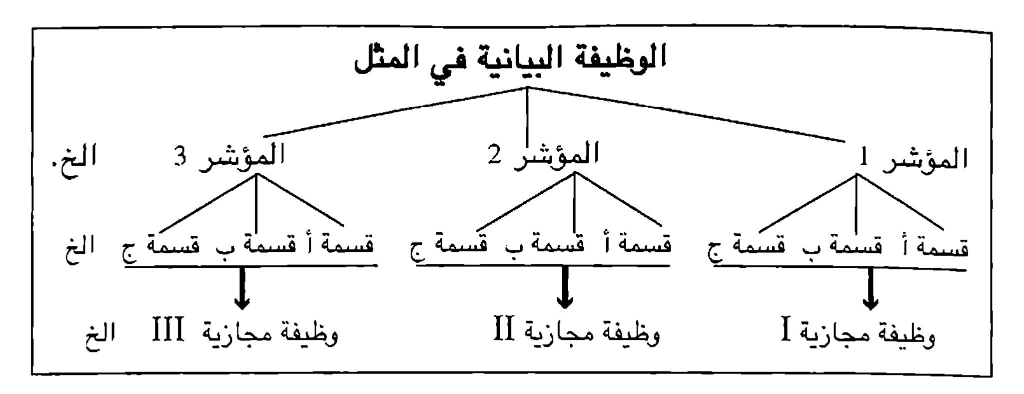
فكل مؤشر هو بمثابة واحد من العناصر المكونة لمشهد أو صورة، له مدلوله الخاص به، الذي يساهم به، في آن واحد، مع المؤشرات الأخرى في تأدية الوظيفة الشمولية. و السؤال هنا هو كيف تُضمّن عناصر هذا المدلول في المؤشر؟

ج- مفهوم القسمة

مما لا شك فيه أنه، وقد يكون هذا قد اتضح الآن من خلال النقاش أعلاه،أن كل مؤشر يبلغ معاني إجمالية، هي في غالب الأحيان مجازية، إذ تعبر عن معاني ودلالات ليست هي المعاني والدلالات الواردة في التركيبة السطحية، فالمرمى أو المقصود ليس هو "الصومعة المنهارة" ولا "حلاق يعدم" ولا "غني يختلس"، إلخ.، إذ ليست هذه المعاني السطحية هي المستهدفة كما هو معلوم، بل المعاني أو المضامين التي وقع "تذويبها" في كل مؤشر هي المستهدفة، ويتأتى ترويجها فور تعبئتها في الكلام. كيف ذلك؟

من البديهي أن كل مؤشر "يستدعي" أو "يصور" في ذهن أو وعي كل من المتكلم والمخاطب، عددا من الوحدات الدلالية، على شكل معادلات وصفات وسمات ومغازي ومطابقات، ترمي كلها إلى دعم بنية المؤشر البيانية. وتعرف هذه المعادلات عادة بالتضمين Connotation، أي المعنى الإضافي الذي يوحي به الكلام علاوة على المعنى الأصلي أو السطحي. وهكذا يكتنز كل مؤشر وحدات تضمينية، وهي وحدات نهائية Ultimate constituents في التركيبة الدلالية، إذ يصعب تحليلها في تركيبات أو وحدات أصغر. وقد سميتها بالقسمات السيميائية Semic features.

ويلخص الجدول الموالي فحوى التحليل المقترح أعلاه، وعلاقات المفاهيم المعبأة في المناقشة.



هكذا إذًا توظف كل مؤشرة عددا من القسمات تتضافر كلها في تكريس معاني ومفاهيم، ثم تركب المؤشرات بدورها في الوحدات البيانية. إذا أخذنا، مثلا أيّا من الوحدات الدنيا من حيث عدد المؤشرات البيانية، أي المركبة من مؤشرين مثل :

سبّق الميم	**ترتاح**
. تقبل بالنفي	. تجتنب المتاعب

هبل	**تربح**
. ادَّعِ الجنون	. تَفُزْ

طاحت الصمعة	**علّقوا الحجّام** (19)
أ– حدث شيئ ما مهول وجلل	أ. تلصق التهمة بأي كان
ب– الحدث ليس في الحسبان	ب– تعيين كبش الضحية

دفت الحمام	**الداخل يضرب و الخارج يضرب**
أ. باب الحمام العمومي (ليست ملكا لأحد)	أ– لا يعيرها الأفراد اهتماما
ب. ذات أهمية إذ تقي المحتمين من البرد	ب– لا يأبه بها المستعمل بعد قضاء الحاجة

خبشوك المشاش	**نهارلحكَت عليك يا وجهي**
أ. القطط مخلوقات تافهة	أ. الوجه ذا أهمية إذ به يعرف المرء
ب. لكن تأثير فعلها قد يضر	ب. يعامَل المرء حسب وجهه أي شخصيته
ج. الأذى يأتي ممن أحسنت إليه	ج. ومنه الإحساس بخيبة الأمل أو التخاذل إلخ.،

من الملاحظ أن تأثير الوحدات التركيبية وعدد مفرداتها أو تعقيد تركيبها النحوي لا يتحكم في حجم المؤشرات وإنما تتحكم فيها، وإلى حد بعيد، الوحدة الدلالية، كما تبين ذلك الوحدات التالية، إلا أنها تحتوي كلها على مؤشرين اثنين، دون الأخذ بعين الاعتبار طول مكوناتها النحوية والمعجمية.

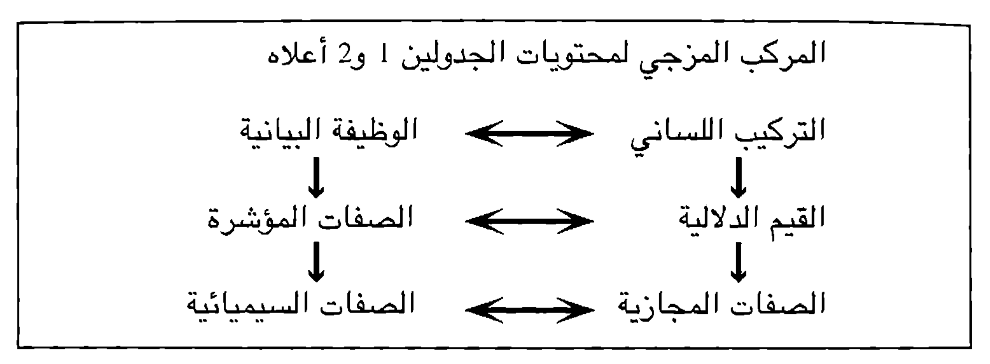
يقولوا سرق	**وُ المسكين إلا نسى**	**يقولوا نسى**	**التاجر إلا سرق**
أ- احتقار الضعفاء	أ- احتقار الضعفاء	أ- تدفع إلى التملص	أ- هبة الأقوياء
ب- سوء النية بهم	ب- الاحتراس منهم	ب- الطمع والتحيز	ب- منافقتهم
ج- الجور تجاههم	ج- عدم التسامح معهم	ج- التملق والجبن	ج- ولو تنكرا للأخلاق

من الراجح - حتى حدسا فبالأحرى تجريبيا- وكما سبق الذكر، أن لكل واحدة من المؤشرات أعلاه مكونات مجازية ذات سمات مضبوطة وقارة. ويكفي سرد المؤشر الأول من المثل ليستحضر السامع ما تبقى منه في الذهن. إن كل مؤشر يكتنز بهذه الطريقة عددا من المعاني الناتجة عن التضمن السوسيوثقافي الذي أشرت إليه سابقا، ووظيفة هذا التضمن هي بالأساس إيحاء المميزات المرموزة في ذهن المخاطب بعد أن ساقها المتكلم تشبيها بشيء أو بشخص أو بتصرف ما. أضف إلى هذا كله الطريقة "التقتيرية" التي توصل المؤشرات لبلوغ الأهداف التخاطبية بواسطة مميزاتها المرموزة.

من البديهي أيضا أن الناطق بمثل ما وبالأحرى سامعه لا يقومان بتحليل المؤشرات على النهج المقترح أعلاه، أي على أساس البنية الدلالية والمؤشرات والقسمات، إلخ. إن المعاني المرموزة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هي مستودعة في الذاكرة الدون-وعيية عبر ممارسة التجربة المجتمعية التي يبلغ

إليها كل فرد بواسطة مقدوراته الميتا-معرفية The metacognitive faculties خلال أطوار اكتساب اللغة الأم، وعبر فترات اكتساب ثقافة العشيرة كطرف في التهذيب أو التنشئة المجتمعية [20] The socialization processes.

ويهدف الجدول الموالي إلي تلخيص العلاقات بين المكونات اللسانية والمكونات البيانية، والجدول مركب مزجي Synthetic لمحتويات الجدولين 1 و2 أعلاه :



الجدول رقم 3

الخلاصة

إن ميزة هذا العرض الأساسية هي كونه "برنامجي"، إذ يقترح عملا يدخل ضمن توجهات في البحث حول المثل بصفة خاصة، والتراث الشفهي بصفة عامة، بعد التعريف به بوجه دقيق وبعد فرزه عن باقي الوحدات الجامدة أو المسكوكة الأخرى. والبحث لا يريد أن يقدم حلولا وأجوبة كاملة ونهائية، وإنما هو محاولة لشق طريق نحو بعض التجديد في دراسة المثل، بغية الإحاطة، قدر الإمكان بالمعطيات الخاصة بالأمثال، بصفة أو بأخرى، قصد وصفها وترتيبها وضبط ما ارتبط منها بالعناصر والوظائف المختلفة. ونأمل من المنهجية المقترحة في هذا البحث، أن نتوصل إلى معالجة المثل بشيء من الدقة والشمول وربما بعض التهذيب والأناقة.

الهوامش

1) لقد بدت لنا الضرورة الملحة لإخضاع المثل لمعايير البحث العلمي على إثر تهيئ ببليوغرافيا الدراسات اللغوية حول اللهجات العربية المغاربية (أنظر يوسي 1989)، عندما بدا جليا تباين محتويات المراجع كما وكيفا، وانعدام المعالجة المستفيضة والمستقيمة والمنجزة بما يليق من الدقة، للمثل خصوصا، وللتراث الشفهي عموما.

2) وهي من السكّ بمعنى الصياغة، كما في ضرب النقود، ويقصد بكلمة مسكوك كل ما هو راس أو جامد التركيبة اللغوية، إما لأسباب عقائدية (كالنصوص الدينية، مثلا)، أو أسباب أدبية (كالأشعار والأغاني، الخ.)، وأنماط التخاطب الواردة في التعامل الروتيني أي المتعدد التكرار والظرفية يوميا بين فئات العشيرة (كالتحيات والتهاني والشتم، الخ.)، أو التركيبة المعجمية من فرائد لغوية بشتى أشكالها حيث غالبا ما يتعذر البلوغ إلى معانيها عن سبيل المفردات المكونة لها، كقولك "سحابة صيف" للإشارة إلى شيء عابر وبدون تأثير؛ أو عبارة "أكل الدهر..." للتعبير عن التردي من جراء كثرة الاستعمال؛ والتي تعتمد المجاز لتضمين دلالات 'تحت الدلالات' إذ من المعلوم أن ليس للدهر لا بطن ولا شهية (أنظر أسفله).

3) من بين هذه القيود، على سبيل المثال، المقابل الجهوي من الأمثال -اختلافات معجمية أو مفهومية بسبب الاختلافات المعيشية، الخ.- أو الطبقي، الخ.

4) إلا أن هذا التنبيه لن يخول للعرض الموالي صلاحية التحدث باسم أعضاء الخلية جميعهم في هذا الطور من البحث، إذ الشخص العارض، وحده، هو المسؤول عن المناحي والوجهات المتبعة نظريا ومنهجيا، وبالتالي وحده المسؤول عن كل عيوب وثغرات التقديم الموالي. من ناحية أخرى لن تسمح إكراهات الزمن باستتباب جميع أطراف التحليل، ولا حتى الربط بين عناصر ومرامي العروض الثلاثة الأخرى المقدمة من لدن أعضاء الخلية الآخرين. أنظر العروض التي قدمها كل من فوزية بنجلون، زكية عراقي سينار ومحمد الذهبي ضمن أعمال هذا اليوم الدراسي.

5) يقدم مدخل Mathal نظرة شاملة، في هذا المرجع، للمثل في العلم الإسلامي، وضمنه مقالة هذا الكاتب عرض فيها بشكل مستفيض تحقيقا حول المثل العربي، ضمنه ببليوغرافيا تحليلية حول الأمثال في جل الأقطار العربية إلى غاية كتابة المقال (1991)، طبعا مع ما يتوقع من نقص وجزئيات في الجرد، نظرا لاتساع رقعة الميدان، ونظرا، على وجه الخصوص، لكون المنشورات حول الأمثال غالبا ما تكون من تمويل أصحابها، وبالتالي ضعف توزيعها وضآلة نشرها حتى داخل كل بلد، بالإضافة إلى طابعها اللهجي الذي يحد من رقعة اهتمام القارئ، الخ. أضف إلى هذا كله أنه، من ناحية أخرى لم يبتدئ بعد في

العالم العربي العمل على "ترميم" التراث اللغوي المسكوك، حسب "روح العصر" قصد تصنيفه على ضوء النظريات المعاصرة، وتعبئته بالطرق والمناهج العلمية الجديدة الموظفة في لغات أخرى، حتى يصير هذا التراث أداة تسخر مثلا في التربية والتعليم، وتعبأ لإثراء ثقافة العصر عموما.

6) أي التركيبة الفريدة من نوعها في اللغة، المكونة من كلمة (كقولك 'هرم' في نعت شخص بالشموخ) أو أكثر من كلمة (كقولك 'كوكب الشرق' في ذكر رفعة المطربة وعبارة 'رجع بخفي...' و'الضربة القاضية' ، الخ.)، لكن هذه العبارات هي دون اتساع تركيبة الجملة. وتتسم العبارة الاصطلاحية بجمود مكوناتها، إذ هي مرصوصة لا يمكن تقديم أو تأخير فيها (كقولك 'رجع بحذاء حنين' أو 'هلال الشرق' أو 'اللكمة القاضية') دون الإخلال بها؛ وتشير علامة (*) أعلاه إلى عدم استحسان التركيبة شكلا ومضمونا. ومن ناحية المدلول، فإن الفرائد اللغوية، في معظم الحالات، تعبر عن معاني لا تُستمد من مجرد فهم معاني مكوناتها منفصلة، إذ هي مجازية و مكرسة في ثقافة العشيرة.

7) وهذا النمط من المقولات على وزن "أفعل من كذا" جد وافرة في اللسان العربي لدرجة أنها مدونة بانفراد في كتاب نسب لأبي علي البغدادي (3305)؛ انظر بنشريفة (1975 ص 18)؛ كما أن الميداني كان قد دون في كتاب ضمن أمثال العرب عنونه ب- "أيام العرب" كنمط آخر وجمع منها 228 وحدة (أنظر. Freytag الذي نشر بين 1838 و43 ببون وأعيد طبعه بأسنابروك Osnbrück سنة (1968) وهو في ثلاث مجلدات، الأول والثاني يتضمنان تحقيقا كاملا لأيام العرب للميداني ولأقوال الرسول ﷺ وأقوال الخلفاء الراشدين؛ ويقدم الجزء الثالث 1233 مثلا لأبي عبيد وآخرين، عن الميداني. ويقدم النص العربي بالترجمة اللاتينية مصحوبة بتعاليق وجيزة وفهارس.

8) مفهوم الجملة

9) أنظر ،مثلا، ج. ن. حجار (1983) الذي مزج هو أيضا بين شتى أنواع التراكيب في منجد واجد الأمثال والحكم والفرائد اللغوية في العربية والفرنسية.

10) وهذا ما أغفله جميع من اهتموا بتحضير مجموعات الأمثال بدءا بعالم الأنتربولوجيا الفينلاندي الأصل إنكَليزي الجنسية، إدورد ويسترمارك (أنظر المراجع)، في العشرينيات؛ وقد تبعه في هذا "الإغفال" جل الذين جاءوا بعده ونشروا دواوين الأمثال، مكرسين نفس "الهفوات" والخلط بين عناصر مختلفة تركيبا ووظيفة ودلالة، إلخ..

11) هناك عدد من الأمثال ترمز إلى أشياء بادت إذ لا صدى لها في معارف الأجيال الناشئة وهي كثيرة نسبيا نظرا للتحولات المجتمعية والحضارية الهائلة خلال العقود القليلة الماضية؛ فكم هي نسبة الأفراد الذين يعرفون ما "العبروق" و"السلتة" و"الرطل"، إلخ.، الواردة في بعض الأمثال؟ وبالمقابل هناك أمثال تبين مكوناتها و مضامينها أنها من

وحي العصر برزت بفعل الدينامية السوسيو ثقافية كمثل : لاتوجّد الباليزة حتى تضمن الفيزا واللي بغى حبابو ينوض للآفابو وسمعات الماكياج للتزيين طلّساتو حتى للودنين، إلخ.

12) على سبيل المثال، لن يُفهم المثل: "عام الكيلو، آش نديروا لو" يؤرخ لفرض الوزن بالكيلو غرام على المغاربة من لدن الإدارة الفرنسية بدل الأوقية والرطل، إلخ في أوائل القرن الماضي، وعبروا بالمثل بخفة عن حيرتهم. كما عبر المثل : "مولاي يوسف من قلّت نسابو ؤ حبابو دار عبابو" ويؤرخ للعزلة وقلة شعبية السلطان مولاي يوسف بن الحسن بعد أن نصبه الفرنسيون عوض أخيه مولاي حفيظ خلال الحرب العالمية الأولى. ناهيك عن " الله يبيّك لمالطا، لافراش ل غطى"؛ و "تطوان هي الحبس د مولاي دريس" ، ألخ.

13) أشير هنا (فقط لإعطاء نظرة وجيزة عن نوع الأخطاء المقترفة في فهم، -وبالتالي في تأويل- الأمثال، على سبيل المثال)، إلى أن هذه الوحدة المعروفة لم يدون منها ويسترمارك إلا "الشطر" الأول (رقم 1182) وعلق عليها أن المثل يستعمل "عند إلقاء القبض من جديد على شخص معروف بالسرقة فينفي الجريمة؛ عندها يواجهه متهموه بالمثل قاصدين أن شجر اللوز -أي هو- قد يكذب حيث يزهر خارج مواسمه، بيد أن شجر المشمش -أي هم- لا يكذب إذ لا يزهر إلا موسميا" (!؟)

14) لم أنصرف لأدرس شيئا يوما ما - رياضيات، أخلاقيات، ميتافيزيقا، جاذبية الأرض، ديناميكا حرارية، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، علم الأصوات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق الويست، الرجال والنساء، الخمر، المناخ- إلا وهو دراسة سيميائية" (ترجمة كاتب هذه السطور).

15) A sign [...] is something which stands to somebody for something in some respect or capacity". Peirce (1935-66:2.228) تجدر الملاحظة هنا إلى كون دو سوسير وإن بشر بميلاد العلم الجديد وتقدم بتعريف دقيق له، لم ينظر فيه ولم يفصل في مناهج البحث فيه.

16) أحتفظ بعبارات مؤشر وقسمة، إلخ.(أنظر أسفله) المستعملة في السيميائيات لكن بتعاريف مختلفة ولوظائف مختلفة تماما.

17) وهذا من بين الشروط التي تفرز المثل عن العبارات الفردية، التي قد تُكون من مؤشر واحد.

18) هذا المثل والوحدة الموالية هما في الحقيقة من ديوان عبد الرحمان المجدوب . فكما هو معلوم أصبح عدد لا بأس به من رباعيات المجدوب يروج على شكل أمثال في المغرب وشمال إفريقيا عموما، في غالب الأحيان بعد بتر شطر منها، إذ لا يحتفظ -وأغلب الناس لا يحفظون- إلا بالبيت الأول.

19) وتذهب الأقصوصة التي تفسر المثل أن حلاقا كان يعمل تحت صومعة لعدم توفره على محل لاستقبال زبنائه؛ وذات ليلة انهارت الصومعة. وفي الصباح ذُعر بالمصاب دون البلوغ لفهمه فتذكر بعضهم اشتغال الحلاق بجوار البناية فأقنع الحاضرين بالجناية.

20) إن ما يفسر إلى حد ما عدم التمكن العفوي من لدن المتعلم للغة أجنبية من التراكيب الجامدة عامة هو هذا "الترميز" العميق أو السفلي، بل وحتى بالنسبة للغة الأم حيث هناك أمثال لا يدرك بعض الناس مضمونها إما لندرتها أو لأصلها الحالي.

المراجع

مجموعات للأمثال المغربية والعربية (مقتطف).

- اليوسي، الحسن (1981). زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق د. محمد حجي و د. محمد الأخضر. "منشورات المعهد الأبحاث والدراسات للتعريب". في 3 أجزاء. الدار البيضاء : دار الثقافة.

- AL-YOUSSI, al-Hasan (1981) zahr al-'akam fii al-'am0aali wa al-Hikam. "Les fleurs-des collines, des proverbes et des sentences. Présenté par Mohammed Hajji et Ahmed Lakhdar. 3 volumes "Publications of the Institute for the Research and the Studies for Arabization. Casablanca : Daar Attaqafa

- ATTAL, Robert. (1963). "Le Juif dans le proverbe arabe du Maghreb". Revue des études juives; p. 419.

- بن عبدالله، الحسين بن علي (1985–1999) قصص وأمثال من المغرب. ج الأول والثاني (ا–س). الدار البيضاء : دار النجاح الجديدة.

- Benabdellah, Hussein ben Ali (1985-1999) Qasas wa amthal min al-Maghrib "Histoires et proverbes du Maroc". Vol. I et II . Casablanca : Dar Annajah al Jadida.

- BEN-AMI, I. (1971). "Proverbes juifs marocains concernant le mariage". Proverbium 16; pp 597-601.

- BEN CHENEB, Mohammed, (1905-7). Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb. 'Publications de l'Ecole des Lettres d'Alger' Vol 30, 31 et 32. Paris : Leroux.

- بنشريفة، محمد (1975). أمثال العوام في الأندلس .لأبي يحيى الزجالي. الرباط: وزارة الشؤون الثقافية.

- BENCHERIFA, Mohammed. (1975). 'am0aalu al-Çawaammi fii al-'andalus li 'Abii Yahyaa al-Zajjaalii. ("Folk Proverbs in Andalous" By). Rabat : The Moroccan Ministry of Cultural Affairs. 2 vols.

- BENDAOUD, Mohammed. (1968). 'alf ma0al wa ma0 min 'am0aali tiTwaan.Tétouan : Author's own publication.

- ابن داود، محمد (1968). ألف مثل و مثل من أمثال تطوان : طبعة المؤلف.

- BRUNOT, Louis (1928). "Proverbes et dictons de Rabat". Hespéris VIII; pp 59-121.

- BRUNOT, Louis et Elie MALKA (1939). "Proverbes". In Textes judéo-arabes de Fès. "Publication de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines". Rabat : Ecole du livre. Text pp 184-95; translation pp 379-95.

- شماعو، محمد (1980–85–86 و99). مائة وألف من الأمثال الشعبية. الرباط: طبعة المؤلف.

- CHEMAOU, Mohammed, Ben Ahmed (1985-86 and 99) Mi'a wa 'alf Ma0al min al-'am0aal al-shaÇbiya."One hundred and One Thousand Proverbs". With explanations and comments. Ontologies I and II. Rabat : Author's own publication

- COLIN, G. S. (1955). "Proverbes et dictons". In Sect. IV Chrestomathie marocaine : Textes citadins en transcription latine. (2nd ed., revised and enlarged). Paris : Adrien-Maisonneuve; pp 161-71.

- EL ATTAR, Bouchta (1992). Les proverbes marocains.Traduction annotée suivie d'une étude linguistique. Edition de l'auteur.

- FERGUSON, Charles A. and John M. Echols. (1952). "Critical Bibliography of Spoken Arabic Proverb Literature". Journal of American Folklore 65; pp 67-84.

- FERGUSON, Rosalind (1983). The Penguin Dictionary of Proverbs. London:Penguin

- rter." Mitteilungen des Seminars-FISCHER, August (1898-9). "Marokkanische Sprichw für Orientalische Schprachen I; pp 188-230; & T. II; pp 275-86.

- FRAYHA, Anis (1953). Modern Lebanese Proverbs. Beirut : American University of Beirut. 2 vols.

- FREYTAG, G. W. (1838-43). Arabum Proverbia. Bonn.

وقد أعيد طبعه بـ- Osnabrück (1968) في ثلاث مجلدات، الأول والثاني يتضمنان تدقيقا كاملا لأيام العرب للميداني ولأقوال الرسول ﷺ وأقوال الخلفاء الراشدين: ويقدم الجزء الثالث 1233 مثلا لأبي عبيد وآخرين، عن النيداني. ويقدم النص العربي بالترجمة اللاتينية مصحوبة بتعاليق وجيزة وفهاريس.

- حجار، جوزف نعوم. (983 المنجد في الأمثال والحكم والفرائد اللغوية (عربي-فرنسي وفرنسي-عربي). بيروت : دار المشرق.

- Hajjar. N. Joseph (1983). Mounged des proverbes, sentences et expressions idiomatiques (français-arabe, arabe-français). Beyrouth : Dar el-Charq.

- HESELTINE, Janet, E. (1935). "Introduction". In William George Smith (compiled by) The Oxford Dictionary of English Proverbs. Second edition (1948); revised throughout by Sir Paul Harvey. London : Oxford University Press; pp. vii-xxvii.

- JONES, Alexander (General Editor). (1966). The Jerusalem Bible : Reader's Edition. New York: Doubleday and Co.

- القباج، محمد والشرادي (1981). باقة من الأمثال المغربية. الدار البيضاء:المطبعة المثالية.

- KABBAJ, Mohammed and CHERRADI (1981). Bouquet de proverbes marocains. Casablanca: Imprimerie Idéale.

- LEVI-PROVENCAL, Evariste, (1922). Textes arabes de l'Ouargha : dialecte des Jbala (Maroc septentrional. 'Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines'. Paris : Ernest Leroux. (With map of tribes. Lists 83 items mostly from weather-lore proverbs; pp 115-23; translation pp 159-67.)

- LUDERITZ, H. (1899). "Sprüchworter aus Marokko mit Erlauterungen in Dialekt des nordischen Marokko". Mitteilungen des Seminars für oreintalische Schprachen; pp. 1-46.

- MALOUX, Maurice (1980). Dictionnaire des proverbes, sentences, et maximes. "Références Larousse". Paris: Larousse.

- MESSAOUDI, Leila, (1987). Proverbes et dictons du Maroc. (With illustrations by J.Auzeloux). Paris : De Lunay and Agadir : Belvesi.

- SBIHI, Ahmed (1931). Proverbes inédits des vieilles femmes marocaines de Fès (traduits et commentés par A. Benchéhida.Rabat : La Porte.

- SELLHEIN, R. (1991)."Mathal". In Encyclopédie de l'Islam. (EI), Nouvelle édition.Vol VI pp 805-15. Leyde : Brill.

- SIMPSON, J. A. (Ed.) (1982) .The Concise Oxford Dictionary of Proverbs. Oxford:OUP

- WESTERMARCK, Edward (1930). Wit and Wisdom in Morocco : A Study of Native Proverbs. London : George Routledge & sons.

-YOUSSI, Abderrahim (1989). "Parlers arabes d'Occident (marocain, algérien, tunisien, andalou, hassane, maltais). Bibliographie annotée et classée". In Langue et société au Maghreb: bilan et perspectives. A. Youssi éd. 'Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Rabat. Série: Colloques et séminaires #13; pp151-220.

- YOUSSI, Abderrahim. (1995) "Sémiologie culturelle des structures figées : éléments de dialectologie maghrébine." Dialectology Round Table. Marrakech, Oct/ 27-29, 1991.

- YOUSSI, Abderrahim (1995) "Semio-cultural bases in proverb study ". In "Westermarck et la société marocaine

- يوسي، عبدالرحيم (قيد الطبع). هل الشخصية مرآة للثقافة؟ ورقة في تكريم الأستاذ محمد أبوطالب ضمن أعمال اليوم الدراسي حول موضوع "الشخصية المغربية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط في 8 ماي 1999).

- ZEMMAMA, Abdelkader. (1964). "Les difficultés linguistiques dans les proverbes marocains". Recherches scientifiques 1; pp 65-66.

المعنى الرمزي للمثل الشعري الأمازيغي

عمر أمرير

أولا : المثل الأمازيغي

ينقسم المثل الأمازيغي إلى قسمين كبيرين : المثل النثري والمثل الشعري.

أ. المثل النثري : وتصدق عليه جل الخصوصيات والمقومات التي سمعناها عن المثل في عروض هذا اللقاء. ونضيف أن المثل النثري الأمازيغي لا يحتم معجمه البحث عن المعنى الرمزي، الذي هو من الخصوصيات الفنية للمثل الشعري.

ب. المثل الشعري : وهو الذي يأتي في صياغة شعرية، وبالتالي، قد يعبر بأسلوب رمزي، فإذا لم يفهم، يصير المعنى لغويا قاصرا عن بلوغ المعنى المقصود، بل قد يخطئ هدفه التربوي.

ثانيا : الأمازيغية الرمزية :

الأمازيغية الرمزية التي يعنينا فهم معناها في المثل الشعري هي لغة مستقلة عن الأمازيغية العادية، أصلا ودلالة، ووظيفة... [1].

تتجسد الأمازيغية الرمزية بوضوح وغزارة في مجالها الأصيل : «الإبداع الشعري»، وقد يوظفها النظم الديني بحذر... عكس الأمثال الشعرية التي توظف الرموز باعتبارها أدوات فنية عريقة... تؤكد قدرة الأجيال على الاستفادة الذكية من اللغة الرمزية... وتبين قدرتهم البارعة على استحضار المرجعية الرمزية المشتركة بين الشاعر وبين المتلقين عبر الأجيال والعصور... وأن فهم الأطفال أنفسهم رمزية الشعر يعتبر في نظر الكبار : بلوغ أبنائهم سن الرشد.

أ. مناهل الرموز الأمازيغية

رموز الشعر الأمازيغي تشكل تراثا معجميا في حقول دلالية لمجالات متعددة مثل حقول : "الماء"، و"الفلاحة" و"الرعي" و"الفروسية" و"القنص" و"البناء"، والحدادة" و"النسيج"... وكذلك "الجسد"... وغيرها من الحقول الدلالية للمعاجم التي تنزاح ألفاظها في التركيب الشعري الأمازيغي مع كل ما هو مغربي – أو تفاعل معه المغاربة – من طقوس، وأساطير، وحكايات، ومعتقدات، وعادات، وديانات، وآداب، وأحداث، ومهارات طبية أو سحرية... ومن جماع كل ذلك يتضح أن للرموز الأمازيغية مناهل تستمد منها رصيدها الدلالي [2].

وهكذا يتبين أننا في فهمنا رموز الشعر لا يجب أن نعتمد على المعاجم الرمزية العالمية – وما أكثرها – ... بل لابد أن ننطلق من الذهنية المغربية... ومن كل المناهل التي تستمد منها الرموز المقصودة دلالتها...

باختصار شديد نؤكد أن الرموز الشعرية الأمازيغية ليست اعتباطية أو مصادفة أو تقليدا، بل أصيلة وتملك رصيدها الدلالي الرمزي المستمد من مناهل تتدفق بحرارة المعتقد في العادات والآداب... وكل مقومات الحضارة المسربلة بنوع من الميتولوجيا التي تشحن الألفاظ العادية، فتنزاح عن معانيها اللغوية إلى معانيها الرمزية في شاعرية حالمة تزيد المثل الشعري قوة وتأثيرا...

ب. الماء نموذجا

للماء مكانة مرموقة في التراث الأمازيغي، ويعتبر من أهم مناهل الرموز الشعرية، وأكثرها ورودا في مختلف مقاصده [3]... ونعطي نموذجا واحدا نراه كافيا لتوضيح، ما نعنيه بالمناهل الرمزية، والنموذج الذي اخترناه من «منهل الماء» يتجلى في وجود أشخاص عند الأمازيغيين يُعرفون بتخصصهم في البحث عن أماكن يكتشفون الماء في أعماقها، ويسمى المرء منهم ب «مَافْ أَمَانْ» [4] أي واجد الماء الذي يقوم بممارسات لا تتم إلا في ظروف، وبطقوس خاصة. وهو

وحده الذي يحتكر هذه القدرة. فقد «جرت العادة بأن لا تُحفر بئر ولا تُستنبط عين إلا بواسطتهم وبإرشادهم» [5]، بعدما يذبح لهم كبش خاص بإشرافهم [6]. «ومن طرق اكتشافهم أماكن الماء، مرافقتهم الناس إلى مكان يعرف أنه سيستنبط منه عينا، أو بئرا، فيضرب بعصاه ويأمر بوضع حجرتين مكان الضربة محددا مكان بدء الحفر»[7].

وللحفر عن الماء طقوس أهمها الذبيحة التي ينجزها «واجد الماء» – ماف أمان – بيده في المكان المحدد.

إن «ماف أمان» يحتكر سلطة البحث عن الماء، واكتشافه... وله بذلك خبرة خاصة به. بالإضافة إلى اشتهاره، كأمثاله، بالقدرة على اكتشاف المعادن كذلك [8]...

بمثل هذه الأمور، يصير «واجد الماء» مشحونا برمزية تدل على الخبير بشؤون الحب والنساء، وهو ما يتناغم مع ما يرمز إليه الماء ذاته من الخصب، والمرأة والحب، كما هو وارد في الغصنين [9] التاليين : – وهما ليسا من الأمثال الشعرية :

قد مغ ن سرك ربي د رسول أماف أمانْ

ماداون إيمّالن غ ايسلي تا لعيونين [10]

ويعطينا التعريب الحرفي للغصنين ما يلي :

أتوسل إليك بالله، وبرسوله، يا مكتشف الماء

من يدلك على الينابيع في الصخر الأصم.

أما معناهما الرمزي فهو :

يسأل الشاعر شابا خبيرا بشؤون المحبين قائلا له : «أتوسل إليك بالله وبرسوله أيها الخبير بشؤون الفتيات، أخبرني كيف تهتدي في لقاءات الحقول[11]، إلى معرفة الفتيات الكريمات الأصل الصالحات للزواج ؟» [12]

ثالثاً : الشعر الأمازيغي

لقد أجمعت المصادر [13] المهتمة بالشعر الأمازيغي على اعتبار كلمة «أمارگ» هي المصطلح الدال على الشعر في سوس، والمؤشر على قدرة الإبداع الشعري، والمحيل على مجموعة من الإنتاجات الشعرية التي تتفرع إلى ثلاثة فروع كبرى وهي :

«الشعر الطقوسي»، و«الشعر التعليمي» و«الشعر الإبداعي»[14].

توظيف الرموز في الشعر الأمازيغي، فنية لا يلجأ إليها الشعراء تقية، لأن ذلك لا داعي له في مجتمع يعتبر فيه الإبداع دعوة رمزية تلزم الشعراء، والمتلقين بممارسات نبيلة، تشكل في مجموعها عادات شعرية تبلغ الذروة بضمانها كل الحريات، سواء في الإبداع الشعري، أو في تأويل المعاني الرمزية التي تتوزعها مقاصد ثلاثة وهي : [15]

أ. مقصد الرمز إلى الشعر

نشير هنا إلى وجود نصوص شعرية أمازيغية، غرضها خاص بقضايا الفن الشعري ذاته، وفي إطارها يدخل «مقصد الرمز إلى الشعر» الذي تتكون نصوصه من كل المضامين والأغراض الرمزية التي تتناول مواضيع خاصة بهذا الفن الأدبي، إبداعا، وأداء وتلقيا.

ب. مقصد الرمز الغزلي

مجاله الحب، والمرأة، بالإضافة إلى عادات خاصة بالعزاب مثل ما يسمى ب «الكلام الفضي» – أوَّال ن نقورط – [16] وما ينشأ عنه من تواصل، وتفاهم، وحب، وخطبة، وزواج، وإنجاب... أو ما يسمَّى كذلك ب «صقر»[17]...

ت. مقصد الرمز السياسي

وهو كل شعر سببه السياسة، وكذلك أهدافه ومجالاته.

رابعاً : المعنى الرمزي للشعر

لكي نتصور بوضوح تام قضية وجود المعنى الرمزي في الشعر الأمازيغي سنقوم بتقديم نموذج شعري، ونطبق عليه مراحل عملية الانتقال من المعنى الظاهر ـ غير المقصود ـ إلى المعنى الرمزي الخفي المقصود. ونذكر من جديد بأن "النموذج الشعري لن يكون من الأمثال.

تتركب عملية الانتقال من المراحل التالية بعد إثبات النص الأصلي بأمازيغيته.

1. تعريب النص تعريبا حرفيا. وسنشعر بأن الترجمة توحي بأن معناها ليس هو المراد.

2. المعنى اللغوي : أي نتأمل التعريب الحرفي، ونتوسع فيه بإظهار بعض العناصر المحذوفة ـ مثلا ـ في التركيب اللغوي، دون تجاوز ذلك لكي لا نبتعد عن الأصل المترجم... وهذه المرحلة ستزيدنا إحساسا بأن المعنى اللغوي ليس هو المقصود على الإطلاق من الأصل الشعري...

3. مرحلة رصد معجم النص الأصلي، وجرد ما يظهر أنه رموز. ونرتب الألفاظ الرامزة في جدول، ويترجم كل لفظ ترجمتين الأولى لغوية والثانية رمزية.

4. بمجرد معرفة الدلالة الرمزية عبر الترجمة في الجدول السابق، نعود إلى نتيجة المرحلة الثالثة أي مرحلة : المعنى اللغوي، فنعيد تركيبها، مغيّرين الألفاظ الرمزية في النص بمقابلها في جدول الدلالة الرمزية واضعين اللفظ بين عارضتين وقوسين كبيرين، لنشعر بأنه لم يعد مقصودا بالقراءة...

وهكذا نصل إلى المعنى الرمزي للنص الشعري... وفيما يلي النص الرامز، ومراحل فهمه...

النص الشعري بعنوان «تامغرا» أي : حفل زفاف

1. الونّ ايندرغ لغرب ايفك أشطاح اي سّوس
2. انّيخ اينضالابن د آيت لحنا مّوسان
3. آهان ايفني تلاّگيس يات مّوشاكوك
4. آهان آسلى اگادير ن ايغير آغ لاّن
5. اران مدّن آد ترزافن ايغ ايلاّ نيكاح

1. التعريب الحرفي

1. يُضرب الدف في «الغرب» فيرقص «سوس» على ايقاعه
2. فرأيت الخطاب، ووصول وفد الحناء
3. إلى «إيفني» حيث ذات الشعر المنفوش
4. وفي «أگادير» يوجد العريس
5. والناس مستعدون لتقديم التهانئ إذا كتب عقد النكاح

2. المعنى اللغوي للنص المعرب

تتقاسم النص صورتان تبين الأولى أن رقصا تضرب دفوفه في مناطق الغرب بالمغرب، ويصل صوتها إلى مناطق سوس ليرقص على ايقاعه الراقصونٍ في الجنوب المغربي... بينما تبين الصورة الثانية الاستعداد لحفل زفاف، بدءً بالإشارة إلى العريس الموجود بالمدينة «أگادير»، وإرساله الخُطّابَ لكي يخطبوا فتاة توجد في مدينة «ايفني» وطبقا لبدء طقوس حفل الزفاف، يرسل العريس الخطاب وحاملي الحناء إلى عروسه. فيترقب الناس يوم عقد الزواج قصد تقديم التهانئ.

واضح أن هذه المرحلة الخاصة بالمعنى اللغوي للمقطع الشعري مرحلة ستحصر النص في مجال نوع من التوثيق الاثنوغرافي لبعض طقوس الخطبة،.. وضمنيا سيصير النص الشعري عديم الأهمية الفنية. وغير جدير بجنس الأدب إطلاقا...

هذا الاستنتاج يفضي بنا إلى ضرورة الانتقال من المعنى الظاهر – غير المقصود – إلى المعنى الرمزي الخفي المقصود.

إننا مقبلون على مرحلة البحث في النص عن مكامن الرمزية انطلاقا من المعجم... ومن ظروف أخرى مساعدة كظروف النص الذي قيل في وصف أحداث عرفها سوس في الفترة الاستعمارية الحالكة التي كان فيها الاستعمار الفرنسي يستعد للاحتلال النهائي لسوس. وتنافسه اسبانيا في تقسيم الصحراء المغربية واحتلالها. وننطلق حتى من المألوف المعتاد في الشعر الرمزي ذاته.

على ضوء هذه القرائن نضع جدولا للألفاظ الرامزة في النص...

الدلالة الرمزية للألفاظ :

الرمز الأمازيغي	دلالته اللغوية	دلالته الرمزية
ألّون	الدف	إحكام السيطرة
أشطاح	الرقص	الحرب
اينضالابن	الخطاب	الجواسيس
ايت الحنا	حاملو الحناء	الجواسيس
يات مّوشاكوك	ذات الشعر المنفوش	الجيش الاسباني
أسلي	العريس	المسؤول الفرنسي
ترزافن	يهنئون	معارك التحرير
نيكاح	عقد النكاح	الاحتلال

4. المعنى الرمزي المقصود

انطلاقا من دلالة الألفاظ في الجدول السابق، نعيد تركيب «المعنى اللغوي»، بوضع الدلالات الرمزية في المتن، وتحويل ألفاظها إلى داخل العارضتين، وقوسين كبيرين، دون قراءتهما، وسنكتشف «المعنى الرمزي» المقصود هكذا :

«لقد أحكم جيش الاحتلال سيطرته – [رمزه : الدف] – على مناطق شمال المغرب، فامتدت عواقب هذه السيطرة إلى مناطق الجنوب، حيث تستعد كل الأطراف للحرب – [رمزه : الرقص] – فالمسؤول الفرنسي – [رمزه العريس] – في مدينة أگادير، قد أرسل الجواسيس – [رمزه : الخطاب] + [حاملو الحناء] – لينسقوا مع نصيره الاسباني – [رمزه : الخطيبة ذات الشعر المنفوش] – في مدينة سيدي ايفني، ليتعاونا معا على احتلال – [رمزه : عقد النكاح] – الجنوب الذي يستعد سكانه لبدء معارك التحرير – [رمزه : يهنئون] .

خامساً : الأمثال الشعرية

بعد التعرف على أهم المقومات الرمزية في البناء الشعري الأمازيغي، سنكون قادرين على تتبع النصوص الرامزة مركزين على المثل الشعري، وكيف يدخل في إطار المقاصد الثلاثة، «الشعر»، و«الغزل»، و«السياسة».

سنلتزم بتتابع مراحل التدرج من النص الأمازيغي الأصلي إلى تعريبه الحرفي الذي يفضي بنا إلى المعنى اللغوي، لنتخلى عن الدلالة اللغوية معوضينها بدلالة الألفاظ الرامزة حيث نصل في الأخير إلى اكتشاف المعنى الرمزي للمثل الشعري الأمازيغي.

أ. أمثال مقصد الشعر

المثل الشعري : ايغ ايلا او بويحيا غ لساس أوراخلّون [19]

1. تعريبه الحرفي

إذا أشرف «البويحياوي» على أساس بناء، فإنه لا ينهدم.

2. المعنى اللغوي

إذا كان البناءون يعملون تحت اشراف أحد أبناء عائلة «ايت بويحيا» فإن البناء سيكون جيدا.

3. دلالة الرموز

اوبويحيا	نسبة إلى أسرة آل بويحيا المشهورة بجودة بناء القصبات، والقصور	الشاعر المبدع
لساس	الأساس	فنية الشعر
أوراخلون	لا ينهدمون	لن يكون تافها

4. المعنى الرمزي

إذا كان قيدوم الشعراء – [رمزه : البويحياوي] – مشاركا في الحوار الشعري – [رمزه : الأساس] – فإن تأثير شخصيته المعنوية، ستبعد الشعراء عن الهجاء، وعن التفاهات، والسفاسف التي تنزل بالإبداع إلى الحضيض – [رمزه : يتهدم].

ومن الأمثال الشعرية الرامزة إلى عادات ينصح بها أحدهم غيره من الشعراء، بالتؤدة، والحذر قبل محاورة غيرهم، يقول المثل :

آسلحيل بالحيل ايغ ايكشم يان آماوال [20]

1. التعريب الحرفي

مهلا، مهلا، حين يدخل الفارس ميدان الفروسية.

2. المعنى اللغوي

ينصح المثل رجلا ينوي المشاركة في الفروسية، بأن يتمهل حتى يتعرف على مدى صلاحية أرضية الميدان للعدو. ثم ينطلق بعد ذلك بسرعة. لأنه إن لم يفعل قد تكبو فرسه، وتنكسر، لأنها لم تتعود بعد على أرضية الميدان، ولا على إيقاع سرعة باقي الجياد.

3. دلالات الرموز

يان	المرء الفارس	الشاعر
أماوال	الفروسية	الحوار الشعري

4. المعنى الرمزي

يتجلى المعنى الرمزي للمثل بكونه ينصح الشاعر – [رمزه : المرء] – بالتؤدة، والروية إذا تدخل في حوار شعري – [رمزه : الفروسية] – فعليه أن يكون لبقا هادئاً صبورا، لأن التسرع يجني على الإبداع.

وفي نفس السياق يرد مثل شعري ينصح الشعراء الكبار بالمزيد من الحكمة والصبر، إذا صادفوا محاورا لا يملك من مواهب الشاعرية إلا الهجاء الفاحش... فيقال المثل :

آزمزن تميلاآياد ايغلين تساواليت (21)

1. التعريب الحرفي

فلتثرثر اليمامة، فهذا زمانها الطالع

2. المعنى اللغوي

تغتنم اليمامة فرصة خلوها بنفسها، فتثرثر، لأن الفرصة كانت مواتية لها...

3. دلالات الرموز

تاميلا	اليمامة	شويعر هزيل الإبداع
تساواليت	لتثرثر	الهجاء
آزمز	زمان	بدون منافس

4. المعنى الرمزي

من حق شويعر هزيل الإبداع – [رمزه : اليمامة] – أن يدعي ما ليس قادرا عليه، ويهجو كما يحلو له – [رمزه : تثرثر] – فهو في الميدان بدون منافس ينزل إلى مستواه – [رمزه : زمانها الطالع] –.

ب. أمثال مقصد الغزل

خلال ممارسة الفتيان والفتيات عادة «صقر» يضرب المثل لمن لا يوجد من يعنيه بين الحاضرين والحاضرات فيقال :

آيين غ اور ايلِّي وين يان آكّيس اور ايگّيز [22].

1. تعريبه الحرفي

لا ينزل – الراكب – العابر في مكان ليس فيه صاحبه.

2. المعنى اللغوي

إذا جاء أحد الشبان ممتطيا فرسه، إلى مكان لا يوجد فيه صاحبه، فلا يليق به أن ينزل عن فرسه... بل ليبتعد فذلك خير له، ولغيره.

3. دلالات الرموز

أمنائ	الفارس	المحب
يين	المكان الذي...	صقر/محاورة الفتيات
أكّيس اور ايگّيز	لا ينزل فيه	لا يتغزل

4. المعنى الرمزي

إذا ذهب شاب – [رمزه : فارس] – إلى مكان «صقر» عادة محاورة الفتيات، والتغزل –[رمزه : الفروسية] – ولم يجد حبيبته مع باقي الفتيات، فيجب عليه أن يبتعد، وأن يتحاشى الغزل – [رمزه : لا ينزل فيه] – فلينسحب ليفسح المجال....

وفي مرحلة بحث الفتى عن التي سيتزوجها، يضرب له مثل يحفزه أكثر، ليزيد حرصا، ودقة في اختياره، فيقال له :

– ايغاتنت سول ايزوزور يان آتنت ايفّرن [23]

1. التعريب الحرفي

إن المرء يحرص على نقاء الزرع أثناء ذروه.

2. المعنى اللغوي

تنقية الزرع عملية تسبق طحنه، ولكن التنقية التي تسهل العملية أكثر، هي الحرص على تنقية الزرع ليس قبل الطحن، وحسب بل قبل ذلك بزمن كثير، أي خلال الذرو في البيدر.

3. الدلالات الرمزية

ايفرن	ينقي الحبوب	إتقان الاختيار
ايزوزر	يذرو الزرع	صقّر/محاورة الفتيات

4. المعنى الرمزي

ينصح المثل كل مقبل على الزواج، بتحري الدقة في اختيار خطيبته – [رمزه: تنقية الحبوب] – خلال عادة «صقر» – [رمزه الذرو] –

ومن الأمثال التي تضرب للدلالة على ما ينتظر بعض الجسورين الذين يتجاوزون الحدود الأخلاقية، فيضايقون النساء، قولهم :

– ايغ ايتغوي ووشّن داتيلي تاضصاغ اوبضان نس [24]

1. التعريب الحرفي

إذا قبض الذئب سيكون [سلخ] جلده أضحوكة

2. المعنى اللغوي

يوم يضبط الناس الذئب الذي يتعرض سبيل أغنامهم، فإنهم سيذبحونه، ويسلخون جلده بطريقة تجعله مهزلة، بكثرة ما سيتعمدون تمزيقه، لأنه جلد لن يصلح لأية منفعة إلا التضاحك بتمزيقه خلال سلخه، انتقاما منه.

3. الدلالات الرمزية

اوشن	الذئب	رجل فاجر
أبضان	الجلد المسلوخ	العقاب الأليم.

4. المعنى الرمزي

للمثل علاقة رمزية بالأزواج الذين يتذمرون من عبث رجل فاجر - [رمزه : الذئب] - وهكذا فإن جميع الرجال جادون في إلقاء القبض عليه، متلبسا، فيكون فضيحة رادعة - [رمزه : السلخ] - وعقابا أليما....

ونختم هذه النماذج من الأمثال التي لها علاقة بالمرأة والحب، والزواج... بمثل يضرب لمن وعد فتاة بالزواج، ولكنه لم يف بوعده، فيقال له :

ايغ ايسوا يان أكال إيغا اورا ايبنو ايگ لعار [25]

1. التعريب الحرفي

إذا بلل أحدهم الطين، ولم يشرع في البناء، فسيلحقه العار.

2. المعنى اللغوي

إذا اختار أحدهم بقعة أرضية، وأحضر مواد البناء كلها وبلل الطين، غير أنه لم يشرع في البناء، وانصرف عنه إلى أشغال أخرى، فمن فعل ذلك سيندم يوما، ويلحقه العار بسبب تماطله في البناء.

3. الدلالات الرمزية

ايسوا	بلل	الوعد، والعهد
أكال	الطين	الفتاة المخطوبة
ايبنو	يبنى	يتزوج

4. المعنى الرمزي

إذا خطب - [رمزه : بلل] - شخص فتاة - [رمزه : الطين] - ولم يف بوعد الزواج - [رمزه: يبنى] - فمن شأن ذلك أن يسيء إلى سمعته، ويجعله نادما على تماطله.

ومن الأمثال التي تكشف عن أحد أسباب التماطل والإخلال بوعد الزواج، قولهم :

-ياند ايقّان أياكوي، ياكوي غ تاضّانگيوين [26]

1. التعريب الحرفي

إذا كان لابد للمرء من الانغماس في الماء، فليغطس في الأمواج.

2. المعنى اللغوي

إذا كان المرء قد بلغ مرحلة السباحة، فلا يليق به أن يسبح في بركة آسنة، بل يجمل به أن يغطس في الأمواج.

3. الدلالات الرمزية

ياكوي	يغطس	يتزوج
تاضانگيوين	الأمواج	الحب الجارف

4. المعنى الرمزي

ينبه المثل الشاب المقبل على الزواج قائلا له : إذا كان لابد للمرء من أن يتزوج – [رمزه : يسبح] – فليتزوج عن حب جارف – [رمزه : الأمواج] –

ت. أمثال مقصد السياسة

اعتنت رموز الأمثال الشعرية ببعض المسؤولين، ونصحتهم بأن يحافظوا دائما على جودة العلاقات بينهم وبين ذويهم، وإن بلغوا في العز والسلطة شأوا عظيما، فيقول المثل :

ايغ ياد ايلا يان رّيش آور ايزي د واكال [27]

1. التعريب الحرفي

حتى ولو صار للمرء أجنحة يطير بها، فلا يخاصم الأرض.

2. المعنى اللغوي

إذا صار شخص يملك الأجنحة، ويحلق في الأجواء العالية، فلا ينسى الأرض، ولا يتجاهل أهميتها...

3. الدلالات الرمزية

رّيش	الأجنحة	السلطة والحكم
أكال	الأرض	المحكومين... الأقارب...

4. المعنى الرمزي

إذا أقبلت الدنيا على أحدهم، وأعطته مقادها، وتولى أمر الناس حاكما – [رمزه : أجنحة] – فلا يجافي المحكومين – [رمزه : الأرض] – وأقاربه.

وتناولت الأمثال الشعرية الرمزية، نموذجا من حالات الطوارئ، وردع الثوار... بمثل هذا المثل :

ايغ ايندر بيگيگ آيگرا طامزم تامدانون [27].

1. التعريب الحرفي

إذا قصف الرعد لازموا بركتكم يا معشر الضفادع.

2. المعنى اللغوي

إذا اكفهر الجو، وقصف الرعد، وفاض النهر، فعلى الضفادع ملازمة البرك، تفاديا لخطورة الفيضان.

3. الدلالات الرمزية

ايندر بيگيگ	قصف الرعد	زحف عسكري مخزني
ايگرا	الضفادع	الضعفاء
تامدا	البركة	القبيلة/القرية

4. المعنى الرمزي

يرمز الشعر إلى نوع من الظروف العصيبة، والطوارئ المخيفة كالزحف العسكري المخزني - [رمزه : قصف الرعد] - الذي اعتاد الناس أن يصاحبه الخراب، والدمار، لذلك ينصح المثل فقراء القبائل - [رمزه : الضفادع] - بأن لا يفارقوا قراهم - [رمزه : البركة] - كي يسلموا من شر الحملة.

ويركز المثل الشعري على نوع الممارسات التي تخص رجال السلطة كالقول الآتي :

- ماجّون ايزران لباز آيسروات غ واكال ؟ [28]

1. التعريب الحرفي

لعمركم من شهد البازي يدرس في بيدر الأرض

2. المعنى اللغوي

يستحلف المثل الناس جميعا، ويؤكد متسائلا عمن رأى منهم البازي يجمع دوابا، ويذهب بها إلى بيدر أرضي ليدرس بها محاصيله الزراعية ؟ إن عادة البازي هي الدراس في بيدر السماء.

3. الدلالات الرمزية

لباز	البازي	الحاكم القوي
أكال	الأرض	السفاسف
ايگنوان	السماء	الأمور العظيمة

4. المعنى الرمزي

ترمز الصورة إلى أن الحاكم القوي - [رمزه : البازي] - لا تشغله الأمور البسيطة - [رمزه : الأرض] - بل يوجه اهتمام حكمه - [رمزه البيدر] - إلى الأمور العظيمة - [رمزه : السماء] - وقد رمز هذا المثل إلى ممارسة سلطة الحكم ب «الدارس في البيدر».

ونجد في الشعر الأمازيغي أمثالا ترمز إلى أهمية العلاقات الأخوية، والروابط الدموية في حياة المسؤول كقول المثل :

- آيگان ضامن ن ايگنزي غ تيلاس د افوس [29]

1. التعريب الحرفي

إذا دخل شخص مكانا مظلما، ولا يرى في ظلماته أي شيء فيجب عليه أن يحمي جبهته بيده كي لا يرتطم بما قد يهشم جبهته.

3. الدلالات الرمزية

ايگنزي	الجبهة	المسؤول السلطوي

تيلاس	الظلمات	الأزمات، والتقلبات
افوس	اليد	الأقارب... الأعوان المخلصون

4. المعنى الرمزي

الضمانة الأساسية لاستمرار المرء في الزعامة والرئاسة – [رمزه : الجبهة] – هم مساعدوه الأقربون، وأعوانه المخلصون – [رمزه : اليد] –فبهم يتحدى الصعاب، ويتخطى الأزمات – [رمزه : الظلمات] –

ونختم هذا النوع من الأمثال بالمثل الشهير في الأيام الأخيرة من فترة عهد الحماية الفرنسية في المغرب، يقول الشعر :

ايضرن اوحلاس غ تركًا فسيناك ايفالان [30]

1. التعريب الحرفي

سقطت البردعة في الساقية، وانحلت كل خيوطها.

2. المعنى اللغوي

البردعة العتيقة المصنوعة من التبن والخيوط المهترئة، والثوب المتآكل، سقطت في مياه الساقية المتدفقة... فانحلت كل الخيوط وتلاشت، وتمزق الثوب، وتشتت التبن. فذهب الماء بكل شيء، فيستحيل إصلاح البردعة بعد ذلك.

3. الدلالات الرمزية

احلاس	البردعة	الاحتلال
تاركا	الساقية	المقاومة المغربية
ايفالان	الخيوط	الأجهزة الاستعمارية

4. المعنى الرمزي

الصورة رمز إلى استحالة استمرار الاحتلال الفرنسي للمغرب - [رمزه : البردعة] - أمام ضراوة المقاومة المغربية - [رمزه : الساقية] - مما أدى إلى زوال الخوف، وتفكك كل الأجهزة الاستعمارية - [رمزه : الخيوط].

خاتمة

إن جهل الأمازيغية الرمزية، قد يؤدي إلى اعتبار المثل الشعري الرمزي الجيد، مجرد نص وصفي تقريري ضعيف فنيا، وخالي من أية فائدة تربوية. بل قد لا يربطه بالشاعرية إلا كونه موزونا... وهكذا ينقلب النص الإبداعي إلى مجرد نص اثنوغرافي جاف.

الهوامش

1) عمر أمرير : «رموز الشعر الأمازيغي، وتأثرها بالإسلام» أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، شعبة اللغة العربية وآدابها - الرباط، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس الجراري للسنة الجامعية 1996- 1997 م، ص 51.

2) نفسه 141.

3) نفسه 199.

4) محمد المختار السوسي المعسول 15 : 187.

5) Laoust (E). Mots et choses berbères, 1920 p. 426.

6) المكان نفسه.

7) المكان نفسه.

8) نفسه 411.

9) الغصن ترجمة ل «ايزلي» وهو مصطلح يدل على البيت الشعري الأمازيغي.

10) تسجيل مريم روفسنج اولسن. من جامعة السوربون، سجلت فيه ميدانيا بعض الأشعار والمرددات الطقوسية والاحتفالات والعادات الأمازيغية.

11) عادة سوسية خاصة بفتيات وفتيان القرية، يمارسونها خلال اشتغالهم في الحقول، عمادها الحوارات التي يغلب عليها الإنشاد الشعري وتحميها عادات صارمة تجعل اللقاءات غاية في العفة. وفرصة للتأكد من العواطف وتبادلها، قبل الإقبال على الخطوبة والزواج.

12) عمر أمرير، رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام 147.

13) عمر أمرير، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب ص 3.

Basset (H), Essai sur la littérature des berbères; 1920 p. 349 - Berque (J), "Vérité et poésie sur les Seksawa" in Revue Africaine. T. X C V II - 1953 p. 155 - Galand (P) "Littérature Orale et représentation du texte" 115 Justinard "Notes d'histoire et de littératures" in Hespéris, 1925, V 5 : 227.

14) عمر أمرير، رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام ص 95.

15) نفسه ص 200.

16) أحمد بوزيد الكنساني، أحواش : الرقص والغناء الجماعي بسوس ص 35

17) صقر هي نفسها عادة الحقول. انظر الهامش 11.

18) ابراهيم اوبلا، رسالة خاصة بعثها لنا من «طاطا» وضمنها شعرا قيل سابقا.

19) مجموعة الباحث.

20) عمر أمرير، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب. 164.

21) مجموعة الباحث.

22) Bounfour (A), Poésie populaire berbère, 66.

23) بوباكر أنشاد، أسطوانة 78 لفة مجموعة الأستاذ أحمد بوزيد الكنساني.

24) السابق 88

25) تسجيلات أشعار أمازيغية، أرشيف وزارة الثقافة.

26) Johnston (R.L.N.) the Songs of Sidi Hammo p: 12.

27) عمر أمرير، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب 93.

28) Justinard, Villes et tribus du Maroc 132 .

29) عمر أمرير، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب 141.

30) عمر أمرير، الشعر المغربي الأمازيغي 39.

المقاربة السيميائية - اللسانية للأمثال

المصطفى الشادلي

1. إواليات

في البداية، لابد من التعريف بالمثل من الزاوية اللغوية، ذلك أن مادته الأساسية ترتع من اللغة وتصاغ في اللغة وباللغة. فالمثل، ملفوظ لغة يتحقق إنجازه على مستوى الكلام، مما يجعل انتماءه طبيعيا إلى عالم الخطاب، ذلك أن الخطاب نتاج للتفاعل الحاصل بين عوامل الخطاب من مرسل ومرسل إليه وقناة وسياق ورسالة محمولة وسنن، فإذا كان منتج ملفوظ المثل غير معروف، لأنه مجهول (العشيرة الأصلية)، نجد بالمقابل مستقبل الملفوظ معروف ومنفرد لأنه هو المستهدف من العملية الإرسالية برمتها.

بالتالي، كل مثل يستدعي، في تلفظه التداولي مستخدم أو مستعمل وسياق للخطاب ومرسل إليه، زيادة على اللغة الحاملة للمثل والثقافة العامة المتداولة وسياق الظرف الذين يقفلون مشهد التلفظ الخاص بالأمثال.

ثانيا، يعتبر المثل ملفوظا مرموزا. فالسنن يكون لسانيا (بنية ملفوظ المثل غالبا ما توسم بالإيقاعية) وخطابيا (بنية مسرح صغير حيث تتحرك الصور الأسلوبية والبلاغية وينجز التلفظ وتشتغل ميكانيزمات الخطاب ...) وثقافيا (باعتماد الموسوعة المعرفية).

ثالثا، فالمثل ملفوظ خطابي متعدد الجوانب والأبعاد يحتوي على أصوات داخلية وعلى أصداء متعددة تعطيه دلالات متداخلة ووقعا خاصا لدى المتلقين. فإيحاءاته المتنوعة تجعله دوما مفتوحا على الدلالة المتعددة من خلال تنوع السياقات والمستعملين.

والرسم الموالي يوضح هذا المعطى الدلالي :

المثل س.

1. الدلالة الحرفية

2. الدلالة المضمرة

3. الدلالة الإيحائية (باعتبار عوالم الثقافة السائدة وفهم مستهلكي المثل أو تأويل المستقبلين الاحتماليين).

رابعا، من زاوية الشكل، بنية ملفوظ المثل مستقرة بشكل عام، مع إمكانية تفعيل جهاز توزيع المكونات اللسانية للمثل (مكونات الفعل والاسم والصفة والأدوات الرابطة ...). وفي هذا الصدد، نستحضر النموذج التوزيعي للباحث اللساني الفرنسي م . چروص [1] الذي ثبتت ملاءمته على المتون المدروسة في هذا المستوى التركيبي :

- مثل بـ 1 مكون أو مركب نحوي واحد .
- مثل بـ 2 مكونان، مكون فعلي + مكون اسمي.
- مثل بـ 3 مكونات، مكون فعلي + مكون اسمي + مكون اسمي.
- مثل بأكثر من ثلاث مكونات (تركيبة موسعة).

إن الاستقرار الصرفي والتركيبي للمثل تضعه في خانة الأحكام والأقوال المأثورة والتعابير المجمدة[2] والتي تمثل إحصائيا ثلث التعابير اللغوية المستعملة.

خامسا، من زاوية النظم البلاغي، يتشكل المثل من بنيات مستقرة أقرها الاستعمال :

- بنية ثنائية.
- بنية ثلاثية.
- بنية رباعية (امتداد للبنية الثنائية).

إن البنية الإيقاعية تساعد في عملية حفظ الأمثال وإعادة تداولها بين الناس.

سادسا، مضامين الأمثال ظلت في الغالب ثابتة. فهي تتناول العلاقات الشخصية ومشاغل المجتمع وقضايا المرأة والزواج والمبادلات والتجارة والعقار والسلوك والأخلاق. فلا توجد خصوصية على هذا المستوى.

2. عناصر منهجية

إذا اعتبرنا المثل من منظور إرساء الخطاب فيمكن للمحلل أن يضع على الطاولة فرضيات العمل التي سيشغلها في مقاربته الخطابية . بالنسبة لنا، نتعامل مع متن الأمثال المغربية [3] من خلال ثلاث فرضيات عمل ، وهي كالتالي:

1. المثل بنية سردية.
2. المثل بنية حجاجية.
3. المثل بنية استهوائية.

سنكتفي، في عرضنا هذا، بالتعامل مع الفرضية السردية محاولين تبسيط أجرئة المفاهيم المعتمدة، على ضوء مجموعة من الأمثال بالعامية المغربية، ودون الغوص في تعقيدات تقنيات المقاربة السميائية [4].

من هذا المنطلق، نتوفر على محكيات مصغرة من الدلالة :

1 – محكي بشحنة دلالية افتراضية، يفترض مفتاحين للقراءة :

برنامج سردي مكتمل يحتوي على قدوة.

برنامج سردي مدعو للتنفيذ، بحيث أن الاهتمام يصب في اتجاه التحويل المطلوب إنجازه.

1. اللي بغى العسل يصبر على قرص النحل.
2. اللي بغى التمر كيگلس على الجمر.

3. اللي دعا بالقوى، كيموت بالضعف.

4. اللي حرث البغل دكو الجمل.

5. اللي جاب شي قملة فراسو تبات.

2 – محكي ذو بعد افتراضي :

10. كون يحسبني الحفرة قدامي، منطحش فيها.

11. كون يحسبني الكلب غدي يعضني، كون عرضتلو جلايلي.

12. لو كانت الصفيحة ترد العار، لو كانت ردت على الحمار.

13. لو كان الحمام يبيض، لو كان بيض قبابه.

14. لو كان الخوخ يداوي، لو كان داوى راسو.

3 – محكي يختزل معيشا أو تجربة إنسانية أو مأساة اجتماعية :

20. العنقود الكبير من الدالية المخدومة.

21. حانوت غالي ولا حانوت خالي.

22. قبر مجلي ولا شكارة خاوية.

23. ما كيتزاد بالصوف غير الخروف.

24. قطران عز ولا عسل مهانة.

25. حوتة واحدة كتخنز الشواري.

4 – محكي يستهدف التنبيه والاحتراز :

30. اللي فراس الجمل فراس الجمالة.

31. لا تدوي حتى تخمم، ولا تسرج حتى تلجم.

32. السوق حامي والدلال حرامي والشاري اعمى.

33. سال المجرب، لا تسال الطبيب.

34. فلس في الكف حسن من عشرة في التلف.

35. آش خص العريان ؟ قالوا خاتم يا مولاي !

36. أشداك للقرع تمشطلو راسو ؟

5 – محكي يطور برنامج عمل أو سلوك :

40. الحرث حرب والبحيرة حيرة والجنان جنون والغنى زيتون.

41. تحسينة بالفاس ولا كلام الناس.

42. زبرني قبل الليالي أو خلي لي ديالي.

43. النهار بعينيه والليل بوذنيه.

6 – محكي ذو مغزى حكمي، يحمل درسا أخلاقيا :

50. العز مع القلة حسن من الكثير مع الذل.

51. كيف ما عملت يا يدي تودي.

52. اللي زرع الشوك يمشي فيه بالحفاء.

53. فليس على فليس كيرجع كديس.

7 – محكي ذو قيمة طبية أو حياتية، ناتجة من المعيش اليومي للإنسان المغربي :

60. اللي جعت كل الرمان، واللي شبعت كل الرمان.

61. كذب الخوخ وصدق المشماش، وكذب الشيب وصدق التكماش.

62. سمينة ورخيصة بحال عشت الطلبة.

63. لا ديدي ولاحب الملوك.

8 – محكي يعيد إنتاج قيم تُجُووزت أو تقادمت مضامينها بفعل تطور المجتمع السريع :

70. بع العرض واشري الأرض.

71. الساعي يسعى والمارة تصدق.

72. قطران بلادي ولا عسل البلدان.

75. زين المراة فضياها وزين العاتق فحياها.

خلاصة القول تفيد بأن الأمثال، التي قدمنا جزءا يسيرا منها، تمثل خطابا حول العالم مترجمة بذلك رؤيا المجتمع المغربي التقليدي للعالم الذي يتحرك فيه ويعيش في وسطه. إن ملفوظات الأمثال العامية تدرك وتقرأ من طرف المحلل السيميائي كمحكيات مصغرة متمفلصة على تحويل سردي صريح أو مضمر :

حالة ابتدائية ← تحويل ← حالة اختتامية .

إن خاصية الأمثال كونها تتجلى في بنية لغوية قارة ومرموزة، تعرف تركيبيا نوعا من التجميد. فبنيتها الإيقاعية والنظمية تعكس قيمة فنية متميزة وذاكرية، تسهل على المتلقين حفظ وتخزين الأمثال بغية تفعيل وظائف التداول المجتمعية. من الزاوية الدلالية، يتمتع المثل، كما الشأن بالقول المأثور، على مدى رمزي يحمل في خباياه درسا أخلاقيا بليغا أو حكمة إنسانية سامية. لهذا الغرض، يوظف المثل الصور البلاغية الأكثر اتساعا وشيوعا بين الناس من كناية ومجاز واستعارة وتلطيف وتضخيم وتضمير ...

إن طبيعة ملفوظ المثل متعدد الدلالات والوظائف تدفع المتلقي والمحلل إلى اللجوء دوما إلى الموسوعة، أي إلى المنظومة الثقافية وإلى السنن المرتبط بها. فالأمثال تعالج في نهاية الأمر الأهواء الإنسانية التي تستوجب الدراسة الأكاديمية الموضوعية من خلال إرساء أجهزة نظرية ومنهجية صريحة، أي مرتبطة بإطار نظري صريح ومتماسك [5] .

نشير أيضا إلى أن القيم المحمولة عبر الأمثال ليست كلها إيجابية أو ملائمة بالقدر الكافي لمتطلبات ولقيم مجتمعنا المعاصر. فلابد من استحضار الوعي النقدي في التعامل مع المادة التراثية، خصوصا على مستوى التعليم من خلال عمليات الفحص الموضوعاتي وتهييئ الأرضية واللوازم البيداغوجية. إن اعتبار المثل والحكاية والأسطورة من الموروث الرمزي الذي يجب الاحتفاظ به والاعتناء بأشكاله لا يتعارض مع ضرورة النظرة النقدية له والمقاربة العلمية لتجلياته ومضامينه وقيمه البليغة. إنه يشكل، من زاوية أخرى، منبعا خصبا للإبداع الفني والأدبي (6) .

3. في الختام

نؤكد على بعض النقط المركزية في مداخلتنا الوجيزة :

أولاً : إن اعتبار المثل ملفوظا لغويا متعدد الجوانب والأبعاد أدى إلى حسم إشكالية المنهج المتبع لمقاربته لسانيا أو خطابيا، بحيث أن تدخل اللساني يتم وفق تخصصه في إحدى المستويات أو في جلها بأدوات دقيقة. فكل ملفوظ مثل يتجزأ إلى مستويات مستقلة ومتداخلة فيما بينها : مستوى صواتي، إيقاعي، صرفي – تركيبي، دلالي، بلاغي.

ثانياً : في تناول مستوى المعجم في الأمثال يميز المحلل بين المعجم اللغوي الذي يمثله القاموس اللغوي والمعجم الموسوعي الذي ينفتح على الثقافة برمتها من متخيل وطقوس وقيم وتداعيات ورؤى للعالم.

ثالثاً : إن استحضار البعد الرمزي للأمثال لا يمكن إدراكه واستيعاب كيفية اشتغال أدواته وصوره إلا بالاعتماد على نظريات دقيقة في مجالات الدلالة النصية أو السيميائيات الخطابية أو في إطار أنتروبولوجية المتخيل أو أطر نظرية مماثلة (كما نجدها عند يونغ أو فرويد أو ليفي – ستراوس) (7) .

رابعاً : الأمثال تطرح علينا إشكاليات عميقة كالجمع والتدوين والتوثيق وقضايا الترجمة (من المادة العربية العامية أو الأمازيغية) وتلقي الأمثال، ثم

إمكانيات الإبداع وإعادة إنتاج الأمثال وتوظيف هذه الطاقة في صيرورة التعليم والتكوين.

خامسا : كيفما كانت القضايا وصيغ الإشكاليات المطروحة، فالسؤال الرئيس يظل هو المنهج وضرورة ضبطه وحسمه في إطار نظري ومنهجي بين ومحكم.

الهوامش

1) موريس جروص (1968) النحو التحويلي للفرنسية، تركيب الفعل.

Cf. Gross, Maurice (1968) Grammaire transformationnelle du Français. Paris, Larousse.

2) التعابير المجمدة تتألف من أكثر من مفردة لا يمكن استبدالها أو تغيير موقعها أو إضافة عنصر لغوي بينها.

3) متن بالعامية المغربية يحتوي على أكثرمن مائة مثل مجموعة في مدينة الرباط، 1968

4) النظرية السيميائية الإطار هي مدرسة باريس الغريماصية.

Cf. Greimas, A.J. et Courtés, J. (1979) Sémiotique Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Paris, Hachette.

5) انظر إلى أعمال مدرسة سيمياء الأهواء لكل من غريماص وفونطانيي وبارط.

Cf. Greimas, A.J. et Fontanille, J.(1991) Sémiotique des passions. Des états de chose aux états d'âme. Paris, Seuil.

6) تجربة المسرحي أحمد الطيب العلج تعتبر رائدة في التعامل مع التراث المغربي من أمثال وحكايات وسرد وزجل.

7) Confer les écoles psychanalytiques de Jung, Freud et Bachelard. En parallèle, se référer aux écoles anthropologiques de Lévi-Strauss et Durand.

المُضاف والمنسوب والمنعوت
في العربية العامية المغربية وأمثالها

عبد الوهاب بنمنصور

كانت اللغة العربية ولا تزال محل عناية وموضع اهتمام من المسلمين قديما وحديثا ، لا فرق بين من كان منهم عربي الأصل ومن كان عجمي الإثلة، فقد وضعوا قواميس لضبط أوابدها وتقييد شواردها، وصنفوا في فقهها وخصائصها ، وجمعوا في دواوين ما فيها منْ حكم وأمثال وأفاكيه وأضاحيك مما يجري على ألسنة الناس، وكتبوا في بيانها وبديعها وعروض قريضها، وألفوا الكتب القيمة في مترادفها ومشتبهها، ومختلفها ومؤتلفها، وفصيحها وحوشيها، ومتداولها ومهجورها، وما دلف فيها من معرب وانحشر من دخيل.

ومن أشهر المؤلفين القدامى الذين أعجبوا بغنى اللغة العربية وسحرهم جمالها وعذوبة ألفاظها وطوعيتها للاشتقاق، واستهوتهم قدرتها الخارقة على التعبير عن أدق ما تقع عليه العين وأرق خلجات النفس وخطرات الفكر : ابن الأثير في كتاب «المرصَّع»، والمحبِّي في كتاب «ما يُعوَّل عليه ، فيما يضاف ويُنسب إليه»، وأبو هلال العسكري في كتاب «جمهرة الأمثال»، وأبو الفضل أحمد بن محمد الميْداني في «مجمع الأمثال»، وابن سيِدَه في كتاب «المخصِّص»، وأبو منصور الثعالبي صاحب «ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب».

وسنقف قليلا عند هذا الكتاب الأخير ومؤلفه لعلاقته السببية بالموضوع الذي اخترت أن يكون حديثي في هذه الندوة.

أما المؤلف فهو عبد المالك بن محمد النيسابوري الثعالبي المكنى أبا منصور، ولد بنيسابور عام 350 هـ وتوفي فيها عام 430 هـ عاش معظم سني حياته التي بلغت الثمانين في مدارسة العلوم والآداب، ونظم الشعر الرائق، وإنشاء النثر الفائق، كان في أول أمره معلم صبيان في مكتب، ثم لاحظته السعادة بعيونها ، فعلا عند الأمراء والسلاطين نجمه ، وتألق بدره، لعلمه وفضله، وكرمت منزلته عندهم، وعاش في كنفهم مقضي الحاجة رخي البال، وألف برسمهم وأهدى لخزائنهم كتبه التي تجاوزت الثمانين عداً .

وصفه تلميذه وربيبه علي بن الحسن الباخرزي في كتابه «دمية القصر» بقوله : جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور، لم تر العين مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف ينكر؟ وهو المزن يحمد بكل لسان، أو يستر؟ وهو الشمس لا تخفى بكل مكان.

وقال في حقه إبراهيم الحصري في كتابه «زهر الآداب، وثمر الألباب»: وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا، وهو فريد دهره، وقريع مصره، ونسيج وحده، وله مصنفات في العلم والأدب، تشهد له بأعلا الرتب.

وأما كتابه «ثمار القلوب، في المضاف والمنسوب»، فهو من كتبه التي اتسمت بجمال التأليف وتنسيق الأبواب، بناه كما يقول في مقدمته على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها، ويكثر في النظم والنثر وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها، كقولهم غراب نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وعصى موسى، وخاتم سليمان، وحمار عزير، وبردة النبيﷺ.

وكقولهم كنز النَّطف ، وقوس حاجب، وقُرطا مارية، وصحيفة المتلَمِّس، وحديث خرافة، ومواعيد عُرقوب، وجزاء سِنِمّار، إلخ إلخ .

وخرَّج الثعالبي هذه المضافات والمنسوبات في واحد وستين بابا ما فيها إلا ما يمت إلى الأمثال بسبب ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطا كما يقول محقق الكتاب.

وقد أولعت بمطالعة «ثمار القلوب» هذا منذ ظهوره في السنوات الستينية، مثلما أولعت قبله بمطالعة كتاب آخر للثعالبي في فقه اللغة، فأعجبت بحسن تبويبه وغزارة مادته، كما عدت في سنوات قريبة إلى مطالعته، فلم أكتف هذه المرة بإجالة اللحظ بين سطوره، بل صرت أقارن بين ما فيه وبين ما يجري في المغرب على ألسن خاصتنا وعامتنا من أمثال وحكم، إذ كنت كلما وقعت عيني على مثل أو حكمة فيه مثل قميص عثمان ، وناقة صالح ، وذكاء إياس، وخط ابن مُقلة ، وشعْب بُوّان، خطر ببالي أشباه لها ونظائر في عربيتنا العامية ، مثل : جنةَ عَبْروق ، وقِسمة بندغَل، وصبيِّع بنت خْميس، ومَنديل بنصفية، وجنان الصالحة ، ومنزه الطرايْفي ، وقصر عشعاش ، وكلما سمعت أو قرأت في غيره نعوتا وأوصافا يستعملها نبغاء الشعراء وبلغاء الكتاب مثل : الكرم الحاتمي، والسحر البابلي، والعنبر الشحْري، والصوف الأذْرَبي، ارتسمت في ذهني نعوت وأوصاف تشبهها عندنا، مثل : الزينْ الفاسي، والطرْز الرباطي، والسَّرْج التلمساني، والكاغيط الشطبي، والرمان السفري الخ.

وقد حدت بي المقارنة وطول التفكير إلى أن أتتبع ما في عاميتنا من جمل ومفردات وأمثال وحكم شبيهة بما ضمنه الثعالبي كتابه «ثمار القلوب»، مستعينا بما ألفه الأقدمون والمحدثون من علماء الأندلس والمغرب من كتب ضمنوها الأمثال والحكم الجارية على الألسن في وقتهم ، أو عرفوا فيها بما عرى اللغة العربية من لحن وتحريفٍ في أزمنتهم ، كأمثال الزجالي القرطبي التي استخلصها زميلنا الدكتور محمد بنشريفة من كتابه المسمى ري الأوام، ومرعى السوام ، في نكت الخواص والعوام ، وكأمثال ابن عاصم الغرناطي، ولحن العوام للزبيدي، ولحن العامة لابن هشام اللخْمي، ولاسيما ما اعتنى بتدوينه من حكم وأمثال مغربنا العربي مثل مصنفات الفقيه المرحوم محمد داوود ، ومحمد الفاسي، وأحمد الصبيحي، وعبد السلام ابن سودة، وعبد القادر زمَّامة، ومحمد بن أحمد شْموعو بالنسبة لأمثال المغرب، والخميري، وابن أبي شَنَب بالنسبة لأمثال تونس والجزائر، فاجتمعت لي منها مئات ومئات، رأيتها جديرة بالترتيب والدراسة، لما اشتملت عليه من حكم بالغة، وأمثال

سائرة، وتضمنته من إشارات لأحوال اجتماعية ونفسانية، ووقائع تاريخية، وحوته من أعلام جغرافية وأسماء بشرية وقبلية، ثم عرضتها على بعض القواعد اللغوية والعلمية فوجدتها تتفق مع ما في «ثمار القلوب» وتزيد عليه.

فالثعالبي عنده المضاف والمنسوب - من الوجهة النحوية - شيء واحد، وتتفق عاميتنا معه في المضاف وحده، كقولنا جوزة الطيب، وميزان الذهب، ووَدْنينْ الشريكة ، وتزيد على ما عنده بتخصيص المنسوب بكل لفظ لحقت آخره ياء النسبة، كالشرقي والغربي، والبزيوي والغرناطي، والديدي والزبيبي.

وأدع بعد هذا ما في «ثمار القلوب» لألقي نظرة موجزة على ما في عاميتنا من مضاف ومنسوب ومنعوت، فأقول :

إن ما يجري على الألسن في المغرب من أمثال وحكم واستعارات وتشبيهات ينقسم ثلاثة أقسام، ينتقل الكلم بالواحد منها من المعنى اللغوي المطلق إلى العَلَمية المخصِّصة أو إلى المثل يضرب أو الحكمة تقال في المناسبات.

1. المضاف ، وهو ما ينطبق عليه التعريف النحوي، أي إلحاق الأول بالثاني وإضافته إليه، وقد يجري على القاعدة النحوية فيضاف المضاف إلى المضاف إليه من غير أداة وصل كقولنا باب الله، ومفتاح الخير، وولد الحلال، وقد تفصل بينهما أداة الربط والوصل، وهي حرف الدال (د) أو لفظة (ديال) مثل الرزقْ دْ الحلال ، والعْمايَل دْيالْ أولادْ الْحرام.

2. المنسوب : وهو ما لحقت ياء النسبة آخره كقولهم الجَرْبي لنوع من النسيج ، والسلاوي لنوع من اليقطين، والشباكية لنوع من الحلوى، والجاوي لنوع من البخور، والعْروبي لنوع من الغناء، والبْطوطي للشخص المتراخي المتواني البليد.

وقد يكون المنسوب في الأصل نعتا لمنعوت، كالزاج العراقي والطاعون المصري ، والغنا الدّزيري ، والطربوش التونسي ، ثم يحذف المنعوت ويحل النعت المنسوب محله راقيا إلى مرتبة العَلَمية ، كالشرگي الذي أصله الريح الشرقي ، والغربي الذي أصله النسيم الآتي من جهة الغرب ، والهداوي الذي يعني رجلا ممزق الأردان يعيش عيشة بوهيمية (هيبي) .

وقد اكتشفت بالاستقراء والتقصي أن أكثر أسماء الألوان في عاميتنا منسوبة إلى بُقول أو ورود أو فواكه أو ما يجري مجراها من كل ما له لون متميز، كالقهوي، والقوقي، والخزِّي، والوَرْدي، والفَنيدي، وراسْ وقيدة، وقَلْب حْجَر، وعَنْقْ حْمام، مثلما اكتشفت فيما يخص المضاف المتقدم أن أكثر أسماء العلل والأمراض تضاف فيه إلى لفظ (أبو) مثل بوتليس، وبوحَمْرون، وبودحاس، وبوزَلُّوم، وبوگليب، وبومزوي، وبوشنينق، وبوهزاز إلخ إلخ.

وألاحظ أن جميع الأسماء المنسوبة في عاميتنا تخضع للقاعدة العربية ولا يشذ عنها إلا ألفاظ قليلة لحقتها أداة النسبة التركية، وهي (جي) مثل كمانجي ، وقَهْوايْجي، وصابونْجي، وطبّجي، وهذه الألفاظ كانت معروفة في المغرب من العهد السعدي، وعندما جاءت الحماية الفرنسية بأطر جزائرية في بداية القرن الماضي دخلت مع هذه الأطر ألفاظ أخرى منسوبة حسب قواعد اللغة التركية، مثل سوكارْجي للسكير، وخْبارجي للجاسوس، وبوسطاجي لساعي البريد، ولكنها ألفاظ قليلة، ولا تعرف إلا في الجهات الشرقية القريبة من الحدود مع الجزائر.

3. المنعوت، وهو المعرف بالألف واللام يليه نعته المعرف بهما أيضا أو المنسوب، كقولنا الخيمة الكبيرة للأسرة الكريمة ، والراس الصغير للرجل المتواضع، والگنس القْصيف لذي الأصْل اللئيم، والطير الحر للإنسان النبيل المتميز بخصال مشرِّفة.

ولدي الشيء الكثير من هذه الأقسام الثلاثة التي انتقلت بها الألفاظ من المعنى اللغوي المجرد إلى العلمية بل إلى المثل والحكمة ، ولكن بما أن المقام يخصِّص المقال فسأتلو عليكم جملة من الأمثلة مرتبة على الألفبائية، مع التنبيه على أن بعضها يستعمل في جهة من المغرب دون أخرى، وبعضا آخر منها وجدته جاريا على الألسن عندما فتحت عيني على الحياة وبدأت أعقل في العشرينيات، ولكنه ذهب اليوم بذهاب عارفيه الناطقين به، ولم يعد منطوقا ولا مفهوما عند الجيل الحاضر من الناس.

فمن أمثلة المنسوب :

1. البُطوطي : يمثل به الرجل الكسلان المتراخي البليد، وفي فاس (صالح) يدعى سيدي البطوطي لعله كان متصفا بتلك الصفات منعوتا بها، وأهل فاس لهم كلام يتندرون به إذا رأوا رجلا كسلان متهالكا ، مثل (أسيدْ لْبْطوطي يْجعلك نوارة، قدام مولايْ النخبير) ، والنخبير هو البليد أو هو البلادة نفسها .

2. البُوحاطي : للمنافق المراوغ المحتال الذي يخدع الناس بذلاقة لسانه وقوة حيلته لتحقيق مآربه والوصول إلى أغراضه .

3. البُوجادي : يمثل به للغِرِّ المغفل ولمن يضع ثقته في غير محلها .

4. حَسِّي مَسِّي : يضرب مثلا للشيء يعمل خفية من غير إشعار أحد ولا إحساس أحد بوقوعه .

5. دُغْري : يمثل به للرجل الجاد الذي لا يمزح ولا يتهاون في عمله ومثله جداوي .

6. رهّاطي : كل مفسد لئيم وواغل دخيل ، مشتقة من كلمة الرهط الذين ذكر القرءان أن منهم سبعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون، واستخرجوا منها مصدرا ذا صيغة بربرية (ترهاطيت) ويعنون بها الأمور المزيفة غير الأصيلة.

7. كَمُوني : يمثل به للمعاند اللجوج الذي لا يَرعَوي عن جهل ولايقر بحق إلا إذا عومل بقــوة وأُخِــذ بــقــســوة (حتَّى كيندَقّْ عادْ كيعْطِي ريحْتُو).

8. حْسايفي : الحقود الذي يصر على الانتقام وأخذ الثأر.

9. زعزاعي : لعله منسوب إلى الزعازي ، يمثل بهذه الكلمة للشخص كثير الصياح قوي اللجاج عند الخصام .

ومن أمثلة المضاف :

1. أقدام اليتيم أو رجلين اليتيم : كيْجيبُـوا الغَيْس في أيام الصيف، يضرب مثلا لمن لا ناصر له ، يؤاخذ بما لم يفعل .

2. بَغْلَة المحْتَسِب : يــضــرب مثــلا لمن يعرف طريقه من غير حاجة إلى دليل .

3. تاجر حَنَّابو : يضرب به المثل لكل تاجر يصحبه الشــؤم وتلاحــقــه الخسارة حيثما وضع رجله، فيقولون (بْحالْ تاجـرْ حـنَّـابو ، اللِّي دّا ما جابُو، واللِّي خَلاّ ما صابُو) وحنَّابُـو قرية بفيلالة، زرتها ورأيت أهلها يتجاهلون هذا المثل تطيرا به وخـوفـا من لصوق عاره بهم .

4. جَلْد الكلب : جزء من المثل (العــسـلْ فْ جَلدْ الكَلْب) يضـرب للشيء الجيد يكون محاطا بــشــيء خـبـيـث ، مثـل خضراء الدمن التي نهى عنها الرسول عليه السلام ، فلما سئل عنها قال : المرأة الحسناء في منبت السوء.

5. جنة عَبروق : وتمام المثل (النار منْ تَحْتْ والحطبْ من فوق) وعبروق فيما قيل لي اسم يهودي أسلم نفاقا وكـان يزعـم أنــه بُشِّـر بالجنة، فكان الناس يضربون المثل بجنته سخرية واستهزاء.

6. خدام سيدي بوجيدة : يضرب به المثل للرجل يطيع زوجه ولا يعصي لها أمرا .

7. خدّ سُلطانة : لون لطيف بين الوردي والأحمر، وسلطانة هذه التي شبه اللون بلون خدها لها ذكر يذكر وأثر يوثر في تاريخ المغرب الحديث، هي مطربة يهودية جيء بها وبجوقها في أخريات أيام السلطان مولاي عبد العزيز، فافتتن بجمالها وغنائها أعيان القوم وصاروا يستدعون جوقها - بالتناوب - لسماع غنائها والتلذذ بصوتها كل عشية غافلين عن شؤون السياسة والحرب والاقتصاد، حتى بلغ خبر ذلك مصلحي الشرق وصحفيي مصر، فكتبوا عن حالة المغرب والمغاربة ونظموا قصائد ينتقدون تارة ويعظون أخرى. فمما أتذكره في هذا الشأن قول شاعر النيل حافظ إبراهيم يعظ السلطان مولاي عبد العزيز ويحذره :

عبد العزيز لقد ذكرتَنا أمَماً	كانت جوارك في لهو وفي طرب
ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس	الحرب بالباب والسلطان في اللعب
فاحذر على التخت أن يسري الخراب له	فتخت سلطانة أعدى من الجرب

وقد أدركت سلطانة هذه حية سنة 1956 أسلمت وتصوفت وتزوجت برجل رَحْوي من آل البوزيدي ، وسمعتها تهتاج وتتواجد عندما أنشد المسمِّعون قصائد في ذكر الله ومدح الرسول عليه السلام ، ذكر خبرها محمد بن المفضل غرنيط في كتابه (فواصل الجمان) فليراجعه من شاء.

9.8. زغبي كعبي : الأول منسوب إلى قبيلة زغبة ، والثاني منسوب إلى قبيلة كعب، كلتا القبيلتين تنتمي إلى عرب هلال الداخلين إلى المغرب في العهد الموحدي، وكانتا من أشأم القبائل وأشقاها، يضرب المثل بالأول لكل شقي مشؤوم أو لكل بائس محروم ، ولكنهما إذا اقترنتا لا تدلان إلا على الشقاوة والنحس.

10. طبَقْ المرياحة : والمرياحة المصابة بالصرع المأخوذة بالأرياح (الجن)، وكان للمرياحة طبق تضع فيه كثيرا من الودع والعقيق وقطع العملة بغير نظام ، ويتمثل به كل شيء متعدد الأشكال خال من الترتيب.

11. منديلُ بنصفيَّة : لـم أتحقـق ابن صفية هذا من يكون، ويظهر أنه كان قذرا وسخا، حتى ضرب بمنديله المثل فقالوا : (منديلْ بنصفيّا ، جيتْ نَمْسَح فيه مْسَح فيّا)، والمثل يضرب لإزالة الخبث بشيء أخبث منه ، وللعرب أمثال تشبه هذا المثل في المعنى.

وهذه هي الأعلام والأمثال والحكم المئة المنسوبة أو المضافة والمنعوتة التي اخترتها :

1. الآلي : منسوب إلى الآلة، والمراد بالآلة آلة الطرب الأندلسي، فإذا قيل الآلي والآليين فلا يعني القول إلا الواحد أو الجماعة من جوق الطرب الأندلسي.

2. أبياضي : شكل عروس مطراة ومزَيَّنة بملابس رَفيعة ومُحلاة بحُلي ثمين تحملُ النساءُ أعداداً منها على قصبات عند استقبال وافد كبير ترحيباً وابْتهاجا.

3. أرجل اليتيم : والربيب أيضاً، يُقال عنها في المثل (رَجْلينْ اليتيم كيْجيبو الغَيْسْ ف السّمايمْ).

4. الأرضية : اسمُ ضريبة يُؤديها عارضُو البضائع على الأرض في الأسواق.

5. أقدام الخير : يُضرب بها المثل لكلِّ وافد جديد يقترنُ وفودُه بالبركة واليُمن ، والمثل مُستعملٌ في العالم العربي كله (أغنيةُ شريفة فاضل).

6. البَدعيّة : نوع من اللباس معروف ، لعلَّ الناسَ رأوْا لباسَه بدعةً عند ما بدأ اسْتعمالُه فَنَسَبوه إليْها.

7. البرَّاني : الأجنبي ، مَنسوبٌ إلى البَرّ ، وكانت وزارةُ الخارجية المغربية تُسَمَّى قديماً وزارة الأمور البرانية.

8. البْرانيَّة : وأصلُها البورانية ، منسوبةٌ إلى بوران التي سارتْ بِذِكْرِ عُرسها الركبان ، وهي نبتَةُ الباذنجان ، نوعٌ من الطبيخ معروف.

9. بَزُّولة العودة : نوع من العِنب تُشبه حَبّاتُه أثداءَ الأفراس.

10. البْزِيوي : نوعٌ من النسيج الرفيع ينسُجُهُ أهْلُ بلدة بْزُو الشهيرة فنُسِبَ إليها.

11. البطانية : نوعٌ من الأغطية الصوفية ، منسوبٌ إلى البطّان، وهوَ مَعْملٌ كانتْ تُصنَعُ فيه الأغطياتُ ولبودُ الصلاة بتَلْبيد أصْوافها وإلزاق بَعضها في بعض من غيْر نسج ، وقد أدركتُ بطاناً واحداً بقيَ يعملُ في أسْفل عَقَبة (روسْ الرحي) بفاس إلى نهاية العشرينيات ، ثم أخنى عليْه ما أخنى على أمثاله من المصانع القديمة بظهور المصانع والمصنوعات الحديثة .

13. البَلَنْسي : نوعٌ من البرقوق منسوبٌ إلى مدينة بلنسيَّة بالأندلس.

14. البندقي : نوعٌ من العُملة منسوبٌ إلى مدينة البندقية الإيطالية.

15. بغلة المحْتَسِب : يُضرَبُ بها المثلُ لكلِّ مَنْ يعرفُ طريقَه يَمْشي فيه من غيْر حاجة إلى دليل.

16. البوري : اسمُ أسْرة شهيرة، ونوعٌ من السمك معروفٌ يصطادونه بوادي سبو مثل البوقة والشابل والنون، وهذا الاسمُ العلَمُ معروفٌ بمصر والمغرب من قديم ، وقد ذكره الجغرافيون والمؤرخون الأقدمون عند ما تحدثوا عن المغرب.

17. بيبي : الديك الرومي.

19. التحتيّة : نوع من اللباس يُلْبَسُ تحت غيْره وعكسُه الفوقية ، فهُما كالشعار والدثار عند العرب.

20. الترابية : قُفَّةٌ تُصْنعُ من أعْواد ديس وصمر، تُحْمَلُ فيها الأشياءُ التافهة، عكس القُفة المصنوعة من دوم وتُحمل فيها الأشياء الرفيعة.

21. التوتيَّة : عقّارٌ يُتداوَى به ويدخلُ أيْضاً في الصناعة.

22. التونسي : منسوبٌ لتونس يوصفُ به نوعٌ من الطرابيش ويُخصِّصُه.

23. الجاوي : بَخورٌ منسوب إلى جاوة ، والرفيعُ منه تُضاف إليْه نسبةٌ أخْرى ، فَيُقالُ (الجاوي المكّاوي) : وأهلُ الحجاز يُحذرون من أهل المغرب بقَولهم (اِوْعَ تثقْ ف المغاربة ، المغربي ياكلْ الهِندي ، ويحرقْ الجاوي) !

24. الجَدَّاوي : مَنْسوبٌ للجدِّ على غيْر قياس، يُطلقُ على الرجُل تتسمُ أعْمالُه بالصِّدْق والبُعْدِ عَن اللهْو والهَزْل مثل دُغْري.

25. الجَرْبي : نوعٌ من النسيج منسوبٌ إلى جزيرة جَربة بتونس.

28. الجنْوي : نوعٌ من السكاكين منسوبٌ إلى مدينة جنْوة الإيطالية.

29. الجوطية : سوقٌ يباعُ فيه أرذلُ المتاع ، ويكثرُ فيه الصخبُ وترتفع أصواتُ الدلالين ، فلهذا يُقال عند ما يكثُرُ اللغَط والهرْجُ والمرْج (أشْ هاذْ الجوطيا) ، والجوطية منسوبةٌ إلى جوطة قريةٌ كانت على نهر سَبو ، إليْها يُنسبُ الأشرافُ الأدارسةُ الجوطيون .

30. الحَبْشي : بسكون الباء ، يَعْنونَ به النفادَ والرواجَ ، وعكسُه (بّاعلال) الذي يَعْني الكسادَ والبَوار.

31. الحرامي : مَنسوبٌ إلى الحرام، وَعَكْسُهُ الحلالي مَنسوبٌ إلى الحلال، ويَعْنونَ بالأول ابن الزنا وَكلَّ شيْء مُزيَّف غَيْرِ أصيل.

32. حمار الليل : حالة تعتري النائم ليلا فيقوم من فراشه يتجول في المنزل دون وعي باسطا كفيه مادّا ذراعيه، ومن أمثالهم لكل من يسير على غير هدى ودون قصد (فلان ضربو حمار الليل).

33. حمير جدة : دويبة صغيرة مستطيلة الشكل ذات أرجل كثيرة إذا شعرت بخطر انكمشت وتضام طرفاها حتى تصير كرة صغيرة، يمثل بها كل إنسان قميء يمشي متخايلا تعاليا وكبرياء، أو جهلا وغباء، فيقولون عنه : (بحال حمير جدة، فاين ما مشى كيتهدا).

34. الحيطي : نسبة للحيط (الجدار، الحائط) ثوب مزخرف تغطى به زينة جدران بيوت وخيام الشرفاء والأغنياء ، ويكون الحيطي أيضا من الزليج.

39. حصى نبال : (حصى اللبان) نوع من البخور.

40. الحويط القصير : يضرب مثلا لمن لا حامي له ولا نصير.

41. الخابوري : لون شديد الصفرة منسوب إلى الخابور ، نبت أصفر فاقع اللون، أو إلى نهر بالعراق يكثر فيه ذلك النبات.

42. الخدمي : نوع من السكاكين.

44. خروبي : من الألوان منسوب لثمر الخروب ، والخروبي أيضا يطلق على الشكل المستطيل المائل طرفاه قليلا ، ومنه قولهم : (العين كحلا والحاجب خروبي).

45. خزي : لون أخضر غامق يشبه لون الخز.

46. دار الضمانة : هي في الأصل دار الشرفاء الوزانيين بوزان ، ثم صارت تطلق على كل شيء موثوق به.

47. الدافوني : نوع من الضرب الشديد ، وعكسه الراطوبي الضرب الخفيف.

48. الدراعية : نوع من اللباس معروف.

49. الدرعي : نوع من السمك معروف.

50. دغري : رجل حزم وجد.

51. الديدي : لون شديد الحمرة.

52. راس تگادة : كبير القوم وعظيمهم المعتد به والمعول عليه في الملمات، فهو مثل عمود الخيمة.

53. راس تافغة : وتافغة نبات شوكي قصير الأضلاع ملتصق بالأرض يشبه الخرشوف ، يطلق على مَن لا يهتم بمشط شعره.

54. راس الحانوت : مجموعة من البهارات تنبت في أقطار مختلفة ويستعملها المغاربة في طبخهم ، خاصة في طبخ نوع يسمى المروزية يعمل خاصة في عيد الأضحى.

55. الراس الصغير : يمثل به للرجل المتواضع الخدوم القاضي حاجات الناس.

56. راس وقيدة : لون بين حمرة وزرقة يشبه لون الفوسفور الذي يعمل في رأس عود الثقاب.

57. الرباعية : من قطع النقد تعني نصف درهم وكانت تدعى الحسني في فاس، والرباعية أيضا اسم بندقية (مكحلة) ذات عمارات أربع ، وفوقها التساعية ذات العمارات التسع.

59. رضاع البقر : حرذون كبير يكون في المراعي الممرعة ، يتسلق - في غفلة من الراعي - سيقان البقرات وأفخاذها حتى يصل ضروعها فيمتصها بشدة تدميها ثم يهبط ، فإذا حلبت البقرة بعد ذلك خرج حليبها من الثدي ممزوجا بدم.

60. الرومية : خمار حريري جميل كانت المرأة تشده على رأسها في الحفلات.

61. الروسية : ضربة قوية بالرأس.

62. الريحية : حذاء أسود للنساء ، بدأت النساء في انتعاله إظهارا للحزن والأسى على مدينة العرائش لما سلمها السلطان السعدي محمد الشيخ المدعو المامون لإسبانيا يوم 14 رمضان عام 1019هـ.

63. زبطي : لون قريب من الوردي (لون الورد) منسوب إلى الزبطة وهي بشرة الشابة الجميلة البضة.

64. الزبيبي : لون الزبيب منسوب له.

65. الزردخان : ثوب رفيع يشبه لباس الملوك ، والخان كلمة فارسية تعني الملك.

66. الزرادية : كلاّب مسنن الفكين ، لعله منسوب إلى الزرد ، قشر السلاحف أو السرد : الخرز في الأديم.

67. الزرمومية : نوع من الوزغ والحراذين ، وهذا العَلَم مستعمل في شرق المغرب.

68. الزرودية : الجزر، ويسمى في عموم المغرب خيزو ، وفي تطوان خاصة يسمى الجعدة.

69. زكروم عسري : مزلاج عسير التحريك ، يطلق على الرجل الوعر الذي يصعب معه التفاهم.

70. زلاغي : نوع من العملة التافهة منسوبة إلى جبل زلاغ المطل على فاس من الجهة الشمالية حيث كان يسك به.

71. زريعة البق : يطلق على أوباش الناس والصعاليك الذين لا خير فيهم ، شبهوا بصِئبان القمل لوفرتهم ، وفي القرءان الكريم (ولو أعجبك كثرة الخبيث).

72. طالب معاشو : العامل يسعى لكسب قوته وقوت عياله.

74. طرز النطاع : النطع (بالفتح والكسر) بساط الأديم، كان في القديم يوضع على الأرض وقاية لها من الدم عندما يؤتى بمحكوم عليه بالقتل لتنفيذ العقاب فيه ، وطرز النطع هو طرز الجلود بخيوط حريرية أو ذهبية كجلود السروج والأحذية النسوية والأحزمة (المضام).

75. الطاقية : غطاء الرأس معروف لعله منسوب إلى الطاق والطاقة وهي الكوة تشبيها لاستدارة فتحته باستدارتها.

76. الطنجية : آنية معروفة.

77. طير الليل : الخفاش، الوطواط، طائر معروف.

78. كاري حنكو : الفضولي الذي يتحدث في أمور الناس مدافعا أو منتقدا بما لا يعرف ولا يدعوه إليه داع.

79. الكرزية : حزام صوفي عريض، والكرزيان الصوف الذي تصنع منه الكرزية.

80. الكتابي : الكاغيط (الورق) الرفيع الذي يستعمله كتبة الدواوين ومن في حكمهم كالشهود ، وكان الكاغيط ينقسم إلى أربعة أقسام لكل قسم اسم خاص، فالكتابي هو الأبيض الرفيع ، ودونه الشطبي المنسوب إلى مدينة شاطبة الأندلسية وهو أحرش قمحي اللون يشبه ما يسمى اليوم بـ (الروجيستر) ويستعمل في كتب الرسوم العدلية ونسخ الكتب ، والثالث كاغيط الوضينضة، وهو كاغيط رديء يستعمل في اللف، والوضينضة كلمة إسبانية ، والرابع كاغيط النيبرو وهو رهيف شفاف، وكان المدخنون ذوو الأمزجة الخاصة يبرمونه على التبغ عندما يحسون بالرغبة في التدخين.

81. الكمية : الخنجر، منسوب إلى الكم، أي جيب الثوب، يسلك الواحد يده فيه إذا أراد إخراجه للدفاع أو التهديد.

82. كعب غزال : نوع من الحلوى معروف.

83. الكمانجي : العازف على الكمان.

84. الكعبي : ونظيره الزغبي، أحدهما منسوب لقبيلة كعب والآخر منسوب لقبيلة زغبة ، وكلتا القبيلتين من عرب بني هلال الذين أدخلهم الخليفة يعقوب المنصور إلى المغرب ، وكانتا مشهورتين بالبؤس والشؤم وسوء الخلق.

85. الكباحي : إيقاع يتم بتصفيق الأكف مصحوبا في الغالب بإنشاد مقاطع من الشعر في مدح الرسول ﷺ ، ويقع ذلك عقب إنشاد واحدة من قصائد الشعر الملحون.

86. كراب جهنم : الكراب ساقي الماء بالقربة (قراب)، ويطلق على ساقي الخمر.

87. الكروي : منسوب إلى كروان أو جراوة ، قبيل من البربر، يظهر أنهم كانوا سمر الألوان، سيئي الأخلاق، ينعت به الرجل الشرير.

88. الكناوي : منسوب لكانا أو غانة من أصقاع السودان، وكناوة لهم لهجة خاصة وغناء ممتاز، وطريقة صوفية تمت إلى الأرواح والجنة بسبب.

89. الكنبري : من آلات الطرب الشعبي في المغرب، ويكون ذا وترين فقط.

90. لسان الطير : نوع من الشعرية والفداوش صغير رقيق، يطبخ مع النافع وقليل من الزبد ويؤكل في الغالب ليلا.

91. لسان الثور : نوع من النبات معروف.

92. الليمون الدق : نوع صغير من الليمون ، يحمض، ويضاف إلى أنواع معينة من الطبيخ ، ومن الليمون أنواع أخرى يتميز بعضها عن بعض باسم خاص، كليمون الشط ، والليمون الحلو ، والليمون بوسرة.

93. المالقي : نسبة إلى مدينة مالقة بالأندلس، ينعت به فول غليظ الحبة حلو المذاق (قضية السلطان مولاي حفيظ والفول المالقي).

94. مخ الضبع : تستعمله النساء لإلانة جانب بعولتهن ، ويقال للرجل الذي يطيع امرأته طاعة عمياء (واكل مخ الضبع).

95. المروزية : طعام معروف أصله من مدينة مرو الفارسية ، يطبخ بعسل وزبيب وبهارات (رأس الحانوت)، وهو كالتفاية من الأطعمة الشرقية التي أدخلها المغني زرياب إلى الأندلس وانتقلت فيما بعد إلى المغرب.

96. المردية : عمل المرد الذين لم يلتحوا ولهوهم، والواحد منهم يدعي المرد (الأمرد)، وربما أطلق على من يؤتى من الفتيان.

97. المصبحية : مصباح زجاجي يملأ زيتا وفتيلا ويوقد ليلا ، وكانت المساجد في المغرب تضاء بالمصبحيات قبل إضاءتها بنور الكهرباء في القرن الماضي.

98. المصري : يوصف به ثقيل الظل والروح من الناس فيقال (طاعون مصري)، والمصرية بيت علوي يبنى في مداخل الدور أو فوق الحوانيت بالأسواق، يقيم به الغرباء أو غير المتزوجين من الناس، دعيت بذلك لأن هندستها ووظيفتها منقولتان من مصر.

99. المنصورية : لباس معروف يخاط من كتان أبيض رهيف يقال أنه منسوب للمنصور الذهبي كما أن الفرجية التي تكون من كتان أبيض خشن منسوبة لعبده المسمى فرجي ، وهذا غير صحيح ، لأنني رأيت اسم هذا اللباس في كتب متقدم زمانها على زمان المنصور الذهبي، فلعله المنصور الموحدي، وتكون المنصورية أو الفوقية أيضا للنساء بثوب ملون مزخرف يناسبهن.

2- Les voyelles

أ	a	hanut (boutique)	ami
أ	u	užəh (visage)	cou
إ	i	ibra (aiguille)	lit
	ə	tməṛ (dates)	petit
ء	?	?aš (quoi)	

3- Les semi-voyelles

و	w	wali (tuteur)	jouissance
ي	j	maj (mai)	paille

ملخّص

من ترجمة الأمثال إلى تحليلها

لا يمكن استعمال المثل في مجالي البحث والتعليم إلاّ إذا تَمّ استيعابه على النحو المطلوب، فهو يظل مكوّناً للأدب الشفهي على جانب كبيرمن الغنى وحسن التركيب، ما يجعله في بعض الأحيان عصياً على الفهم. ومن ثم، وجب الحرص على ترجمة المثل وتحليله بشكل جيد قبل الزجّ به في العملية التعليمية أو في ميادين أخرى. لكن ما الجانب الذي يجب ترجمته في المثل ؟ وهل يجب القيام بترجمة حرفية أو ترجمة دلالية ؟ إن ترجمة الأمثال مسألة ليست بالهيّنة خاصة عندما تُطرح اختلافات ذات طبيعة لُغوية وثقافية. لذا فالمترجم يبحث عن حلول تقريبية قد لا تحمل جميع عناصر المثل. وبعد الترجمة، تأتي مرحلة تحليل المثل التي يتعين فيها إيجاد الأدوات المناسبة لهذه العملية : فهل يجب اتباع مقاربة تتعلّق بموضوع وغرض المثل أو بمكوّناته البلاغية أو بالإثنين معاً ؟

CONCORDANCES PHONÉTIQUES

1- Les consonnes

Signe arabe	Signe phonétique	Exemple en arabe	Exemple en français
ب	b	bit (chambre)	balle
ت	t	taman (prix)	tasse
ج	ž	žbǝl (montagne)	jouet
ح	ḥ	ḥit (mur)	
خ	x	xux (pêche)	
د	d	dar (maison)	dé
ر	r	rmad (cendre)	
ز	z	zlafa (bol)	zèbre
س	s	sǝllum (échelle)	souris
ش	š	šǝrž (selle)	chameau
ص	ṣ	ṣufa (laine)	
ض	ḍ	ḍǝll (ombre)	
ط	ṭ	ṭir (oiseau)	
ع	c	cud (bois)	
غ	ğ	ğaba (forêt)	
ف	f	far (souris)	four
ق	q	qǝrd (singe)	
ك	k	kas (verre)	colle
ل	l	lil (nuit)	loup
م	m	mut (mort)	mal
ن	n	nab (canine)	nuit
ه	h	hiba (dont)	
گ	g	gǝlb (cœur)	gâteau

étant différentes, et ce qui est, par exemple, hypocrisie dans une société peut être considéré comme simple politesse dans l'autre.

V- TRADUCTION ET ADAPTATION DES PROVERBES

Le procédé d'adaptation, considéré par les spécialistes de la traduction comme l'une des limites, voire la limite de la traduction, se caractérise par le manque d'attache total avec la réalité étrangère (réalité de la langue cible).

Interroger ce procédé dans son rapport avec la traduction des proverbes relève de l'aventure méthodologique. Mais c'est une question qui s'impose dès qu'on aborde la traduction des proverbes, l'objectif du traducteur de ces énoncés n'est-il pas finalement d'adapter le proverbe dit dans une langue donnée et une culture donnée à la langue cible, mais comment ? Comment adapter des proverbes où il est question de stara, de hərgus, du trid ... à une culture où l'architecture, le maquillage, les techniques agricoles, la mode vestimentaire et autres sont basés sur des procédés différents ?

L'adaptation rend ainsi difficile la tache du traducteur qui doit connaître suffisamment les deux cultures pour expliquer le proverbe et le rapprocher d'un phénomène qui lui ressemble dans la langue d'arrivée. Mais il ne suffit pas dans le cas de l'adaptation d'expliquer les termes culturellement chargés, il faut en plus définir le statut de tel ou tel phénomène, la signification de tel ou tel geste dans la culture de départ (trid : occasions, maârouf : son organisation etc.).

Au terme de cette tentative de mise en rapport de quelques concepts de la traduction et les proverbes plusieurs remarques peuvent être faites, je préfère me limiter, quant à moi, à la remarque globale que la traduction des proverbes pose des problèmes spécifiques à la nature de ces énoncés. Mais si la traduction des proverbes pose des problèmes, ne faudrait-il pas investir davantage dans ce domaine : les proverbes diffusent la voix de la sagesse d'une communauté linguistique donnée et la sagesse n'est-elle pas une partie importante de la culture ?

Le fait d'être obligé d'utiliser les emprunts laisse les proverbes ambigus et nécessite une note pour expliquer ces emprunts, tache assez délicate pour le traducteur, surtout s'il s'agit de termes présentant des références précises comme les patronymes et les toponymes etc., ex : ma qssər lbərdçi dar sala fug sala u gəbbəl zbbala [El Berdaï (nom d'une riche famille à Marrakech) n'a pas lésiné pour construire deux salons superposés face aux immondices], ou encore : dəhki ja s(ara u tbrrəm ja lqadus lalla kəhla u dart lgərgus f rjad ləçrus guli liha kərtih bəl mus ja bənt lçətrus hada masi çam lhərgus [ris ô parapet et tourne-toi ô gouttière, ma maîtresse qui est noire s'est maquillée au hərgus (liquide noir servant à faire des tatouages), à riad larous (quartier de Marrakech). Dis-lui : gratte-le avec un couteau, ô descendante du bouc, cette année la mode n'est pas au hərgus].

IV- EQUIVALENCE ET TRADUCTION DES PROVERBES

L'équivalence des proverbes dans deux ou plusieurs langues permet de réduire quelques peu les limites de la traduction, mais il y a un changement de point de vue et on quitte le domaine de la parole pour celui de la langue. L'équivalence, de manière générale et particulièrement pour les proverbes et les segments figés, se base sur la situation, le sens global : on ne traduit plus les unités, mais l'ensemble du proverbe. Il s'agit de trouver dans ce cas un proverbe dans la langue cible qui véhicule le même principe; nous pouvons illustrer ceci par des proverbes de l'arabe et du français considérés comme équivalents : ta nçawnu nn~əxxada b həzzan rras, en français nous avons : l'hypocrisie porte un masque qui déteint (La Rochefoucauld), ou encore : k~tərt ləmraouəd ta təçmi lçinin [plusieurs meroued (batônnet pour se maquiller les yeux) à la fois crèvent les yeux] est à rapprocher du français : le surplus rompt le couvercle, nud ?a lməzjan fin ?igç~əd lməsrar [écartons la beauté et faisons place au charme], en français nous avons : gracieuse plaît, non belle, la beauté plaît aux yeux, la douceur charme l'âme (Voltaire); de même que le proverbe : ləmra f ddar çmara waxxa tkun hmara [la femme fut-elle ânesse est le fleuron de la maison], en français, l'équivalent serait : maison sans femme, coeur sans âme.

Mais en fait, l'équivalence pose un problème, car la morale véhiculée par les proverbes n'est pas la même, les mœurs et les habitudes des sociétés

ma cheville, mon père a épousé ma tante paternelle et lui a offert ma grand-mère paternelle en dot], proverbe qui se dit d'une situation où le ridicule est poussé à l'extrême.

III- TRADUCTION ET EMPRUNT

Quant à l'emprunt, il est considéré comme la négation même de la traduction ; il fonctionne quand le mot ou l'expression en question n'ont pas d'équivalent dans la langue cible. L'emprunt enrichit cette langue, certes, mais son insertion dans la traduction ne permet pas toujours de rendre compte du sens du proverbe, ex : tajkwi u ib~əxx u gul llah isafi [il cautérise et b~əxx (pratique qui consiste à cracher de l'eau salée sur la partie atteinte) et dit "que Dieu te guérisse"], lli ba trid iduru ləçsah u lli ba ləçrusa idirha mərtu [celui qui veut des "crêpes fines" qu'il les prépare pour son dîner et celui qui veut la mariée qu'il en fasse son épouse], proverbe qui veut dire en fait que l'on doit se contenter de ce qu'on a, mais aussi que la réalisation de nos rêves ne dépend que de nos efforts, ou encore : llah inəzzik məlli dərk ddar bəçd ləkra tajsuf hjutha bləmra u lli dərk lmənsurijja bəçd lçra tatəlsəq çla dəhru bləgra [que Dieu te préserve de celui qui acquiert enfin sa propre maison après avoir été locataire, il prend ses murs pour des miroirs ; et de celui qui enfin possède une mənsurijja, après avoir été nu, il la plaque sur son dos avec ləjra]. On peut ajouter des précisions pour rendre compte du sens des termes : trid, lmənsurijja et ləgra telles que : trid est une sorte de crêpes fines qui se mangent lors d'occasions comme le quatorzième et le vingt-sixième jours du ramadan, lmənsurijja est un vêtement féminin long avec des fentes et qui se porte par dessus une robe longue, ləgra est une sorte de colle spéciale fabriquée à base d'eau et de farine. Mais ces explications, si précises soient-elles ne peuvent rendre le sens complet de ces termes et ne peuvent laisser imaginer les référents par les locuteurs de la langue étrangère, le français dans ce cas. Car trid n'est pas seulement des crêpes fines, le terme porte une charge en plus dont il est difficile de rendre compte, il y a également plusieurs sortes de mənsurijja, suivant le tissu dans lequel elle est confectionnée, le type de couture, la mode vestimentaire etc. et tous ces aspects ne peuvent figurer dans la traduction d'un proverbe.

et plus informe que ne le voudrait l'expéditeur, mais notre connaissance des situations et de la valeur syntagmatique des mots nous permettent de suppléer à ce manque ou à cette perte d'information. Pour les proverbes, nous ne connaissons pas toujours la situation ni la valeur syntagmatique des mots dont une partie devient archaïque. Et à cause de ce manque de références, le proverbe reste un énoncé non embrayé et il devient difficile de le traduire. D'autant qu'il n'existe pas une solution unique en matière de traduction. Comment pallier à la perte d'information dans les proverbes dont l'origine est une histoire (anecdote ou devinette) à laquelle on n'aboutit pas toujours, ex. zəddna u zəddhum zədddu çərshum u lməs tah çlih lbatəl tqətçatlih qəzzibtu [notre aïeul et le leur ont renouvelé leurs noces, et l'injustice s'est abattue sur le chat dont la queue a été coupée à cette occasion]. Ce proverbe trouve son origine dans une histoire que seuls quelques usagers des proverbes connaissent, mais l'essentiel est que le proverbe continue à être utilisé à chaque fois qu'il n'y a pas de lien logique entre deux événements. Le proverbe : ləhdaga zat ja rrazəl hərs ddəffa u dirha mg~az~əl [la disposition à travailler (la laine) est enfin là ô mon mari, alors brise la porte (du logis) et fais-en des fuseaux], est le résultat d'une histoire également, mais cette histoire ne peut être rappelée à chaque fois que le proverbe est proféré, elle reste cependant évoquée implicitement à chaque usage du proverbe.

Par ailleurs, la traduction est un effort de rendre le message, les théoriciens de la traduction parlent de la notion d'équivalent du contenu au niveau du message, et cette notion d'équivalence libère le traducteur des servitudes de la forme. Cette liberté du traducteur de se mouvoir dans le texte de la langue d'arrivée s'exprimera par des divergences de formes, de longueur du texte, dont les éléments sémantiques et stylistiques doivent être en principe respectés. Qu'en est-il des proverbes, énoncés à composante stylistique spécifique ? Ils présentent beaucoup de métaphores, de métonymies et autres figures de rhétorique qui sont aussitôt détruites après la traduction, ex: tajfut çam ləx~didat u tajzi çam lulidat [passe l'année des petites joues et vient l'année des enfants], proverbe qui réduit la femme à sa beauté physique et à sa fonction de reproductrice, mais de manière allusive grâce au procédé de la métonymie, ou encore dəhku ja msarən kçəbti bb~a xad çmməti u çtaha zdda f ssdaq [riez ô intestins de

[une femme marchant pieds-nus mais avec grâce vaut mieux qu'une autre mal chaussée qui fait claquer ses babouches]. Ou encore : mjat çam t nnças ma təswa m~ədd t nn~əxxala, la traduction littérale donnerait : cent ans de le sommeil ne pas elle vaut boisseau de le son, [cent ans de sommeil ne valent pas un boisseau de son].

Le mot à mot dans la traduction des proverbes peut donc transformer leur sens, ou le détruire complètement et ne correspond souvent à aucune référence dans la langue cible. D'autant que les proverbes sont des énoncés où sont condensés les aspects de la culture et où sont transposées les structures de la société, ex : dərbu f rk~əbtu zwah xərz lih bərkuks mən çinih [il lui a donné un coup sur le genou, c'est au ventre qu'il a eu mal, et bərkuks (gros couscous qu'on pépare avec du lait) lui a sauté des yeux, ou encore : lli zəddah fəl məçruf ta jak~əl lləhma ləglida [celui dont la mère participe au maârouf mange le plus gros morceau de viande]. (maârouf : cérémonie organisée dans un marabout où l'on égorge plusieurs bêtes).

II - TRADUCTION ET ENTROPIE

Tous les écrits sur la traduction partent du postulat que le message traduit perd toujours quelques aspects en traduction. Ils parlent de cette entropie qui a lieu entre texte original et traduction. Et si l'on peut définir l'entropie comme étant une perte d'information, on pourra alors avancer, sans trop de risque de se tromper qu'elle existe pour tout message traduit. Elle peut être plus ou moins importante, certes, mais les lecteurs des deux versions d'un texte traduit constatent qu'il y a toujours une différence entre ces deux versions et une partie de l'information qui se perd dans l'opération de traduire. Et si les traductions des discours canoniques sont déjà plus longues que l'original, qu'en est-il des proverbes, énoncés polyphoniques, plus chargés culturellement et non embrayés ? Les proverbes sont des énoncés polyphoniques car l'énonciateur ne joue pas le même rôle que dans la communication quotidienne : il reprend des énonciations antérieures sans connaître l'auteur premier de l'énoncé proverbial, chacun se contente de répéter et de transmettre le proverbe. Ce dernier n'a pourtant pas le statut d'une citation, ce qui complique davantage sa traduction. Dans la traduction des discours canoniques, le message nous parvient plus pauvre

DE LA TRADUCTION DES PROVERBES

Khadija BNOUSSINA

INTRODUCTION

Je voudrais revenir dans cette intervention sur certains aspects de l'aventure méthodologique qu'est la traduction des proverbes. Le proverbe est un énoncé polyphonique, non embrayé et soumis à des contraintes syntaxiques, sémantiques et rhétoriques qui en font un énoncé difficile à traduire.

Nombreux sont les écrivains et les chercheurs qui ont traduit des proverbes pour en faire des corpus de leurs recherches. Mais cela ne va pas sans problèmes, et la traduction de ces corpus est généralement mentionnée comme l'une des limites majeures de ces travaux. C'est ce qui a motivé en partie le thème de cette intervention où je vais tenter de mettre en rapport quelques concepts de la traduction et des proverbes de l'arabe dialectal collectés dans la ville de Marrakech.

I - TRADUCTION LITTÉRALE

Les théoriciens de la traduction conseillent de manipuler cette expression avec prudence. La traduction littérale est considérée comme une coïncidence formelle et ne peut donc aboutir qu'à de la parataxe. Pour ce qui est des proverbes, la traduction littérale n'est qu'une étape pour passer à la traduction sémantique. Dans la traduction littérale des proverbes, la syntaxe de ces derniers ne correspond jamais à celle de la langue cible ou langue d'arrivée, ex : həfjana bsərha xir mən tnnaka b tərha /pieds nus elle avec grâce sa mieux que chaussée avec claquement son/

Le dicton suivant, d'usage courant à Fès Juif, ne semble plus connu dans d'autres parlers; du moins à ma connaissance : m-ssot iəsso, raha, expliqué ainsi "même la femme en couches jouit d'une accalmie entre une contraction et une autre" (sot "tour" ?) ce qui veut dire : "laissez-moi souffler" entre deux exigences, deux dépenses ou deux travaux.

Notes

1) Voir Benchrifa, Mohammed, Proverbes andalous de Abu Yah ya az- zaggali, (1220-1294) ; 2 Tomes ; Fès, 1971 (en arabe).

2) Kol Σataba le-taba (aram.) correspond à ar. mar. : kol təhera feha hera.

ملخّص

الأمثال والأقوال المأثورة اليهودية المغربية
صوَر للموروث السوسيو-لُغَوي

هل ترتبط الأمثال والأقوال المأثورة بالأدب الشعبي أم بمكنز المفردات داخل لغة ما؟ لقد استحدث الناس الأمثال والأقوال المأثورة للاستعمال اللفظي وهي تعابير مجازية تصور وسطاً معيّناً في وقت محدّد. وهو ما يجعل منها مادة يسهل اندثارها، لكنها تشكل في نفس الوقت تراثاً تتناقله الأجيال. ومن هذا المنطلق، هل يمكننا الحديث عن أمثال يهودية مغربية ؟ يصعب على المرء في غالب الأحيان أن يحدّد الخصائص التي تجعل هذا المثل أو ذاك «يقتصر» استعماله على ملاّح فاس في سنوات الثلاثينيات، لكن من الصحيح القول إن لهجات مختلف أحياء اليهود «الملاّح» تحتوي على خصوصيات معيّنة وعلى حيوية تجد تعبيرها في الأمثال والأقوال المأثورة وأساليب القَدح... لكن الجماعات اليهودية كانت تعيش في خضم مجموعة كبرى هي المجتمع المغربي. ومن ثم يجب التمييز بين ما هو عام مشترك وبين ما هو خاص يعبر عن خصوصيات معيّنة سواء أكانت تتصل بالدين أو التقاليد أو بخصوصية لُغوية.

- ma -i-tiyyəh rtəl ger rətlain qu'on emploie pour souligner la nécessité d'employer les grands moyens (Fès j.) "Deux livres pèsent plus qu'une" ;

- ma ka -i-nbae bəl 'ama ger ləhbəl "il n'y a que la corde qui soit vendue par brasses" = "la valeur des personnes ne se mesure pas à leur taille" (Fès j.) ;

- hna mdarben o kwaizna fəssəlh "nous sommes fâchés, mais pas nos affaires" se dit de quelqu'un dont la dignité s'arrête là où commence l'intérêt ;

- de ma daz məddeʼ, ma -i-doz m-əttisae "qui n'affronte pas les situations difficiles sera incapable de faire face à des circonstances plus aisées" etc...

Cependant il existe, outre des dictons hébraïques ou araméens connus[2], des créations dont l'origine est évidente de par le parler, la situation ou une spécificité sociale ou religieuse juive :

- ela kərso i-mot isso, où la rime assurée par Isso, prénom juif, sert à caractériser un gourmand.

- s'ëh o sə'sch "fais le boire et interroge-le"="in vino veritas"

- əl-'əssaba de Smieən, hədda həd əl-mwïeən "Le bourgeron de Siméon (dim.) ne descend pas plus bas que son "petit oiseau" (mwieən "sexe" en parler pseudo-enfantin). Ce que l'on peut traduire par "tout ça ne va pas très loin" ou "son effort n'est pas très productif".

- gəlta fəs-sifər, hlal "(même) en lisant la Thora", il est licite de se tromper" (errare humanum est), ce que la hakitia exprimait plus explicitement : mismo el hah am yerra en la teba" (le rabbin lui même peut se tromper à la tribune - en dirigeant la prière).

Cela pour revenir à un bon sens que l'on ne saurait oublier en parlant de proverbes : le sens commun du genre humain s'est exprimé, partant, en proverbes. On en oublie, en crée, tandis que, fossilisé quelque part, un dicton survit, tel une pièce d'archéologie linguistique...

On trouve ici - derrière l'accusation folklorique des gens de Meknès - l'idée du proverbe espagnol 'lo mio mio y lo tuyo de entrambos'. Calque probable ; mais les parallélismes de proverbes ne sont pas forcément des calques.

Un second proverbe plus largement connu (Fès, Essaouira...) vaut pour le français :

"Il y a danger losque les paresseux s'y mettent"

ila 'amt ə-eagra twəld, ozdo kwanekom

"si la femme stérile se met à enfanter, préparez vos berceaux". L'emploi de qamt et kwanekom (esp. kuna) fait penser à une création juive. Dans d'autres cas, même si le proverbe est en usage dans un milieu juif - et judéo-arabe à ce titre - il n'est pas nécessairement spécifique, mais d'usage résiduel ou non courant dans telle ou telle communauté juive.

Par exemple :

- ila mat əl-bo ossəd ər-rəkba ; ila matət əl wəmm, ossəd əl-eətba "si ton père meurt, appuie ta tête sur les genoux (de ta mère) ; si ta mère meurt, appuie ta tête sur (la pierre) du seuil de la maison" (Rabat juif) ;

- ot-təkka de eəmmərha ma saft əs-sərwal, mnəin ka t-sofo ka t'əttəe "La coulisse qui n'a jamais servi à tenir un pantalon; ne tient pas" (Rabat juif);

- əl-'ədra de tlata ma ka-t-gle-s "le chaudron qui appartient à trois personnes ne bout pas" (Fès juif) ;

- 'əsea brəbriya takəl mənha, o - təb'a hiya-hiya "c'est un plat de couscous berbère : tu en manges et il en reste toujours" = quelque chose d'inépuisable (Fès juif) ;

- bərrəd əl-hmom bəl-l'om "on apaise ses soucis en mangeant" (l'om pluriel de ləqma "bouchée" ;

fermée, les mouches n'entrent pas". Westermark le cite aussi : Wit and Wisdom, N° 1635.

N° 13 : za i-tabba emaha "en voulant la soigner il l'a aveuglée", est plutôt la variante en usage en Medina de Fès. Le Mellah emploie davantage bəllarz, za i-bos bno, emah "la cigogne, voulant embrasser son fils, lui creva les yeux".

Voir aussi n 43, 46, 70, 75, 89.

Pour Meknès, Joseph Toledano cite trois cent vingt et un proverbes et dictons, dont seule minorité infime est clairement juive.

Citons : -eam ha ‘ares/biyyae əl - mkanes "l'ignorant ne peut que vendre des balais", juif par l'hébreu eam ha ‘ares, meknasi par la rime en /es/, mkanes est une prononciation impossible ailleurs : mkanəs, ou mkans; - etini nəqta məl-emar/ o lohni fqae əl- bhar est parallèle à hakitiya : Dame una onza de mazzal/y echame a fondinas de la mar "Donne-moi une goutte de vie / une once de chance / et jette-moi au fond de la mer" ; de même se retrouve en Hakitia : kəl-se bəl-məzzal, wahha sefer tora fəl-hehal "même les sefarim dans leur armoire ont des chances inégales" (sous entendu : ils ne sont pas tous aussi richement ornés les uns que les autres). (Toledano, Joseph, L'esprit du Mellah, N° 65, 54, 52).

L'immense corpus des proverbes est un bien commun des parlers maghrébins - y compris l'arabe hispanique [1] - susceptible d'adaptations et calques. (Nombreux sont ceux que l'on retrouve en espagnol). Mais leur utilisation a été plus ou moins intensive ici ou là, selon époques, modes et situations concrètes, compétence personnelle.

Au cours de notre enquête, nous avons relevé des proverbes fréquemment utilisés dans les milieux juifs. Dans un cas, la création - ou l'adaptation - judéo-fassie est évidente : əl-məknase, de sabha, dialo,o de ma-sab-s, eəndo nəs feha. "Pour un meknassi, ce qu'il trouve lui appartient, et ce qu'il ne trouve pas lui appartient à moitié".

En définitive, une quinzaine environ peuvent être considérés comme "juifs" de part la langue ou la situation évoquée - encore celle-ci peut elle trouver son pendant en Médina et l'on ne saurait, pour certains dictons, éliminer l'hypothèse d'une adaptation.

Ce sont :

N° 88, en hébreu : lo emuna ba-goy afillo arbacim sana ba"eber, "pas de confiance pour le goy, même mort depuis quarante ans".

N° 5 : ila fərh ləedo ka t-btəl l-gzera (sentence ; punition divine)

N° 10 : l-bənt, ila kbərt giyir - la eəbd, où hébreu, giyyər; convertir au judaïsme est évident.

N° 11 : bos əl halab m-fəmmo hta tə'di haztək mənno "embrasse le salaud sur la bouche tant que tu en as besoin" ou halab, et une dérivation péjorative de K.L.B., racine sémitique pour chien typiquement juive.

N° 24 et 25 : hai mən baba fhal ərrch f-əssəbbaba "mon frère, par mon père, comme du vent dans une flûte" et hai mn-imma fhal laesəl fəl ma "mon frère, par ma mère, comme du miel (fondu) dans l'eau".

La situation évoquée : - difficultés de convivialité avec une marâtre - n'est pas spécifique, mais fréquente dans l'entassement des mellahs. On retrouve le même couple de proverbes à Rabat juif ;

N° 28 : here f-ətta'a, w-ana mənno məsta'a "mon bien est dans un placard, je le désire (mais il est hors de ma portée)" où le mot ta'a est employé dans un sens courant dans le parler juif fassi : "placard" ;

N° 57 : di n-eməl təhte, hsəl m-n - imma u-hti qui évoque les difficultés de cohabitation entre belle mère et bru, et le choix du mari, crûment explicité : "ce que je mets sous moi, vaut mieux que mère et sœur".

(Les exemples suivants sont "limités" quant à leurs "judéité").

N° 77 : əl - fəmm əl - məzdod ma tthəl-lo dəbbana rappelle, mot pour mot l'espagnol : en boca cerrada no entran moscas, "dans une bouche

En définitive, on considérera comme «expressions typiques du parler» celles qui sont spéciales ou très prisées par les locuteurs juifs - ces dernières pouvant apparaître également dans tel parler ou milieu musulman.

DIFFICILE GEOGRAPHIE

Il est assez délicat d'établir une géographie des expressions - et des proverbes et dictons - dans la mesure où, ici plus que pour les mots d'usage - la mode joue son rôle, en même temps que la compétence personnelle, la tranche d'âge du, ou des informateurs. Les sondages comparatifs auxquels nous avons procédé (entre 1972 et 1980) à Fès, Meknès, Jdida, Salé, Essaouira ne peuvent être considérés comme suffisamment fiables à l'échelon de tout un parler.

(Sur un échantillon de trente expressions du parler de Fès, treize étaient inconnues à Essaouira, vingt-deux à Jdida, cinq à Meknès, une dizaine à Salé).

Dans quelques rares cas, l'expression ne se rattache qu'à un seul terroir. Ainsi, à Meknès, məl 'reeat o hna n-piyto ? "il est trop tôt pour commencer" qui renvoie à l'habitude, locale, de commencer un festin par des courgettes - alors qu'on ne se met à chanter (heb. pïyyət) qu'une fois le repas largement entamé... Finalement, il se dégage tout de même un fonds commun d'expressions, dictons, insultes, formules de politesse, et autres spécialités.

DICTONS ET PROVERBES

Les proverbes abondent dans les parlers juifs - comme en arabe dialectal en général ; mais sont-ils vraiment spécifiques ? Brunot et Malka "Proverbes judéo-arabes de Fès" (Hespéris, 1937), en ont relevé cent : mais plus de quarante sont cités, selon les auteurs eux-mêmes, dans les travaux spécialisés de Westermarck, Sbihi, Luderitz, dont la matière n'est pas spécialement juive ; d'autres comportent des mots que n'emploie pas le parler (bga "vouloir, aimer" n 1, 2, 3) - Les juifs fassis disent plutôt həbb).

C'est aussi le cas de quelques expressions d'origine hispanique employées par les seuls juifs telles que :

tate, tate ! "vas-y doucement !" ; tlaeflo santa mariya "il est entré dans une colère noire", ou ‘abt meay əl-kontra "il me contredit systématiquement, il m'en veut".

Les métaphores qui renvoient à l'alphabet hébraïque sont également spécifiques : sger fha yod "petit comme yod", mïm mduwwra "mim tout rond" = dénégation absolue. Mais l'origine de cette dernière est déjà plus ambigüe dans la mesure où la lettre mim arabe convient tout autant à la métaphore, par sa forme, sa présence, dans la négation arabe : ma, et dans d'autres expressions, communes aux juifs et musulmans (shab-əl-mim "pédérastes") ou plus limitée aux juifs (Fès : bəl-zim o-l-mim o-l-ta mərbota : "avec toutes les précisions voulues"). A Fès toujours, d'autres expressions dénotent une origine «musulmane» évidente, et se sont conservées intactes : bla hədma, bla rədma, la ebada, la shada "sans travail, ni prière, ni profession de foi (musulmane)" dont la version commune à tous les parlers s'arrête à bla rədma (Brunot, Malka, Textes p. 161) ; de-ibban-əl-‘borat "de l'époque des tombes = très ancien" où l'emploi de ibban, qui n'est plus usuel dans le parler, dénote un archaïsme (que l'on sent également dans : de kif-i-kon o-l - hal elah "d'une qualité exceptionnelle"). De telles expressions sont-elles des créations du parler ? Elles s'y sont en tout cas conservées.

D'autres sont des créations, tout en gardant un rapport avec une matrice musulmane probable : as-zab hənka - l-səkka ? "ne mélangeons pas" (litt. : quel rapport entre les fêtes de hann u ka et sukkot ? cf. parlers musulmans: ka i-həllət səeban mea ramdan "il mélange les mois de saeban et ramdan"). Cette expression s'insère dans la série : həllət əl-esiwa mea-l-m'ille "il mélange la soupe et le ragoût", as zab eino-l-zənba ? "quel rapport entre son oeil et son flanc ?" (Fès J.) et 'as-zab zənba-l-eəno "quel rapport entre son flanc et son cou ?" (Meknès J.). On trouve le même rapport entre : mon eam səkto "depuis l'année : taisez-vous" (Tanger musulman) et mon eam ‘omo-t-ro'do "depuis l'an : allez vous couchez) (Fès J.), pour dire "depuis la nuit des temps"...

Citons aussi *öfian*, «dessert», salé ou sucré, avec lequel on «prolonge» un repas.

Mais le plus souvent c'est la métaphore, qui se révèle la plus productive d'expressions et dictons.

Elle peut partir d'une référence locale - personnage connu pour un travers (beton à Meknès, pour "buveur immodéré de mahia") ou pour un trait de caractère (bahlala "tête en l'air" à Fès qui pourrait être un surnom expressif resté avec ce sens) - ou bien une comparaison explicative :

golloe kolbu "arracher son cœur" >`vomir' - Tafilalt juif

tsara bol qraqiyat "marcher en se déhanchant-comme les antiques charnières" Marrakech juif.

Le sens littéral peut en être encore clair (tərf dəl-lzaz "lourd comme un coin pour caler la porte - Fès juif) ou ne plus être compris : gzal bərne "impeccable" qui renvoie semble-t-il à une variété de dattes, oubliée depuis l'époque du géographe Idrissi - qui la décrit ; ras əd-dbane litt. "tête de hérisson" > petite tête > qui comprend peu (cf. moh dəl-hot "cervelle de poisson" = tête de linotte).

Pour "être pris par un vice, une habitude, une passion" on dit thəlt - lo -əddoda de... litt... "il a été atteint - pénétré - par le ver de..." Synonyme de blïya "habitude".

A Fès juif, une "catastrophe" est le composé wahd əz-zabatəl litt. "une [chose] arrivée de façon injuste". Ce procédé est productif d'expressions typiques.

Sont elles strictement «juives» ? C'est évident losqu'elles sont totalement ou partiellement hébraïques comme hta-l ga'əl-israel "jusqu'au bout" où seul hta est arabe, ou encore losque la situation à laquelle renvoie l'expression en arabe est une évocation biblique : hroz isra'el mən masar "un grand déménagement, branle-bas" (=la sortie d'Egypte).

deux sens, dans le cas de la *hakitia* et du judéo-arabe des villes de Fès, Meknès, Rabat-Salé.

Aussi trouverons nous des dictons hakiti-s du genre

«La Sedda no dumea».

arabe : SS∂dda ma-t-dum.

français : l'angoisse ne dure pas.

ou encore

«salkea ! El que no salkeo no bibo.

ar. S∂ll∂k ! Le ma s∂ll∂k ma-i-∑i S.

Fr. transige ! qui ne transige pas ne vit pas.

Plus souvent, nous trouvons des calques d'une langue à l'autre :

Hakitia : ∂l que tiene boca, no se equivocal.

Arabe : le ∑∂ndo f∂mmo, ma-i-t∂lf.

«qui a une bouche (pour parler) ne s'égarera pas».

ou encore

ar : mnaïn ma drebti-lqra∑ i-sil d∂mmo.

hakitia Por ande le den al tiñozo, le corre sangre.

Le rapport quotidien à l'hébreu, à travers les textes sacrés crée aussi, encore que beaucoup moins, des situations de création linguistique (vocabulaires, calques,...).

Dans les parlers judéo-arabes, il ne manque pas non plus de créations lexicales à partir d'un mot arabe, par dérivation : citons le cas dans le domaine religieux d'ostan (heb. Hol hammo∑ed), «période de fête durant laquelle on peut travailler et qui se trouve au milieu (w∂st) de la semaine de Pessah ou de Sukkot.

familiale et communautaire presque partout également, sauf dans les communautés berbères du Haut Atlas central et dans les villes de Tétouan, Tanger, Asilah, Larache, El Qsar et Chaouen où se trouvaient concentrées des populations chassées d'Espagne en 1492, et qui parlaient *hakitiya*, dialecte dérivé de l'Espagnol moyenâgeux et fortement pénétré d'arabe. Ce dialecte avait été plus largement répandu aux 16ème et 17 ème siècle y compris dans les villes de Fès, Meknès, Marrakech, mais il avait été résorbé au 18ème siècle dans les parlers judéo-arabes des capitales et des ports au Sud de Salé. Quant à l'hébreu, langue liturgique et de l'école, il n'était pas celle de conversation, mais de la prière et de l'étude et, comme tel, mémorisé à travers les textes sacrés et le langage de la religion.

Rappelons enfin que l'on ne saurait parler d'un judéo-arabe unique ou unifié, (sauf, dans une certaine mesure, pour l'écrit). Les parlers juifs variaient d'une ville à l'autre par certains traits phonétiques; morphologiques par des variantes lexicales et naturellement; dans le domaine des proverbes. Mais ils gardaient un air de famille, notamment par le recours aux hébraïsmes, et dans une certaine mesure, aux hispanismes.

Il convient de signaler ici que tous ces parlers étaient de formation préhilalienne, gardant des rapports et similitudes avec les parlers jebli-s, et hadari-s. Ils gardaient quelques traces d'arabe hispanique.

Ainsi, à Fès-juif, comme en al Andalus on conjuguait le verbe *dra/idri*, avec le sens de «avoir été habitué à» ; et la «camomille», *babnuz* se disait *babuniz*...

LA CREATION LINGUISTIQUE

Mais les parlers juifs n'ont pas seulement «conservé» des modalités anciennes : ils ont créé, tant qu'ils étaient portés par un vecteur humain suffisant, c'est à dire jusque vers 1960-70.

Ils ont créé des lexics à travers des périodes de bilinguisme, par l'emprunt et le calque : bilinguisme arabo-amazigh, comme tous les parlers arabes (et plus particulièrement au Tafilalet Juif) hispano-arabe, dans les

LES PROVERBES ET DICTONS JUDÉO-MAROCAINS, REFLETS D'UN PATRIMOINE SOCIOLINGUISTIQUE

Simon LEVY

Les proverbes, comme tous éléments du langage - et finalement de la langue - ne survivent que dans la mesure où ils font partie du discours, de la «compétence» des générations successives. Les proverbes sont, de ce point de vue, en régression dans les parlers modernes. Ils gardent cependant - s'ils ne sont pas perdus - un intérêt patrimonial. Pour certains ils sont et restent «littérature populaire»... Ne sont-ils pas plutôt des inventions de l'expérience populaire reversés dans le discours, sous une forme apte à exprimer un concept ou une situation ? Dès lors ils se rapprochent, encore davantage des expressions, dictons, métaphores figées qui sont autant de lexies du parler, en un lieu, un milieu, un temps - et souvent un sexe - donnés, et que les progrès de l'enseignement semblent menacer, un peu partout.

Les parlers juifs marocains terriblement menacés par la concurrence du français, par l'émigration et la disparition des «anciens» ont connu naguère une richesse parémiologique, et de création dans le domaine des dictons, expressions et aussi... invective. C'était la génération des grand-mères.

LES PARLERS JUIFS

Les parlers juifs du Maroc ressortaient naguère de trois langues : l'arabe, était compris par toutes les communautés. Il était aussi langue

אוצר המתגמים של יהודי מרוקו (1)

كنز أمثال يهود المغرب

أحمد شحلان

المدوِّن هو حَنَنْيَهْ دَهَّان، وأصله مغربي، وهو رئيس مؤسسة **ברית אבות** (عهد الآباء) وهي المؤسسة العالمية للتراث اليهودي المغربي، (**הקרן העולמית למורשת יהודי מרוקו**). وجمع هذا المجموع من الأمثال في مجلدين، صدرا عن دار «ستيوت» بتل أبيب، أولهما رأى النور سنة 1983 وثانيهما سنة 1987. ويبلغ عدد الأمثال 3682 مثلاً، ضم المجلد الأول من رقم 1 إلى رقم 1532 والمجلد الثاني من رقم 1533 إلى 3682.

كتب المدوّن أو الجامع هذه الأمثال بلغتها الدارجة المغربية بحروف عبرية، وبما أن الحروف العبرية أقل رموزا من أصوات الحروف العربية فإن الجامع نهج منهجا خاصا لتحريرها سنتعرض له فيما بعد.

افتتح المجلد الأول بمقدمة للأستاذ حاييم الزعفراني، أحد أشهر المختصين اليوم في تاريخ يهود المغرب، وقد بين فيها أن هذا الكتاب أضفى بمادته مزيدا من التعريف بحياة يهود المغرب، ذلك أن المثل لم يترك جانبا من جوانب هذه الحياة دون أن يتناوله بطريقته الخاصة، فتحدث عن الفرد في كل دقائق حياته، وتحدث عنه في أسرته ومجتمعه الخاص مع بني جلدته، وتحدث عنه وهو في مجتمعه الكبير مع أبناء وطنه. وبيّن الزعفراني أن هذا النوع من الفولكلور، من الإبداع الشعبي الذي قد يقصد به التفريج عن السامع بتعبير يتزيا

لبوس الإضحاك، أو يقصد تلخيص تجربة في أقل عبارة، كان في نفس الآن يقصد التربية والتثقيف. والأمثال اليهودية المغربية، زيادة على أهميتها لدى الدارس اللساني، فإنها تذكر بالعلائق التي كانت تربط بين اليهودي المغربي مع محيطه الإسلامي القريب منه ومع الفكر اليهودي الشامل.

وأشار الزعفراني إلى أن المنهج التحليلي الدقيق الذي اتبعه الجامع في تأليفه هذا، سواء تعلق الأمر بالخطاب الشفوي أو النص المكتوب أو الدلالات المعبر عنها صراحة أو رمزا، قد أبان عن الوجوه الأدبية وعن الروافد الثقافية اليهودية بكثير من المعرفة والشمول. كما أشار الزعفراني إلى أن المثل اليهودي، مثله مثل الآداب العامية واللهجية اليهودية في المغرب، يشهد على متانة معارف يهود المغرب بالتراث الربي والأصول التوراتية والتلمودية، وكذا بالـ «مدرشيم» (الاجتهادات التشريعية والتفسيرية) والـ«زوهار» أو الكتابات الباطنية التي حولها المثل إلى نوع تعبيري مناسب للظروف وحياة الناس في محيطهم المغربي هذا. وذكر بأن المثل من الآداب الشعبية التي لا تعرف حدودا في مجال العقيدة والدين، لذلك ففي المثل اليهودي المغربي تمحى هذه الحدود ولا يجد الناظر أمامه إلا مواطنين مغاربة ولا غير.

مقدمة وتوطئة

افتتح الجامع المدوّن عمله بمقدمة وتوطئة، فبين في مقدمته أن النظر في الأمثال المغربية يُظهر مدى تأثير المحيط العربي في حياة اليهود في المغرب من جهة، ويظهر من جهة أخرى، مدى شساعة معرفة يهود المغرب بكنوز الآداب اليهودية الشاملة التي منها رضعوا ومنها استقوا مناهج عيشهم التي عبروا عنها بهذا الأسلوب الرائق المختصر. وبين أن الأمثال هنا نوعان : منها التي تعبر عن الحكمة وأخلاق التعقل، وأصحاب هذه الأمثال هم حكماء الطوائف الذين أرادوا أن يربوا العامة بواسطة الرمز. ومنها أمثال من صنع العامة تعبر عن تجربة السلوك في الحياة، ولغتها بسيطة عامية، غير أنها تنضح خيالا وتبلغ

المقصود بأيسر تعبير. أما موضوعاتها فهي متنوعة غنية. منها أمثال تدعو إلى التأمل، وأخرى تحذر من شيء معين أو من عمل قبيح أو من حال غير جميل، وأمثال هي بنت تجربة الحياة، وهي ثمرة ماض غني. ومنها أمثال تجد لها أصولها في أحداث وقعت حقيقة، وأخرى متخيلة تستقي من الواقع المعيش.

مجهود مدوّن هذه الأمثال

لاحظ جامع هذه الأمثال في أحاديثه التي فاقت الحصر مع اليهود المغاربة، عندما كان يخالطهم لحل مشاكلهم وقضايا اندماجهم، أن لغتهم العربية المغربية فقيرة في معجمها، وغنية بما تتضمنه من أمثال شعبية وتعابير دالة. فقد أسرته هذه الأمثال لقلة لفظها وإصابتها مقصودها بغير تكلف، فاعتبرها جواهر في كنز اللغة العامية، ورأى أن استعمالها والمحافظة عليها كما هي، عنصر أساسي للحفاظ على الموروث الثقافي لأصحابها. ولا حظ أن معظم هذه الأمثال بقي محفوظا في ذاكرة الشيوخ وعند النساء أكثر من الرجال، وفسر ذلك بفقر لغة النساء إذا ما قيست بلغة الرجال، فهؤلاء كانوا يشاركون في الحياة العامة أكثر من النساء، فهم يبيعون في الأسواق ويحيون جل حياتهم خارج المنزل، أما النساء فكنّ عكس ذلك، وعليه استعملن المثل لأنه عوّض فقر معجمهم العربي. ولا نعتقد أن تفسيره هذا مصيب، والعارف بمشاركة المرأة اليهودية في الحياة العامة في المغرب على اختلاف أشكال هذه الحياة وألوانها وطبقاتها، لا يسعه إلا أن يتبسم عندما يسمع مثل هذا التفسير، ولعل ملاحظة الجامع أتته من الظروف التي عزلت المرأة اليهودية المغربية، بل واليهودي المغربي، في أرض جلبته ليشتغل في أماكن منعزلة كانت تعتبر مظنة للخطر والمشاق والأهوال.

كما لاحظ أيضاً أن أجيال السنوات الأخيرة من الخمسينات والستينات من القرن الأخير- (توضع سنوات إصدار هذا العمل في الحسبان عند هذا التقدير) - لم يعد لها علم بهذه الأمثال، لأن ثقافتها أصبحت تختلف عن ثقافة آبائهم وأجدادهم، وأن لغتهم الفرنسية التي تبنوها أخفت عنهم قيمة هذه الأمثال

وبالتالي لغتها، وجمع هذه الأمثال هو بمثابة إنقاذ ثروة قد تأتي عليها النار. كما لاحظ أيضا ضرورة الاهتمام بتراث الآباء وهم أحياء، لأنهم هم مصدر هذه الثقافة الشعبية التي سجلت تراث الأجداد القديم، فإذا ذهبوا ذهبت معهم هذه الثقافة.

ومن المشاكل التي اعترضت جامع هذه الأمثال صعوبةُ كتابتها، فالمكتوب منها كتب كيف ما اتفق، مع فارق الحرف العبري والصوت العربي المغربي. كما صادف كثيرا من العناء في تصنيفها. لذلك طلب منه تدوينها زمنا، إذ لم يكن المثل معدا في ذهن رواته، وإنما كان يجب انتظار الصدفة للتحدث به وعفو الخاطر. كما أن مقتضيات الاستعمال عند اليهود المغاربة لم يدخل المثل في باب الرفاه الأدبي، فلم يستعملوه لتزيين أقوال وإنما للإقناع والحجة ودون انتظار، فهو وسيلتهم في خطابهم المباشر، وهو في حد ذاته لغةُ تعامل وخطاب. وحالٌ مثل هذه لا توفر للمدوّن مدوّنة جاهزة يحتطب منها متى شاء. وللتغلب على كل هذه الصعوبات، أخذ جامع هذه الأمثال يتنقل بين المحطات والمعابر و«الموشفوت» (المجمعات اليهودية الفلاحية آنذاك)، والقرى المقامة على عجل أيامها، ويخلق المناسبة التي تمكنه من التحدث مع الشيوخ. وكان يحاول إثارة الحديث معهم وسماع الحكايات والقصص ليتصيد من ذلك الأمثال. استغرق الجمع على هذه الحال أكثر من عشر سنوات كان فيها «كمن يبحث عن إبرة في كومة من القش»، كما قال.

هذه المقدمة، أما التوطئة الوصفية لعمل المؤلف فتناولت لغة هذه الأمثال التي هي اللسان المغربي الدارج . وطريقة الكتابة التي اختارها بحروف عبرية مع استعمال حروف المد مقام الحركات.

وبهذه المناسبة يذكر حَنَنْيَه دَهّان أنه لم يكن ليهود المغرب معرفة بالقراءة والكتابة باللغة العربية، لأنهم لَم يتعلموا أبداً هذه اللغة في المدرسة، ومعرفتهم باللغة الدارجة المغربية هي بنت السماع. وجهلهم باللغة العربية الحقة تسبب في خلق تشوشٍ كثير في لغة كلامهم، ويصعب على متكلم العربية من غير المغاربة أن

يفهم لغتهم وما طرأ على نطقهم من تغير، وهذا أيضا حكم لا ينبني على أساس، وكيف ما كان الحال فإن هناك فروقا صوتية ولا مراء في هذا، وذلك كالآتي :

1. ג׳ (ج) تصبح ז (ز) رازل مكان راجل

ד׳ (ض) تصبح ד (د) دَرْبًا مكان ضَرْبا

ק (ق) تصبح א (أ) أريب مكان قريب

ש (ش) تصبح ס (س) سريك مكان شريك[2]

ט׳ (ظ) تصبح ט (ط) لفط مكان لفظ

2. أ -إسقاط حرف الألف إذا جاءت أول الكلمة : سحال مكان أشحال، سْكون مكان أشْكون.

ب -إسقاطها أيضا في كل فعل أمر في المخاطب المفرد والجمع : كتب مكان اكتب. كتبو . اكتبو.

ج -إسقاطها من الأسماء الأعلام، مثل : أبراهام يُصبح براهام، إفراييم يُصبح فراييم. مع العلم أن نطق يهود الجنوب أفضل من نطق يهود الشمال.

وفي هذه التوطئة وصف المدوّن أيضا طريقة كتابته، من ذلك استعماله حروف المد (ا. و. ي.) بدل الحركات الثلاثة، تسهيلا على القارئ، ولأن يهود المغرب كانوا يتبعون هذه الطريقة في الكتابة. كما أشار إلى استعماله أداة التعريف التي تكون مرة بالألف الهموزة واللام (الحيط العالي)، ومرة بالألف الهموزة وحدها (ادَّار)، وحاول تفسير ذلك، مع أن الأمر لا يحتاج إلى تفسير، خصوصا وأن قانون الحروف الشمسية والقمرية هو نفسه في العربية والعبرية. ونفس الأمر يقال عن حروف الجر مع اللام، فقد تثبتُ مرة مثل : (فالْبيت دلحديد) وقد تحذف : (بَجَّهْد). ووقف المدوّن عند علامة الشدة بعض الوقوف لأن لها في اللغة العبرية خصوصيات، خصوصا إذا ما تعلق الأمر بحروف الحلق.

وخص حَنِنْيَه دهّان فقرة لأصوات الحرف العبري مما لا نظير له في اللغة العربية، أو العكس، وهذه هي :

ב وتنطق في اللفظ العبري (واستعملت بعض الأمثال ألفاظا عربية) مرة ب ومرة ف ، وهو استعمل ب في الحالتين.

ג (ك) مكان ق (بكَرة)

ג׳ (ج) للصوت المفقود في العبرية (رجل) .

ג مكان (غ) في مثل صغير، غراب .

ד׳ (ض. ظ) (ضربة . بيضة [ظبي] (أشار دهان بأن هناك من يكتب هذا الصوت ب (تص)).

ה (هـ) مكان المفعول به ضمير الغائب (رفدوه) .

וו مكان الواو العربية وينطق نطقها (كما كانت تنطقها يهود العراق واليمن) (وُوَالْديهُم) (وردة) (الدَّوْ) = الضو.

ט׳ (ط) مكان (ظ) لفط = لفظ .

כ׳ مكان (خ) (صباح الخير).

פ (ف) ولم تستعمل بنطقها الثاني المشدد (بـ) كما تنطق في حالات معينة في العبرية.

צ (ص) في نطقها العبري الشائع اليوم (تص) (3) .

ترجمة الأمثال

ذكَّر المدوّن بالجهد الذي بذله ليترجم بعض الأمثال إلى العبرية ترجمة حرفية كلما دعا الأمر إلى ذلك، وذكر باستعماله الترجمة النّثرية أو المسجوعة، حفاظا على الأصل كل ما أمكن. مثال على هذا :

«واحدْ عْطَتو وْواحدْ زْواتو». حرفيا هي : **לאחד נתנה לו ולאחד הכאיבה לו»**

أما الترجمة التي استعمل هو فهي :**הזמן נתן לאחד מטובו ולשני הכאיב לבטנו**

(جاد الزمان على البعض بخيره وأوجع البعض في بطنه).

«لْسانو عْسَلْ وُقَلْبو قَطْرانْ ». الترجمة الحرفية: **לשונו דבש ולבו זפת**.

أما ترجمته هو فهي: **לשונו-נופת,** (جهنم). (لسانه عسل وقلبه نار).

وفسر المدوّن الأمثال التي تراءى له أنها غير واضحة تفسيراً قرب معناها وذكر بمغزاها ومتى يمكن إيرادها.

وعلى الرغم من أن همّ المدوّن الأول كان هو جمعَ هذه الأمثال على كثرتها، وكتابتها قصد الحفاظ عليها وترجمتها إلى اللغة العبرية، فإنه بعد أن راجعها ذوو الاختصاص والمختصون من معهد بن تصفي، المختص بالتراث اليهودي، استجاب لاقتراحهم بأن أرجع هذه الأمثال إلى أصولها اليهودية كالتوراة والتلمود والقصص اليهودية والآداب اليهودية الأندلسية، وقابلها بأمثال أخرى أجنبية، وخصوصا منها الأمثال الفرنسية.

قسم المدوّن الأمثال مجموعات مجموعات تبعا للمواضيع، وقسم كذلك المواضيع الكبرى إلى مواضيع فرعية. ورتبت كل مجموعة هجائيا داخل موضوعها. وكرر بعض الأمثال مرات كثيرة ليدرجها في مواضعها المناسبة .

أضاف حَنِنْيَه دهّان إلى هذه الأمثال أقوالاً يهودية مغربية في آخر المجموع، ثم ترجمها إلى العبرية ترجمة حرفية. وختم مجموعه بـ :

1. ملاحظات حول مجموع أمثال يسسخَر بَنْ عَمّي (4) .

2. بيبليوغرافيا الكتب التي اعتمدها في البحث عن مقابلات الأمثال الأجنبية والأصول .

3 . أسماء الأعلام الواردة في الكتاب .

4. فهرست الأصول التي وردت بها الأمثال الأجنبية مرتبة ترتيبا هجائيا.

المواضيع الكبرى للأمثال الواردة في هذا المجموع

الجـــزء الأول

الفصل الأول : الآباء والأبنـــاء

الفصل الثاني : المرأة والرجل

الجزء الثاني

بعد المقدمة القصيرة التي أفصح فيها حَنِنْيَه دهّان عن سروره لما علم أن الأحفاد من ذوي الأصول المغاربة، أخذوا يتلون الجزء الأول من كتابه، على

الأجداد والجدات، في البيوت ليلة السبوت ، وأن هذه القراءات أرجعتهم إلى ماض يعتزون به، وبعد أن ذكر بأنه على يقين بأن الجزء الثاني من عمله هذا لا يخلو من نقص وخلل، عبر عن شعوره بالفخر لأنه أتم عملا متواضعا يعد حلقة هامة في الثقافة والآداب العامية اليهودية. ورتب الأمثال مواضيع كما فعل في الجزء الأول كالآتي :

الفصل السادس : ما يقوم به الإنسان

العمل والصنائع	من المثل 1533إلى 1619
البداية والنهاية والتمام	من المثل 1620إلى 1645
المثابرة	من المثل 1646إلى 1649
الأجر والجزاء والعقاب	من المثل 1650إلى 1736
البطالة	من المثل 1737إلى 1756
الكسل	من المثل 1757إلى 1774
التغذية والعيش	من المثل 1775إلى 1790
الألم والمعاناة	من المثل 1791إلى1799
القناعة	من المثل 1800 إلى 1833
الاتقان وعدم الاتقان	من المثل 1834 إلى 1842
شدة الحال	من المثل 1843 إلى 1921
الجهد والاجتهاد	من المثل 1922 إلى 1928
السرعة والتحفز	من المثل 1929 إلى 1938
الخوف والخطر، الحذر والتجربة	من المثل 1939 إلى 1996
العمل في وقته، المقدم والمؤخر	من المثل 1997 إلى 2041

الفصل السابع : الثروة والكسب والممتلكات

الفصل الثامن : المصير والمكتوب

الفصل التاسع : في أحوال الناس

الفصل العاشر : المقارنات والتناسب

الغضب	من المثل 3604 إلى 3612
رجع الخاطر والتفكر	من المثل 3613 إلى 3618
التطلع والسؤال والجواب	من المثل 3619 إلى 3629
الضمان والتكفل	من المثل 3630 إلى 3634
السهل والممتنع	من المثل 3635 إلى 3642
الأسى والتعزي	من المثل 3643 إلى 3652
الوحـدة	من المثل 3653 إلى 3659
الوجل والحياء	من المثل 3660 إلى 3664
النسيان	من المثل 3665 إلى 3672
الحرص والتوقي	من المثل 3673 إلى 3682

أضاف حَنِنْيَه دهّان في آخر مجموع الأمثال هذه " أقوالا شعبية يهودية" كما سماها، وعددها خمس وسبعون قولة، وفيها أيضا أقوال عامة مشتركة. وسنورد منها ما له صلة بالصبغة اليهودية.

ملاحظات عامّة

يلاحظ على المدوّن الملاحظات التالية :

- تكرار الأمثال تبعا للمواضيع مما ضخم المجموع.
- تكرار الأمثال ولو كان فارق المنطوق بسيطا.
- فهم كثير من الأمثال فهما مغلوطا، وهذا غير المعاني في الترجمة.
- التمحل في إيراد الأصول والبحث عن المصدر في النص الديني توراةً أو تلموداً.
- التمحل في إيجاد المثل المقابل، وخصوصا من الفرنسية.

- إهماله للخلفيات التاريخية والدينية والخصائص اللغوية العبرية، ولا يمكن فهم بعض الأمثال إلا بهذه الأمثال التي لها خصوصية يهودية قليلة جدا، إذ لا تتعدى 94 مثلا من أصل 3682، وتتمثل في:

أ - وجود لفظ عبري .

ب - الاستعمال الدارجي اليهودي الخاص .

ج - التعبير عن العقيدة صراحة، وذلك بـ :

1. أسماء الأعلام

2. الإشارة إلى الطقوس الدينية اليهودية أو بعض المرجعيات التوراتية أو التاريخية .

حقول الدراسة

نكتفي في هذا العرض، استجابة لورقة الندوة، بتقديم هذا الكتاب/المدّونة، الذي وضعه صاحبه باللغة العبرية، وننتقي منه نماذج من أمثال العامّية المغربية، أو تلك التي تشير إلى الدين الإسلامي، ثم نكتب بالحرف العربي كل الأمثال التي لها صلة باليهودية، لنعرف نسبتها في إطار المجموع العام للأمثال المغربية. ونشير إلى أن هذه الدراسة لا بد من أن تشفع فيما بعد بالنظر في الحقول الآتية:

- دراسة معجمية .
- دراسة الدخيل .
- استخراج أثر العقيدة، ومن ثم تصحيح نسبة الأمثال وإرجاعها إلى أصولها المغربية المشتركة.
- تصحيح منطوق المثل.
- تصحيح فهم المدوِّن وتصويب الترجمة العبرية.
- النظر في ما ورد من مقارنات مع التراث اليهودي والثقافات الأجنبية.

نـماذج

1. من الأمثال العامّية المشتركة.

38 – (5) «بُولبنات يِبات إِخَمَّمْ طول الِّيلْ سمْعَتُو [شمعتو] مَكْدِيا».

(أبو البنات يقضي ليله هما وتبيت شمعته مشتعلة) .

43 – «دار انْزالا هي دار لَبْناتْ تْسُفْها عَمْرا وُفْساعا خْلاتْ»

(عمارة بيت البنات موقتة، فمهما ظل عامرا يصير فارغا)

64 – «كل خَنْفوسْ عند امُّ غْزالْ» .

(كل أم بابنها فرحة) .

91 – «احْدِ [احض] عْلَى البِيدْ أمَّ لَفْراخ طارو» .

(احتفظ بما بقي بين يديك أما ما ضاع ضاع) .

99 – «ارْبَطْ احمارك مع لَحْمير إلاَ ما تْعلَّمْ سهيق يتعلم نهيق» .

(وضع الشيء في مكانه مفيد لا محالة) .

163 – «إلاَ مات الفيل عدامو [عظامو)] راسْ مالْ» .

(المفيد مفيد في جميع الأحوال) .

196 – «لَمْرا عْمرا وَخَّا تْكونْ حمْرَا» .

(المرأة نافعة في جميع الأحوال) .

231 – «إذا حَبَّتْكْ لبيدا [لبيض] لا تْحَبْها ولاَ تَخْسَرْ مال بوكْ عْليها، فْحالْ لَبْيادْ [لَبيض] إلاَ طَاحْ فْلْعينْ يَعْميها» .

(لا تعشق ذات البياض ولا تصرف عليها مالك، فحالها حال مرض [لبياض] يعمي العين) .

232 – «إذا حَبَّتْكْ لْكَحْلا لا تْحَبْها ولاَ تَخْسَرْ مال بوكْ عْليها، فْحالْ لَغْرابْ إذا طاح عَلْ لْخيما يخليها» .

(لا تعشق السوداء ولا تصرف عليها مالك، فحالها حال الغراب المشؤوم إذا حل ببيت دب إليه الخراب) .

233 - «إذا حبتك لْحَمْرا حبها وخْسر مال بوك اعليها، فحال لعْسَلْ إذا طاح عْلَ زَرْحا [جرحا] يْبَرِّها».

(اعشق المشربة بالحمرة فحالها حال العسل إذا أصاب الجرح داواه) .

298 - «لَمْرا تَهْرَبْ من اسيِّبْ فْحالْ لَخْروف من ادِّب».

(تخاف المرأة من الشيب كما يخاف الحمل من الذئب) .

326 - «لا تَامن بَلْمْرَا إذا سَلَّتْ [صلاَّت] والنَّار إذا علاَّتْ والخيل إذا وَلاَّتْ».

(خذ حذرك من المرأة وهي تصلي والنار وهي تتقد والخيل وهي ترتد إلى الوراء) .

359 - «كُلْ لوسا سوسا وَخَّا كّدْ لْخَنْفوسا».

(أخوات الزوج نَغَصٌ وإن تضاءلت أحجامهن) .

538 - «إذا [إلا] سَتّ ساحبك كَرَّطْ رَطَّبْ أنت» .

(إذا حف صاحبك رأسه فبلل شعرك)،

(إذا قام صاحبك بفعل فاستعد لمثله).

551 - «لِّي حبْني ما بْنَى لي قْسرْ وَلي كْرَهْني ما حْفَرْ لي قْبَرْ» .

(عواطف الناس تبقى دائما مجرد عواطف لا تغير في الواقع شيئاً).

615 - «ياساحَبْ [صاحب] المَلْقا لا بُدَّ من لْفَرْقا لكن سوِ [شوِ] دَلْخيرْ كايْبْقا» .

(أيها الرفيق قد نفترق غير أن أثر الخير لا يزول) .

754 - «ما نا سي [شي] لْبَنْ نْكونْ فَسْكُوا [فشَّكوا]، ما نا سي غْسيم نكون فَدّعْوَ».

(لست مائعا أوضع حيث يراد لي، ولست غِرّاً تضيع حقوقي) .

899 – «دِيعَتْ الْوِدانْ مَنْ سَعْدْ لَمْروزْ».

(تدفق المياه نفع للمروج = الزيادة في الخير خير) .

1077 –« لَحْزَمْ لْمَرْخي مَنْ قَلَّتْ اسَّحَّ [صح] » .

(نحول الجسم عنوان العلل = لكل سبب مسبِّب) .

1141 – «لِّي خَسَّكْ مَنْ لْكَزَّار كَمْلو بْلَبْزارْ» .

(ما ينقصك من اللحم عوضه بالتوابل) ،

(إذا لم يكن لك من المال الكثير فاستعن بالتدبير).

1211 – «ما يْزي [يجي] تْرْياقْ مَنْ لْعِراقْ حتى مولْ لُزَعْ [لجع] يِتَّرْطَقْ» .

(لا فائدة من الشيء إذا وصل متأخرا) .

1242 – «حَدْ لَعْنَيَ تَعَزْريتْ» ، (أفضل ما يكون عليه الفرد العزوبة) .

(لم بعد الأمر كما كان عليه الحال) أو (ليس في الأمر أعظم من هذا) .

1757 – «نْهارْ لَغْمامْ كُلُّ سَبْحِيَ» .

(كل عذر يعفي الكسول من عمله مقبول) .

1812 – «لَحْسَتْ ازِّتْ فْلَمانْ ما يْلِها ثْمَنْ» .

(الشعور بالأمان على القلة أفضل من الغُنْم الكثير مع المخاطر) .

1885 – «لْهَمْ مَنْ سْدَرْ [صدر] لَسْدَرْ [لصدر] كَيْفازي القلب» .

(مشاركة الناس في همومهم مواساة) .

1964 – «عْما بن عْما لِّي يْسوفْ لَغمامَ فَسْمَا وِيْرَطَّبْ حايْكو بَلْما» .

(جهول من لا يرتد عن فعل عمل دلت الدلائل على عدم نجاحه) .

2147 – «مولْ خُبْزَ سار، ومول نَسْ [نص] دْبالْ، ومول رْبَعْ بْحالْ لِّي تْعَرْفو مَزالْ».

(إذا صعب الزمان هلك المبذر، وضاق الأمر بصاحب الوسط، أما الفقير فهو على حاله) .

2165 – «كُلْسي تْزْرا [تَجْرا]، لكن بيع ذْهَبْ بَنَّقْرا خْسَرا"»، (الكل تجارة ولكن لا يباع الذهب بالفضة) .

(لا يجب أن يفرط الإنسان بالغالي ويقبل الرخيص) .

2534 – «إذا حَبَّكْ سَحار بَهْلالو أسْ عنْدَكْ فَنْزوم [فنجوم] إذا مالو» .

(إذا ساندك قوي بقوته فلا حاجة لك بمن غيره) .

2559 – «نبكي على لْعين [الِّي] تحتاز لْكحلْ وسَّعْدْ لِّي يَحْتاز لسْحر) .

(لا يؤرق الأم إلا ابنتها الأقل جمالا والأنحس سعدا)

(لا يقلق الإنسان إلاّ على من عدم وسائل الدعم) .

3078 – «وَخَّ يَكْبَرْ الفولْ كَدْ الكَرْكاعْ ما يَوْسَلْ [يوصل] شي لَرْحْبا دَزْرَعْ» .

(مهما كبر حجم الفول فلن يصل قيمة الجوز ليباع في سوق الحبوب)،

(يقال فيمن يدعي ما ليس له) .

3176 –«زْرَعْ لْغمَلْ لَعْمى كِيالو» .

(الزرع المنخور لا يكتاله إلا أعمى لا يرى)، (لكل ما يُسر له) .

2. أمثال لها علاقة بالدين الإسلامي لفظا

83، 1772 – «قَلَّتْ لَعْسَ [لَعْصَ] تَتْـرَد لْعَـبْـدْ مُـدَّنْ وَلْخـادَمْ عَكْزانْ) مع بعض التغيير».

(قلة الحزم تؤدي إلى تعدي الحدود أو التقاعس في الواجب) .

641، 2425 – «لِّي خلاَّ اسْمْ مليح وْلادو يْسَلّوْ [يصلو] بْلا تسبيحْ» .

(الذكر الحسن ينفع العقب) .

742، 2265، 3678 – «لِّي عنْدو حْمَرو يْحَزْ [يحج] عليه» .

(لكل وسيلة بها يتوصل إلى مراده) .

817، 1902 – «مَنْ دي [لِّي] سَمْتْ [صمت] أنا عمْلو هُما ازردا» .

(قال في من يعمل أمرا في وقت غير مناسب للآخر) .

1143، 2651 – «لِّي سام [صام] يعَوَّلْ عْلى نُّوعْ [اجُّوع] ولَعطش» .

(من عزم على أمر عليه أن تتخذ له العدة) .

1144، 1428 – «بْقَ سايْمْ [صايم] وفْطَرْ عْلى زْرَدا [جرادة]) مع بعض التغيير»

(يقال في من يختار الهين بعد التعب الكثير) .

1145، 1430 – «سايم [صايم] على خبْزَ» .

(تعب من أجل القليل) .

2894 – «انت عند راسك سْفينَ دَلحْزْ [دلحج] وُما انت غير قْفيَّزْ» .

(يقال في من يظن نفسه فوق ما هو عليه) .

3063 – «هو ضْعيف وُزاه [وجاه] رمضان» .

(يقال في من يأتيه أمر غير قادر عليه) .

3197 – «لِّي حز. [حج] على حمار يرزع [يرجع] على حمار» .

(أن يتخذ في النهايات ما اتخذ في البدايات) .

3. الأمثال اليهودية الخاصة أو التي لها اتصال باليهود

19 – «دارْ بسْوَس ولا دار بْلَخْنَس» (6) .

(البيت العامر بالرجال خير من البيت الكثير المال) .

32، 1062 – «وَلْدْنا وْلادْ بْيْد [بيض] قُلْتُ ولادْ ليهود، وْلَدْناهم كوحَلْ قلت وْلادْ لَعبيدْ» .

(رضى الناس غاية لا تدرك) .

61 – «لِّي ما تْزْبادْ مَنْ لُلادْ ما عليه كْبادْ» .

(عقب الإنسان هو أدعى إلى الحب والهم من أجله) .

97، 3479 – «طاحت تورا فَلْهدورا » (مع بعض التغيير) .

(كل ما قرأه [التلميذ] [في التوراة وهو في مجلس الدرس نسيه)

(يضرب للنسيان السريع).

123 – «حتى يخْلَقْ عَدْ يتْسَمَّ يسحق» .

(ليس من الضروري استباق الأحداث) .

124، 1058 – «حبلى مَنْ سِدي تْوَلْد لنا وَلْدْ إهودي» .

(قد يغفر للزلة ما يصحبها من منافع) .

149 – «عَكُّو [يعقوب] وْوَلْدو مْساوْ للسوق وْتْفَرْقو» .

(يضرب في شخصين لا يجمع بينهما جامع) .

182 – «أرْزال [ارجال] بودَلْزالْ [بودنجال] أُسْوَسِهِمْ دَلْبَلُّوط» .

(أجسام عظام دون فائدة)، (جسم البغال وأحلام العصافير).

221 – «لُكانْ مكان لْبَرْدْ دي ليلْتْ السبت وَلْقَنْطْ دي ليلت لْحَدْ ما يْتْزوَّزْ حَدْ».

(كثيرون لا يفعلون أمورا إلا من أجل أهداف أخرى) .

269 – «أس [أَشْ] تَسلاحْ][تصلاح] لُو زينَتْ لَخْيال إذا ما عنْدو مَزَّال» .

(ما ذا تفيد الجميلة لمن لا حظ له) .

354 – «سيفتو [صِفْتُ] فَلْبيتْ وْلا قنديل دَزِّيتْ» .

(لا يعوض الأرملة أي شيء عن زوجها) .

357 – «قَبْلْ لْعَرْسْ لْبوسْ وَتْعْنيقْ، مْعَ لِيَّامْ دْريبْ [ضريب] وتْحْنيقْ [ولَخْنيق]».

(متعة أيام الخطوبة شيء ومشاكل الزواج شيء آخر) .

378، 1052 – «لِهودي وَلْفار ما تْوَرِّ لِهُم باب دَّرْ» (مع بعض التغيير) .

(لا تفسح المجال لقليل العفة).

382 – «مْتاوْيَ بين لْبُو وْلُمْ بْرَخَهْ لَدأَّرْ وبْرخه لْوْلادْ».

(توافق الأب والأم بركة على البيت وبركة على الأولاد) .

625، 1261 – «كَبودْ حَخَمْ لبوشو، وكُبود لَحمار بَرْدَعْتو) (مع بعض التغيير).

(لكل لبوسه الذي يليق به) .

633 – «بَلْعَمْ وُشَلَمُه كل واحْدْ عْلى قَدْ اِسمو» .

(أقدار الناس تختلف) .

668، 2606 – «إذا بْقَتْ رَّاسْ ما تَعْدَمْ سَاسِيَ» .

(إذا سلم الأهم في الشيء فكأن شيءا لم يحدث).

673 – «لِّي طاف عَلْ لْكبود دي ما عندو، ما يسلح [يصلَحْ] لو لا دي بوهْ وَلا دي زدو» .

(الإنسان بما يفعل هو لا بما يتركه له أبوه وجده) .

689، 3596 – «رِبِّي مات وَدْراري رَزْعو [رجعو] مْسَلْمين» .

(توفي الحبر فأسلم التلاميذ) ، (يضرب للأمور تترك على هواها) .

691، 2614 ، 2784 ، 3167 ، 3647 – «إذا مْسَى موشي لْيَسْرِيلْ بْقَ لِهم رَبِّي» .

(إذا هاجر موسى لإسرائيل بقي لهم الله)

(يضرب لمن كان يعتمد على شيء ففقده).

722 – «لِّي يَتْسَنَّكْ إموت بلا شِمَعْ» .

(من ينتظر منك أن تتلفظ له الشهادة عند موته مات بدونها) ،

(يقال في شخص لايعتمد عليه) .

725، 1322 – «بوه علْى لْعين لِّي تَحْتاز [تحتاج] لْكحَل وَسَّعْدْ لي يحتاز] [يحتاج] لَسْحورْ».

(لا يقلق الإنسان إلا من عدم وسائل الدعم) .

810، 3424 – «إدا فْرَحْ لَعْدو تَطَبْطَل لْكِزْرَا».

(إذا توفرت أسباب إغناء العدو بطل السلب).

900 – «من خْدمْتْ لْغَنِيْ ومُن ازْلوس [اجلوس] اتَّاجر كايَعْمل لَفلوسْ».

(من تعب الفقير وراحته يجمع التاجر المال).

913 – «اعْط صدَّقا وَخَّ برقاقا» .

(تصدق ولو بما قل).

1053، 2224 – «إذا رْبَحْ ليهودي ما حْدرْ لو خاه» (مع بعض التغيير).

(إذا ربح يهودي في أمر ما فذاك لغياب أخيه اليهودي).

1054 – «ما كَيْبان فلْفَنْدَق غير حْمار ليهودي».

(يضرب في الشيء الذي يراد إبعاده لأقل الأسباب).

1055 – «فايْن مًّا مسى] [مشى] ليهودي معقول».

1056 – «إلى ليهودي عطاك بسُّوىًّ رَكْلو انْتَ قبل ما يرَكْلَكْ هو» .

(إذا عزم اليهودي على الفوز بك فافعل أنت قبله) .

1057 – «لا تتيق بليهودي إذا سْلم وَخَّا مْنورا ربعين عام».

(يقال لاتخاذ الحيطة والحذر).

1059، 2551 – «إمْتَ زاك رْبَحْ بايهودي ؟ ليلة اسبْت ياسيدي» .

(يقال للحصول على المراد إذا توفرت الأسباب) .

1060 – «قالُّو الله يَنْعَلْ بوكْ ياليهودي، قالو عوَّلت عليها ياسيدي» .

(يقال في أمر لم يأت من غريب) .

1061 – «راقد فْحال ليهودي شابَعْ شْخِينا» .

(قال في من يترك الحبل على الغارب).

1063 – «إذا ليهودي خرج من عيدو بوه على لّطاح فِيدو» .

1064 – «لّي حَبْ يسْلَم ما يخالط مَسْلِم» .

(قولة للتوقي والحذر) .

1065 – «فلوس ليهودي كا يَمْسوْ فَسْبوتْ ولْعياد، وفلوس نْصْراني فْلَعْناد وفلوس لمسلم فَلْحَ ز[الحج] وَزْهادْ و[جْهاد]».

1162 – «اسْرَب كاس وزيد كاس لعْقَل يِطير من الرّاس»[7] .

(كثرة السكر تذهب العقل) .

1169 – «الْقطرا أوّلْها رَسْقا [رشق] وَخّرها لَسْقا» .

(أول السكر لذة وآخره علة) .

1172 – «تْطير سْكْرَ وِزَوْ [وجو] لَمْدَيْنِيّ».

(بالخمر يحاول المديون نسيان دَيْنه والحقيقة عكس ذلك) ،

(النسيان لا يحل المشاكل)

1175 – «اسْراب ولْمال ما يدخلو غير فْراس لْعقّالْ ؟ !»

(الخمر والمال لا يفكر فيهما إلا من كان عاقلا ؟ !)

1201 – «ما اللّهْ سكران وُزاهي ولا مريد [مريض] وداهي» .

(من ينسى هموم الدنيا أفضل من يُعنيٍّ نفسه بها) .

1217 – «ما الله كاس دلخمر ولا دوا دلقمر» .

(الأمر المؤكد خير من الشك فيه) .

1253 – «اسْحال [اشحال] من سِيَّاب [شياب] قْرَوْ قديش على سباب [شباب] ».

1391 – «ما تْعْطَ اسبْتْ غير لَراحَ» .

(كل لما يُسِّرَ له) .

1487 – «كا يْسَكْتو الْحي [الِّحِي] وتْكَلْمو لَكواغطْ» .

(ما جاء في الكتاب (التوراة) يُسكت الأحبار) (المكتوب لا يُحاج) .

1588 – «فلوس [إيخا] وُ [مِي كَموخَ] ما فيهم بْرَخَه» .

(المال الذي يكسبه الفرد يوم 9 آب وعيد بوريم لا بركة فيه) .

1590 – «بيطون مكْري بْعامْ ما تْسَلاْ يقولْ حتى [قَديشْ]».

(بيطون يقضي سنته بدون عمل، ومع ذلك لم يجد وقتا للترحم على أبيه)

(يقال للإنسان الذي لا يعمل شيئا ومع ذلك هو دوماً مشغول) .

1616 – «هي تزَوَّقْ وجهها وَتْفَنَّقْ، وَنَا نخدم علِها وْنْتْسَنَّقْ» .

(يقال فيمن يترك الناس يخدمون أموره وهو لاه عن ذلك) .

1647 – «كَلْمَا فسباح [فَصباح] وُكلما فْلَعْسِيا [فلعشيا] لَمْسَلْما تَرْزَعْ [ترجع] إهوديا» .

(التكرار يثقب الحجر) .

1703 – «لِّي نْوَ هَمانْ لمْرْدْخايْ دارْ بِهْ» .

(من حفر بئرا وقع فيه) .

1774 – «تَلْميدْ حَخَمْ عَكْزانْ، واخا طاليتو تْقيلْ عْليهْ» .

(الطالب الكسول يثقل عليه جلبابه) .

1924 – «لِّي حْرَس فَعْمالو أوصَلْ لنس [لْنُص] مَزَّلو» .

(حرص الإنسان في عمله نصف ماله) .

1942 – «ما را داوِد عْلاشْ إعاودْ» .

(يقال فيمن يخبر بأمر لا علم له به) .

2039 – «إذا فات لْحَدّ وَتْنايْنْ وَزدو [وجدو] لْحِمَّسْ [الحمص] للشْخايْنْ» .

(يهيأ لطعام [اسْخينَ] الذي يؤكل يوم السبت ابتداء من الثلاثاء)،

(يقال في الاستعداد للأمر الهام) .

2049 – «ما يَنْفَعْسْ المال إلى طاحْ لْمَزَّال» .

(لا ينفع المال إذا لم يسعف الحظ) .

2110 – «لْعَنْيوتْ غَلْبَتْ أورَحْ حَيِّم» .

(الفقر يخرج عن الطبع)، (كاد الفقر أن يكون كفرا).

2111 – «لْعَنْيوتْ زَمْدا [جمدا]» .

(الفقر المدقع) .

2115 – «لِّي تْكَلْ عْلى مالو طاحْ لو مزالو» .

(من اعتمد ماله وحده ضيع حظه) .

2126، 2403 – «مالَّهْ لْموت وَلا لْعَنْيوتْ» .

(الموت خير من حياة الذل) .

2127– «لْعَنْيوتْ مَرْدْ [مرض] بلا دوا» .

(الفقر لا دواء له) .

2150 – «دكْرو انَّاسْ خيلهم وعكُّو [يعقوب] دْكَرْ حْمَرو».

(يقال فيمن يفتخر بما عنده على حقارته) .

2350 – «ما بْقَ لا عَكُّو [يعقوب] ولا سريكو [شريكو]» .

(يقال في الأمر إذا انفض قبل بدئه) .

2429 – «مات رَبِّي طرْفونْ وتْقَضَوْ لَمْخَدْ دْ لحْرير» .

(يقال في أمر كان متبعا ثم توقف بفقد من كان يحرس على فعله).

2501 – «كُلْ شي مْعَ لْمَزَّال، واشْ يَقْدي لهوال» .

(إذا ضحك الحظ فلا خوف من عبوس الزمان) .

2502 – «لِّي مَزَّالو كبير ما يَتَّحْدازْ [يحتاج] تدبير» .

(صاحب الحظ لا يقضي في أمره) .

2505 – «بْنادَمْ وَفْعايْلو فْيَدْ مزالو» .

(الناس أبناء حظوظهم) .

2512 – «لِّي مَزَّالو مكسور سايْنْ [أي شيء] ما عْمل مخسور».

(من خانه الحظ فليغلق عليه الأبواب)

2515 – «لِّي مَزَّالو طايْحْ كل سي عندو رايح» ،(نفس المعنى أعلاه) .

2520 – «لاينْ ما عبَّاوني رزلي [رجلي] تمَّ مزالي».

(الإنسان يتبع حظه) .

2523 – «موت اصحاب من تَعْوازْ [تعواج] لْمزال» .

(فقد الأحباب نزول السعد) .

2546، 2666 – «لِّي بدل محالو بدل مَزَّالو» .

(تغيير الأماكن تغيير السعود) .

2561 – «أسْ تَقْدِ [تقض] رْزْلَ [رْجْلَ] إلى ما يْعَونْهاسْ لْمزال» .

(الشجاعة بدون حظوظ ضعف) .

2578 – «طْلوعْ لمزال بْلْمْهَلْ ولَهْبوطْ بْلَخْلوطْ» .

(يترقى الإنسان على مهل وينزل فجأة) .

2612 – «لِّي مْسى لو مَزَّالو ربِّي بْقَ لو» .

2613– «لِّي طاح لو مَزَّالو ربِّي بْقَ لو» .

(إذا غاب السعد بقي رب العبد) .

2694 – «لِّي مات فَسَّبْتْ ما يتْسَنَّ لْحَدْ» .

(يقال في أمر يراد قضاؤه في حينه) .

2814، 2861 – «طاليتو فْيَدُّ وسكين تحت إيبْطو» ، (مع بعض التغيير).

(وشاح الصلاة في يده والموسى تحت إبطه)

(يقال في الشخص يتظاهر بالتقوى وهو غير ذلك) .

2847 – «ليهودي مْعَمَّرْ بْتَحْرَمِيَّتْ» .

(اليهودي كله حِيَّل) .

2850 – «حمار لْحَخَمْ حْلال يطْلَعْ مَنْ لْبيرْ نْهارْ سَبْتْ» .

(يقال على الشيء يستثنى من العادة) .

2869، 3114 – «طويل أُخاوي فْحال درب ليهود» .

(يقال في الشيء يظن فيه نفع كثير وهو عكس ذلك) .

2875 – «قَدُّو قَدْ يود وُحَسُّو حسْ لْقنفودْ» .

(يقال في الشيء لا يدل حجمه على قوته الحقيقية) .

3113 – «طولُ طولْ لْكَلوتْ» .

(يقال في الأمر لا ينتهي) .

3142 – «يُوهْ بْزْرى [بجْرى] يُوهْ بْلْعَسْرا» .

(الإسهال مضر والقبض مضر) (أمران أحلاهما مر) .

3180 – «ماسي كُلْ مَنْ لْبسْ لْكَنْدورْ يِكونْ شْلَيَّحْ تْصِبُّورْ» .

(ليس كل من يرتدي لباس الحبر [لْحَزَّان] هو حبر)

(احذر ممن يدعي ماليس هو حقا) .

3234 – «نص أُقِيَّ دَ زِّيتْ عْلَ سبع دَ صلوات» .

(يقال في الشيء القليل الذي يراد به إفادة الكثير) .

3336 – «ما تبيع رْقيقْ [رْقاقْ] لَلِّ تَيْبيعْ دقيقْ» .

(لا تقدم الشيء لمن لا يحتاجه) .

3366 – «نْفَقْتِ لَسَبّْتْ [وُ] ما خسك [خصَّكْ] غير نْعْنَعْ» .

(يقال في الذي لا يملك الضروري ويبحث عن الكمالي) .

3378 – «لبلاد ما فيها ناسْ أَسْ نْعَمْلو يَلْبَرْنَسْ» .

(غير المفيد لا ضرورة له) .

3422 – «مسا [مشى] بِّسَحْ بصح] مَلُّورْ وُخَلاَّ مَنْ أوراهْ لَمْرورْ» .

(انتهت أخيرا أعياد الفصح وتركت خلفها المرارة) .

3459 – «لِّي ما قْرا فسغرو [فْصُغْرو] يُوه عليه فْكُبْرو» .

(من لم يتعلم صغيرا لم يتعلم كبيرا)

3576 – «رَّاسْ ما تَلْبَسْ زوزْ [زوج] د ساسيات» .

(يقال في من يشغل نفسه بأمرين في وقت واحد).

3664 – «لْعَنْيُوتْ مافيها حْسُوما [حشوما]» .

(الفقر غير مخجل) .

4. أقوال سائـرة

أورد المدون في هذا القسم خمسا وسبعين قولة سماها «أقوال العامّة» ونورد نحن منها ما له صبغة يهودية، وهي :

1 – «دمياتو دميات زكريا» .

11 – «كايْبان مَن سُكوتْ لْمَخوت» .

22 – «ما تْعْطَ سَّبْتْ غير لَرَّاحَ» .

26 – «اشْخِينَا هي اشخينا» .

39 – «فْحالْ لِّي سلَمْ أُغَلْبو رمضان» .

45 – «بِّساحْ [بصاح] هو لله حتى لْليلْتو» .

53 – «دَخْلَتْ لو ادبَّانَ فْراسو» .

54 – «تْصَارْتو تصارت أيُّوب» .

2 – «صوم لو وُصَلِّي لو وَعْطِ لو مُزونَ روْشْ حُدِشْ» .

66 – «طويل أُخاوي فْحال درب ليهود» .

70 – «ما تْعَبيسْ عليه» .

1 7– «لِأفيل ونَعِّي؟» .

72 – «تَسْعَ بْأَبْ ونس [وُنَصْ]) .

73 – «نْكونْ كْفارَ عليك»

74 – «اطْويلْ فْحال لْكلوت» .

تعاليق وشروح للألفاظ العبرية والغريبة الواردة في الأمثال التي لها صبغة يهودية

19 – «السواسي» = [الشواشي] أي القبعات ولخناس = [لخناش] أي الأكياس، والمقصود وجود الأولاد، ومن العادة أن يرتدوا القبعات ، أفضل من وجود أكياس الزرع في البيت.

61 – ما تزباد = ماتجباد أي من لم يولد، أي أن الأحفاد هم مبعث الحب الكبير.

97، 3479 – (الهدورا) جلد الخرفان، وجرت العادة بأن يصنع منه فراش الصلاة أو الفقيه، ويستعمل فرشا عاديا في المغرب.

124، 1058 – يغفر للخادم اليهودية التي زنت مع مخدومها المسلم لأنها أضافت فرداً في اليهود باعتبار أن النسب اليهودي يعود إلى الأم.

149 – يختصر يهود المغرب اسم يعقوب فيصير [عَكُّو] .

182 – يَعْقِد المثلُ هنا مقارنةً بين الباذنجان والبلوط حجما، فبقدر ما كانت الباذنجانة كبيرة بقدر ما كانت البلوطة صغيرة، والتشبيه هنا يتمثل في باذنجانة كبيرة برأس بلوطة.

221 – لأن اليهود لا يغادرون بيوتهم يوم السبت، ولأن خروج السبت بأفراحه يترك بعض الأسى في النفوس، فإن اليهودي لا يريد أن يبقى وحده في بيته أو ينفرد بأساه فيتزوج هروبا من هذه الحال . و[لقنط] بالدارجة المغربية هو الشعور بالوحدة.

269– (المزال كلمة عبرية تعني الحظ وتعني البرج، فلك) ، ومنه منازل النجوم في العربية، بإدغام النون في الميم. وكثيرا ما يدعو يهود المغرب به : «الله يطيح لباباه المزال» أي أنزل الله سعده. وقد تكرر هذا اللفظ في كثير من الأمثال كما سنرى.

354 – (لا يعوض الأرملة أي شيء عن زوجها) (وجود الزوج في البيت خير من ضوء القنديل الذي يشعله اليهود حدادا على المتوفى) .

382 – لفظ [برخة] في العبرية هو نفس اللفظ في العربية بتشديد نطق الكاف : بركة.

625، 1261 – يعني لفظ [كبود] العبري : الشرف والنبل، أو الشيء الذي له وزن، ومنه جاء في العربية : تكبد المشاق ، أي تحمل ثقلها. وانظر اللفظ أيضاً في المثل رقم 673.

633 – «بلعم» اسم علم وهو شخص ظهر في آخر رحلة موسى نحو فلسطين. كان له قدره في قومه ولم يكن إسرائيليا، ومع ذلك آمن بإله بني إسرائيل

طمعا، وشجعهم على عبادة الأوثان، فلقي لذلك أسوأ جزاء. وشلمه هو هنا سليمان الملك [النبي] . والمقارنة هنا بين رجل عظيم وآخر تافه .

691، 2614 ، 2784 ، 3167 ، 3647 – يبين هذا المثل إلى أي حد كانت هجرة اليهودي المغربي إلى إسرائيل تترك أثرها في أهله وأقربائه.

722 – «[شمَعْ] الكلمة الأولى من شهادة اليهود التي هي: [شمَعْ] إسرائيل إلُهِنو إحَدْ» (إسمع يا إسرائيل (يعقوب) إن ربنا واحد) .

725، 1322 – [بوه] لفظ شائع عند يهود المغرب، ويعني : واحسرتاه، ولا يستعملونه إلا هم، لذلك أدرجناه في الأمثال اليهودية . وتكرر في أمثال أخرى ستأتي.

810، 3424 – [كِزْرَا] لفظ عبري يعني القضاء المحتوم الذي يتعرض له الشخص، وبما أن اليهود كانوا في بعض الفتن– وكذلك مساكنيهم المسلمين– يتعرضون للأذى، فإن أسباب إطفاء الغضب كانت توفر الأمن والاطمئنان.

900 – [عَنيْ] لفظ عبري يعني الفقير، ومنه في اللغة العربية المعاناة. وتردد اللفظ في أمثال أخرى ستأتي.

913 – [رقاق] لفظ يهودي مغربي [ارْقاقْ] ويعني الخبز الفطير غير المملح الذي يأكل في عيد الفصح .

1056 – [بسُّوَّى] لفظ دارج أصله فصيح، ويعني في الدارجة : دُبُر الإنسان، ولعله من القرآن (بدت لهما سوءاتهما) ، (الأعراف 21 وطه 117) .

1059، 2551 – " ليلة اسبْت "، ذاك أن ليلة السبت هي ليلة رواج تجاري يصرف فيه اليهود كثيرا.

1061 – [شْخينا] وجبة أساسها اللحم والحمص، كان يهود المغرب يعدونها لتكون طعام السبت، ولعلها وجبة ترتبط بنوع من التصوف – ويهود المغرب كانوا من كبار «القباليين» التصوف المرتبط بالباطنية ،

وخصوصا في الجنوب وتخوم الصحراء – لأن اللفظ [شَخِينَة] العبري يعني الله والروح القدس، ومنه السكينة في اللغة العربية.

1063 – لأن اليهود يصرفون كثيرا في الأعياد فهم دوما في حاجة بعد ذلك إلى أموال.

1169 – [رَسْقـا] من [الرشوق] في الدارجة، وتعني الفرح والسرور، ولعله من المعنى العربي الذي يعني الخفة، ومن الخفة فقد العقل .

1253 – [قديش] لفظ عبري يعني لغة [التقديس]، وفي الاصطلاح تلاوة وصلوات تقرأ ترحما على الميت .

1588 – 9 آب يوم صيام وحزن تذكارا لتحطيم الهيكل الأول على يد نبوخذ نصر، والهيكل الثاني على يد تيتوس الروماني. وجرت العادة بأن تقرأ فيه مجلة "إيخا" من التوراة . كما جرت العادة بأن تقرأ قصيدة "مِي كَموخَ" لشاعر اليهود الأندلسي يهودا اللاوي، يوم السبت السابق لعيد "بوريم". ويقع "بوريم" في اليوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار، وهو عيد انقلب فيه حزن اليهود إلى فرح بعد أن اكتشف الملك الفارسي زوج إستير اليهودية، مكيدة هامان فقتله بدل مردخاي عم إستير، وكان هامان يريد قتله وقتل كل اليهود معه، كما تحكي الأسطورة .

1616 – [وَتْفَنَّقْ] لفظ عبري يعني تدلل، ويعني لفظ "فنق" العربي التنعُّمَ والتأنق. ويعني لفظ "الفنْك" العجب، ومن هذه المعاني "تْفنيك" بجيم قاهرية في الدارجة المغربية .

1703 – انظر تعليق المثل رقم 1588 .

1774 – [تَلْميدْ حَخَمْ] تعبير عبري ويعني طالب العلم، و"طاليت" هو الوشاح الذي يرتديه اليهود عند الصلاة .

2039 – انظر تعليق المثل رقم 1061.

2110 – انظر في لفظ "لعنيوت" تعليق المثل رقم 900، ويعني تعبير "أورَحْ حَيِّيم" الشرع والعرف والعادة .

2429 – كان اليهود المغاربة يتكئون وسائد من حرير ليلة تلاوة نصوص الفصح، في عيد الفصح والربي طرفون شخصية تذكر في هذه النصوص، لذلك ربطوا عادة الاتكاء على وسائد الحرير بشخصه، أي بعد الفصح لا وسائد حرير.

2814، 2861 – انظر تعليق المثل رقم 2429.

2850 – لو وقع حمار إنسان عاد يوم السبت لتركه، لأن اليهود لا يعملون في هذا اليوم، ومع ذلك كان الأمر غير ذلك لما حدث ما حدث لحمار الحاخام أي الحبر الحزان.

2875 – اليود" هو الحرف العاشر في الأبجدية العبرية، وهو أصغرها حجما، وهذا شكله "י" . ويضرب به المثل في صغر الحجم.

3113 – يعتبر اليهود وجودهم خارج فلسطين "جلاء" = "گْلُوت"، لا بد من انقضائه، لذلك شبهوا كل أمر طال زمانه به، والمثل قديم كما يدل عليه السياق.

3142 – انظر تعليق المثل رقم 725.

3180 – [شَلِيَّحْ تْصِبُّورْ] تعبير عبري يعني حرفيا : مرسول الجماعة، ومعناه خادم الجماعة، من يخدم الصالح العام. وكانت هذه وظيفة تسند على العموم لبعض الأحبار.

3234 – كان القائمون على الأمورالدينية في الطوائف يخصصون مقدارا معلوما من الزيت لإضاءة الْبِيَّع ودور العبادة، ولفظ "اصْلا" يطلق على الصلاة وعلى البيعة أيضا. ومن هنا صيغ المثل.

3336 – [رقاق] خبز رقيق جدا بدون ملح يقدم بالخصوص أيام الفصح.

3378 – لفظ عبري פרנס : المعيل ،القائد، المدبر، المقتصد، الزعيم.

3422 – جرت العادة بأن يصرف يهود المغرب كثيرا في أعياد الفصح، لذلك يستدينون الكثير من أجله، وبعده يعانون مرارة الدَّيْن.

4. أقوال سائـرة

1 – زكرياء بن يهوياداع ، جاء ذكره في سفر أخبارالأيام الثواني، الإصحاح 24 آ 20–24. كان أبوه مستشارا للملك اليهودي يوآش، غير أن هذا الأخير فسد وأفسد معه بني إسرائيل، فأراد زكرياء المذكور نصحه ونصح قومه فكادوا له حتى رجم فذهب دمه هدرا. وجاء في حكايات التلمود أن يوآش الملك أراد أن يدخل الأصنام إلى الهيكل فوقف زكرياء في وجهه فأمر بقتله. وهذا ما يشير إليه هذا المأثور .

11 – «سُكوتْ» لفظ عبري يعني المظلة، ويعني عيدا خاصا. وهذا العيد يذكر بخروج بني إسرائيل من مصر وإقامتهم في الخيام. ويحتفل به أيضا علامة على جمع ثمار الحقول. ويقع في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع في التقويم العبري.

[لْمَخوت] [مَخَّه] لفظ عبري يعني ضربة، وجمعها [مخوت]. ولعل القول يقال في الشخص لا يظهر إلا بالمناسبة، أي إما في الأفراح أو الأحزان.

26 – انظر شرح [اشخينا] في المثل رقم 1061.

53 – يحكى أن نمرود، وهو الذي رام حرق إبراهيم الخليل، نفذت ذبابة إلى أذنه وصعدت رأسه وقاسى منها ما لا يطاق حتى توفي، ولعل هذا القول يذكر بذلك. والمقصود المرء يُعَنَّى بشيء عظيم ؟

54 – [تْصَاره]، لفظ عبري يعني المعاناة والشدة، والمقصود هنا البلايا التي أصيب بها أيوب النبي . ويقال في من أصيب بأمر جلل.

62 – [مُزونَ] جزء صغير من عملة مغربية، ويرمز به أيضا لما قلّ من الأشياء . و"رؤشْ حُدشْ" : [رؤشْ] أول و[حُدِشْ] الشهر= أول الشهر. ويقال في مز يعتمد في كل أموره على الناس .

70 – [تْعَـبي] من [عَـبًّى] لفظ يهـودي دارج يعني أخـذ . والمـراد [لا تـأخـذ في خاطرك].

71 – لم أفهمه .

72 – انظر التعليق على المثل رقم 1588. وربما يقال في الشيء يراد تأكيده.

72 – انظر تعليق 3113.

الهوامش

1- **אוצר הפתגמים של יהודי מרוקו, חנניה דהן, הוצאת סתוית, תל-אביב, כרך א 1983, כרך ב 1987** (كنز أمـثـال يهـود المـغـرب، حننيـه دهـان، مطبـعـة سـتـويت، تـل أبيب، ج 1، 1983، ج 2، 1987).

2) تغـير [الشـين] في نطق يهـود المـغـرب [سـينا] اللهـم إلا إذا كانت في لفظ عـبري أصـيل فعندها ينطقونها [شينا] ولم ينتبه حننيه لهذا.

3) لم ينتبه حننيه إلى التـغـيير الطارئ على نطق "ص" عند يهـود المـغرب، فـهم ينطقونه "س"، وقد أورد هو الأمثال على هذا النطق .

4-**דר' יששכר בן עמי, אלף ואחד פתגמים יהודיים ממרוקו (בתוך מחקרי המרכסז לפלקלור" כרך א',הוצאת י. מאגנס, האוניברסיטה העברית, ירושלים, תש"ל)** يسـخـر بن عمي، ألف مثل ومثل من أمثال يهود المغرب، ضـمن أبحاث إثنية - ثقافية ، ج ، 1، ط. ماكنس، الجامعـة العبرية، القدس، 1970) .

5) نورد الأمثال تبعا للترتيب الذي أورده المدون.

6) انظر التعاليق على هذه الأمثال أو شرح غريبها أو مناسبتها في الفقرة الموالية.

7) أوردنا الأمـثـال التي جـاء فيـهـا الخـمـر والشـراب في أمثـال اليهـود لأن عـامـة المسلمـين المغاربة لم تكن لهم رابطة بالسكر، ومن كانت له لم يكن قادرا على البوح بها فضلا أن يُصيِّرها مثلا .

الأمثال المغربية امتداد للأمثال الأندلسية
وقفةٌ مع ألونْصُو دَالْ كَسْتِيلْيو

الحسين بوزينب

ألنصو دال كستيليو [1]، صاحب مجموع أمثال عنونها ب «أمثال قطّان الأندلوس العامية من اللسان المعجم»، من الشخصيات الموركسية البارزة التي كان لها حضور متميز في عدة جوانب من الحياة الثقافية والسياسية الرسمية والكنسية في الفترة التي بلغت فيها أزمة الغرناطيين ذروتها حيث سيثورون في جبال البشرات من سنة 1568 إلى 1570.

ولد ألنصو دال كستيليو ما بين 1520 و 1530 ومات في السنوات القليلة التي سبقت طرد الموركسيين من إسبانيا. من أصل موركسي، اعتنق الديانة المسيحية. ويبدو أنه كان صادق الإيمان بهذه العقيدة. حصل على الإجازة في الطب من جامعة غرناطة وكان طبيبا ناجحا بشهادة العديد من المرضى الذين تلقوا العلاج على يده. بجانب الطب، اشتغل بالترجمة في البداية مع مجلس غرناطة ثم مع محاكم التفتيش Inquisición وفي الأخير تحت أوامر فليب الثاني. وكانت له معرفة لا بأس بها باللغتين اللاتينية والإغريقية. وإسبانيته التي كانت جيدة، لم تكن تخلو من تأثير لغته العربية التي لم تكن بدورها تبتعد دائما عن العامية الغرناطية. ومع ذلك فنبرته الإسبانية كانت تختلف عن النبرة الخاصة بالموركسيين عند تكلمهم اللغة الإسبانية وذلك بفضل الوسط الذي كان يتحرك فيه.

وقد ابتدأ ألنصو دال كستيليو مساره بالاشتغال في نقل الوثائق المتعلقة بثورة الغرناطيين في البشرات وإخمادها، كما صنف أولى الكتب العربية الملحقة

بخزانة الإسكوريال. ثم بعد ذلك اشتغل في بلاط فليب الثاني لترجمة الرسائل المتبادلة مع السلطان السعدي أبو العباس أحمد المنصور. كما نقل وترجم إلى الإسبانية الكتابة المنقوشة على جدران قصر الحمراء في غرناطة. واشتغل كذلك على وثائق صومعة توربيانا [2] المكتوبة على الرق وعلى الكتب الرصاصية [3] التي وجدت في الجبل المقدس القريب من غرناطة.

ونظرا إلى عمله المذكور في ميدان الترجمة فإنه اكتسب اطلاعا تاريخيا لا بأس به خصوصا فيما يرجع إلى الدولة السعدية المغربية وإلى الإمبراطورية التركية وكذا إلى علاقات إسبانيا والبرتغال مع شمال افريقيا. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن من أهم الغرناطيين الذين كانت تربطه بهم علاقة صداقة كبرى الراهب ديغو مرين Diego Marin ربما ذو الأصل الموريسكي [4]، الذي لعب دورا هاما في العلاقات المغربية الإسبانية بعمله سفيرا لفليب الثاني لدى أحمد المنصور وباعتماد هذا الأخير اعتمادا كبيرا عليه في الاتصال بالملك الإسباني[5]، ولويس دال مارمل كربخال Luis del Marmol Carvajal صاحب "وصف أفريقيا وتاريخ ثورة الموريسكيين وعقابهم في مملكة غرناطة" [6].

عندما نحاول دراسة شخصية ألنصو دال كستيليو نصطدم بازدواجية محيرة فيها، خصوصا فيما يرجع إلى انتمائه العرقي ووقوفه إلى جانب مطالب بني قومه من الموريسكيين الذين ثاروا في جبال غرناطة من أجل انتزاع حقوق ثقافية وسياسية أراد خصومهم سلبها منهم : فهو يظهر من جانب، بما لا يدع أي شك، ولاءه للمؤسسات القائمة التي كانت تتطلع إلى تذويب الشخصية الموريسكية الإسبانية في النسق العام الذي كان يتوخاه النظام الغالب، ومن جهة ثانية كان لا يستطيع الانسلاخ عمن ينتمي إليهم عرقيا. فيقول في رسالة بعثها إلى ثائر غرناطي في الجبال : «والآن قوموا بذلك العمل الصالح وتعالوا مع حامل هذه الرسالة، إن ارتأيتم ذلك، فإنني سأرسل إليكم ضمانة كافية من قبل صاحب المعالي، باسم صاحب الجلالة، كي يأتي كل من أراد منكم في أمان إلى هذا الميدان، حتى لا يتهمني السفلة بأنني أخدعهم. وإنني متيقن من أنكم ستثقون بي في هذا الأمر. فلست ممن لهم وجهين ولم أكن أبدا كذلك ولا أميل لهذا» [7].

بالرغم من هذا الموقف الذي يبدي فيه مساندة عاطفية لبني سلالته، فإن ألنصو دال كستيليو يحاول أن يبين للموريسكيين الثائرين أن الحكام المسلمين كانوا دائما على بينة من ضعفهم أمام النصارى الأقوياء ولا أدل على ذلك – حسب كلامه – من اعترافهم بالقوة الهائلة التي كانت عند النصارى وضعفهم أمامهم لمّا اتخذوا شعار «لا غالب إلاّ الله». والمسلمون بدل أن يهيئوا وسائل الدفاع عن أنفسهم، اشتغلوا ببناء القصور وغرس البساتين وتزيين البرك والنافورات.

إذا قدمت بهذا الشكل المطول نسبيا لألنصو دال كستيليو وأنا لا أريد في الحقيقة أن أتكلم إلاّ عن جانب قد يكون هامشيا في اهتماماته، فلأن شخصيته متعددة الجوانب لا يمكن أن تفهم إذا لم تستوف ما تستحقه من التعريف.

قلت إن هذا المجال الذي سأتطرق إليه لا يُكون سوى قسماً هامشياً من اهتمامات ألنصو دال كستيليو لأن مركز اهتمامه هو الطب والترجمة، وربما طغت الثانية على الأولى. أما مسألة جمع الأمثال فلعلها هواية أو عمل قد ارتبط عنده بالترجمة بنفس الطريقة التي ارتبط بها جمع الحكم والمواعظ أو مراجعة موجز بعض الكلمات العربية التي دخلت اللغة القشتالية لـ Francisco López Tamarid أي أن هذه جوانب كانت بمثابة مواد مكملة في عملية الترجمة مثلها مثل القواميس والمعاجم.

أما أهمية هذه المجموعة من الأمثال الأندلسية التي كان لي شرف دراستها ونشرها بجانب أستاذي العالم فدريكو كورينتي [8] فتكمن بالخصوص في كونها من المجموعات [9] القلائل التي جمعت الأمثال باللغة الأندلسية العامية. وهي أحدثها تاريخا لأن صاحبها كما رأينا سابقا عاش في القرن السادس عشر وبداية السابع عشر، أي في فترة نحن في حاجة كبرى إلى معرفة حالة اللغة العربية فيها بشقيها الفصيح والعامي، خصوصا بعد إجراءات المنع التي تعرضت لها اللغة العربية في نهاية القرن السادس عشر [10]، زيادة على المعلومات الاجتماعية التي تزودنا بها، باعتبار الأمثال مخزنا مهما للفكر وللتصرف المجتمعيين. ثم إن لغتها لغة تفيدنا بمعلومات مهمة لدراسة لغتنا

المغربية العامية والتطوانية خاصة، نظرا لانحدار جزء من أهل تطوان من غرناطة(11). لذلك سينصب اهتمامنا على تحليل لغة هذه الأمثال وعلى إبراز أوجه تشابهها مع لغتنا. أود أن أضيف هنا أن هذه الأمثال قد تكون ترجمة أو مقابلات لأمثال إسبانية خصوصا وأن العنوان يوحي بهذا.

إن أول تساؤل يُطرح عند الإقدام على دراسة نص باللغة العامية يجب أن يتوجه إلى النسق التمثيلي الذي استعمل لتثبيت لغته، خصوصا وأننا لا نعرف تطويرا خاصا لأنساق تمثيلية من قبل اللغات الأندلسية العربية العامية وغيرها من اللغات العربية العامية. إن هذه اللغات قد استعملت نسق اللغة العربية الفصحى في كتابتها، مع أن لكلا الجانبين بنية صوتية خاصة تختلف في أوجه عديدة. وربما كانت الأعجمية الموركسية في الأندلس هي اللغة العامية الوحيدة التي طورت نسقا منتظما وقارا لتمثيلها انطلاقا من الحروف العربية، نسقا يفوق في الدقة والانتظام مقابله اللاتيني. (ولكن الأعجمية لغة مزدوجة يغلب فيها الجانب الإسباني إلى حد كبير على الجانب العربي). لهذا سنلاحظ أن أشكالا خطية فصيحة ستستعمل في العامية بغير القيمة التي كانت لها سابقا، ويجب اعتبار هذا الاستعمال الجديد بمثابة أثر خطي صرف يذكر باستعمال قديم فحسب، مثل ذلك مثل بعض الحروف التي يحتفظ بها في بعض تمثيلات اللغات اللاتينية كالحرف (h) في اللغة الإسبانية واللغة الفرنسية، هذا الحرف قد آل إلى الدرجة الصفر ومع ذلك مازال يحتل المكان الذي كان يحتله الصوت المندثر الذي كان يمثله قديما.

فإذا اعتبرنا ما عرضناه سابقا، سنتساءل لا محالة عن القيمة التي يجب إسنادها للحرف (لا) في المثل : «لَعقْ المسَانْ فالارضْ الامَنْ ما لو ثَمَنْ : 244، خصوصا وأننا نسجل غياب الاستطالة في الكلمتين المشتقتين من : في والأمان. إنني أعتبر (لا) في الكلمتين المذكورتين تساوي لاماً دون ألف، وقد استُعملت هنا كأثر خطي لا غير. تدبَّروا معي كيف كتبت الكلمات الآتية : الامرَاة (= المَرأة) : 431، الادِيْ (= اليدين) : 186، بَلاَعْ (= بَلَعَ) : 1282، إن هذه الظاهرة التي طالت (لا) قد عثرنا عليها في الأعجمية الموركسية (12).

فنظرا لهذا الوضع الذي كانت عليه اللغة العامية، فإننا في الحالة التي نحن بصدد دراستها سنلاحظ ارتباكا في تمثيل أصوات هذه اللغة، الأمر الذي يضيف صعوبة إلى استنتاج الرصيد الصوتي للرموز الخطية المستعملة، خصوصا إذا لم نتخلص من الضغط الذي قد يمارسه علينا التمثيل الفصيح.

فإذا سلمنا بأن بنية الصوائت قد تغيرت في اللغة العامية بالمقارنة مع ما كانت عليه في اللغة الفصحى، خصوصا في ما يعود إلى كمها، فسنكون مجبرين على اعتبار الرموز المستعملة في النص العامي لا تعكس حقيقة وضعية هذه الصوائت، أو نسبية هذه الحقيقة، خصوصا عندما نجد تعددا في تمثيل الصيغة الصوتية الواحدة وعدم التناسب بين أشكال التمثيل في الفصحى والعامية وكذا استعمال الاستطالة في غير محلها... وسنحاول إدراج بعض الأمثلة ليتبين لنا ما نريد توضيحه في هذا المجال :

كم الصوائت

ضياع استطالة الفصحى :

فألبب (= في الباب) : 428، الحظيرْ (= الحاضر) : 13، مَابتَكْ (= مبيتك) : 67، الغَابِنَة (= الغبينة) : 168، الغَابِنَا (= الغبينة) : 168، ضميِنُ (= ضامن) : 95، زُججْ (= زجاج) : 297، يدُرْ (=يدور) :341، قابحَه (= قبيحة) : 483، صنَاكْ (=صانك) : 15 [وفي نفس المثل نجد خَانَكْ تحتفظ على الاستطال الفصيح]، عَقيل (= عاقل) : 47، لأَوْلَدُ (=لأولاده) : 26، العَدوَهْ (= العداوة) : 580، صَحْب (=صَاحب) : 657، الرافِقْ (= الرفيق) : 320، ثَلاثة فالارض لا يُرَادُ (= لا يرادوا):108.

– استطالة جديدة غير موجودة في الفصحى :

طَوعَمْ (= طعم بمعنى طعام) : 16، مور (= مرّ) : 43، لمرا (= المرأة) : 14، ماع (= معه) : 67 – 68، مصوبا (= مصوبة) : 121، معوجا (= معوجّة) : 121، احموق (= أحمق) : 191، ينحورك (ينحرك)، الغابنة (= الغبينة) : 168، البداوي (= البدويّ) : 120، ينفور (= ينفر) : 241 – 449، لقما (= لقمة) : 375،

دججا (= دجاجة) : 375، الطايبا (= الطيبة) : 375، العاشي (= العشاء) : 375، فولين (= فلان) : 463، الحظير (= الحاضر) : 13، صناك (= صانك) : 15، مابتك (= مبيتك) : 67، ضمين (= ضامن) : 95، بغمزا (= بغمزة): 207، قابحة (قبيحة) : 483، البقارة (البقرة) : 476، ياخود (يأخذ) : 478، لو (= له) : 244، المُدوَّنْ (المدن) : 326، لِلوَرَاقْ (للورق) : 270، يَعْطُوسْ (يعطس) : 268، يُقَالّو (يقال له) : 268 [يُقلَّ في نفس المثل والسطر]، موجالس (مُجالس) : 582 [وقبلها في نفس المثل والسطر مُجَالسْ]، رَاجل (=رجل) : 605، يقْرى (= يقرأ) : 668، المَايت (= الميّت) : 641، أحْوَال (= أحول) : 653، جيهة (= جهة) : 654، المخزان (= المخزن أي الحكام): 654، المُدُونْ (= المدن) : 326، فُولين (= فلان) : 463، مَنْ ايمَانَكْ (= من أيمنك) : 324، سكِيتْ (= سكت) : 192، نَنْكرموا (نُكرم) : 1130 [نلاحظ هنا إضافة ألف الجماعة بعد الواو]، رَابعَه (ربيعة) : 1440.

ونجد أحيانا أن هذه الاستطالة الجديدة تأتي تعويضا لهاء السكت (ة) : الخَتَانَا تُعْبنَا فالعتابَا عُقْدَ حَسَانَا وَ لَوْ كينتْ مَنْ سَنَا : 430، نَوَّلاَ : 442، نَطْرَا : 450، سكْرَانَا : 581، الدَّفَا : 581، عزًّا : 599، مَعزّا : 599، الغَابنَا : 168، الاسَنا : 126، المَرَا المُطيعا : 109، فُصْحَا : 433، صُحْبَا : 433، عَدَوَا : 433... الخ.

– تعدد أشكال التمثيل للكلمة الواحدة :

الغابنا (= الغبينة) : 168 / الغابنه : 202.

مُسَيْكَنْ (= مسكيين) : 24/ مُسَيْكَانْ : 24 (في نفس المثل)

لو (= له) : 244 / لُ : 257

يُقلَّ (= يقال له) : 268 / يُقلّو : (في نفس المثل)

مَعزّا : 599 / المَعيِزَه : 261

اصحَار (= أسحار) : 1203 / الأسْحَارْ : 104

جنة (جنّة) : 1605 / جنّت : 1190

قوقو (= cuco) : 1137 / قُوقْ : 1138، 1139

يَصْمَحْلُ (= يُسمع له) : 1299 / يصمع لو : 1601

صداف (= صُدف) : 1177 / سداف : 1302

السكوة (= السكوت) : 1231 / سكوت : 1617

سخينة (= ساخنة، متأججة جنسياً) : 1045 / صخينة (=سخينة، طعام يهودي) : 1408

- تعويض الاستطالة بالألف بالاستطالة بالياء :

وهذا ينم عن خاصية الإمالة التي كانت تطبع أهل غرناطة.

النديمة (= الندامة) : 202، الشري (= الشراء) : 304، المِي (= الماء) : 309، كين (= كان) : 317، فالسمي (= في السماء) : 608، أني (= أنا) : 612، الويدْ (= الواد) : 619، 623، بيزْ (= باز) : 300، جَوبْ (= جواب) : 310 [في هذه الحالة كسر دون ياء]، فُولين (= فلان) : فَالْبب (في الباب) : 428.

بعد ملامستنا للخلل الذي حدث في النسق التمثيلي الفصيح للصوائت عند استعماله لكتابة اللغة العامية دون تكييف مع متطلبات بنية هذه الأخيرة، وملاحظتنا غيابا لرموز منتظمة وظهور عفوية في التصرف، سنحاول تحليل الجانب الصائتي في التمثيل لتبيان مدى انطباق طريقة التعامل في الصوامت مع ما اتبع في الصوائت.

التفخيم والترقيق

باللجوء إلى ملاحظة الحروف التي استعملها ألنصو دال كستيليو سنرى أن كثيرة هي الكلمات التي تكتب في الفصحى بحروف التفخيم كتبها بحروف الترقيق وبالعكس :

– س > ص :

يصْطحِي (= يستحيي) : 27، 332، صُرِّحْلَه (= سرح لها) : 438، يصمع (= يُسمع) : 648، تصْمَعْ (= تسمع) : 286، الصُوقْ (= السوق) : 58، صَاعَة (= ساعة) : 144، 1531، صَقَيْهْ (= ساقيْه) : 146، يَخْصَرْ (= يخسر) : 174، تصُوقُ (= تسوق) : 176، 1396، خصَارَة (=خسارة) : 259، 1213، صَلْعَت (= سلعة) : 468، الصَلْعَه (= السلعة) : 469، صَاق (= ساق) : 577، صلاَح (= سلاحهُ) : 669، تصبيح (= تسبيح) : 417، صُرِّحْلَه (= سرح لها) : 438، سقطَ (= سقطوا) : 1584، يصْطَمَعْ (يستمع) : 1179، صخينة (= سخينة) : 1408، يَصْمَحْلُ (=يُسمع له) : 1299، يصمع لو (= يسمع له) : 1601، صحارين (= سحرة) : 1203، اصحَار (= أسحار) : 1203 [الأسْحَارْ : 104]، يصرّ (يسِّر) : 1204، مَنْحُوص (= منحوس) : 1327... الخ

– ص > س :

المُسْطمِع (= المستمع) : 47، رقَّاسْ (= رقاص) : 144، الحمْسْ (= الحمص) : 198، سفٌّ (= صفة) : 366، حَسَدُ (= حصده) : 1589، سدَاف (= صدف) : 1302 [ونجد صداف : 1177]...الخ

نلاحظ ارتباكاً في استعمال هذين الحرفين في يصْطحِي : 27، 332، وتَسْطحِي : 27، (من استحيا)، وكذا في الكلمات المشتقة من سمع : المُسْطمِع : 47 ويصمع : 648 وتصمع : 286. وفي حالة المُسْطمِع : 47 وتَسْطَحِي : 27، يمكن أن نقول أن الارتباك هنا جلي جداً، لأنه لا يمكن نطق الصوت س متبوعا بالصوت ط، فالمماثلة تفرض في هذا السياق، فإمّا أن ينطق كلا الحرفين بالترقيق أو بالتفخيم، ولا يمكن أن يحدث تناوبا في نفس الكلمة بين الدرجتين.

– د/ذ > ض/ظ :

يُعْضَرْ (= يُعذر) : 24، الحَفَايض (= أحفاد) : 598، ضرِاَعُ (= ذراعه) : 642، 1557، الحضاقه (= الحذق) : 1413، المضبح (= المذبح) : 1428، اضبحْني (اذبحني) : 1119، صنضوق (= صندوق) : 1535، القضور (= القاذورات) : 1552، الحظور (= الحذر) : 1417.

- ت/ث > ط :

واطَّقّ (= وتّقه) : 21

اطعشّى (= تعشى) : 1210

ضمير متصل للغائب المؤنث

من الصيغ التي احتفظ بها أهل تطوان الأصليين إلى يومنا هذا، صيغة ضمير متصل للغائب المؤنث لم نسمعه في غير هذه المدينة.

من يَكُلْ مطايبَهْ يَغْرَمْ مصَائبَهْ (= طيباتها... مصائبها) : 155، خَيْرَهْ (= خيرها) : 181، دُنْيَا بلاَ اكَلْ الاخيره احْسَنْ مَنَّهْ (= منها) : 262، مَنْ تبتْ الحَيَّا في رَحْلُ قليل يَسْلَمْ من لَدْغَتَهْ (= لدغتها) : 312، احْنا في ذي الاّ وزَوْجَهْ والاسْوَدْ الأخَرْ (= وزوجها) : 413، بُنَيْتَه اذا صُرِّحْلَه في ذيك البرّ يَصْبَحْلَهْ (=بنيّتها ... سُرح لها ... يصبح لها) : 438، الصَلْعَه اللْطِيفة مردوده على صاحبَه (= صاحبها) : 469، ظَلَمَهْ وابليس يَخْدَمَهْ (=يخدمها) : 781، بحل شقرا اذا اش تتكلم تهز راسَه (رأسها) : 1574، بحل جنة عبروق النار من تحته والحطب من فوق (= تحتها ... فوقها) : 1605 [نلاحظ هنا كتابة الضمير بالصيغتين العاميتين]، لعُنقه (= الى عنقها) : 1607، ولده (= ولدها) : 1613، صنُّاعَهْ (= صناعها) : 1174،

ضمير متصل للغائب المذكر

من خصوصيات اللغات العربية العامية ضياع الهاء في الضمير المتصل للغائب المفرد مع الانتهاء بالضم. ونجد هذه الخاصية قد عرفتها العربية الغرناطية :

لِرُوحُ (= لروحه أي لنفسه) : 73، في عُنْقُ (= في عنقه) : 247، لوَلدُ (=لولده) : 251، من لزمَتُ (= من لزمته) : 449، الصنيدَق باوتيدُ لمن يخلِّي مِيلُ في حيَات لاوْلِيدُ (= بأوتاده ... ماله ... لأولاده) : 464، خَانِقُ (= خانقه) : 471،

قالّ (= قال له) : 475، يضيلُ (= يضيئ له) : 474، قالَتْلُ (= قالت له) : 235، خَيْرُ (= خيره) : 240، الا حدَبْ اشْ يري حَدْبَتُ حَتّي تُورلُ ببَلْ (= حدبته ... توري له): 232، واحدْ يَعْطُوسْ يُقلّ فِيسْ وَ اَخُرْ يَضْرَطْ يُقالُّو سَالمَهْ (= يقال له) : 268.

نون المتكلم في الجمع للدلالة على المتكلم المفرد

نقل (= أقول) : 453

نَبْديكْ (= أبدأك) : 261

صيغة المثنى بمعنى الجمع في الكلمات : يدين وعينين ورجلين

عينين (= عيون) : 206

صيغة جمع مؤنث للجمع المذكر

نجد اللغة المغربية العامية تحتفظ بهذه الصيغة إلى يومنا هذا.

ماتينَضْ الحجاما الاّ في راس اليَاتمَا : 684، القلاع (جمع قلعي) : 1551، 1557، الصَيَّاده (ج. صياد) : 1482،

ألفاظ وصيغ يحتفظ بها في الغرب

بحل (= مثل) : 29، 36، 57، 72، الخ.

كِم (= كما، كيف ما) : 1613

أش (أي شيء بمعنى ماذا...) : 255

القاع (= قعر) : 458

توري (= توري) : 323

احنا (= نحن) : 413

فقي (= فقيه) : 668

وَاشْ ما (=كل ما...) : 73

وَاشْ ما (=هل...؟) : 41، 34 ؟

بالزز (= قسراً) : 219

تغزل (= ترتعش) : 732

احشل (= كم ؟) : 1278 [مع اشحال] : (احشَلْ تدري احشَلْ يخَصَّكْ)

ابْناي القحْبات (=أبناء...) : 1286

تربية (= الطفل الرضيع) : 1617

حبّ (= قبَّل) : 1589

أسود الرأس (العربي أو المغربي) : 1565

واش ما (= كل ما) : 1495

بَيْدَم (= بين ما...) : 1460

بَيْدَ مِنْ (= بين ما...) : 1422

تَتْمَرَّث (= تتعب) : 1402

زوج كبار (= فلسين) : 1593

تَمضَالك (أضعته) : 1216

صَمَّقْ (= زين نفسك) : 899

– أمثال يُحتفظ بها في المغرب

من أي ما تضْرب الاقرع الدَّم يَرْشخْ : 25

– بَحَلْ حَرْث الجَمَلْ : 57

- ارْمِيهَا مُعْوَجَا تَصْدُقْ مُصَوَّبَا : 121
- من زيدْ عَلِيكْ نهَار زيد عليكْ خَبَرْ : 194
- يَصْفى مِيلْ الوالِدَيْ و تَبْقَ صَنْعَة الادَيْ : 186
- اخُوكْ أخُوكْ والنِسْ لا يغُرُّوكْ : 187
- احْمُوقْ تُهَبْ : 191
- دُقْم ان سِكِيتْ ما تدخلُ ذبانا : 192
- العَاقل بغَمزا والاحمَقْ بززّا : 207، [الفَاهم بغَمْزا والحِمَار بهَمْزَا : 901]
- الجانِزه كبِيره والمَايت قِطٌ : 213
- هُو بَحَلْ قِطْ بسَبْعَه ارْواحْ : 218
- الاحَدَبْ اشْ يري حَدُبَتُ حَتَّي تُورلُ ببِّلْ : 232
- من تَلْزَمُ الحيًا من الحَبَلْ يَنْفُورْ : 241 [من لزَمَتُ... : 449]
- لعقْ المسَان فالارضْ الامَنْ ما لو تَمَنْ : 244
- عُومْ واحْرَز ثيَابَكْ : 265
- مَا يتكَلمْ منَ الجَوز الاّ المَعْفُون : 274
- مَن زَرَعْ الشَوْك لا يمشي حَافي : 296
- صَاحِب صَنْعَتَك عَدُوكْ وَلَوْ كِينْ اخُوكْ : 318
- الجديد جدّا في جدّا والقديم اكثر مَوَدًّا : 328
- مَعيزة هي ولوْ طَارَتْ : 357
- من جَنَّبَكْ بخَيط جَنْبُ بحَيْط : 364

- اذا فيتَكْ الطعَام قُلْ شبَعْت : 470
- اذا وقعت البقارة اتجمعت السَككينْ : 476
- كَرَّرُ يخرج ضَرَرُ : 479
- احْسَنْ طاق طَاق ولا سَلام عَليكم : 554
- من فَزَعْ نجَا : 618
- قُلْ للكَلبْ سيدي حتّى يجوّزك الويدْ : 623
- ما تينَضْ الحجما الاّ في رأس اليَاتيمَا : 684
- في تبديل الملوك رَاحَّة : 811
- اعْمَل وَ بَقّي : 1438
- كُلْ الدفَلْ معَ اللجَمَاعه ولا العَسَلْ وَحْدَكْ : 1375
- لا تسْرَقْ ولا تخَافْ : 1381
- كلِّ منقُوصْ مَنْحُوص : 1327
- القرد في عين امُّ عزَلْ : 1368
- عين الاّ يرى قلب الاّ يوجع : 1318
- الاّ يرفع من غَدتُ لِعَشتُ ما يَنْعقرْ طُول حَيتُ : 1186
- غزر الهمّ يضحَّك : 1195
- وقعْ الحُكْ وجَد غطَاهْ : 1120
- الاوليَا سَمنيا والثنيّا عسْليا والثلثا المخريّا : 1127
- اللّه يعطينا في وجه من نَنْكرموا : 1130
- مَرْس كُلِّ رَابعَه بضَرْس وكلِّ كَوّا برَاس : 1440

الهوامش

1) أخذت المعلومات التي سترد على حياة هذا المورسكي من :

Darío Cabanelas Rodríguez, El Morisco granadino Alonso del Castillo, Granada Patronato de la Alhambra, 1965.

2) وثائق عثر عليها يوم 18 مارس من سنة 1588 عندما كان يتم هدم الصومعة القديمة للمسجد الأعظم السابق بغرناطة، وكانت تسمى Torre Turpiana وذلك قصد القيام بأعمال توسيع الكاتدرائية. فأثناء الهدم عثر على صندوق من الرصاص مزفت من الداخل والخارج وتحتوي عدة بقايا جسد قديس وورق معظمه مكتوب بالعربية وبه سلسلة من الأرقام المختلطة وخط قشتالي وبعضه إغريقي باللونين الأحمر والأسود، زُعم أنه تنبؤ للقديس يوحنا - صاحب الإنجيل - حول نهاية الدنيا. زيادة على هذا وجدت هناك كذلك كتابة باللغة اللاتينية تقول أن القديس Cecilio أسقف غرناطة، سلم هذه البقايا لتلميذه القس Patricio وذلك من أجل إخفائها في مكان مناسب تفاديا لكل تدنيس من قبل المسلمين. وقد أحدث هذا الاكتشاف ضجة كبرى في أوساط الكنيسة وبدأ مسلسل سيستمر سنين كثيرة من أجل التيقن من صحة الوثائق والبقايا. وستعرف النازلة تدخل الملك والبابا.

Cfr. - Dario Cabanelas, OP. Cit. p. 177 y ss. - Gerard A. Wiegers, "The 'Old' or 'Turpiana' Tower in Granada and its relics according to Ahmad b.Qasim al-Hajari, in "Sites et monuments disparus d'après les témoignages de voyageurs". Res Orientales. Vol. VIII, Paris, 1996, pp.191 - 205.

3) عثر على هذه الكتب الرصاصية في الهضبة الغرناطية المواجهة لجنة العريف التي تسمى اليوم بالجبل المقدس Sacro Monte وكانت توجد هناك أنقاض بنايات إسلامية قديمة. ومن السائد بين العامة آنذاك وجود كنوز مدفونة في ذلك المكان. ففي 21 فبراير 1595 ذهب هناك باحثان عن الكنوز هما Francisco Garcia و Sebastián Lopez وأثناء حفرهما في دهاليز موجودة تحت تلك الأنقاض عثرا على قطعة من الرصاص ملفوفة حول بعضها وبها عنوان منقوش بمنقش رقيق تصعب قراءته، خصوصا بسبب الزوايا الحادة التي يتسم بها الخط الذي يشبه كثيرا أشكال الخط المسماري. وقد قيد فيه حادث استشهاد القديس Mesiton زمن الإمبراطور نيرون. وقد تلا هذا الاكتشاف اكتشافات أخرى لرماد وأحجار مدخنة وفحم وعظام إنسانية. وربما كانت أهم تلك الاكتشافات لوحة كتب فيها أنه قد استشهد في ذلك المكان القديس Tesifon بعد ما كتب كتابا يسمى أسس الكنيسة (Fundamento de la Iglesia) وهو عربي اسمه ابن العطار واعتنق المسيحية وكان من

تلامذة الحواري القديس يعقوب Santiago. وقد أخفى هذا الكتاب في ذلك المكان. وفي 22 من شهر أبريل من نفس السنة يتم العثور فعلا على هذا الكتاب الذي يتكون من خمس صفائح من الرصاص لها خصوصيات شبيهة بتلك التي لباقي الكتب، وقد كتب فيه العنوان باللاتينية : (كتاب العقائد الأساسية للكنيسة، مكتوب بحروف سليمانية). وفي 25 أبريل من سنة 1595 عثور طفلة هناك على الكتاب الثاني وهو على ثلاث صفائح رصاصية وعنوانه: (كتاب كنه الإله) وهو للقديس Tesifon. وسيستمر العثور على هذه الكتب التي بلغ عددها 19 كتابا حتى نهاية القرن. وقد أرسلت كلها إلى روما ولم تعد أبدا إلى مرسليها.

إن الضجة التي أحدثها اكتشاف الجبل المقدس تفوق بكثير تلك التي أحدثها اكتشاف صومعة Turpiana بسبب طرح كتب الجبل المقدس مسائل جوهرية في الديانة المسيحية تتماشى مع مبادئ الإسلام ولا تعير الاهتمام لنهج الكنيسة الرومانية. وقد امتدت آثار هذا الاكتشاف عبر القرن السابع عشر وعرفت المسألة تدخل جميع فعاليات المجتمع وطبقاته من عمال بُسطاء مرورا بمتخصصين في الأشياء القديمة وبفلاسفة وبمؤرخين وبعلماء اللاهوت وبسياسيين وبدبلوماسيين... الخ. وبمؤسسات مثل المجلس الملكي لقشتالة ورئيس محاكم التفتيش وسفراء البابا والباباوات وملوك إسبانيا أنفسهم، من فليب الثاني وفليب الثالث، وفليب الرابع وكارلوس الثاني والملكة الأم الوصية مريانا النمساوية.

(انظر : D. Cabanelas, Op. Cit. Pp. 197 y ss)

4) Cfr. Darío Cabanelas. Op. Cit. p. 21.

5) Cfr. Antonio de Saldanha, Cronica de Almançor, Sultão de Marrocos (1578-1603), Estudio critico, introduçao e notas de Antonio Dias Farinha. Tradução francesa de Léon Bourdon. Lisboa, Instituto de Investigaçāo. Cientifica Tropical, 1977. pp. 29, 39, 75, etc.

6) Cfr Descripcion General Del Africa, I parte, Granada, 1573, 2 vols., II parte, Málaga, 1599. Primer volumen de la I parte, ed. Facsimil, Madrid, Instituto de Estudios Africanos, 1953, prologo de A. Gonzalez Amezúa.

- Historia del rebelion u castigo de los Moriscos del reino de Granada, Malaga, 1600. (Reimpresión en Biblioteca de Autrores Españoles, XXI, Madrid, 1946.

7) Dario Cabanelas, El Morisco granadino Alonso del Castillo, pp. 16-17.

8) Recopilación de Refranes Andalusies de Alonso del Castillo, Zaragoza, Universidad de Zaragoza, Area de Estudios Arabes e Islamicos, 3, 1994.

9) من هذه المجموعات، «أمثال العوام في الأندلس» لأبي يحيا الزجالي (617 – 696 هـ = 1220 – 1294 م) التي درسها ونشرها الأستاذ محمد بن شريفة، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1975. و«أمثال العامة وحكمها» لابن عاصم الغرناطي (1359 –

1426) التي درستها ونشرتها Marina Marugán Güemez انظر :

El refranero andalusi de Ibn Asim al-Garnáti, Madrid, Hipérion, 1994

10) كانت اللغة من الأمور التي صدر في حقها المنع التام في غرناطة سنة 1567، ذلك المنع الذي أثار ثائرة الغرناطيين وثاروا ثورتهم الشرسة في جبال البشرات من 1568 إلى 1570. أنظر مذكرة الموريسكي Francisco Nuñez Muley التي يحاول فيها إقناع سلطات مجلس غرناطة للتراجع عن قراراتها المجحفة في حقهم. انظر:

Mercedes García Arenal, Los Moriscos; Madrid, 1975, pp. 47 y ss.

11) Cfr. G. Gozalbes Busto, Al-Mandari, el granadino fundador de Tetuan, Granada, Consejo Municipal de Tetuan, 1993.

12) Cfr. Hossain Bouzineb, Literatura de Castigos o adoctrinamientos, Madrid, Ed. Gredos, 1998, p. 151.

الأمثال من خلال التعامل السياسي

عبد الهادي التازي

كما غزا المثل الميدان الصناعي والتجاري والفلاحي والعسكري... كذلك غزا البيئة الدبلوماسية... وهكذا نكتشف جانبا آخر من جوانب المتعة التي نستأثر بها عند تلاوتنا لمجريات الأحداث في المغرب. وسنحاول أن نسوق بعض الأمثال هنا مما ورد في رسالة أو سياق تقرير أو رحلة مكتوبة، محاولين إلقاء الضوء على مبناها ومعناها :

1- «أدهى الناس ثلاثة : الانجليز، وصّياد القُرْب، ومولاي العربي الدرقاوي».

ويلخصون دهاء الانجليز في تعبير آخر يقول : «الانجليز تحفر البئر بالإبرة» : يعنون أنه يخطط سياسته على الأمد البعيد... والقُرْب : نوع من السمك لذيذ الطعم ولكنه يشرس عندما يشعر بأنه وقع في شوكة الصياد، ولهذا نجد الصيادين الماهرين يرقون له الخيط عندما يحسون أنه حصل... ولا يزالوا يفعلون إلى أن تنزف قواه وهو يقاوم التخلص من الشوكة العالقة بحلقه، ولابدّ أن يتعاون الصياد مع زملائه على التناوب على القصبة لأن القرب عادة لا يستسلم إلا بعد ساعات طوال قد تتجاوز اليوم... وإذا ما فرضنا أن الصياد طمع منذ اللحظة الأولى أن يطلع صيده فإن القرب - بما يتوفر عليه من قوة وخاصة إذا كان كبير الحجم - يستطيع أن يجر الصياد إلى البحر !

أما مولاي العربي، فهو شيخ من أقطاب الطريقة الدرقاوية سلوكا وسياسة، وقد حكى أن أحد تلامذته جاءه ذات يوم فأخبره بأنه طلب إلى (فلان) أن يلتحق بالطريقة! فلطمه الشيخ وأبعده عن المجلس، وانقلب عليه رفاقه في الطريقة

بدورهم وأمسى في القرية كالمجذوم لا يقترب منه أحد والناس لا يعلمون وهو أيضا لا يعلم السبب !

وبعد شهور صادفه أحد المتقربين إلى الشيخ فوجده على حال تدعو إلى الإشفاق... فتوسل لدى الشيخ في أن يسمح له بالاقتراب من الحضرة، الأمر الذي وافق عليه الشيخ بعد تعدد الوساطات... وقد اغتنم ذلك التلميذ فرصة الاختلاء بالشيخ ذات صباح ليتوسل إلى الله فقط لمعرفة سبب غضبته، وأشد ما كان استغرابه وهو يستمع إلى الشيخ يقول :

«إن الناس إذا ما أرادوا من الآخرين أن ينخرطوا في حزبهم لا ينبغي أن يطلبوا إليهم ذلك اعتباطا بل عليهم أن يبرهنوا بسلوكهم ونزاهتهم وصلاحهم على أن وراءهم زاوية ترشدهم للطريق الأفضل، ولابد أن هذا سيكون حافزا للمتطلّعين إلى تلك الزاوية... وهم قد يطلبون من تلقاء أنفسهم أن يتعرفوا على الحضرة وهنا ينبغي أن يعطوا الفرصة بسهولة حتى يكثر إلحاحهم اليوم بعد الآخر... وحينئذ يسمح لهم بالإذن في المشاركة في بعض المجالس الأولية... ثم شيئا فشيئا... يترقون إلى المجالس بعدها... على أن يصلوا إلى الغرفة العليا بعد حين من الزمن... وهكذا يجدون أنفسهم في الحزب دون ما أن يشعروا بنوع ضغط، ويمسون - والحالة هذه - أكثر نفعا لأنهم أكثر اقتناعا... وأكثر حبّا لأنهم عانوا في الوصول!»

2- «إذا تخاووا الجنوس ما بقى في الغرب جلوس»

تخاووا : تآخوا، والجنوس ج جنس ويقصد به دائما في العقود السياسية والرسائل الحكومية المغربية دولة ما من الدول : جنس الفرانسيس - جنس الاسبان - جنس البردقيز... الغرب : القصد إلى المغرب.

والمعنى أنه إذا ما اتفقت كلمة الدول بعضها بعضا فإن الجلوس في المغرب يعود من غير الممكن، وفعلا فقد كانت الحكومة المغربية تستفيد من خلاف الممالك بعضها بعضا حول ما ينبغي أن تقوم به إزاء المغرب، وهكذا ظلت سياسته قائمة على ما يقتضيه التنافس فيما بين تلك الأمم.

3– «إذا طلعت بسلّوم كسره» :

مثل ورد على لسان أحد السياسيين المغاربة وهو يترجم عن الحكمة الكافية في إخفاء الوسائل التي أدت إلى الهدف حتى ولو بعد النجاح في الوصول وتتمة المثل : «إذا طلعت بسلم فاكسره ليلا يطلع إليك به غيرك».

4– «أنا مزاوگ...»

مزاوگ تحريف عن كلمة (مجاورك)، والعبارة استعطاف وتوسّل لمن حق عليه حكم تعذيب أو عقاب، يعني أنا في جوارك فلا تشمت الناس بي، وقد ورد ذكرها عندما تصرف أحد الرؤساء البحريين على خلاف التعليمات المعطاة له فأوقع أزمة بين المغرب وبين إحدى الدول المسيحية فتوسل بالعبارة لدى العاهل... وقد سمعنا عن مواطن من فاس اعتدى على حياة سائح أروبي ظنه جاسوسا ثم "زاوگ" في الحرم الادريسي...أي جاور واحتمى...

5– «أنجح من أيمن»

قيلت عن السفير ابن عثمان الذي حالفه النجاح في مهماته بالخارج أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله... ولا شكّ أن أصله من الشعر العربي القائل :

أقول لأيمن – ومضى رسولا مع اليمن السّعادة والنجاح
وأيمن حيث أم أتى ينجح وقابله من الأمر الفلاح !

6– «اتركوا الترك ما تركوكم» !

وردت على لسان المنصور السعدي ورواها ككلام مأثور عندما كان في حواره مع بابا أحمد التنبكتي الذي انتقد غزو المنصور للسودان قائلا : هلا بدأت بالأتراك بجانبك في الجزائر، وكأن المنصور قال : إنما قصدنا بذلك الغزو جمع كلمة المسلمين تحت راية واحدة... والتعبير يعني كما هو واضح : ما دام الترك لم يصلوكم بسوء فلا تقربوهم، وبهذه المناسبة نذكر أن بابا أحمد أجاب

المنصور بأن الثابت في الأثر عكس هذا هو قولهم : لا تتركوا الترك ولو تركوكم «ومعلوم أن التعبيرين مما لا يوجدان ضمن الأحاديث الثابتة وإنما هما مرويّ» من القول الذي اقتضته الظروف والأحوال.

7- «أولاد عبد الواحد گاع واحد»

كلمة (گاع) بالكاف المعقد تعني جميع وكلّ، وقد ورد المثل تعليقا من مسؤول مغربي على أطماع الدول الأروبية في المغرب... وهل يختلف شجع هذه الدولة عن تلك أو هذه عن تلك، يعني أن الأبناء الذين انحدروا من عبد الواحد جميعهم واحد، و(عبد الواحد) اسم لشخص كان يربي أولاده على نمط واحد : طماعين متطلعين إلى ما بأيدي الناس، والمثل يجنح إلى المعنى الذي يقصده المثل العربي «ليس في القنافذ أملس»!

8- «برخا ولا يليخ»

هذا من الأمثال "اليهودية" التي يستعملها باقي المغاربة : على ما يحكى - أن يهوديا كان متضايقا من مسلم كان يجاوره ولكنه كان لا يستطيع أن ينال منه... فكان اليهودي حتى يخفف عن نفسه - يعمد إلى التخطي على ظل ذلك المسلم وهو يمشي أثناء غروب الشمس... قائلا : «برخا ولا يليخ» يعني بالمغربية «هاكداك ولا بلاش» أي لنقنع بالمرور على ظله ما دمنا لم نستطع المرور على جثته !

9- «بِينَتْهُمْ»

كلمة صغيرة ولكن مدلولها جدّ ضخم، فهي تعني عدم تدخل المغرب في الصراعات الدولية التي لا يجني شيئا منها وقد وردت في معرض النزاع بين الممالك الأروبية عندما امتدت سيطرة بعضها على البعض الآخر فقد طلب إلى العاهل أن يقف إلى جانب معيّن فكان جوابه «بينتهم» يعني لنتركهم بينهم يتصارعون، وقد أضيف حرف التاء إلى كلمة (بين)...

10- «حَجَّة وزْيَارَة»

جاءت على ذكر نجاح السفير ابن عثمان في حصوله على تحرير الأسرى المسلمين الذين كانوا في نابولي وحصوله في الوقت نفسه على تعويض في مقابلة البضائع التي استهدفت لهجوم القراصنة النابوليين ! ولا شكّ أن المثل ينزع إلى أصل ديني فإن الحاج تكمن مناسكه بوقوف عرفات، ولكنه إذا استطاع أن يقوم بزيارة لقبر الرسول فإنه يكون مستكملا للرحلة المقدسة !

11- «الحريقة بالنار ولا الخروج من الأوطان»

حكمة رويت في أصل الأسطورة على لسان سلحفاة كانت تعيش في قبو عند باب الشماعين من أبواب جامعة القرويين بفاس، استعصى على الناس أمرها عند بناء الباب وهدّدها بالحرق، فصدر عنها هذا القول : "الحريقة بالنار ولا الخروج من الأوطان"، غير أن المثل أصبح شعارا للمواطنين يرددونه كلما داهمهم عدو في قريتهم أو مدينتهم يريد إجلاءهم عنها لاحتلالها فهم يتخذون من هذا القول مبدأهم في الصمود إلى آخر نفس، وهو يذكر في عدد من الأمثال التي تعبر عن التضحية، فأعز الأشياء في مقالة الحفاظ على الوطن وقد حفظنا منها تسليم السموأل في ابنه وهو محاصر في الابلق الفرد) دون أن يخضع للحارث ابن أبي شمّر... وأمثلة أخرى في تسليم بعض المدن.

12- «حصدناهم بالمناجل»

إشارة إلى حادثتين أولاهما عند ثورة المغرب على وجود (البرطقيز) في مدينة الجديدة حيث أهوى المغاربة على بقية الباقية من الجند في المدينة بالمناجل التي سمتها الرواية الأجنبية بالسيوف المعقفة ! وثانيهما عندما هب المغاربة لردّ الهجوم المباغث للنابريال (النمسا) على ميناء العرائش حيث لم يجد المغاربة بجانبهم في الحقول إلا المناجل فعمدوا إليها لردّ المغيرين... حيث حصدوا كلّ من وجدوه يقوم في الميناء بإحراق قطع الأسطول المغربي وكانت المسيرة المغربية يردد بعضها حصدناهم بالمناجل... فيجيب بعضها الآخر : «وبالمناجل حصدناهم»

13- «حنا بالله وبالشرع»

العبارة التي كان يلجأ إليها المغاربة كشعار يرفعونه عندما يتطاول عليهم التجار الأجانب ممن كانوا يتعاملون مع المغاربة، وهكذا ففي الوقت الذي كان فيه أولئك التجار - ووراءهم قناصلهم - يحاولون أن يحكموا لأنفسهم ويقتصوا من خصومهم كانت الرسائل المخزنية تقف إلى جانب الاحتكام إلى الشرع... وكان الناس يتطارحون على القاضي ليرددوا عبارة "أحنا بالله وبالشرع" يعني نلوذ بالله وبشرعه...

14- «خالتي ريمة هاذا حالها ديمة»

يقال إن (ريمة) اسم لاحدى السيدات المعروفات بالتردد والتلون والتغير... وقد أطلق في الاستعمال السياسي المغربي على اسبانيا في تحرشها بالسكان المغاربة الذي يحاورون مستعمراتها فهي دائما تختلق لهم المتاعب لكي توجه الضربات القاسية لهم خشية من أن تمتد أبصارهم إلى تحرير الثغور المحتلّة !

15- «دخلوا فيران ورجعوا ثيران»

قيلت في الحامية الإسبانية بسبتة وقد توسلت إلى المغرب أن يسمح لها برعي ماشيتها في ظاهر المدينة المحتلة رفقا بالحيوان وأنها مستعدة للرجوع إلى أماكنها متى ما أراد المغرب ذلك لكن الحماية لم تلبث أن جعلت من هذا الارفاق حقا أخذت تشرئب بعده إلى توسّع آخر... فكان المثل يتردد لتصوير أن لا ثقة في الفأر الذي قد يصبح ثورا يصارع بقرنيه.

16- «الراس اللي ما يدور كدية»

وهذا مثل من أجمل الأمثال التي قيلت في باب تبرير تغيير السياسي لمواقفه حسب مصلحته، فهو يشبه الفكر الذي لا يتحول بالكدية والأكمة... وقد جاء المثل في معرض التهكم على تراجع فرنسا فيما كانت التزمت به أمام المغرب من المواقف. وخاصة فيما يتعلق بقضايا الحدود التي كان يتفق على أنها عند الخط الفلاني ثم لا تلبث تلك الجهات أن تمتد مطامعها إلى نقاط أخرى زاعمة أنها لم تكن على اتفاق حول ما سبق.

17- «رامي تلمسان»

وهذا مثل أيضا من الأمثال التي تدخل في إطار المنافسات بين الأطراف المتحادّة، وهكذا نجد أهل المغرب الشرقي ينعتون رماة تلمسان بأنهم لا يعرفون إصابة المرمى، وتتمة المثل على هذا النحو : رامي تلمسان جاء يضرب الشجرة فأخطأ الجنان ! يعني أنه حاول أن يرمي بشجرة فتخطّى البستان الذي توجد ضمنه الشجرة المنشودة.

18- «الطريق اللّي جابتّه تدّيه»

تعليقا على ورود أحد السفراء الأجانب الذين وردوا على المغرب دون أن يحضروا معهم جوابا كان ينتظره العاهل بناء على مطلب سابق منه... وهو يعني رفضه لمقابلته وبالتالي عدم سماعه لما يحمله من معاذير لا تخرج عن اللف والدوران، وهكذا فمعنى المثل : أن الطريق التي أوصلته إلى بلادنا ينبغي أن تكون مسلكه في مغادرتنا.

19- "طلانا بالعسل وتركنا للذباب"

الإشارة إلى أحد السياسيين المغاربة وقد تورط في اتفاقية التزمت فيها المملكة بديون لدولة أروبية... جعلت المغرب عرضة لتهافت الطامعين : فلقد لطخ الناس بالعسل وتركهم لمضايقة الهوام.

20- «الطوب والحجر في كلّ قطر»

قولة جرت على لسان أحد المبعوثين المغاربة، وقد سئل عن انطباعه حول الممالك الأروبية التي زارها، يعني أن الناس فيهم الصالح والطالح في كلّ بلاد الله فهناك الأخيار وهناك الأشرار وهناك أهل الصدق وأهل الكذب.

21- «كبّرها تصغر»

يضرب عندما كانت الحكومة المغربية تتحمل مسؤوليتها في اتخاذ قرار خطير بعد أن تعجزها الوسائل الدبلوماسية، فهي تختار الحدّ الأقصى في

التضحية... ثم لا يلبث الغمام أن ينجلي بعد خوض الأهوال. وقد ضربه أحد السياسيين مثلا ونحن على أبواب حرب وشيكة مع اسبانيا..

22– «گريگي»

كلمة ينعث بها المغاربة الرجل المتصلّب المتعنّت الذي لا يرضخ... وهي تعني اليوناني كما هو معروف ومن المعلوم أن المغرب عرف جالية يونانية وافرة نزلت عليه أثناء الوجود العثماني في اليونان حيث كانوا يستثقلون الاتاوات وحيث وجدوا في الصناعة البحرية مجالا للعمل ضمن الأسطول المغربي.

23– «كلّ نهار بربعته»

الربعة كلمة تذكر غالبا مقترنة باليهودي : ربعة اليهودي، وهي تعني الحيلة الممعنة في الدهاء والإتقان للتخلص من الورطات، ولعل (الربعة) آتية من الربيعة أو الصندوق الذي يحمله اليهودي الخياط على كتفيه وهو نازل لمباشرة صنعته بالمدينة الإسلامية، ومنه المثل (هز الربعة) يعني هز الصندوق الذي على كتفه، وقيل إن الربعة تعني الحيلة المتمخضة عن رؤية مستوعبة في الجهات الأربعة.. ويذكر أن يهوديا كان مستشارا لدى أحد الملوك فسأله هذا الأخير عن ربعة تنفعه في ممارسة الحكم، فأجابه اليهودي : إنه يكذب عليك من يعطيك حيلة دائمة صالحة لجميع الطوارئ ولهذا فإن «كل يوم بربعته» أي أن لكلّ وقت ما يناسبه من الحيل والمخارج.

24– «لا محبة إلا بعد عراك»

كثيرا ما تكون المعاركات طريقا إلى بناء العلاقات على أسس سليمة صحيحة، وقد رأينا من خلال الاحتكاكات التي نشبت بين المغرب وغيره من الدول أن الأمور لا تلبث أن تنجلي وتعود الصلات إلى أحسن مما كانت عليه وهكذا نجد أن بعض الصراعات الدولية قد تتحول إلى صداقات.

25– «الله يخرج من كلّ بلاد جوادها»

دعاء يقصد به الرجاء أن يكتب على من قدر له أن يسفر أو يسافر عن بلده أن يكون من أجود الناس وأنبلهم وأعقلهم حتى لا يعطي فكرة سيئة عن بلاده،

فإنك إذا أرسلت فاسقا ماجنا أو غدارا منافقا أو بخيلا مقترا أوذميما مشوها قدم صورة قاتمة للبلاد.

26- «الله يعبيك لمالطة لا فرش لا غطا»

مالطة - كما نعلم - جزيرة بالمتوسط... وقد حدث ذات يوم أن غرر ببعض حجاج المغرب من طرف أحد المراكب الأروبية التي اتفقت مع الحجاج على أن تحملهم من الإسكندرية إلى طنجة ثم أنها، أي تلك المراكب، أنزلتهم غدرا في مالطة حيث كانوا يعانون من عدم التدفئة : ومعلوم أن المغرب اتخذ مواقف صارمة إزاء هذه المخالفة ضد كل أساطيل الممالك الأروبية إلى أن تكشف عن هوية المركب المجرم في قصة أشرنا إليها أيام الملك محمد الثالث وبعد أن أرجع الحجاج المغاربة إلى ديارهم وحكوا عما كانوا يقاسونه جرى هذا المثل كدعاء على من نريد أن يلقى من العذاب ما لقيه أولئك الأبرياء من عري وبرد.

27 - «اللي شاف خير ممّن عاش»

يعني من تجول ورأى القوم وتعرف على البلاد الأخرى كان أحسن له ممن عمر طويلا... وهذا ينزع إلى الأثر المروي عن الرسول ﷺ «إذا أحب عبدا أجاله في ملكوته» وقد جاء على لسان أحد المبعوثين الذين رأوا أن أسفارهم مكنتهم من تنمية معلوماتهم وخبرتهم.

28- «اللّي ليها ليها»

يعني إذا كنا مضطرين لاتخاذ موقف غدا فلنتخذه من اليوم ! الذي عليه أن يتوجه إلى ناحية فليتوجه إليها من الآن ، وقد ورد التعبير عندما شعر المغرب بأنه لا محالة مواجه اسبانيا عندما صممت على احتلال تطوان بالقوة، يعني فلنقدم على الصراع بأنفسنا وليكن ما يكون.

29- «اللّي غاب يولّدوه خروف»

هذا المثل جرى على لسان بعض الدبلوماسيين المغاربة عندما كان يحتج على أن من الفائدة الاستجابة للدعوة التي وجهت إلى المغرب للمشاركة في تتويج

أحد القادة لأن عدم الحضور من شأنه أن يعطي تفسيرات خاطئة قد تضر بمصلحة المغرب ! وقد عرفنا من الماثورات الأروبية أن "المتغيبين دائما مخطئون" Les absents ont toujours tort.

30- «اللي وجد شواية ما يحرق أيديه»

في كثير من الأحيان كانت الظروف تقتضي - فيما كان يبدو - أن يتصدى المغرب لاتخاذ موقف مناصر لهذا الموقف الدولي أو ذاك... لكن المغرب كان يفضل الصمت حتى لا يغضب ذلك الطرف أو هذا معتمدا على ما تسفر عنه المواقف الدولية الأخرى... وهكذا كان يؤثر أن تتعرض يداه للنار في الوقت الذي يجد فيه من يعتمد عليه في تحمل تلك النار ! وهو مثل حساني طالما كان لنا قدوة إلى اليوم في بعض الحالات التي نتعرض لها في المؤتمرات الدولية.

31- «ليس الشفيع مثل الشفيع»

من الأمثال التي أوردها السفير ابن عثمان في مذكراته هذا البيت :

ليس الشفيع الذي ياتيك مؤتزا مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

وقد أورده - رحمه الله - بمناسبة حديثه عن وعد الأميرة النمساوية (مارى كولين) زوجة ملك نابولي له بأنها ستساعده على قضاء الأغراض التي ورد سفيرا من أجلها لدى زوجها... فلقد كان ابن عثمان مقتنعا بأن السيدة في استطاعتها وهي تختلي بسيدها أن تقنعه بما تريد.

32- «ما كان حتى يهودي كحل»

هذا مثل يجري على ألسنة المغاربة وهو يشير للصراع الذي احتدم بين الشيخ المغيلي، والشيخ ابن زكري حول اليهودي... ونحن نعلم أن المغيلي كان يتزعم الفئة القائلة بأن اليهود لا ذمة لهم وأنه - نتيجة لذلك - اعتزل المدن وانصرف إلى الصحراء حيث تأثر بأفكاره حكام السودان الذين منعوا اليهود دخول بلادهم.. وبهذا لم يسجل على يهودي أنه كان أسود.

33– «ما كاين خير في اصحابنا ولا ثقة في أعدائنا»

قالها السلطان المولى سليمان وقد خذلته انجلترا في وعدها له أن ترجع إليه سبتة في مقابل مساعدته لها ضد مدّ نابليون باسبانيا، فالمثل يعبر عن المرارة التي كان يحس بها المولى سليمان بعد أن أخفق في مساعيه من أجل استرداد سبتة.

34– «معرفة الرجال كنوز»

هذا مثل ورد على لسان (ولد عائشة) أحد سفرائنا اللامعين إلى فرنسا : وذلك بمناسبة حديثه عن الوزير الفرنسي بونتشارطران وطورسي وجد فيهما وفي أسرتيهما أنيسا له أيام مقامه بفرنسا أواخر القرن السابع عشر. ومن الطريف أن نجد أن هذه المعرفة تحولت فعلا إلى كنز، ذلك أنها أدت في الأخير إلى عقد صفقة تجارية كانت لصالح مهمة السفير ابن عائشة.

35– «من هنا لغدّ لها مدبر حكيم»

مثل يذكر كاعتماد على دور عنصر الزمن في حلّ المشاكل، وهو ما يسمى الآن بالجنرال الوقت "The General time" وهو ينزع إلى قول الشاعر :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

36– «مولاي حفيظ جا يجاهد في النصارى»

هذا القسم الأول من هزيج شعبي ترحيبا ببيعة السلطان المولى عبد الحفيظ الذي كان المواطنون يعلقون أملا عليه في إقصاء الفرنسيين عن المغرب، وتتمة الهزيج هكذا :

مولاي حفيظ جاء يجاهد ف النصارى كن له العوين يا مولاي ادريس

37– «الناس على دين ملوكهم»

كثير ما جرى هذا المثل في المراسلات السياسية وهو يترجم عن تأثر الشعوب بما تقرره ملوكها، بل وتعصب تلك الشعوب للأفكار التي يتبناها أولئك الملوك، والواقع أن عكس المثل صحيح أيضا فإن "الملوك على دين شعوبهم" فهم بما يتوفرون عليه من استخبارات واستعلامات يكونون على بينة كبيرة مما يجري داخل البيوت أغلبيةً أو أقليةً، صواباً أو خطأً، وهم استجابة لمطامح تلك الشعوب يتحركون وفقها وعلى شرطها... وقد علمتنا تجربة الأيام صدق هذا المثل...

38– «النصارى ما شي غشام»

الغشيم في الاصطلاح المغربي : المغفل الذي تمر به الأمور دون أن يدري أسرارها ويجمع على (غشام) وهو يعني أن النصارى ليسوا مغفلين، وقد ضرب المثل أول الأمر للتدليل على أننا عندما نرى الأروبيين أو ما كانوا يسمون «النصارى» يقومون بتدبير ما إزاء حالة معينة فينبغي أن نعرف أن ذلك "التدبير" ناتج عن إمعان ورَوية، وفيه من جهة أخرى حث للمواطنين على التخطيط لما يروقونه من أعمال ليكونوا في مستوى الذين يفكرون قبل أن يتخذوا المواقف... وهو يعني أنك إذا رأيت أداةً ما أو تصرفاً في تلك البلاد، النصارى، أنه لغاية ما وُضعت تلك الأداة... وسلك ذلك التصرف.

ويحكى على سبيل الفكاهة أن أحد المغاربة ممن نقل عنهم أنهم كانوا بداناً سماناً... استتشهد به عندما مرّ بجانبه سرب من السواح الفرنسيين في بداية عهد الحماية ووجدوه على ناصية شارع يتناول شاياً وشفنجا... ويتجشأ بين الفينة والأخرى فسأل أحدهم دليله من يكون هذا "الحلوف" ؟ وهنا سأل المغربي الجليس ذلك الدليل عما قال السائح الفرنسي، فأجابه الدليل – وهو يريد أن لا يجرحه بما سمع عنه أنه قال : إنك صالح أن تكون باشا ! فأجابه هذا : «النصارى ما شي غشام» يعني أن السائل عارف بصفات من يصلح الباشوية.

39- «صباليوني حازق»

من الأمثال التي فرضها الاحتكاك بالإسبان في المغرب... فالمغرب يسخر من وجود الإسباني على أرضه وبخاصة إذا كان هذا الإسباني (حازقا) يعني فقيرا مدقعا، لأن البلاد لا تجني من وجوده إلا مضايقتها في لقمة العيش.

40- «صندوق العجب»

روى أحد الدبلوماسيين الانجليز أنه سأل أحد ملوك المغرب عن السرّ في تمكنه من الأخذ بناصية الحكم في مملكة عريضة المساحة كثيرة المشارف متعددة الأهواء، فأجابه الملك : إن السرّ يكمن في انشغال المملكة بين الحين والآخر بما يصرفها عن التصدي إلى ما يعنيها ويضرب له المثل قائلا : "تصور صندوقا مستديرا من حديد بداخله سَبُع، يخيل إليه أنه يستطيع بمخالبه أن يحدث ثغرة في جهة من الصندوق ولكنه لا يلبث أن يجد نفسه مقلوبا إلى جهة أخرى محاولا مرة أخرى أن يثقب ولكن ليصبح مرة ثالثة في ناحية ثالثة... وهكذا يظل مشغولا... فذلك " صندوق العجب" أي صندوق السرّ الذي تسأل عنه.

41- «ضرب خماسي في سداسي»

القصد بضرب هنا حدس وفكر، والخماسي يقصد إلى الحواس الخمس بينما السداسي يقصد إلى الجهات الست، وكان «المخزن» يوصي مسؤوليه وبخاصة مندوبوه إلى المفاوضات أن لا يفصل في الأمور العظام دون أن يستفيدوا من حواسهم الخمس في الاتجاهات الست، وهي أقصى ما يمكن التعبير به عن الاحتياط والتحرز.

42- «ضربني وبكى سبقني واشكى»

من الأمثال التي استعملتها بعض التقارير المرفوعة إلى الدولة في شأن بعض الجهات التي كانت تتعمد إلحاق الضرر بالمواطنين، وهي لكي تستر جريمتها يتعالى صوتها بالبكاء... بل إنها تتسارع إلى المحاكم لترفع شكايتها ضد أولئك المضروبين المظلومين.

43– «العداوة ثابتة والصواب يكون»

الصواب بالمعنى المغربي : المجاملة والسلوك الحسن، المثل يعني أنه بالرغم من وجود عداوة ما بين أمة وأمة فلابدّ من بقاء المجاملة التي تقتضيها اللياقة، والتي قد تؤدي إلى الانفراج... وقد ورد المثل في بعض الرسائل التي استفسرت حول ما ينبغي أن يكون، وقد بلغت أخبار وفاة رئيس لدولة كانت بينها وبين المغاربة مشاكل عارضة... فكان الجواب "العداوة ثابتة والصواب يكون" وهكذا أرسلت التعازي الحارة.

44– «علّق البنديرة»

البنديرة : من أصل أجنبي تعني العلم، ويعني تعبير «رفع العلم» أن أحد المتساهلين المتخاذلين قد قبل حماية دولة أجنبية ورفع علماً على بيته كإيذان بأنه أصبح يحمل جنسية أخرى غير الجنسية المغربية... وقد تحقّق لدى المغاربة حكومة وشعبا أن بداية النكسة المغربية كانت من هنا، وقد وردت في كتاب الوزراء والكتاب هذه القصة : «وقعت فأس بين أشجار غاب فتحدث بعض الشجر لبعض : ما أُلقي هذا الفأس هنا لخير ! فقالت أشجار أخرى : إن لم ينخدع عود منكم بثقب هذا الفأس فلا تَخَفْنَهُ أما إذا استهول هذا الثقب فسيتحول إلى أداة كاسحة لسائر أشجار الغاب».

45– «غسل دم بدم»

مثل عربي جاء ضمن رسالة ملكية إلى نائبه يطلب إليه أن يسعى في تغيير اتفاقية جائرة بين المغرب ودولة أروبية... ليس إلى اتفاقية أسوأ وألعن حتى يكون ذلك بمثابة «غسل دم بدم» ولكن باتفاقية ترعى مصالح المغرب بالدرجة الأولى ! وقد قارنت الترجمة الفرنسية هذا المثل بالتعبير الفرنسي :

Laver le sang par le sang

46– «عيبك يا صفية ردّيه ليه»

صفية علم على سيدة تسلخ على الأخريات مساوئها، وقد ورد ذكره عندما ادّعت اسبانيا أن الحامية المغربية تحرشت بها على حدود مليلية مع أن الأمر

كان على العكس حيث كنا نجد أن المحتلين يختلقون "Bonnet blanc; Blanc Bonnet".

47– «فقيه حميان...»

هذا من الأمثال التي اقتضتها مراشقات الحدود بين القبائل المتجاورة، ومعلوم أن (حميان) في عداد قبائل بني عامر بن زغبة، وقد كان محمود شيخ حميان قدم على العاهل المغربي محمد الأول من الدولة العلوية مبايعا عن قبيلته متمسكا بالطاعة، ولا جرم أن مثل هذه المبادرة حرّكت خصوم الشيخ وقد تزعم حركة المعارضة "فقيه" ضرب المثل بجهله وغبائه...

وتتمة المثل على هذا النحو : "فقيه تلمسان يقرأ في البراءة سبعة أيام ويقول هذا الخط عيان !" يعني أستاذ حميان يظل سبعة أيام وهو يحاول أن يقرأ رسالة... ثم بعد أن يعجز يلقي اللوم على كاتب الرسالة فيقول أن خطه عيان، أي تعبان.

48– «فلس من الجاوي يبخّر (سلا) كلها»

كان لمدينة (سلا) دور بارز في بعض فترات التاريخ ضد المراكب الأجنبية في البحار... حتى لقد أقلقت أروبا... وأخذت تستفسر عما تكون عليه سلا هذه، فأجابت أحد التقارير المرفوعة عن أنها مدينة صغيرة جدّا يقال عنها أن فلسا من البخور التي تستجلب من (جاوه) يمكن أن يبخر المدينة كلها... ومع ذلك فهي برجالها على ما عرف في التاريخ.

49– «قد رشحوك لأمر إن فطنت له»

ورد المثل في رسالة لأمين الأمناء إلى النائب السلطاني بعد أن رشح لهذا المنصب الهام فهو يثير انتباهه إلى ما يحفّ به من مسؤوليات جسام عليه أن يستعدّ لها ويواجهها بكلّ حزم ويقظة.

50- «القوم الظالمين تيسلّط الله عليهم القوم الكافرين»

مثل يتناصح به المغاربة فيما بينهم... حتى يعودوا إلى الجادّة فإنه يجعل تنكّرهم للدّين من أسباب تسلّط الاستعمار عليهم : وهو ينزع إلى الآية الشريفة : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

51- «قيّدني نبوشيك»

قيدني، يعني أعطني لقب "قائد" أعطك "باشا"... وهو يعبر عن شعار المجاملة المتبادلة بين أعضاء السلك السياسي بل وبين سائر المتحضرين بعضهم بعضا... فهذا يلقب ذاك بصاحب السعادة بينما يضفي الثاني على الأول نعت صاحب المعالي.

52- «شروط الخزيرات»

الشروط تعني البنود، والخزيرات تعني الجزيرة الخضراء، ومعلوم أن اتفاقية دولية عقدت بالجزيرة احتوت على شروط قيّدت من حرية المغرب وقلصت من سيادته، فأصبحت "شروط الخزيرات" مثلا لكلّ ما هو ممعن في الشطط والحيف، يقال مثلا : فلان فرض عليّ شروط الخزيرات لكي يقوم بالعمل الفلاني.

53- «شوني ما فيهشي البيض والحجر، ما فيه غير الحجر»

الشون يعني الجيب أو ما يشبهه من شكارة أو مزود، يعني أنني لا أخاف على شيء يتكسّر بالنسبة إليّ، لهذا فإني أقف سريعا وأجلس سريعا، وقد ضرب المثل على لسان أحد الملوك المغاربة وهو يوجّه أحد قواده الذين اختارهم للتفاوض حول قضايا الحدود ... أريد منك أن لا تغرك رشوة ولا تخدعك كلمة... خص شونك ما يكونشي فيه البيض والحجر، إذا أردت أن تقف خفت وإذا أردت أن تجلس احتطت، بل لا يكون عندك إلا الحجر وهناك تتحرك بكلّ حرية وعلى النحو الذي تريد.

54- «ها سلا ها حوانتها»

هذا مثل على نحو المثل السابق ضرب في إعطاء فكرة عن حجم المدينة التي أقضّت مضاجع بلاطات الممالك الأروبية.

55- «الهدية بلية»

كان هذا المثل شعار التشريفات المغربية في البلاط، فإذا تلقت هدية من أحد الملوك اعتبرت ذلك بلية يعني اختبارا ينبغي أن يجاب عنه بمبادرة أكرم وأفضل، وهو الأمر الذي يعبر عنه باقي المثل : الهدية بلية وإذا طاحت في يد الاجواد ردّوها مثنية" يعني إذا وقعت في يد الكرماء أجابوا عنها بضعفها.

56- «يا للّه ننيبوهم»

نيبوهم تعني إلزامهم أداء النائبة أي الاتاوة وكانت القبائل المجاورة للثغور المحتلة تثور بين الفينة والأخرى لحمل المحتلّين على الجلاء أو أداء النائبة... وعلى ذكر النائبة نشير إلى أن النائبة كانت تفرض على الجهات المغربية النائية، وقد كان القائد المعروف بمولاي الغول يتسلم النائبة من أهالي الصحراء عند مرورهم بصفرو قريبا من آيت عطّا... ويعطيهم في مقابلة ذلك «زرواطة» كعلامة على الأداء... ومن هنا جاءت العبارة المعروفة «اللي بزرواطته يدوز واللي لا... لا...»

57- «يخيط بينهم بخيط أبيض»

يضرب المثل في الشخص الذي يعرف كيف يواصل بين الناس ويطوق الخلاف بين الأمم على طريقة لا يبقى معها أثر للخلاف، واختيار اللون الأبيض على الخصوص له دلالة خاصة فإنه اللون الرسمي للدولة المغربية على ما نعرف، فالمثل تعبير بالدارجة عما نسميه اليوم بالمساعي الحميدة.

58- «يَسْلَم عليه اليهودي»

مثل يجري على ألسنة الناس عندما يريدون التعبير عن أعلى أنواع التضحية في سبيل الوصول إلى هدف، يقال إن جماله رائع لو رآه يهودي لأسلم من أجله. وهو من الإبداع بمكان حتى أنه ينسي الناس معتقداتهم، وقد ورد في معرض تقييم بضاعة مغربية مصدّرة إلى الخارج... يَسْلَم عليها اليهودي أي أنها كانت قمة.

59– «يمشي على البيض»

يضرب مثلا للحذر الشديد في القيام بخطوات نحو تحقيق الهدف. ومن المعلوم أن الماشي على البيض يكون من واجبه أن يحتاط أتم الاحتياط، وقد ورد المثل أيضا على لسان النائب السلطاني وهو يصف أمين الأمناء كيف كان يعالج مشكلا من المشاكل الدقيقة التي اعترضته.

60– «يهودي، أسلم بين يديك»

تعبير يقال عند التوسل بأقصى ما يمكن... اعتبره يهوديا أسلم بين يديك ! أنه يحتاج – وقد ترك دينه – إلى عطفك وحنانك، وكثيرا ما استعمل هذا المثل في الاستعطاف والتذلل من طرف الذين تتوقف حاجتهم على ذلك.

61– «يهودي شاف الصقلي»

شاف : رأى، والصقلي نسبة إلى صقلية، لكن القصد بالصقلي في المغرب أسلاكٌ ذهبية تقصب بها الملابس الرفيعة، وتستعمل أيضا في صياغة الذهب، والقصد إلى تصوير شوق امرئ إلى شيء عزيز عليه، فكأن هذا الشيء بمثابة (الصقلي) إذا رآه اليهودي، ومعلوم أن اليهود معروفون بشغفهم بالذهب، ولذلك فإنهم عندما يرونه يهتبلون.

62– «اليهودي يهودي ولو بعد أربعين جدّ»

مثل يصوّر عدم الثقة في اليهود الاسلاميين، وهو ينزع إلى ما كان يعتقده الشيخ المغيلي الذي كان على خلاف مع الشيخ ابن زكري الذي يرى في تطرف المغيلي خروجا عن الخطّ الإسلامي في هذا الصدد، وللذين يستدلون بهذا المثل قصة يروونها عن مضرب المثل.

63– «يهودي مات في الملاح»

الملاح كما نعلم اسم لمنطقة بفاس الجديدة كانت تحمل اسم الملاح بنى فيها المرينيون مدينة اختصت بسكنى اليهود، وجعلوا بجانبها ربضا للجند من

النصارى، وهكذا أصبح (الملاّح) عَلماً في سائر جهات المغرب على حارة اليهود، والمثل يذكر في الشيء الذي يستدعي البشرى : عند مقدم شخص غير مترقب تريد أن تقول له : إنها فرحة عارمة، تذكر المثل لأن اليهودي إذا لم يمت غريبا ومات بين أهله وذويه في الملاح فإن ذلك يكون نعم السلوى لذويه.

الهامش

1) عبد الهادي التازي : تاريخ القرويين 1 ر ص 93 - 94 - 103.

حكمة الأمثال في صقل الأثال[1]
و تواصل الأجيال

الحاج بن مومن

عندما تفضلت أكاديمية المملكة المغربية بمنحي فرصة المشاركة في هذه الندوة العلمية ترددت وتمهّلت لمعرفة كيف يمكنني التعامل مع موضوع تناوله العديد من الأخصائيين في شتى المناسبات وحظي بمنشورات عدة إن على الصعيد الوطني أو عبر دور نشر أجنبية. فخشيت أن أكون كما تقول بعض الأمثال التي ساقها أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة وأسرار العربية كجالب المسك إلى أرض الترك ، أو العود إلى بلاد الهنود، أو العنبر إلى البحر الأخضر، أو كمستبضع (كمبضع) التمر إلى هَجَرْ أو كبائع الماء للسقّائين.

وبعد التمعن في فحوى المحاور الأساسية للموضوع المطروح و بعد جرد لأهم المؤلفات التي عالجته، تبين لي أن هناك جهوداً يمكن بذلها لإبراز بعض الجوانب التي لم تحظ بعد بما يليق بها من عناية واهتمام ولتلافي بعض النواقص وسدّ الثغرات. وفي ما يلي أقدم نتيجة ما آلت إليه الجهود في هذا الباب وما خالج فكري من آراء في شأن تراثنا الشفوي عامة والأمثال والأقوال على وجه الخصوص، أقدمه للحضور الكريم على ما فيه من نقص وهفوات، فالله وحده الذي تفرّد بالكمال، أسأله حسن التوفيق والهداية.

تمهـيد

تستقبل البشرية الألفية الثالثة ويخامرها شعور راسخ بهيمنة نموذج الفكر الوحيد من خلال ما يروّج له مفهوم العولمة من تجاهل للخاصيات الثقافية

المميزة للشعوب. ويتجسد ذلك النموذج في تطويق المعمورة بشبكة تواصلية عنكبوتية لم تقتصر على التقليص من الفضاءات الجغرافية، بل شمل مفعول التقليص كذلك تباين الهويات والعادات واللغات. كيف يمكن إذن لأجيالنا أن تتموضع داخل هذا التيار الجارف حتى تتسنى لها مواكبة الركب الحضاري مع الاحتفاظ بمكونات شخصيتها وأصالتها؟

تنقل اللغات حمولات مفاهيمية موروثة وأخرى مكتسبة من شأن الأولى أن تمكن الشخص من تحقيق ذاته عن طريق إحساسه العميق بالانتماء إلى إرث ثقافي وسلوكي متميز، بينما تسمح له الثانية بالغوص المجدي والفعّال في خضم الرهانات الحالية والمستقبلية. تقتضي هذه المفارقة الوقوف على الملابسات المحيطة بتوظيف عقلاني للغة حتّى نوفّق بين ضرورة الحفاظ على مكونات الأصالة وبين ما تفرضه إكراهات التنمية والمعاصرة .

هذا ما يسعى إليه موضوع المداخلة الذي يتناول بعض الجوانب من التراث اللغوي الشفوي عامة و ما يتعلق بالأمثال على وجه الخصوص، وذلك في إطار ما توصلت إليه المقاربات الحديثة في ميدان اللسانيات المجتمعية والسيكولسانيات .

1. فيما يخص تثبيت مكونات الهوية :

يعتبر المثل بمثابة لواء تنضوي تحته مجموعة بشرية معينة، أو بطاقة تعريف جماعية تحدد معالم العلاقات داخل تلك المجموعة. كما يعدّ المثل برهانا يُظْهِرُ من خلاله الشخص انتماءه لتلك المجموعة والتحالف مع أفرادها كما هو الشأن مثلا بالنسبة للعديد من الجماهير الرياضية عبر العالم التي تُشْهِر إعجابها بناديها المفضّل عن طريق ارتداء أقمصة رياضية مماثلة لبذلاته والتلويح بلافتات تحمل ألوان ورموز النادي.

سيتفحّص المقال في هذا الباب بعض السُّبل الهادفة إلى حسن استغلال مختلف مكونات المثل (اللغوية، المعرفية، الإبداعية، السلوكية، العقائدية، الخ.) القمينة بترسيخ انتماء الشخص إلى عشيرته.

2. فيما يتعلّق بتيسير التواصل بين الأجيال :

يتمحور الجانب الثاني من البحث حول إبراز الإمكانات الهائلة المتوفرة عبر الأمثال الواجب تفعيلها في إرساء عملية تواصل تمكّن من تسهيل سيرورة الخطاب ورفع كل التباس بين قطبي الحوار (الملقي و المتلقي) سواء تعلق الأمر بعملية التواصل الاجتماعي عموما أو بالعلاقات بين أجيال متباينة داخل المنظومة التربوية على وجه الخصوص.

دينامية التراث اللغوي الشفوي

تثير دراسة التراث اللغوي الشفوي عامة والأمثال خاصة ظواهر أساسية تتعلق بوظائف الفكر البشري. غير أن مستوى معارفنا الحالية بطرق تخزين وتمرير فحوى تلك الذخيرة التراثية الهائلة مازال في طور المُضْغَة، الشيء الذي يفسر تذبذب فرضيات المهتمين بهذا الميدان في سعيهم الجاد لإرساء أُنْموذَج موحّد يقود البحث والتأمل. وممّا يزيد الأمور تعقيدا هو تبنّي عدة حقول معرفية مشروعية الأولوية في معالجة هذا الميدان، منها : العلوم التاريخية، الإثنولوجيا، اللسانيات المجتمعية، السيكولسانيات، الخ.

وفي انتظار تحديد جهاز تحقيق نظري يناسب موضوع الدراسة، لا يسع الباحث إلا أن يكتفي في هذا الطور بالصبغة الاستكشافية في مقاربته للموضوع، ولا خيار له إلا المسلك الاستقرائي . يبقى إذن من الضروري إرساء منهجية مضبوطة تمكن من التعريف بميدان البحث ووصفه وصفا دقيقا.

يرتكز تراثنا الثقافي بنسبة غير ضئيلة على التواصل الشفوي. هكذا تم الحفاظ على قسط مهم من حضارتنا واستمراريته عبر العصور من جيل لآخر بفضل الذاكرة الجماعية. وأمام الكم الهائل من الأحداث الاجتماعية والثقافية الذي تحتضنه وتسوقه الشفوية يبقى التساؤل مطروحا حول نوعية الأدوات المسخرة من طرف ذاكرة أجيالنا المتعاقبة لضمان دوام تلك الذخيرة.

يجدر الاستشهاد في هذا الباب بما توصّل إليه من نتائج بعض الأخصائيين مثل إميل بونفيني (1995) الذي كشف عن بعض المعطيات التي

تفسر جانبا مهما من اللغز المطروح. هكذا يعزو بونفيني قدرة ذاكرتنا على تحقيق ذلك الإنجاز إلى ثلاث وسائل منيمو تقنية أو أدوات لدعم الذاكرة :

1. الطـبيعة

تسوق الطبيعة حمولات دلالية كبيرة داخل مجتمع يتميز بثقافة شفوية عريقة. هكذا تشحن بعض الظواهر الطبيعية وبعض الأجناس الحيوانية والنباتية مغازي عميقة تتجلى في شكل منبهات تثير لدى الإنسان ردود فعل وسلوكيات خاصة.

2. المؤسساتية والمعرفة

يتم حفظ التراث الجماعي وتقويته عن طريق وُدَعاء وأُمناء الثقافة الشفوية نخص بالذكر منهم : شيوخ قبائل وشعراء وقصاصين ومغنيين متجولين ومجذوبين، الخ، ولكل منهم مكانة اجتماعية متميزة متّسمة بالاحترام والمهابة أحيانا.

3. تناغم (أو جرسية) الكلام

يعتبر تناغم الكلام كذلك من الوسائل الناجعة لتقوية الذاكرة، حيث يرتكز على التكرار وتآلف الأصوات ذات الوقع الحسن على الأنفس .

التراث الشفوي الأصيل والمقاربات الحديثة

لا يمكن إنكار ما يتميّز به عصرنا الحديث على الصعيد المادي من اكتشافات توفّر على البشرية الكثير من العناء وضياع الوقت في ممارساتها اليومية، فضلا عن الاختراعات الطّبية المتميزة التي استأصلت العديد من الأوبئة الفتاكة وقلّصت من أخطار علل أخرى أتت على أمم برمّتها في العصور السابقة وحتّى إلى عهد قريب منا. إلاّ أنه وكما يقول المثل : كم من نعمة في طيها نقمة. وينجم أحيانا عن هذا التطوّر والتمدّن مضاعفات وخيمة تتجلى على الصعيد النفساني خاصة حيث يلاحظ الأخصائيون لدى شرائح عريضة من المجتمع

عاهات مختلفة ناجمة عن تكريس الفردانية وفقدان الشخصية. هكذا تئنّ العديد من المجتمعات اليوم تحت وطأة العمران الوحشي الذي يترتّب عنه تعطيل قنوات التواصل بين الأفراد، الشيء الذي يؤدّي بهم حتما إلى غُفلية (Anonymat) أو عُزلة محبطة تقوّي رغبتهم في التواصل من جهة والبحث من جهة أخرى عن عشيرة انتمائية جغرافية كانت أو لغوية أو (عقائدية) يسكنون إليها، فتتعدّد التيارات داخل المجتمع : هناك دعاة العولمة والشمولية دون قيد؛ وهناك حُماة الإرث الثقافي والسلوكي بلا شرط، بينما تتأرجح فئة ثالثة مزدوجة (مفصومة؟) الشخصية بين التيارين السابقين. يجسّد هذا الصراع المثل التالي الذي يُدرج ضمن خطاب إشهاري على أمواج إذاعة ميدي1 (Médi1) :

يقول أحدهم : "كيقولوا سيادنا الّوالى : الجّديد لو جدّة والبالي لا تفرّط فيه"؛

ويكون الجواب : "البالي خلّيه لمّاليه حنا أولاد اليوم، خذ لك شي (...) ثمّ يذكر المحاور اسم المنتوج موضوع الإشهار".

ما أحوج الناس إذاً إلى ملجإ أخير ومرساة أمان تجنّبهم فقدان معالم ذاتيتهم في هذه الفترات المشحونة بالأزمات النفسية، فمن يعصمهم من ذلك (بعد الله) سوى ذاكرتهم الجماعية و جذورهم العميقة ؟

هكذا تجد الكثير منهم يسعى إلى البحث عن كل ما يمُتّ إلى التراث بصلة عبر إحياء التقاليد والعادات الموروثة . فيتجلى ذلك لديهم في الاهتمام المتزايد بالمنتجات الطبيعية إن على مستوى التّطبيب والتّجميل أو فيما يخصّ الحِمْية (Diététique) والتغذية. فتجد اليوم على رفوف المساحات التجارية الكبرى عجين الأسنان ممزوجاً بالسّواك أو النعناع أو فليو، والصابون البلدي، ومنظّف الشعر بالأعشاب وآخر بالغاسول، ودهن الوجه بزيت أركان، الخ. ولا ننسى ما يوصي به المثل الدارج في هذا الباب :

إلى بغيتي سعدك يَبْياض ديرلو الحنّة والْبياض .

هكذا يوظف الجانب اللساني هو الآخر لنفس الغاية، حيث تجد أحاديث الناس مشوبة بأمثال عامية يستشهدون بها تارة لتزكية أقوالهم، وتارة أخرى للتخفيف من وطأة صروف الدّهر الناتجة عن تقلبات اجتماعية عميقة . تقول في هذا الصدد العالمة النفسانية آن لوريا (25: 1993) :

"يحتاج الإنسان إلى معالم ذاتية وإلى رموز ثقافية لإعادة بناء شخصيته. هنا يتجلى أساسا دور لغة الأمومة، ولغة العشيرة، و لغة البلدة...شفاء للروح وملجأ يسكن إليه"؛ وتضيف آن لوريا: " من منّا لم يشعر بارتياح عميق عند سماعه أصواتا مألوفة تهتف بلهجته وهو يتواجد في بلد أجنبي؟"

هكذا تعمد عامة الناس في تواصلها اليومي إلى بساطة لغتها السلسة، بليغة الاستئثار بالقلوب وسريعة الاستقرار في الذاكرة، فيتزودوا من ذخيرتهم الأصلية الزاخرة بأقوال وأمثال متناغمة الأصوات خفيفة التسمية والسيرورة تنفرد بالتعبيرية الرصينة ودقائق الأشياء والمعالم فيجد فيها كلّ واحد ضالته وبغيته على غرار ما وصف به أبو عثمان الجاحظ كتابه " الحيوان حيث قال فيه:

«هذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم. يشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك . ويشتهيه اللاّعب ذو اللّهو كما يشتهيه المجدّ ذو الحزم . ومتى ظفر به صاحب علم، أوّ هجم عليه طالب فقه، فقد كُفي مؤونة جمعه وخزنه وطلبه و تتبّعه، وأغناه ذلك عن طول التفكير واستنفاذ العمر وفلّ الحدِّ وأدرك أقصى حاجته وهو مجتمع القوّة ».

هكذا نتمنّى أن يكون ديوان الأمثال العامية الذي تسعى أكاديمية المملكة المغربية إلى إنجازه وهي محمودة السعي.

تسخر إذا هذه الذخيرة التراثية في شتّى المجالات وفي كلّ المناسبات، ولن نكون مبالغين إذا نحن حرّفنا قليلا المثل الذائع وقلنا أن" لكلّ مقام مثل" ؛ بدلا من " لكلّ مقام مقال".

في باب صقل الأثال تنشأ الأمثال من خلال تعاقب الأنشطة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فتحثّ تلك الحكم والمقولات أفراد المجتمع على تقبُّل وتبنّي كلّ ما حصل حوله إجماع كما تهيب باحترام العادات والتقاليد والامتثال للتّعاليم المقدّسة.

نجد في هذا المضمار العديد من الأمثال التي توصي بذلك مثل :

كيّل زرع بلادك وخّا يكون شعير.

الّي خاد من غير قبيلتو يتهرّس من ركِيبتو.

يدّك منّك وخّا تكون مجدامة.

اختار لولدك الأصل واختار لبنتك الرّجل.

ما كينكر أصلُ غير لبْغل.

حكمة الأمثال في تواصل الأجيال

يستنجد الأستاذ أحيانا – خلال إلقائه لدرس يطغى عليه الجانب النظري– بمقولة أو بمَثَل يثير به مُجَدّدا انتباه طلبته حين يستعصي عليهم استيعاب الاستدلالات المجردة. فكم من مرّة استخدمت الأمثلة التالية لدعم الإيضاحات داخل مختبرات أو قاعات العلوم التجريبية :

والله إلى ما قْفَلت لا فوّرت، أو الحاجة أم الاختراع، أو سال المجرّب لا تسال الطبيب الخ.

أما في ما يخصّ توظيف الأمثال في توطيد روابط التواصل بين مختلف شرائح المجتمع فهناك نماذج كثيرة انتقينا منها :

– في باب الاحترام والوقار ؛

سيادنا يْفَرّشُو كْسِيهُم واحنا ما نگلسو عليهم.

على وجه الكتاب كتّباس الجّلدة.

– في باب التآزر والتآخي :

لا حبيب إلاّ حبيب الشدّة .

خوك خوك لا يغرّك الطمع.

– في باب تربية الأطفال :

الخدمة على الّولاد سبقت العِبادة والجِهاد.

(أو مقولة) خير خلف لخير سلف .

غالبا ما تستند الخطابات الإشهارية عبر الشاشة على الأمثلة الشعبية لحث المشاهد على اقتناء منتوج معين دون الآخر. هكذا تسخٍّر الدعاية العقارية مثلا :

" يَجُرة فالحيط حسن من جوهرة فالخيط " أو

" تمر ززاوة زيدو مضغة ازيدك حلاوة " ، الخ.

إلاّ أن هناك مآسي اجتماعية تنجم أحيانا عن الدعايات الزائفة التي تستعين بمقولات عامية لتحمل المستهلك على المجازفة باستقراره المادي وذلك عن طريق تسهيل عمليات الاقتراض أو ما شابه ذلك من خطابات مغرية أخرى مثل :

لّي بْغَى يربح العام طويل و لّي بغى يربح 40 مليون العام ماشي طويل !

(الوكالة التجارية إيمو)

الشيء الذي حمل أحد النواب البرلمانيين على المناداة بتخليق القطاع الإشهاري المغربي الذي يرتكز على مقولة : "ورّلو الربح و دّيلُو راس المال" (راجع نصّ الأسئلة الشفوية البرلمانية المتعلقة بفاتورة الهاتف ليوم 23 أكتوبر 2001).

الخاتمـة

هكذا يساق المثل تارة بشكله الهزلي وتارة أخرى يكتسي طابع الجدّية والواقعية ليعبّر بأسلوب كلّه رموز وتلميح ومشاهد وصور حية من طباع المجتمعات وتجاربها ووعيها الدقيق بحضاراتها وإدراكها العميق بفلسفة الحياة وقدرتها على تخطّي الصّعاب بالحكمة والموعظة وانتقاد الذات. ويتميز المثل من ناحية المبنى بالإيجاز والاقتضاب والتحكم في أساليب الطِّباق والإيقاع المسجوع.

إن هذا الفن من الفنون الأدبية ينبع من تراث الإنسان الأبدي الثابت الموسوم بالفطرة والفطنة؛ ولا شك أن الباحث فيه وقف مرارا على وحدة الفكر الإنساني وتماثل الخواطر البشرية عبر المواضيع الأساسية المطروقة التي تُعْنى بحكمة الشعوب مع اختلاف الجغرافيا وتباين الطقوس.

الهامش

1) الأُثلة والأثال و الأُثال : ما ورثه الإنسان من مجد أو شرف أو مال، الخ.

المراجـع

- صندل عبيد راشد (1992) : الأمثال و الألغاز الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- الصباغ إ. راشد (1978) :الأمثال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة وما يقابلها من الأمثال الدارجة في الوطن العربي .
- فريحة أنيس (1953) : الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن، الجامعة الأمريكية في بيروت.
- ابن عبد الله الحسين ابن علي (1996) : قصص وأمثال من المغرب، وزارة الشؤون الثقافية.
- المسعودي ليلى (1987) : أمثال وأقوال مغربية، Ed. Lunay باريس.
- أبو منصور الثعالبي (2000) : فقه اللغة وأسرار العربية. ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

- BONVINI, Emilio (1995) : Afrique noire, Encyclopédie Universalis.
- LURIA, Anne (1993): Retrouver ses racines, in : Psychologies, décembre 1993, pp. 24-27.

الأمثال العامية :
خصوصياتها اللغوية ووظائفها

زكية عراقي سيناصر

إذا تمّ إنقاذ العديد من الحكم والأمثال الفصيحة والأندلسية بفضل مجهود المؤلفين والباحثين الذين سهروا على تدوينها وتحقيقها فإن الكثير من الحكم والأمثال العامية المتداولة يوميا بالمغرب لم ينشر منه إلاّ النزر القليل .

فأمام هذا النقص ارتأت جمعيتنا أن تعمل من شأن تجميع كل الأمثال المدونة والمتداولة، وأن تبلور خصوصياتها اللغوية وتبحث عن وظائفها في المجتمع وتفكر في إمكانيات جديدة لاستثمارها.

ما هي إذن خصائص هذه العبارات المليئة باللغز والحكمة التي نفوه بها بالعربية الدارجة أو بالأمازيغية والتي نلجأ إليها في حديثنا اليومي إمّا بصفة تلقائية وإمّا لأغراض معيّنة.

من خلال دراسة الأمثال يسعى بعض الباحثين إلى بلورة الحكمة العامة والعقلية المشتركة بين الشعوب. يلاحظ فعلا أنّ جل الحكم والأمثال تكوّن رصيدا عاما وملكة مشتركة، وأنّ معظم الأمم تعبّر عن نفس الشعور بواسطة أمثالها؛ وفي هذا المضمار نلاحظ أحيانا علاقة وطيدة بين أمثال من دول مختلفة وبلغات متباينة وذلك من حيث المضمون أو المدلول أو حتّى من حيث الشكل. ويبدو أن المثل الشائع، بفضل ما يتضمنه من حكمة، خرق تخوم المكان والزمان وشيّد جسورا بين الأمم :

اللـي عضّه الحنش يخـاف مـن الحبل

Tamazight : yan ibbi ulgmad art issiwid izikr

Français : Chat échaudé craint l'eau froide

Anglais : He who is bitten by a snake fears even a rope

Espagnol : Gato escaldado del agua fria huye

وهناك نظرية أخـرى أسـاسـها العلاقة الموجودة بين الأمثال والمجتمع الذي يستعملها . وحسب هذه النظرية تعتبر الأمثال كمرآة تتجلّى فيها الحياة اليومية والتجربة الشعبية . ومن خلال الأمثال يستطيع الباحث أن يتعرّف على العقلية السائدة في المجتمع وعلى مزاج أهله وأفكارهم واعتقاداتهم وتقاليدهم .

والحقيقة أننا لا نجد تناقضاً بين النظريتين الإثنتين. فعندما نتمعّن في دراسة الأمثال الشعبية المغربية نكتشف صنفين من الأقوال :

-الصنف الأول، كما أشرنا إليه، يحتوي على كل ما يتعلّق بالبشرية بصفة عامة؛ ويمكن تطبيق هذا الصنف من الأقوال على أي مجتمع في أي قطر:

النواض بكري بالذهب مشري

– أمّا الصنف الثاني من الأقوال فيدلّ على خاصيات ينفرد بها الشعب المغربي ولا يمكن إدراك تلك الأقوال إلاّ في محيطها الاجتماعي :

وخّا يرجع بورقراق حليب، والرملة زبيب، ما يرجع الرباطي للسلاوي حبيب.

اللي حبّ الصحّ يمشي للقرويين .

قبل أن نحاول البحث عن الدور الذي تلعبه الأمثال نظرا لهاتين الصفتين، الوطنية والدولية ونظرا لارتباطها بحقائق عالمية أو بخصوصيات المجتمع المغربي سأقدّم بعجلة الجانب الشكلي واللغوي للأمثال .

من الناحية اللغوية تتميز الأمثال بصيغ وبنيات وأساليب خاصة .

– تأتي بعض الأمثال على شكل سؤال :

آ المبيّض من برّا آش خبارك من داخل؟

– أو على شكل سؤال وجواب :

آش خصك آ العريان؟ الخاتم آ مولاي .

– أو على شكل تعجب :

آ الشاري تفكّر يوم تبيع .

– من الأمثال ما يشبه الأحاجي :

الثلث الخالي في الدنيا هو راس بنادم .

– تستعمل بعض الأمثال على شكل حوار:

قال له : آش صنعة بّاك ؟

قال له : نفّار

قال له : حمد الله على رمضان تقاضى.

وضمن هذه التراكيب تلجأ لغة الأمثال إلى أساليب تستعمل عادة في الشعر كالمجاز والسجع والقافية :

النهار بعويناته والليل بوديناته .

إلا فاتك الطعام ، قل شبعت .

إلا فاتك الكلام، قل سمعت .

ومن بين الوسائل التي تثير الانتباه وتعطي للمثل صبغة شيقة نجد تكرار الألفاظ :

نهيه، نهيه ، إلا عما سير وخلّيه .

– استعمال المتناقضات والأضداد :

إلا طردك البخيل، عند الكريم تبات.

كل هذه الوسائل، بالإضافة إلى تركيب وجيز ودقيق تعطي للأمثال جمالية ورونقا، وفي نفس الوقت تسهّل تلقينها كما ترسّخ بنياتها وتحميها من التحريف طيلة تسلسلها عبر الأجيال .

ما هي انعكاسات هذه الأساليب ؟

نظرا للخصائص اللغوية التي أشرنا إليها تعتبر الأمثال بمثابة نوع أدبي من ضمن أصناف الأدب الشعبي . لا فرق في بعض الحالات بين أمثال منظومة وأبيات شعرية. واعتبارا لصقل قالبها وجمالية شكلها، تحفظ الأمثال بسهولة وترسخ في الأذهان، ومن ثم نلاحظ أن استعمال الأمثال يسترعي الانتباه ويجعلنا نصغي إلى من يتكلّم بواسطتها لنستوعب كلامه، فلهذا الكلام دور معين في علم الأخلاق وتأديب الأشخاص وتهذيب المجتمع. تبلور تلك العبارات حقائق جذرية مستنتجة من التجربة البشرية أمام مواقف معيّنة، كما تعبر بصفة عامة عن سلوك إنساني مثل التفاؤل والبخل والخداع والظلم. يذم النفاق والافتخار والأنانية في كل مجتمع بنفس الأساليب، وعلى عكس ذلك ينوه بالصدق والكرم والحلم. هذه مواقف ثابتة تعبّر عن الحكمة الشعبية وتخلّد بواسطة الأمثال. من أجل ذلك يعتبر المثل حجة قاطعة أو دليلا مقدّسا يبرهن على كلام صادر عن الأجداد منذ العصور الغابرة، ورثناه عنهم فأصبح ملكا للجميع ومن واجبنا احترام هذا الكلام وأخذه بعين الاعتبار.

الوظيفة الأخلاقية

وفي غالب الأحيان ينطق بالحكمة لهدف معين وفي ظروف خاصة؛ إن هذه العبارات، من شأنها أن تخفف ألمنا في حالة التشاؤم والفشل، كما من شأنها أن ترشد إلى الحيطة وتوجه أفعالنا.

عندما تكون للمثل علاقة بقصة أو حكاية يعبّر عن ذلك بكلمة "حكمة" حيث تشير هذه اللفظة إلى جملة قصيرة تدلّ عادة على النضج والرأي النابغ عن التجربة والرصانة، كما ترشد الحكمة الشخص الذي تقصده وتوجّه سلوكه ومعاملته إلى الصواب. فتعتبر هذه الجملة بمثابة نصيحة أو قاعدة سلوكية تتجلّى فيها خبرة القدماء وتتسم بالحيطة والحذر.

بالإضافة إلى هذه الوظيفة الأخلاقية هناك وظائف أو مهام أخرى تسند عادة إلى الأمثال كالوظيفة الدينية والعلمية والتعليمية.

الوظيفة الدينية

إن للأمثال والحكم وظيفة من الناحية الدينية حيث تدعو بعض الحكم إلى احترام مبادئ الدين وتوصي بالصبر والرصانة وهي من مميزات الرجل المؤمن :

الصلاة في وقتها أحسن من الدنيا وما فيها .

الصبر مفتاح كل خير.

الوظيفة العلْمية

من الأمثال ما يوجه أو يرشد ومنها ما يلقن معرفة علمية مستنتجة من تجربة القدماء، وعلى سبيل المثال نذكر مجال الفلاحة لما يزخر به من معلومات ونصائح علمية حول الفصول وحول الطقس والتغيرات الجوية. كان الفلاح يعتمد على الحكم الشعبية ليتذكر ما يجب العمل به عندما تحل مواسم الحرث والزرع والحصاد :

إلا حمارت مع العشي غير حلّس حمارك يمشي .

وإلا حمارت مع الصباح ردّ حمارك للمراح .

الوظيفة النفسانية

و من بين مجموعة الأمثال العامية نجد صنفا خاصا يختلف عن الأصناف السابقة الذكر. إنها أمثال موجهة لفئات معينة وتستعمل عادة لأغراض معينة .

من الناحية اللغوية تخضع هذه الأمثال إلى المواصفات التي أشرنا إليها من سجع وقافية وجمالية الأسلوب. أما بالنسبة للمضمون الإيجابي والقيم الأخلاقية المنبثقة عادة من استعمال الأمثال، لا بدّ من طرح السؤال التالي : ماذا يقصد المثل السلبي الموجه إلى الجبلي والفاسي والشلح واليهودي والعبد والمرأة الخ ؟ سأسلط الأضواء على الفئة الأخيرة نظرا لانتمائي إليها.

في غالب الأحيان نكتشف من خلال المثل صورة سلبية عن المرأة وذلك في جميع أوضاعها وفي كل طور من أطوار حياتها .

باستثناء أمثال إيجابية نادرة حول الأم والبنت لا نجد أثرا للتنويه بالعنصر النسوي .

من بين الايجابيات مثلا :

ما بعد الأم حبيب، ما بعد الجوع طليب .

اللي ما عندها بنتها تدفن راسها في حياتها.

بصفة عامة، إن النساء أقوى من الرجال وحتى من الشيطان فيما يتعلق بكيدهنّ وحيلهنّ.

إلا حلفوا فيك الرجال بات ناعس .

إلا حلفوا فيك النسا بات فايق .

كيد النسا قوي وكيد الشيطان ضعيف .

– أما فيما يخصّ دور المرأة في تسيير شؤون البيت، يستحيل أن يكون لها زمام الأمر أو حتّى الإدلاء برأيها :

طاعة النسا كا تدخّل للنار.

شاور مراتك واعمل ريّك، شاور مراتك وخالف ريّها

أما المرأة العجوز فعدد الأمثال التي تعبّر عن شرّها ونفاقها والأعمال السيئة التي تقوم بها، وخوفها من علامات الشيخوخة، عدد لا يحصى:

المرا كا تهرب من الشيب كيف النعجة من الذيب.

لا شفتي الشارفة بالتسبيح اعرفها شيطانة بالتصحيح.

انطلاقاً من متون مختلفة وأمثال متعددة حاولت في الشطر الأول من هذا العرض، الوصول إلى تعريف عام للمثل الشعبي المغربي مع خصوصياته اللغوية ووظائفه الاجتماعية . لكنّ مجموعة الأمثال التي قمت بتحليلها في الشطر الثاني تكتسي صبغة خاصة .

هل تعكس هذه الأمثال التصور الحقيقي للمرأة في مجتمعنا؟

لماذا تتعرض المرأة إلى هذا الهجوم عبر الأمثال؟

إذا كانت هذه الأمثال، حسب ما يقال، تعبّر عن زمن مضى لماذا ما زلنا نلاحظ تداولها واستعمالها اليوم ؟

ما هو دور هذا الصنف من الأمثال؟

إن الأمثال من هذا القبيل شائعة في جل البلدان. من المحتمل أن تضمحل أو تكتسيَ معنى مجازيا بدل المعنى الأصلي نظرا لتطور الأحداث وتغيير الوقائع الاجتماعية.

يلاحظ أن الأمثال التي تدخل في هذا الصنف لها وظيفة نفسانية. بواسطة ما قاله الآخرون في ظروف معينة، يعبرالمرء، بتهكّم واستهزاء، عن اللاشعور، وهكذا يتبين ما في النفس من انفعالات. يصبح المثل في هذه الحالة بمثابة "صمّام الأمان" (soupape de sûreté) وهذه وظيفة من بين وظائف الأدب الشفوي.

الوظيفة التعليمية

إذا كان تهذيب أطفال الأجيال السابقة يتم في غالب الأحيان بواسطة الحكم والأمثال فيمكن العودة إلى هذه الوظيفة النبيلة في الطرق التعليمية الحديثة .

سأشير إلى بعض البوادرالتي تنصب في هذا الاتجاه .

إن مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين يوصي بالاستئناس باللغات واللهجات المحلية في بداية التمدرس من أجل إتقان التعبير الشفوي وتمهيدا للقراءة والكتابة .

والواقع أن هناك فارقا لا شك فيه بين اللغة التي يتكلم بها الطفل في المنزل واللغة التي يلقّنها له المدرسون بالمدرسة وهي التي يتعلم بها القراءة والكتابة. إن الطفل يواجه عند انتقاله إلى المدرسة انفصاما حادا : من لغة الأم أي من الشفوي الذي لا يُكتب يُزجّ بالطفل إلى الكتابي الذي لا يتكلّم به .

وينبغي تكريس الجهود في التدريس على الوسائل التي تساعد على تحقيق تقارب من حيث الألفاظ والتراكيب، وإقامة جسور بين المستويين : العامي والفصيح. فعوض أن تقدم إلى الطفل تعابير وبنيات لا علاقة لها بما يسمعه يوميا في وسطه، من الصواب الانطلاق من أشياء يعرفها الطفل مسبّقا وينبغي أيضا التركيز على العناصر المشتركة بين اللغة الأم ولغة المدرسة قبل التطرق إلى ما يفرق بينهما .

إن من الضروري الوعي بهذه الوضعية منذ بداية التعلّم ؛ وفيما بعد يمكن، تدريجيا، تناول الفروق التي ستتّسع شيئا فشيئا بين الشفوي والكتابي وسيدرك الطفل بنفسه قصور اللغة الأم، ثمّ سيبدو أكثر تفتحا لكل ما يتلقاه من المدرسة.

وكذلك الشأن إذا كانت لغة الطفل هي الأمازيغية؛ فمن الضروري في بداية التمدرس مخاطبته بهذه اللغة إما كلّيا أو جزئيا. وهكذا يتم دخول الطفل إلى المدرسة بطريقة عادية حيث يجد معالم تجعله يشعر بالأمان في المدرسة .

كلّما كان الفرق شاسعا بين لغة المنزل ولغة المدرسة، كلما وجد الطفل مزيدا من الصعوبات لتعلّم القراءة والكتابة، وكلما كانت المدرسة مطالبة بمضاعفة الدعم للطفل كي يتخطى هذه الهوة بفعالية .

إن الطرق التربويـة الحديثة تلحّ على استثمار الرصيد اللغوي للطفل إلا أن ما تتعرض إليه اللغات الأم من نقد يقلّل من أهميتها، وبالتالي تعتبر من الوسائل التي لا يصلح استعمالها في التدريس .

لكن تعلّم لغة ما لا يتحقق إلا بواسطة ومن خلال الثقافة الخاصة بها. ولتدارك الفراغ الثقافي لا بدّ من العمل على تجسيم اللغة الأم وذلك بواسطة الاعتناء بما لها من رصيد ثقافي يكاد يضمحلّ ، من ألغاز وحكايات وأناشيد وأمثال . فمن شأن ذلك إغناء الطور الأولي وتحقيق فعّاليته وأصالته .

لا شك أن تلقين التراث الشفوي يعود بفوائد متعددة وذلك من الجانب المعرفي واللغوي والثقافي والتربوي .

وبالعكس من ذلك فإن تنحية هذه اللغة التي تشبّع بها الطفل عاطفيا، يمكن أن تسبّب له بعض الاضطراب وتعرقل تقدمه في تحصيل المعرفة .

ما هي الفوائد من إدخال الأمثال في النظام التربوي؟

أولاً وقبل كل شيء يعتبر استعمال الأمثال في النظام التربوي بمثابة إنقاذ للتراث الثقافي.

– على مستوى المضمون وعبر الأمثال، يمكن الوصول إلى بلورة قيم بشرية كالإحسان والكرم وتلقين قواعد سلوكية ونصائح تعاملية والتحسيس بمكونات الثقافة المغربية :

اصبر، تنال (من أجل التعود على الصبر).

اعمل الخير، تصيب الخير (قصد العمل على أفعال الإحسان والكرم).

مع من شفتك مع من شبهتك (لتجنب المخالطة السلبية).

– على مستوى اللغة المستعملة يمكن للأمثال أن تساعد على إغناء وإثراء معجم المتعلم. ولقد بيّنت الأبحاث أنّ حظّ نجاح الطفل رهين بغنى معجمه.

- كما يمكن استدراك تدريجي للغة المدرسة بواسطة أمثال فصيحة متداولة في العامية. إنها أمثال مليئة بالنصائح لا ينقصها أحيانا إلا شكل المفردات :

الوقت من ذهب

الوقاية خير من العلاج

- أما فيما يخص المقاربة بين اللغات فإن تواجد نفس الأمثال في لغات مختلفة يشوّق الأطفال إلى تعلم لغات أجنبية .

اصعب الشي بْـدُوهْ .

Il n'y a que le premier pas qui coûte

The first step is the hardest

Lo difficil es el primer paso

الحجرة المقلقة ما كا تنبّت ربيع

Pierre qui roule n'amasse pas mousse

A rolling stone gathers no moss

Piedra movediza nunca mucho cobija

اللي حرث العيب كا يحصد الندامة

Qui sème le vent récolte la tempête

They that sow the wind shall reap the whirlwind

Quien siembre vientos recoge tempestades

النهار بعويناته والليل بوديناته

Les murs ont des oreilles

Walls have ears

Fields have eyes and woods have ears

Las paredes oyen

ينسا الراس وما ينسا الكراس

Les paroles s'envolent, les écrits restent

Words fly, writings remain

Las palabras se las lieva el viento

خاتمة

إن لغة الأمثال، كما أشرنا إلى ذلك في البداية، لا تخلو من خصائص توجد أيضا في المستوى الفصيح، الشيء الذي يشجع على تلقينها للمدرسين.

لكن مضمون الأمثال يتطلب حذرا شديدا؛ بما أن لنزول الأمثال أسباب خاصة تجعلها تأتي إجابة على مواقف معينة، يجب السهر على استعمال لائق وتجنب كل تحريف وعدم تعميم ما جاء في المثل لكل الأوضاع والتخلي عن الأمثال السلبية المتجاوزة. إن هذه الحيطة ضرورية لتفادي كل خطر في تربية الأجيال الصاعدة، خصوصا في السن المبكر.

BIBLIOGRAPHIE

BENCHEHIDA et SBIHI, 1930. Proverbes des vieilles femmes marocaines, Fès.

BENCHERIFA Mohamed, 1975. Al-amthal al-maghribiya, in Encyclopédie: Maalamat al-maghrib, vol. 2.

BENTOLILA Fernand (sous la direction de), 1993. Proverbes berbères, l'Harmattan, Awal.

BRUNOT Louis, 1928, Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hespéris Tome VIII, pp. 59-121.

COLIN G. S. 1955. Chrestomachie marocaine, Adrien-Maisonneuve, Paris.

DOURNON Jean-Yves, 1986. Le dictionnaire des proverbes et dictons de France, Paris, Hachette.

EL-ATTAR Bouchta, 1992. Les proverbes marocains, imprimerie Najah El Jadida, Casablanca.

IRAQUI SINACEUR Zakia, 1993. Le recueil de Westermarck et d'autres proverbes marocains, Colloque "Westermarck et la société marocaine", Publications de la Faculté des Lettres et des sciences humaines, Série Colloques et seminaires, n°27, pp. 97-108, Rabat.

IRAQUI SINACEUR Zakia, 1997. La relation conte-proverbe. Actes du colloque " Contes et récits : produits socio-culturels et outils pédagogiques ", pp. 111-125, Kénitra.

IRAQUI SINACEUR Zakia, 1998. Proverbes et dictons marocains, *in* Encyclopédie : Maalamat al-maghrib, vol. 10.

KABBAJ et CHERRADI, 1998. Un bouquet de proverbes marocains, Casablanca.

MESSAOUDI Leïla, 1987. Proverbes et dictons du Maroc, Casablanca.

WESTERMARCK Edward, 1930. Wit and wisdom in Morocco, London.

ZEMMAMA Abdelkader, 1965-66. Les proverbes marocains, *in* revue Al baht al ilmi, nn° 6 et 7, Rabat.

الأمثال العامية في التعليم

عبد الرحيم العطّاوي

من المعلوم أن الاهتمام بالأمثال العامية يدخل في مجال الأدب الشعبي الذي تخضع دراسته لقواعد محكمة ومنهجيات خاصة. ويدخل الأدب الشعبي بدوره في مجال الفنون الشعبية التي تشكل جزءا من الفعل الثقافي العام الذي تقوم به كل أمة والذي يميزها عن باقي الأمم.

وقد أدركت جميع الشعوب أهمية هذا الفعل الثقافي فاعتنت به غاية العناية وحاول كل جيل تبليغه للأجيال الأخرى شفاهيا. ولا زالت هذه العملية مستمرة حتى الآن خاصة عند الشعوب التي ليست لها كتابة أو تلك التي تتكلم لهجات بعض اللغات الفصيحة كاللهجات العربية.

ونظرا للقيمة الأدبية والبلاغية لجزء من ذلك الفعل الثقافي فلقد تم تدريجيا تدوين البعض منه وانتقاء أجوده قصد إدماجه بعد "تفصيحه" في الأدب المكتوب وهو أدب اللغة الفصحى الذي انفرد لنفسه طيلة قرون باسم أدب"(دون نعوت). ومنذ بداية القرن التاسع عشر عندما أخذت تظهر نظريات ومنهجيات جديدة في مجال العلوم الإنسانية اهتم العلماء بالجانب الشفاهي للفنون الشعبية الذي صار يُعرف باسم "الأدب الشعبي".

ولقد نالت الأمثال الفصيحة أو "المفصحة" في تاريخنا العربي عناية فائقة منذ القرن الأول من الهجرة حيث شرع في جمعها وتدوينها والتأليف فيها. واستمرت هذه العملية عدة قرون حتى ذاعت شهرة العديد من المؤلفين كأبي هلال العسكري صاحب كتاب "جمهرة الأمثال" والزمخشري صاحب "المستقصى" والميداني صاحب "معجم الأمثال" وآخرين.

ولقد دخلت تلك المؤلفات المشرقية الغرب الإسلامي الذي أسهم بدوره في إثراء هذا الجانب من الثقافة العربية. وبفضل هذه الكتب استطاع المثل العربي الفصيح أن يفرض وجوده في بلادنا في كافة المجالات الثقافية وفي مختلف أطوار التعليم حيث كان يُدرّس من خلال الدرس الأدبي.

وعلى عكس المثل الفصيح فإن المثل العامي لم يكن له حضور يذكر في المدرسة المغربية. ويرجع سبب ذلك لكون اللهجات لا يدرّس بها ولا تُدَرَّس عندنا. فتم إقصاؤها من كل نشاط تعليمي رسمي. ولم نكتف بإقصائها كلهجات بل سرنا أبعد من ذلك، واعتبر البعض منا أن ما تختزنه تلك اللهجات من إبداعات أدبية شفاهية لا فائدة فيها، وهي بالتالي غير صالحة للبحث والتنقيب. ورغم أن الأدب الشعبي ظل مدة قرون طويلة مبعدا عن الساحة التعليمية الرسمية فإنه لم يستسلم لليأس ، وكان دوماً يشكل نوعا من "جامعة" متعددة التخصصات في مجال العلوم الإنسانية بالنسبة لمن لم تتح له الفرصة لِيتعلم الكتابة والقرءاة. واستمرت مختلف شرائح الشعب تبدع فيه الروائع تلو الروائع نثراً وشعراً.

وهذا ما انتبه إليه بعض الكتاب المغاربة فأخذوا يقتبسون أشياء كثيرة من الأدب الشعبي ويوظفونها بعد تفصيحها في الأدب المكتوب. ولقد قام على سبيل المثال العالم المغربي الكبير – صاحب العديد من المؤلفات في مختلف مجالات المعرفة – الحسن اليوسي باقتباس عدد من الأمثال العامية وبتوظيفها في كتابه "زهر الأكم في الأمثال والحكم". يقول بهذا الصدد الأستاذان محمد حجي ومحمد الأخضر في مقدمة تحقيقهما لهذا المؤلَّف : «وهناك الصبغة المغربية في زهر الأكم تتمثل فيما اختاره اليوسي من أشعار المغاربة والأندلسيين... وفي الأمثال المغربية المتداولة في عصره التي أورد عددا غير قليل منها عند المناسبات في ثنايا الأبواب، لكنه "فصّحها" ولم يذكرها بلسان العامة ، واضطر بسبب ذلك إلى تغيير بعض ألفاظ هذه الأمثال ليستقيم تركيبها الفصيح، ولم يحتفظ باللفظ العامي إلاّ نادراً... ».

والآن، وقد تغيرت النظرة عندنا إيجابا إلى مفهوم عدد من المسائل الحضارية ومن ضمنها مسألة مكوّنات الثقافة المغربية وبعد اقتناع جل الفاعلين

الثقافيين بضرورة رد الاعتبار إلى الأدب الشعبي واعتباره عنصرا أساسيا من مكوّنات الشخصية الوطنية ، بعد هذا كله يلزمنا التفكير جديا في أنجع السبل لخلق ظروف ملائمة حتى يستفيد التعليم الرسمي من مختلف عناصر هذا الأدب ولا سيما العنصر المتمثل في المثل العامي. ولبلوغ هذه الغاية لا بد من تحديد المفاهيم ورسم الأهداف وضبط قواعد العمل في مختلف أطوار التعليم . وقبل الحديث عن كيفية استغلال المثل العامي في مرحلتي التعليم الإعدادي والثانوي أرى أنه من المفيد أن نبدأ الحديث عن الوضع الحالي في التعليم العالي وخاصة في كليات الآداب والمدارس العليا للأساتذة . ولا بد هنا من الفصل بين مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى، ويتعلق الأمر بسنوات تحضير الإجازة، المرحلة الثانية، وهي خاصة بالبحث العلمي وتهييء الرسائل الجامعية والأطروحات.

نلاحظ بالنسبة للمرحلة الأولى أن الوضع الحالي لا يبعث على الارتياح، ذلك أنه إذا كانت دراسة المثل الفصيح تتم بصفة عرضية في غالب الأحيان وذلك من خلال درس الأدب فإن المثل العامي يكاد ينعدم في برامجنا التعليمية.

ولتغيير هذه الوضعية يجب التدخل في البرامج لتعديل جانب من مفاهيمها وأهدافها قصد فتح الباب للمثل العامي لولوجها وتمكين الأساتذة والطلبة من الأدوات الملائمة الكفيلة بإنجاح هذا المشروع التعليمي. ومن الإصلاحات الضرورية الأولية اللازم القيام بها إحداث تخصص مستقل في الأدب الشعبي بداخل شعب اللغة العربية وأدبها وربما بداخل شعب اللغات الأجنبية. وسوف يكون من بين مهام هذا التخصص الجديد جمع الأمثال والأقوال المأثورة والألغاز والحكايات والخرافات والأساطير والأغاني في كل من العامية العربية والأمازيغية. وبديهي أنه لن يتم تحقيق هذه الأهداف إلا بالقيام بأبحاث ميدانية في مختلف مناطق المغرب وخاصة النائية منها التي لم تحظ حتى الآن بأي اهتمام يذكر . أما المواد التي سوف تدرّس فيجب أن ترتكز بالأساس على اللسانيات العامة والخاصة والآداب العربية والأجنبية إضافة إلى دروس في تاريخ المغرب والسوسيولوجيا وتاريخ دراسة الآداب الشعبية في كل من المغرب والخارج فضلا عن تعليم اللهجات الوطنية ومقارنة بنياتها ومعجمها. ولا بد كذلك

من السهر على إيجاد حل لمسألة تطوير الخط العربي قصد توسيع إمكانياته الكاليغرافية حتى يصبح أداة مضبوطة بين يدي الباحثين والطلبة لتمكينهم من التدوين الصحيح البعيد عن كل التباس. وبدون إيجاد حل لهذه المعضلة فإن مشكل التدوين سوف يشكل دوما عائقا كبيرا في وجه المهتمين بالموضوع لأن مختلف عناصر الأدب الشعبي الواردة في البحوث العلمية وفي الدواوين سوف تبقى مستعصية القراءة والفهم.

ننتقل الآن إلى المرحلة الثانية من التعليم العالي المتمثلة في إعداد البحوث والرسائل الجامعية. وقبل تقديم عدد من المقترحات في هذا المجال أشير إلى أن الوضع الحالي لهذه المرحلة يختلف كثيرا عن سابقتها، ذلك أن لموضوع الأمثال الفصيحة والعامية حضورا لا بأس به عند الباحثين المغاربة. ويرجع الفضل في هذا إلى كون هذا النوع من الاهتمام له جذور تمتد في التاريخ إلى قرون خلت . ولقد سبقت الإشارة إلى أن الحسن اليوسي ألف في القرن الحادي عشر للهجرة كتابا في الأمثال عنونه "زهر الأكم في الأمثال والحكم " وأنه كان في بعض الأحيان يوظف المثل العامي بعد "تفصيحه" وتغيير بعض ألفاظه ليستقيم تركيبه الفصيح. ولم يكن اليوسي المغربي الوحيد الذي قام بهذه العملية "التفصيحية"، فلقد قام بمثل هذا العمل آخرون. أما مجموعات الأمثال العامية القديمة المعروفة التي لم تخضع للتفصيح فهي قليلة نسبياً، ونذكر منها على الخصوص المجموعة المعروفة باسم "مخطوط الزركلي" التي يرجع عهد تدوينها إلى حوالي 150 سنة والتي أشار إليها الدكتور محمد بنشريفة في"أمثال العوام..." وهناك كذلك مجموعات صغيرة أخرى تتفاوت أهميتها وتوجد بالأساس في بعض الخزانات الخاصة غير أنه يجب الاعتراف بأن المغاربة القدامى لم يدونوا إلا القليل من أمثالهم على عكس الأندلسيين الذين أولوا أهمية كبيرة لهذا الجانب من تراثهم وألفوا فيه الكثير. وبقيت المراجع الشفهية عندنا إلى غاية القرن العشرين المصدر الأساسي لكل بحث في هذا الميدان.

أما في العصر المتأخر فإن الفضل في انبعاث الاهتمام بالأمثال العامية وجمعها يعود بالدرجة الأولى إلى مجموعة من الباحثين الأوربيين. وكان العالم

الفينلاندي "فيستيرمارْكْ" (Westermarck)، صاحب الدراسات الإثنوغرافية المعروفة حول المغرب الذي عاش مدة طويلة في طنجة وناحيتها في بداية القرن العشرين، من الباحثين الأوائل الذين دخلوا هذا الميدان . ولقد استطاع أن يجمع أزيد من ألفي مثال في دراسته المشهورة "الحكمة ولبّ الكلام في المغرب، دراسة في الأمثال المحلية (....Wit and wisdom in Morocco) ولابد من الإشارة هنا إلى شخصية مغربية كانت لها دراية واسعة بالأمثال العامية في ذلك العصر، ويتعلق الأمر بالشريف سيدي عبد السلام البقالي الذي ساعد العالم الفينلاندي على إنجاز عمله.

وبعد فرض الحماية على بلادنا أولت مختلف المؤسسات العلمية التابعة للإدارة الفرنسية بالمغرب وخاصة منها معهد الدراسات العليا المغربية (Institut des Hautes Etudes Marocaines) أهمية فائقة لدراسة اللهجات المحلية والأدب الشعبي. وكان المثل العامي حاضرا بالطبع في مختلف الدراسات التي أنجزتها مجموعة من العلماء أمثال "برينو" (L. Brunot) و"كولان" (G. Colin) وغيرهما. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الموضوع استأثر كذلك بانتباه المستعربين الإسبانيين نذكر منهم على الخصوص "خينيسْ" بيريكرين بيرِيكَرين" صاحب مؤلف نشر عام 1947 بتطوان وعنوانه «دراسة الأمثال المغربية – باقة من الأمثال العامية» (Paremiologia Marroqui - Florilegio del Refranero Vulgar) ومعلوم أن اهتمام الأوربيين بهذا الموضوع لم يكن في كثير من الأحيان علميا صرفا، بل كانت خلفياته السياسية واضحة، غير أنه يجب الاعتراف أن مؤلفات هؤلاء العلماء وكذا المجلات التي كانت تصدرها المؤسسات العلمية والتعليمية التابعة لإدارة الحماية تعد حاليا من أهم المراجع التي يعتمدها الباحثون.

وخلال هذه الفترة وبعدها بقليل دخل عدد من الباحثين المغاربة هذا الميدان بمنظور جديد وتمكنوا من جمع وتدوين المئات من الأمثال العامية في بعض المناطق المغربية كسلا وفاس وتطوان. ونذكر من أبرز هؤلاء الباحثين على الخصوص أحمد بن محمد الصبيحي ومحمد الفاسي وعبد السلام بن سودة ومحمد داود وعبد القادر زمامة...

ورغم كل هذا فإن ما قام به جلّ هؤلاء المؤلفين لم يكن في غالب الأحيان يتعدى عملية الجمع والترتيب والشرح. أما الأعمال الأكاديمية فيمكن القول إنها لم تر النور إلا في السبعينات من القرن العشرين مع ظهور العمل الجامع والقيم للدكتور محمد بن شريفة " أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجالي". وأعتبر شخصيا هذا المؤلف بداية التأليف الجامعي في موضوع الأمثال المغربية، أقول هذا الكلام لعدة أسباب منها أن للمثل المغربي حضوراً متميزا في هذا العمل ، ومنها كذلك أن قسما من الأمثال المغربية يشكل امتدادا طبيعياً للأمثال الأندلسية. وهذا ما عبر عنه الدكتور بن شريفة حين قال: "ومع أن هذه الأمثال ألفها أندلسيون أو جمعت في الأندلس فإننا لا نستطيع القول بأنها أمثال خاصة بأهل الأندلس وحدهم، إذ أن عددا كبيرا منها كان من الأمثال المشتركة بين الأندلس وبلدان المغرب، كما أن فيها أمثالا مغربية انتقلت إلى الأندلس ...".

والآن وبالرغم من وجود عدد لا يستهان به من الأبحاث القيمة التي أنجزت داخل الجامعة وخارجها من قبل باحثين مغاربة وأجانب فإن البحث العلمي في هذا المجال لا زال يخضع لتأثيرات غالبا ما تكون بعيدة عن المقاربات الأكاديمية. ولتجنب مثل هذه التأثيرات وكذلك لتوضيح الرؤيا والأهداف بشكل مستمر فإنه ينبغي قبل كل شيء إحداث وحدات خاصة بالأدب الشعبي تكون امتداداً للتخصصات التي تحدثنا عنها في مرحلة تهييء الإجازة. غير أنه ينبغي تجاوز حقل الدراسات اللغوية والأدبية التقليدية وولوج حقول أخرى للبحث قد تساعد على فهم عدد من الأشياء الغامضة في ميادين مختلفة كالتاريخ والسوسيولوجيا والسيكولوجيا وغيرهما من ميادين المعرفة. وينبغي كذلك أن تتولى هذه الوحدات تأطير البحوث والدراسات في هذا المجال والسهر على وضع قواميس متخصصة وفهارس لما كتب في الموضوع قديما وحديثا بمختلف اللغات ومحاولة ترجمة بعض من تلك المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية . وأشير بهذا الصدد إلى أن الدراسات والفهارس الأجنبية في موضوع أدبنا الشعبي موجودة بكثرة ليس بالفرنسية فقط لكن بالإسبانية كذلك والأنكليزية والألمانية والإيطالية وحتى بالروسية ككتاب الباحث "كوشكي" (Kouchke) الذي صدر عام 1979

بموسكو وعنوانه "الأدب الشعبي المغاربي، دراسة بيبليوغرافية (Folklor stran Magriba Bibliogafitcheski otcherk) أما المدارس العليا للأساتذة فعليها أن تعمل على وضع كتب مبسطة للتعريف بالأدب الشعبي وأن تتولى من حين لآخر إصدار توصيات حول أنجع السبل لاستغلال المثل العامي في دروس اللغة والأدب وربما في دروس أخرى في المدارس الإعدادية والثانوية.

وبخصوص توظيف المثل العامي في هذه المدارس فإنه يُستحَبّ بالنسبة للطور الإعدادي الاكتفاء بإثارة انتباه المتعلمين إلى أهمية فحوى المثل وجمالية شكله ومحاولة تحبيبه في وسطهم. أما في الطور الثاني فينبغي توسيع هذا الاهتمام بإدخال المثل العامي في دروس الأدب واللغتين العربية والفرنسية وإعطائه مكانة خاصة في درس الترجمة ومقارنته من حيث الشكل والمعنى بأمثال في كل من الفصحى والفرنسية، كما ينبغي تشجيع التلاميذ على إنشاء خلايا لمحبي الأدب الشعبي يكون من أهدافها جمع الأمثال العامية والأمازيغية وترتيبها والتأمل في مغزاها وخصوصيتها وجمالية بنيتها.

وفي نهاية هذه المداخلة المتواضعة أريد أن أنبه إلى نقطتين أساسيتين تكتسيان أهمية قصوى في التعامل مع المثل بصفة عامة وفي مجال التعليم بصفة خاصة : أولا : لا بد من تحديد معنى المثل تحديدا دقيقا وفصله عن باقي التراكيب اللغوية الثابتة (أوالمسكوكة)، لأنه إذا كانت الأمثال كلّها تشكل جزءا من تلك التراكيب فإن هذه التراكيب ليست كلها أمثالا. ومعلوم أن جميع المهتمين بالموضوع يتفقون على أن المثل يتميز بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه، غير أنه يجب الانتباه إلى أشياء أخرى تميّزه عن باقي التراكيب الثابتة.

فالمثل من حيث مضمونه يعتبر في غالب الأحيان حكمة بليغة منبثقة عن تراكم التجارب عند الأجيال السابقة، وتكون جميع شرائح المجتمع تعترف له بهذه الميزة لدرجة أن الشعب برمته يتبناه ويستعمله على نطاق واسع للنصيحة والتربية والتهذيب أوللاستشهاد والفصل في كثير من الحالات والأمور. أما من حيث شكله فإن المثل يكون متعدد البنيات، لكنه في مجمله يكون مركبا من جزأين

اثنين : جزء أول مكون من كلمة واحدة أو أكثر يفيد معنى الابتداء المطلق ، وجزء ثان - شبيه بتركبة الأول أو مخالف لها - يُتمّم المعنى ويفيد الخبر، ويكون يجيب على الأسئلة : مابه ؟ وبعد ؟ ، ماذا يحدث له ؟ ... مثلا :

- الطمع / طاعون
- قاسح / خْيَرْ من كدّابْ
- لحساب / كيْطوّلْ العشرا.
- سبّقْ الميم / تَرْتَاحْ.
- اللي فات / مات
- المَكْسِي بَدْيَالْ النَّاسْ / عَرْيَانْ
- كُلْ سبع فغابْته / زَهَّارْ

ومعلوم أن المثل غالبا ما يكون قصيراً ، غير أنه في حالات قليلة قد يكون طويلا، مثلا : اللِّي دَارْ شِي لَوْلادْ النَّاسْ، كيْجِبْ لُـه الله مَنْ إِديرو لُه لَوْلادُه.

وقد يكون المثل الطويل مركبا من مثلين أو أكثر، مثلا :

- كونْ سْبَعْ أوكولْنِي (1) ، لاتكون ضبع أوتمرمدني (2).
- لا تَشْرِي حَتَّى تْقَلَّبْ (1)، ولا تَضْربْ حتَّى تْقَرّبْ (2) أولا تصاحب حتى تجرب (3).

ثانيا : لا ينبغي اعتبار المثل قولا مثاليا ومقدسا يجب الأخذ والعمل به دائما وفي جميع الأحوال لأن معاني مجموعة كبيرة من الأمثال الشائعة تتعارض وأهداف الفلسفة التعليمية عندنا المبنية على المساواة بين الرجل والمرأة واحترام جميع مكوّنات المجتمع. لذا وجب في مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي انتقاء الصالح من الأمثال وتجنب الأخرى المخالفة للأخلاق أو المثيرة للكراهية والتفرقة والعنصرية بين الناس. أما في مراحل التعليم العالي فإنه لا بد من

دراسة جميع الأمثال حسنة كانت أم قبيحة دراسة وافية لأن البحث في هذا المستوى يهدف إلى الشمولية وتجاوز المعنى الظاهر للمثل قصد استكشاف الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى حدوثه.

إن الصفحات القليلة التي تضمنت هذا العرض تشكل في واقع الأمر لبنة أولى في عمل يرمي إلى وضع مشروع متكامل يهدف إلى الاستفادة من الأدب الشعبي وتوظيف عناصره وخاصة منها المثل العامي في مجال التعليم. وتبقى بالطبع قائمة المقترحات والآراء التي قدمتُها مفتوحة لينضاف إليها المزيد من المقترحات والآراء الناتجة عن بحوث أخرى. وسوف تمكّن مثل هذه الدراسات المسؤولين والساهرين على وضع البرامج التعليمية ورسم مشاريع البحث العلمي في بلادنا من الخروج بخطة بيداغوجية واضحة المعالم ومتكاملة الأركان.

المراجع

1- محمد بن شريفة – أمثال العوام في الأندلس ... ، فاس ، 1975 .

2- محمد شماعو – مائه وألف مثل، المجموعة الأولى الطبعة الثانية، الرباط، 1985

3- كوشكي، الأدب الشعبي المغاربي، دراسة بيبليوغرافية، موسكو، 1979 (بالروسية).

4- Brunot, L. - Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hespéris, T VIII, 1928.

5- Colin, G. - Chrestomathie marocaine, Paris 1951.

6- El Attar, B. Les Proverbes marocains, Casablanca, 1999.

الهُوية الثقافية المغربية من خلال المثل المغربي باللسانين الأمازيغي والعامّي

الحسين المجاهد

تروم هذه المداخلة تقديم عرض مقتضب لتجربة بيداغوجية تعتمد توظيف أجناس الثقافة الشفوية في مجال تعليم اللغة الأم وتدعيم اكتساب القدرة السوسيو ثقافية بالنسبة للمغاربة القاطنين بالمهجر أو الذين يرغبون في استعادة اللغة الأم أو تعلمها. ويتعلق الأمر هنا باللغتين الأصليتين للمغاربة، أي الأمازيغية و العامية.

تقوم الفرضية المنطلِقُ منها هذا البَحْثُ على مسلّمتين أساسيتين هما:

أولاً : كون أجناس الأدب الشفوي بصفة عامة، والأمثال بوجه خاص، خزّانا مهما لمكونات الشخصية الثقافية والهوية الحضارية للإنسان المغربي، إذ من خلال سبر أغوار متونها يمكن رصد مميزات هذه الهوية وخصوصياتها.

ثانياً : بالإمكان استثمار المثل في الدرس اللغوي و الثقافي على غرار النص الأدبي المكتوب والتوسل به لغايات تعليمية وتثقيفية متعددة.

تجد هذه الفرضية دعامتها في كون المثل جنسا أدبيا قائما بذاته، يشتمل على مكونات شكلية ودلالية ووظيفية تجعل منه منظومة ذات قواعد ثابتة قابلة للوصف والمعالجة والاستغلال. وهو على غرار الأجناس الأدبية الأخرى يتمفصل إلى بنيتين متفاعلتين :

أ- البنية اللغوية، وتتمثل في العناصر التركيبية والمعجية والدلالية، والبلاغية.

ب- البنية ما فوق اللغوية، وتشمل المعطيات التداولية والسوسيوثقافية.

كما تستلهم هذه التجربة خلاصات تجارب بيداغوجية افريقية ودولية تهم برنامج تعليم اللغات الأم واكتساب الثقافات الأصلية من خلال تمارين ترفيهية قائمة على أجناس الأدب الشفوي كالأحجية والمثل والحكاية.

ومن المفترض في الدرس المعتمد على المثل أن يتفرع بيداغوجيا إلى حصص وتمارين تتقاسم عناصر كل من هاتين البنيتين، كما من المفترض أن يكون ذاتُ الدرس على شكل ورشة ترفيهية تثقيفية موازية لدروس المقرر الرسمي.

مراحل التجربة :

1. التحسيس والتدريب على الجمع

- هذه العملية تتمثل في تحسيس التلاميذ بخصوصية المثل وتمييزه عن القول العادي انطلاقا من أمثلة من اللغة التي يتحدثونها أو يتقنونها. ويمكنهم بعد ذلك استدراجهم لعملية الجمع انطلاقا من أرصدة آبائهم وأمهاتهم في حالة امتلاكهم للغة الأم، أمازيغية أو عامية.

- بعد عملية الجمع، تأتي عملية الانتقاء التدريجي اعتمادا على شحذ حدوس التلاميذ للتعرف تلقائيا على الأمثال الموفقة وفرزها عن غيرها، وفي ذلك ما يمهدهم للمراحل المقبلة.

- ويمكن تدريب المتمرنين على تصنيف الأمثال المجموعة حسب معايير مبسَّطة من قبيل المجال (الإنسان، الدين، الفصول، إلخ)، وكذا مجالات استعمالها (الحياة الاجتماعية، الأسرة، التجارة، المعاملات، السياسة، الخ).

وتشمل هذه المرحلة تمارين في القراءة السليمة للأمثال (استعمال المتون المتوفرة).

2. الوصف والاستيعاب (الدعم والتثبيت)

أ – وصف البنية التركيبية للمثل وتوضيح خصوصياتها المتمثلة في الإيجاز وفي بعض الخصائص المشتركة مع البيت الشعري و الأحجية.

مثال :

بنية فعلية : "ءار تلامّا شبّكَت تَا للُّونْتْ" "الشبكة تعيّب الغربال"

بنية إسمية : "ءَافوُللّوسْ عيرَانْ سُّوقْ ءايكْرَفْ يَانْ تَادْكَّاتْ"

"الديك المراد به السوق يُربط مساءً"

بنية نافية : "ءورْ عيلاّ مَادَّارْ ئخْشْن ءُوسكُونَّسْ"

"حتى واحد ماخايب عندو ظلّو"

بنية استفهامية : " مَايْزْرَانْ تَاسنكارت غَ لقجّف نّس "

"ءاش عيقول لميتْ قدّام غسّالو"

وفي هذا الباب مجال لتلقين مختلف التراكيب و التدريب على توظيفها في الكتابة أو النطق باللغة الأم.

ب – وصف البنية المعجمية الدلالية

وهنا يتعلق الأمر بالوقوف عند الوحدات المعجمية التي يتضمنها المثل، علما بأن الأمثال عبارة عن متون تكاد تختزن مجمل الرصيد المعجمي للغة. ويمكن دراسة المفردات من عدة أوجه دلالية من المستوى التقريري إلى المستوى المجازي مع استعراض مختلف الاستعمالات التي تَرِد فيها، وكذا مرادفاتها وأضدادها وتعدّد معانيها و قد تكون الفرصة مواتية للتدرب على صياغة جمل توظف فيها الكلمة المقصودة.

ج – وصف البنية البلاغية والشعرية

في هذا المقام يمكن التوقف عند أهم خاصية في المثل، وهي سماته البلاغية التي تقربه من الشعر وتبعده عن النثر. ومن أهم الصور البلاغية التي

يمكن دراستها دون تعقيد: الاستعارة والمجاز والتشبيه و المقارنة. ويمكن وصف الخصائص الشاعرية من وزن وقافية وسجع وغيرها لإبراز جمالية النص ومميزاته من صور وأخيلة.

د - المستوى التداولي

دون الخوض في أي تعليل نظري، يمكن الوقوف عند بعض الجوانب التداولية للمثل خاصة حين يكون حاملا للإشارات الخطابية التي تربطه بسياق معين، من قبيل "ئَّانْ وِيلِّي زْرِينِينْ "، قال الأقدمون" (قال الحكيم)، قالوا زمان" الخ.

هـ - المستوى السوسيو ثقافي

تعتبر الأمثال بمثابة قاموس موسوعي يختزن تاريخ وحضارة وعادات وتقاليد وذهنية وثقافة المجتمع الذي تولّدت عنه. ودراسة المثل لاستقراء محموله ومرجعيته الاجتماعية والثقافية يوفر فرصة لتقريب التلاميذ من ثقافتهم الأصلية بمختلف روافدها دون حاجة إلى دروس شكلية قد لا تحقق نفس الغاية التي تتحقق في عملية ترفيهية كهذه.

- ويُراعى في ترتيب هذه المراحل البيداغوجية عامل التدرّج من المستوى الأبسط وهو المعجم (المفردات) إلى المستوى الأقل بساطة والذي يتطلب مجهودا فكريا أكبر (المستوى التركيبي والبلاغي).

- كما يتعين جعل الورشة قائمة على مبادرات التلاميذ ومساهمتهم الفردية والجماعية والاكتفاء بالتوجه إلى حين استواء القصد من التمرين، لأن الأساس في التجربة هو تحمّس التلميذ لها والانخراط في لعبتها بمتعة وارتياح.

3. مرحلة الإنتاج

- بعد استيعاب الدرس والتيقن من امتلاك مختلف عناصر المثل، يمكن الانتقال إلى تمارين إنتاجية تكون من بين غايتها التدرب على الكتابة باللغة الأم. من هذه التمارين :

– تنثير المثل، أي كتابته نثرا أو تمطيط مضمونه في صياغة مسهبة. ويمكن التدرب على كتابة القصة أو الحدث الذي كان مناسبة لوضعه، وخاصة حين يكون اختزالا لحكاية من التراث.

– إبداع المثل : أي القيام بتمارين إبداعية، انطلاقا من تعليمات مستقاة مما تم تلقينه من الخصائص الفنية والتركيبية للمثل. وتكون العملية مناسبة للتباري لنسج أحسن مثل.

– الترجمة

– الترجمة في هذا المقام تمرين ذهني غاية في الأهمية، حيث يمكّن التلميذ من امتلاك نظامين لغويين واكتساب الوعي التدريجي بمكونات هويته اللغوية والثقافية.

ويمكن اعتماد الأمثال المتناسبة شكلا ومعنى والموجودة في اللغة الأم ولغة أخرى وخاصة بين العامية والأمازيغية:

مثال :

"ثيخْتْ عُرْ يُوفَا عومُوشّ عينَا تجَا"

"إلاّ ما صابها القط يقول خانزا"

"سيلْوْ عيوِيْدِي غِـغَ اك عيمِي"

"ضحك مع الكلب عيلْحْس لْكْ فَمْكْ "

– البحث في أصل المثل، يمكن التلميذ من التعرف على غنى ثقافته و ما تحمله من عناصر تاريخية وحضارية وفنية و سوسيولوجية وإثنوغرافية وغيرها مما تختزله الأمثال. وقد يكون التمرين على شكل عرض شفوي أو مكتوب.

مثال :

" كاتستّ غ عيزكارن"   "تحدثوا عن البقر"

– المقارنة ما بين الأمثال باللغة الأم و الأمثال بلغة التدريس المعتادة (عربية فصحى، فرنسية، ألمانية،...) تتيح للتلميذ الانفتاح على البعد الكوني لثقافته الأم من خلال النظر في ما هو مميز لها وما تشترك فيه مع ثقافات أخرى. وهذا التمرين أيضا قابل لأن يكون على شكل عرض أو إنشاء.

مثال :

"ءاسلهام ور ايسكار طالب" (السلهام ما يدير الفقيه)

"L'habit ne fait pas le moine"

خلاصة

تلكم بعجالة بعض ملامح هذه التجربة التي يمكن اعتبارها مقترحا عمليا يندرج في سياق إدماج اللغة الأم في المنظومة التعليمية. ومن الممكن تكييف هذه التجربة مع مختلف مستويات التعليم، من الابتدائي إلى العالي.

التراث اللغوي في البرامج المدرسية :
الخيار الصعب

محمد الذهبي

مسيت بالورد ؤ لياسمين ؤ مشموم لحبق ؤلجمار كامي رمانة ؤحبها بيوت فالجنة ؤلرنج ؤ السوسان ؤلخيلي لزرق ؤسلام لخير صهارج عمارة لفض ؤ معنى إيوا ها مرحبا ؤميات ألف مرحبا ؤ كل مرحبا متنية باتنين ؤ رحبة "ألف لام" رحبة رحيبة تتاسع للحباب انتما ضيافها ؤ انتما أهل الدار فكل حين انتما القيرا ؤ القاري ؤ المقري بلا حساب.

مفتاح المقالة مفتاح كتابنا، باسم الله بديت فريضة لازمة فالأفعال ؤ الأقوال تبشر خاطري ؤ على النبي صليت، صليوا عليه تصفى قلوبنا ؤ يزيان الحال.

باسم الله، قطعت من جبح للي سبقونا شهدة، عصرت ؤ صفيت لفض ؤ غاية لكل من هو معناوي

إيوا كولو الله يكون فعوين الراوي ؤ يوفقنا ؤ يرحم من انصر الزين ؤ ما يكونشي كلامو خاوي.

عبد لكريم ؤ خوه عبد الرحمان كلها ؤ سعدو ؤ السعد شفناه ...

لا أظن أنه يمكنني أن أقدم تحية للحضور الكريم بعبارات أجمل مما تقوله السيدة نعيمة لمشرقي في بداية برنامج "ألف لام" تحية لمشاهديها وترحيبا بهم.

والواقع أنني بدأت بهذه الكلمات لأثير الانتباه إلى أن جل من يسمع هذا النص يجده جميلا وممتعا بغزارة ألفاظه وسجعه وتراكيبه الجميلة المخصصة للتحية والترحيب. لكن حين أسأل من استمتع بجمالية النص عن معناه ومغزاه يكون الجواب أنه لم يفهم كل شيء. عندما يعيد الاستماع إلى الشريط وينتبه إلى تفاصيله يجد أن هناك كلمات ومعاني كثيرة لا يفهم تفصيلها بل يفهم على وجه الإجمال أن القصد هو التحية والترحيب :

- يبدأ النص بتحية كلها زهور ونباتات جميلة،
- ثم يرحب بالمشاهدين،
- ثم يبرر العادة التي تقضي ذكر اسم الله عند الابتداء،
- ثم يبدأ باسم الله،
- ويعترف أن الراوي مدين بالكثير للسابقين،
- ثم يُذكر مستمعيه بأن عمل الراوي ليس بالأمر السهل،
- وعندئذ ينطلق في سرد الحكاية.

وكل هذا يذكرنا بما وصفه Roman Jakobson, بالوظيفة التعارفية / التواصلية Phatic للخطاب [1]، وهي تتمثل في خلق علاقة تواصلية بين أطراف الحدث التواصلي أي التيقن من أن قنوات التواصل الموجودة هي جاهزة وصالحة للاستعمال، فكل ما سمعناه هو مجرد مقدمة أما الحكاية فلم تبتدئ بعد وموضوع الخطاب لم يطرح بعد، والنص كله عبارة عن مقدمة للتحية والترحيب.

الموروث الثقافي في المدرسة

لننتقل الآن، إن سمحتم، بدون مبرر ظاهر، إلى المحيط المدرسي والأجواء التي يتعلم فيها التلميذ القراءة والكتابة. كيف سيكون رد فعل المدرس إذا ما سأل التلميذ عن مغزى نص ما فكان الجواب هو "هذا نص جميل استمتعت به لكنني لا أفهم معناه" ؟

وكيف سيكون تقويم نفس المدرس لإنشاء كتب له التلميذُ مقدمةً طويلةً كلها عبارات جميلة لكنها فارغة إذ ليس لها صلة بالموضوع ؟ إن مثل هذه التساؤلات هي التي جعلتني أفكر في موضوع هذه المداخلة.

التراث اللغوي بما فيه الأمثال له وظيفة ثقافية مهمة جدا، فهو يساعد على نقل الهوية الثقافية والمبادئ التربوية الأساسية من جيل لآخر. ينقُل إلى الأجيال الصاعدة بعضَ قواعد التفكير والسلوك الضرورية للحياة الجماعية . وكما هو الحال في جميع المجتمعات وخاصة المجتمعات التي ما زالت تسودها الثقافة الشفوية، فإن عبارات وتراكيب التراث اللغوي تحافظ على الحكمة الشعبية والمعرفة المتداولة والمعترف بها في المجتمع وتستعمل لحفظها بعض التقنيات التي تساعد ذاكرة الإنسان على الاحتفاظ بها (mnémoniques) كالسجع والتركيب التماثلي (symétrie) الخ. ومع تحول المجتمعات إلى الثقافة الكتابية تتحول تقنيات حفظ التراث المعرفي إلى التدوين المكتوب فتتخلى المجتمعات تدريجيا عن تقنيات التراث اللغوي الشفوي. وهذا ما نلاحظه في مجتمعنا المغربي.

فدور المدرسة هو أن تساهم في نقل الموروث الثقافي والحضاري إلى الناشئة ، لكن المدرسة لها دور إضافي وهو أن تعلم التلميذ كيف يقرأُ ويفهمُ نصا بكل تفاصيله يحاور فيه الكاتبَ ويتأملُ معانيه وأفكارَه ودور المدرسة كذلك هو تدريب الناشئة على الكتابة الواضحة الدقيقة التي تهدف إلى نقل أفكار معينة إلى متلق معين.

ماذا ستكون نتيجة إدراج الأمثال العامية وبعض النصوص مثل النص الذي استمعنا إليه قبل لحظات في البرامج التعليمية ؟

كيف نقول للتلميذ أن هذا نوع مختلف من النصوص ندرُسه لجماليته ولقيمته الثقافية والتاريخية لا لما يعلمنا من لغة وكتابة ومعاني ؟

والتلميذ الذكي على كل حال لن يفوته أن يشير إلى المفارقة التي تلاحظ في الأمثال إذ نجد فيها الشيء ونقيضَه. نجد مثلا أن الحكمة في التأني ثم نجد

أن من أسرع هو الذي يفوز. تعلمك الأمثال أسوأ الأشياء عن النساء وخاصة العجائز منهن ثم تصف الأمهات والجدات بأجمل الصفات.

هذا الخيار الصعب المتمثل في التناقض بين القيمة الثقافية للتراث اللغوي وبين دوره التربوي يتجلّى بحدة أكبر حين نلاحظ أن ثقافتنا وثقافة مؤسستنا المدرسية لا تساعدان كثيرا على اكتساب الحس النقدي والاستقلالية في التفكير واتخاذ القرار والتعامل مع الآخر.

إن ثقافتنا العربية الإسلامية هي ثقافة الكتاب، لكنها في آن واحد ثقافة متجذرة في الشفوية. فالقرآن الكريم يقرأ ويحفظ. لا يجرؤ على تحليله وشرحه إلا أئمة العلماء الذين يرخص لهم المجتمع بذلك . لكن يمكن للجميع أن يستعمل الآيات القرآنية للاستشهاد أو يستعملها كمرجع للتعريف بالقوانين السماوية وتعاليم الدين الحنيف. حين نقرأ ونحفظ ونرتل آيات القرآن الكريم ننبهر لجمال لغته ومعانيه وتراكيبه المتناسقة مع بعضها البعض. إن هذا الإعجاب بالنص القرآني لا يفارقنا تماما لما نجد أنفسنا أمام النص المكتوب باللغة العربية. فنحن نحس بأن النص العربي المكتوب ينبغي أن يكون جميلا قبل كل شيء، ينبغي أن يكون عذبا عند القراءة والاستماع، ينبغي أن يكون مؤثرا ببلاغته وبالملكة اللغوية التي تتجلى فيه.

إن الخطاب باللغة العربية، كان شفويا أم مكتوبا، هو حدث غير عادي لأنه يقربنا بعض الشيء من ما هو مقدس. أما التواصل اليومي فإنه يتم بواسطة اللغة الدارجة العامية، وهو نمط لغوي لا نعترف به كلغة بل ننظر إليه وكأنه صورة مشوهة للعربية الحقيقية التي نحيطها بشيء من القدسية.

وبما أن تحاليلنا العلمية والفلسفية تكون باللغة العربية الفصيحة فإن حبنا للغة الجميلة والتراكيب المسكوكة قد يؤثر في تفكيرنا فنسقط في فخ الظاهرة المعروفة ب "الحُجة تكمن في التقديم لا في المضمون" (Presentation as proof) [(2)] تلك الظاهرة الاجتماعية الشائعة خاصة في المجتمعات التقليدية التي تجعل الحجة مبنية لا على العقل والموضوعية وإنما على المتكلم أو الكاتب وعلاقته

بالمتلقي وخاصة على جمالية لغته وفصاحتها وسلاستها، وبالتالي فالكلام العذب هو الكلام المقنع أي أن الإقناع يكون بالشكل لا بالمضمون أي أن الحجة تكمن في التقديم.

يتكون عند الطفل حب الكلام الجميل والتراكيب المتداولة منذ اللقاء الأول مع النص القرآني ومع الممارسة الدينية وتزيد المؤسسة المدرسية في تقوية وترسيخ هذه العلاقة. فالمدرسة هي قبل كل شيء مؤسسة وطنية تكون هوية الطفل وإحساسَه بالانتماء إلى وطن وثقافة ودين. والمدرسة مؤسسة معيارية وتوجيهية، تعلمنا كيف نفكر وكيف نتعامل مع الآخرين وبعبارة أخرى فإنها تربينا. وغالبا ما تتم التربية عن طريق التقليد والتكرار والحفظ. أما الفكر النقدي والتحليلي فهو لا يُكتسب إلا بصفة ثانوية. المهم بالنسبة للمؤسسة المدرسية هو تكوين شخصية الطفل حسب المعايير الاجتماعية.

الكتاب المدرسي

إذا بحثنا في مكانة الكتابة داخل المؤسسة المدرسة وجدنا معطيات كثيرة تؤكد ما سبق. فالكتاب المدرسي مثلا له وضعية خاصة لا تبتعد كثيرا عن القدسية. الكتاب المدرسي يحتوي على المعرفة المقبولة لدى المجتمع والمطلوب من التلميذ هو أن يكتسب هذه المعرفة لا أن ينتقدها أو يسائلها. فنادرا ما نجد مدرسا يجرؤ على انتقاد الكتاب المدرسي أو يشير إلى أخطائه وعيوبه. ومن الظواهر المثيرة للانتباه أن الكتاب المدرسي غالبا ما يكون بدون كاتب أي أنه لا ينسب إلى مؤلف معين مع ما يقتضي ذلك من مسؤولية أخلاقية وعلمية. وحين نعرف اسم الكاتب فإن الشخص غالبا ما يتحول هو نفسه إلى مؤسسة. قبل بعض عقود كان "النحو الواضح" هو المرجع في النحو العربي داخل المؤسسة المدرسية وما زلت لحد الآن لا أجد كثيرا من الناس يتذكرون مؤلفي هذا الكتاب. أما حنا الفاخوري و Lagarde & Michard اللذان كانا المرجعين الأساسيين في دراسة الأدبين العربي والفرنسي فلا أحد يتذكر عنوانيهما (وغالبا ما تحتفظ دور النشر بأسماء كهذه حتى بعد موت الأشخاص وبعد أن يتدخل كتاب آخرون

لتنقيح وتصحيح والزيادة في النص القديم). الكتاب المدرسي، إذن، بطبيعته كتاب جامد ويتمتع بنوع من القدسية. ننظر إليه وكأنه يحتوي على الحقيقة فلا نناقشه ولا نجرؤ على الشك في محتواه. نستعمله كمرجع ونستشهد به لأنه لا يحتوي على كلام شخص واحد وإنما هو عبارة عن ما هو مقبول ومباح ومتداول داخل المجتمع. ولعل أحسن مثال نجده لقوة الكتاب المدرسي هو كتاب التاريخ الذي غالبا ما يهدف إلى تلقين التاريخ الرسمي لا التاريخ كبحث علمي متجدد.

تعلم الكتابة

لنتأمل الآن المشاكل التربوية التي يثيرها تعلم الكتابة الذي هو من الوظائف الأساسية للمؤسسة المدرسية. إنها عملية معقدة جدا لكن يمكننا أن ندركها بصفة عامة إذا ما نظرنا إلى العلاقة الثلاثية بين شخص الكاتب والهدف من الكتابة وشخص المتلقي. حينما نطلب من التلميذ أن يكتب إنشاء يصف فيه عطلته الأخيرة ولا يكون له ما يحكيه أو ما يصفه أو لا يريد أن يُطلع آخرين عن مسائل شخصية فماذا يفعل وهو مضطر لكتابة الإنشاء؟ غالبا ما يسأل التلميذ نفسَه من سيقرأ إنشاءه (المتلقي) وما هي الغاية من كتابته (الهدف) فيجد أن الجواب الذي يفرض نفسه هو أن المدرس هو قارئ النص المطلوب وأنه لن يقرأه للتعرف عن ما فعله التلميذ أثناء العطلة وإنما لتقويم درجة تمكنه من اللغة ومن مناهج الكتابة بصفة عامة. يكون إذن رد الفعل المنطقي للتلميذ أن يكتب إنشاء يجمع فيه الألفاظ الجديدة التي تعلمها والتراكيب الجميلة التي سمعها والتي أشار إليها المدرس (مدرس اللغة غالبا) أثناء درس القراءة أو الكتابة. هذا ما تعلمه أثناء الدرس وما يكتبه في إنشائه كبرهان على حسن تتبعه: يستعمل ألفاظا وتراكيب وحتى أفكارا جاهزة لا لأنها تخدم المعنى الذي يريد أن يوصله للمتلقي وإنما لأنه يظن أن استعراضها سيربحه بعض النقط. والحصيلة هي ما سميته من قبل «الخطاب المبني على النماذج الجاهزة» prefab-centered discourse [(3)]، أي أن هم المتعلم الوحيد هو كتابة نص يستعرض فيه ما تعلمه أثناء الدرس من ألفاظ وتراكيب وأمثال وأفكار جاهزة للاستعمال. ونتيجة لكل هذا فإن التلميذ لا

يتعلم كيف ينتج نصا سرديا أو وصفيا أو تفسيريا أو حجاجيا الخ.. وباختصار أقول إن إدخال تراكيب التراث اللغوي في البرامج الدراسية قد يقوي عند التلميذ قابلية التقليد وإعادة إنتاج نصوص الآخرين بدل الكتابة المستقلة المعبرة عن أفكار شخصية.

خاتمــة

ما العمل أمام هذا الخيار الصعب الذي نجده بين القيمة الثقافية والاجتماعية للموروث الثقافي اللغوي وبين الدور السلبي الذي قد يلعبه في التربية اللغوية للمتعلمين؟ في اعتقادي أن الخروج من هذا المأزق قد يكون بإدراج التراث اللغوي في برامج التعليم كموضوع بحث ودراسة ولا كنموذج يقتدى به، فيُدرس كما تُدرس قطعة فنية أثرية. ويمكن استعمال الأمثال وأنوا ع أخرى من التراث اللغوي في درس اللغة والأدب وكذلك في دروس التاريخ والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية. لن أتطرق هنا للوسائل البيداغوجية الممكن استعمالها لهذه الغاية. فإن هدفي من هذه المداخلة كان هو إثارة الانتباه إلى ما أشرت إليه من خيار صعب أمام إدراج الأمثال في البرامج الدراسية.

وحتى أؤكد لكم إعجابي الشخصي بموروثنا الثقافي اللغوي وأنسيكم ماقلته عن سلبياته (التربوية) أود أن أختم كلامي بما تختتم به السيدة نعيمة لمشرقي برنامج "ألف لام":

نْعَمْ الله مساكم بست ألاف مسا وكل مسا بغُرتو ألف صباح وْزيادة. ما زال نصطابو بعضنا فجلسة بين حكاية وْدرس وْمتعة وْ إفادة . ريتكم فيدي مشموم بستين نوارة وْنوارة، وْفيدي أنا، وْنشمو معزوز. وْانتما مومو لبصر، ريتكم فبالي كل يوم بلمحبة جيتوا ماشي بلحزارة، وْ فبالي أنا ، وْ محبة لحباب تزيد فلعمر(4).

الهوامش

1) Roman Jakobson. 1960. " Closing statement : Linguistics and Poetics ". In T.A. Sebeok (ed.)Style in Language. New York : John Wiley

2) Ch. Perelman and L. Olbrechts-Tyteca. 1969. The New Rhetoric : A Treatise on Argumentation. Notre Dame : University of Notre Dame Press.

3) Mohammed Dahbi. 1984. "The Development of English Writing Skills by Moroccan University Students". Georgetown University Ph.D. Dissertation. Ann Arbor : University Microfilm International

4) أشكر الأستاذ احمد الطيب العلج الذي قدم لنا أثناء الندوة نموذجا تقليديا آخر لنص تقديمي يستعمل في بداية سرد الحكايات.

المعاملات المالية
من خلال بعض الأمثال المغربية

أحمد الطيّب لَعْلَج

تمهيد :

المثل، حكمة شعبية، وقول مأثور، وفي غالب الأحيان هو القول الفصل ؛ أو الفاصل في كثير من المواقف السجالية، القابلة للأخذ والرد والمجادلة، اعتبارا لاختلاف وجهات النظر في شأنها... والمثل الشعبي غالبا ما يأتي بالحسم، أو ما يشبه المطلق.

والمثل شأن الحكمة، أو الحكاية الشعبية، والأسطورة الخرافية لا نعرفُ مبدعه، أو قائله. ونحن عندما نريد أن نستدل به على قول، أو رأي، أو نرده إلى أصله، نقول غالباً : "قالوا زمان" أو "الله يرحمهم، ما قالو شايْ كذوب" أو "على رأي المثل" لأننا لا نعرف من قال المثل، أو نطق بالحكمة. والمنطق يقول : لكل قول قائل. ولكن المثل ويحكم تداوله، ومواكبته للحياة، ومعايشته للناس، في السراء والضراء، ومزامنة الإنسان من المهد إلى اللحد، تطور، وتطورت صيغه، وحتى مضامينه، إذا تجاوزتها الأحداث وأتى عليها الزمن. فالمثل حي دائما، ويجدد دماءه باستمرار، ثم إن تناسل الأمثلة والحكم والأقوال المأثورة. ما هو في واقع الأمر، إلا نوع من مسايرة فاعلة مجيبة لسنة التطور في الحياة.

وتطور المثل، والحكم، والأقوال المأثورة، تطور تصنعه الأجيال، وتشترك في تشذيبه، وتهذيبه العقول النيرة واليقظة المنتبهة الواعية. فتتغير الصيغ والدّيباجات وحتى المفردات ليصبح المثل ابن زمنه ووقته ولحظته، وهذا أيضا

عمل جماعي، لا يقوم به شخص واحد. وعملية المسايرة أو العصرنة هذه هي التي غيّرت الصيغ، وصححت المضامين، ذلك أن المثل الواحد يختلف مضمونه حتى باختلاف نطقه أحيانا... فالتلفظ وطريقة التلفظ في الغالب تغير المعنى والمفهوم. وقد تنبه حكماؤنا الأقدمون إلى هذه الخاصية فعملوا على تحديد المعاني وضبطها حتى لا يشوبها أي اضطراب أو التباس، وحتى لا يتعذر إدراك المعنى المقصود والمحدد ، على أحد.

والمثل الشعبي في أي بلد، وفي أي لغة، هو إبداع جماعي اشتركت في إنشائه قرائح كثيرة. باعتباره يعيش، ويساير، ويتجدد، ولهذا نجده، جميل الديباجة، قوي المعنى، مركز إلى أبعد حدود التركيز... ويختزل من المضامين ما يدعو إلى التأمل والتفكير، وعلاوة على كونه مشحون بالرموز والإثارات، فهو واضح كل الوضوح، "والمثل شفرة، يَقراها اللي ما يقرا"، وهذا ما يتيح له مخاطبة جميع الناس على اختلاف المواقع الاجتماعية، والمستويات الذهنية. وهو إلى كل ذلك – وعلى غرار ما هو موجود في العالم قاطبة – ذاكرة شعبية جماعية عايشت الإنسان، وواكبت حياته وأرّخت لها. وحاولت على مر الحقب والأيام، أن تهذِّب من سلوكه، وأخلاقه، وتصرفاته، عاملة في كل الأحوال على إحالته على عقله، ودعوته الدائمة لاستعماله، وعدم التفريط فيه أو إهماله، أو إلغائه. والعقل النير المتوهج هو عطاء رباني. ونور يبدد الظلمات، ويسير بالبشر إلى الإنسان الأعلى والأمثل، ليحقق السلام مع نفسه، ومع الآخرين.

وأمثالنا الشعبية المغربية : دعوة واضحة وصريحة لاستعمال العقل في جميع مرافق الحياة. ولا أدلّ على ذلك من بعض الأمثال الرائعة البسيطة والبليغة كـ : "هَلْ العقول ف راحة" ومعناه أن من أعطاه الله العقل وعرف كيف يستعمله، أو يجعل منه الشاهد والرقيب، يعيش في هناءٍ يكفل له راحة البال. ويقول المثل: "اعطيني طريَّفْ من عقلك". وأيضا : "لا تعطيش عقلك لغيرك" ومعناه : لا تتخلى عن عقلك. ثم إنهم يقولون للمتهور الذي يقوم بتصرفات هوجاء، حمقاء :"آفلان، واش حمْقَتِ، أو مُخَّكْ كْلاوه القطوط".

وفي تمجيد العقل والحثّ على حسن استخدامه أمثال كثيرة لا تعد ولا تحصى.

وأما بخصوص المعاملات المالية من خلال الأمثال المغربية. فلا أجد ما استهل به هذا الموضوع خيرا من هذه الوصية : قال الحكيم المغربي لولده، وهو يوجهه، ويحثه على احترام الأرقام : إذا حدث ووجدت الدراهم ملقاة في الشارع على قارعة الطريق، وتكلفت مشقة الانحناء إليها وجمعها ولملمتها، فلا تضمها في جيبك قبل أن تعدها، لتكون على بينة كاملة، ومعرفة تامة بالرقم الدرهمي الذي وجدته.

وإذا كان أمر الدراهم التي قد يكسبها المرء بلا عناء ولا تعب ولا مشقة، ولا تكلفه أي جهد، على نحو ما أسلفت، فما بالك بتلك التي يكسبها المرء بالعمل، وبذل الجهد..؟ أو بالتجارة، أو أي وسيلة مشروعة أخرى...؟ ويضيف الحكيم قائلا لولده : وصاحب الدراهم الكثيرة، والمستعصية على الحصر والعد بدأ رحلة تجميعها بدراهم معدودة.

ثم إن العد والحساب والمحاسبة في جميع المعاملات، أشياء نصت عليها الحكم والأمثال والأقوال المغربية المأثورة. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: "الحساب صابون" ينظف ويطهر ويزيل كل أثر للشوائب والوسخ. ويقولون أيضا : الحساب يطوِّل العشرة" أو الصحبة، والعشرة أو الصحبة أو الصداقة التي تقوم على احترام الأرقام تعمر وتستمر وتعايش كل الظروف. وفي هذا الباب يقول مثل مغربي آخر : "حبْني محبة خُوك. وحاسبني مْحاسبة عدوك" ومن يفر من المحاسبة أو يتملص منها ما هو في واقع أمره إلا "شمَّات" أو مُخاتل، يضمر سوء النية، ويبيت الغش والتلاعب والاحتيال "وما يهرب من الحساب غير بوحاطي أو كذاب". والبوحاطي هو النصاب. واحترام الأرقام في المعاملات والعلاقات هو مظهر حضاري بلا جدال وهو من أرسخ قواعد التجارة قديما وحديثا. وهو أيضا إلى جانب الأمانة والصدق من أكبر وأهم أسباب تحقيق النجاح.

ثم إن المحاسبة الدقيقة الصارمة. تُذَكِّي نزعة احترام الآخر، والآخر هنا قد يكون الشريك، أو البائع، أو المشتري. واحترامه عمليا يتمثل في قاعدة :"عندي عندك"، "ديالك ديالك وديالي ديالي" أو "خوذ مالك وخلي مال الناس". وتلك هي الاستقامة والمصداقية في أجلَى مظاهرهما. والتاجر المعروف بالأمانة والصدق والاستقامة هو الناجح وهو الكاسب في جميع الأحوال وهو الذي يتحول في يده التراب إلى ذهب.

والنبهاء الحقيقيون في عالم المال هم الذين تميزوا بالاستقامة والصدق وتخلوا تماما عن الفذلكات المرِيبة. والصفقات المشوبة بالمضاربات غير النظيفة. حتى أن من التجار من لم يكن يملك من رأس مال إلاَّ الأمانة والاستقامة، وبها وحدها كان يتاجر. نعم يتاجر بأموال الآخرين، والمتاجرة بأموال الآخرين قديما، وأموال الأبناك حديثا – مع الفارق طبعا بخصوص احترام قواعد منح السلف – قبل أخذ المبادرة، وخوض المغامرة وإذا كانت الأبناك اليوم تشترط الضمانات والوثائق والمستندات والسندات وما إلى ذلك، فأصحاب المال قديما، أو جلهم لم يكن عندهم سوى شرط واحد، ويتمثل في وجود الأمانة والصدق والاستقامة، واحترام قاعدة : "قْضي ورَدّ" وفي هذا الصدد يقول المثل المغربي : "قْضَى ورَدّ، فَ المال شْرِيك". ومعناه أن من يستدين ليبرم صفقة ما بمال غيره ويردّه لصاحبه في الوقت المحَدّد، يصبح شريكا في مال الدائن، ويجد عنده دائما السند والمدد، وحتى عندما يُعطى له المال من قبيل "سلف الله والإحسان" وفي هذه الحالة لم يكن الدائن يطالب المديون بأي شيء في المقابل سوى أن تعود أمواله إلى قواعدها سالمة بلا تماطل. والسلف قديما، وإلى وقت قريب، كان يقدم على سبل متعددة، وفي جميع الحالات تضبطه وتقننه عدة شروط، فإذا أعطي على سبيل الشركة تتحدد شروطها والنسبة المخولة لصاحب المال وصاحب العمل في الأرباح. وإذا مُنِحَ على سبيل "الإحسان" تحدد شروط التسديد بالاتفاق على تاريخ عودة الدراهم لصاحبها، وأحيانا يقدم "سلف الإحسان" مقابل رهونات، وفي جميع الحالات دأب المغاربة على الكتابة عملا بما جاء في القرآن الكريم، من سورة البقرة الآية 281 يقول جل من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا تَدَايَنْتُمْ

بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوه، وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ﴾ صدق الله العظيم. وعملا أيضاً بالمثل الشعبي الذي يقول "ينسى الراس، وما ينسى الكراس". وبخصوص احترام قاعدة "قْضِي ورَدّ" وإرجاع الأموال إلى أصحابها وعلى أي طريقة قدمت للمديونين من طلاب السلف، يقول الشاعر الشعبي في باب عدم الإيفاء وتسديد ما بالذِّمة :

واحـد صاحبي مَبلي بالسلَفْ	وَقْتَاشْمَّا لقيته : أرى سلفني
سلفتُه عييت طاحوا لي لكتاف	وهو بخير زيد أرى سلفني
مللي جمعت عنده شي عَشْرَ لاَفْ	صاحبي نكرني ما بقى يعرفني

وصاحب من هذا النموذج يُقَدّمُ له السلف عادة مرة واحدة، ويقال في حقه : "هَذِي وَالتُّوبة"، صاحبنا "فَلاتَي"، بلا ذمة، ولا أمانة، حُوتُّو مَطلِية بالصَّابون". ومن أجمل وأروع الحكايات الشعبية بخصوص رد الدين والتشارك في المال بالذمة والأمانة، هذه الحكاية التي تروى في موضوع : "سلف الله والإحسان" : كان أحد الناس يعاني من ضائقة مالية، اضطرته إلى طلب سلفة من صديق حميم له، بقيمة قدر محترم من المال، على أن يردها له في أجل لا يتعدى الثلاثة أشهر، فما كان من الصديق صاحب المال إلا أن يقول لصديقه : نعم لك ما طلبت فعد إليّ غداً في مثل هذا الوقت لتجدني قد حضرت لك المبلغ المطلوب. ولما عاد طالب السلف في الغد يلتمس المبلغ. أعطاه صديقه مفتاحا وأشار إلى خزانة صغيرة، وقال له: افتح الخزانة، ولدى فتح الخزانة وجد فيها حصة من المال ملفوفة بعناية فائقة، فقال يسْأل صاحبه :

– هذه دراهم

– لك أن تُعدِّدها بعناية، وتُعيد العد، لتكون متأكداً من صحة المبْلغ، الذي طلبت. وامتثالا لأوامر رب المال عَدّها وأعاد عدها ثم قال : هذا هو المبلغ الذي طلبت منك، وشكرا... لا شكر على واجب. وعليك الآن أن تعيد إقفال الخزانة بالمفتاح. وترده إلي.

وعندما انصرمت الأشهر الثلاث وعاد المدين بالدراهم للدائن رفض أن يتسلمها منه يداً بيد، وأعطاه المفتاح، وقال له : دونك الخزانة فافتحها وأرْجِع الدراهم من حيث أخذتها. فما كان على المدين إلا أن يمتثل، وبمرور الأيام تكررت عملية : طلب السلف، وتكررت معها عملية أخذ المفتاح لدى آخد الدراهم من الخزانة، وأيضا لدى إرجاعها للخزانة واستمر الحال على هذا المنوال مدة طويلة، إلى أن جاء يوم تخلى فيه المدين عن الإيفاء بتعهده، وتماطل، وتوانى عن رد الدين، ونسي المفتاح والخزانة وصاحب الخزانة، ولم يرد ما كان بذمته.

وكان المقابل لإغفال التسديد من قبل المدين هو عدم الاكتراث بالموضوع وإهماله تماما مِنْ قِبل الدائن عملا بمثل آخر يقول : "شمْتّك، عْرَفْتك" وبلاغة هذا المثل على قصره وبساطته أنه يختزل معاني كثيرة وكبيرة وعميقة جدا. فإذا كنت قد استغفلتني واستَثْمرت نبلي وكرمي وطيبوبتي، فأنا الآن أعرفك وأعرف أي حقيقة تمثل. و"الذّيب ما تْدوز عليه غير مرة" يكن استغفال الذئب مرة واحدة. وتمر الأيام، ويعتقد طالب السلف أن الموضوع قد طواه الزمن، وأتى عليه النسيان، وأن صديقه التاجر والمنقطع للعمل، قد يكون - في تقديره - قد نسي تماما آخر السلف في خِضَمّ انشغالاته، وقصده مرة أخرى في طلب سلفة أخرى. فما كان من صاحب المَال إلا أن يستقبله هاشا، باشا، وكأن شيئا لم يكن، ويرحب به بحفاوة بالغة، ويقول له : خذ المفتاح ودُونك الخزانة، افتحها ففيها كل ما تريده هيا، افتح الخزانة.

شكره. وانحنى على يده ملتمسا تقبيلها. ولكنه سحبها منه بلطف وقال له : افتح الخزانة أولا. ولما فتح الخزانة وجدها خاوية فارغة فبُهت وقال : ليس في الخزانة مال. فرد عليه الصديق : لو كنتَ أرجعتَ ما كان من مال في ذمتك. لوجدته الآن في نجدتك.

وهذا مصداق المثل : "قْضي ورد ف المال شريك" فالأمانة وحدها تعطيك حق الشريك في المال، تتصرف فيه كما تشاء، وكأنه مالك. هذا إذا كانت "السلفة" على سبيل "سلف الله والإحسان" وبدون أي مقابل، أما إذا قُدّم المال على أساس الاشتراك في صفقة ما، يقابل فيها المال العمل والخبرة وبذل الجهد،

فالأمر يختلف تماما، وله قواعد ثابتة تحكمه ولا يتم التعامل إلا في حدود احترامها، وأهمها : الصدق والأمانة والثقة... والاستقامة والقناعة التي هي الكنز الذي لا يبلى. بالإضافة إلى العقود المكتوبة والموثقة وهي : "الشرع" في نظر كل أو جل المتعاملين. وفي باب احترام الشرع في المعاملات المالية وغير المالية قالوا : "اللّي خَلّى طْرِيِّف من الشرع يتحاسب عليه" . ومنهم من يقول : "تحاسبه نفسه" وقالوا في حق الشريك الذي لا يحترم فصول النسبة المحددة له في المكاسب : "ما يطمع ف شَلاًّ حْرَثْ غير الزَّاوش" والزاوش نوع من الطيور يعتدي على المحاصيل الزراعية من الحبوب كالقمح والشعير. وقالوا أيضا في حقه : "الطْمع طاعون" و "كْبير الكرش تَتْفَرقَعْ لِه".

وفي وجوب الاتفاق، والتنصيص على الشروط أيضا : "اللي كان أَوْلُه اتّفاق تْكون عقبْتُه سْلاَمَة". وكل من لا يلتزم بهذه المسلمات ويحترمها يمارس على نفسه الغفلة الساذجة، التي تحيله دائما إلى الندامة. وقالوا في الإفراط في الثقة : "الثقة العميا، بنت الغفلة العميا" وقالوا في الحث على أخذ الحذر والحيطة : "كول مع خييِّك، واشرب مع خييِّك، واحضي من خييك، لا يطير لك بالحْوِيِّك" الحائك. و"لا تأمن لا تستمن في بلاد لاَمَانْ" ومن جملة ما قيل عن المخاتلين والمتلاعبين بالثقة، والذين لا يأخذون المعاملات المالية مآخذ الجد والاستقامة، ويستغلون غفلة أصحاب الثقة العمياء : "الحيلة ف ترك الحيلة". و "الصدق حبيب الله". و"والتمارة راس مال" ومنهم من يقول : "الأمانة راس المال". وكل من كان أمينا، يجد خزائن أصدقائه وحتى غير أصدقائه. وتسلم له مفاتحها ليتصرف فيها كما يشاء شريطة أن يفي بالتزاماته بخصوص : "خوذ حقك واعطي حق الناس" و"اللي بغاها كلها... يخليها كلها". والأمين الفقير في ميدان التجارة غني بأموال غيره. بفضل أمانته. والأقوال المأثورة والأمثال والحكم الشعبية بخصوص الحرص على الأمانة والثقة في المعاملات المالية كثيرة جدا ولا يتسع لها الحيز المخصص لهذه الورقة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، وفي باب احترام المال بصفته قوام الأعمال، وعدم الزُّهد فيه، أو تبذيره أو صرفه في غير وجوهه الصحيحة قالوا : "الفلس

الأبيض، ينفع في النهار الأسود"، واحترام المال دائما يخضع للاعتدال : "الله يجعله – المال – ف يدينا ولا يجعله ف قلبنا" وبين الشح والكرم والاقتصاد والبخل والأريحية والتهور والإسراف قالوا أمثالا كثيرة منها : "كول وقيَّس، شوية للدنيا وشوية للاخيرة" و" شويش لربي... وشويش لقلبي". وفي توَخّي الاعتدال والوسطية قالوا : "ما شي لا منّه منّه. لا كلُّه كلّه" ومعنى هذا المثل هو أن لا نذهب في الاقتصاد إلى أبعد الحدود، فنقنع ونكتفي بأقل ما في القليل، أو نتجه في الإسراف إلى أبعد الحدود فنصرف أكثر من الكثير، وخير الأمور : الوسط. ومع ذلك قالوا في وجوب احترام المال : "تَبْقِيْتُه اللعدا ولا تَوْلِيحْته للاحباب" لأن يُترك المال للأعداء، خير من أن يُشحذه للأحباب" ولكن مع احترام قاعدة : "اعْمل وبَقِّي". والمغاربة وصفوا المسرف المبَذِّر أوالمبالغ في الكرم ب : "فلان يده مثقوبة وجيبه مخروب". واليد المثقوبة هي التي لا تقيم وزنا لشطحات الزمن وتقلباته، أو ما اصْطلحوا على تسميته ب : "دْوَايْرْ الزْمَانْ وعنق العام" وعنق العام هو رأس السنة الفلاحية، وابتداء عملية الحرث، وانتظار الغيث. وعلى العاقل أن يحتاط و"يخلي من الشي شوية لقلة الشي"، لا حذر من قدر، ولكن هناك عين البصيرة.

وأما المفتونون بالمال والمتهافتون على جمعه ممن ألهاهم التكاثر وجعلوا من أنفسهم عبيدا في خدمة المال. بدلا من أن يجعلوا المال في خدمتهم فقد قالوا في حقهم : "الغنى مول الفلوس كثار، آشنو يدي معاه اللقبار وَالُو يَا خويا يا لحبيب، والله الكفن ما فيه الجيب" ويحكى في هذا الخصوص أن أحد الأغنياء المصابين بداء الحرص والشح بالمال والمبالغة في التهافت عليه وجمعه وتكنيزه قال لولده وهو يَعِظُه ليلة سفره إلى إفريقيا قصد الاشتغال بالتجارة : اسمعني جيدا يا ولدي إياك، ثم إياك من التبذير. ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ وهذا كلام الله في محكم تنزيله، وأنت عندما تسافر إلى بلد غير بلدك تصبح مهاجرا، ولدى عودة المهاجر يتساءل الناس جميعا : "اشحال جاب، ما شي اشحال غاب" ويقولون أيضا "رحم الله من جا وجاب" ووسيلتك المثلى لجمع المال – وليكن في علمك أنه –: "على قدّ ما عندك، على قدّ ما تسوى". وفي

ميدان التجارة إذا أردت أن تكون محترما كأبيك، ويقول الناس عنك : "الذر من معدنه". والشيء من ماتاه لا يستغرب. "ومن شَابَهَ أباه فما ظلم" وسيلتك المثلى هي أن تتحلى بالصبر، الصابر، الصبور. لمدة سنتين، و"تْعَزّي فيهما الحزام" وتضع حجرة على بطنك، افهمني يجب أن لا تكون مسرفا، ومبالغا في الإنفاق حتى على بطنك، فالقليل يشبع، والكثير يشبع، والذي يشبَعُ ويقنع بالقليل هو أسلم بدناً من الذي يشبع بالكثير. وأضاف الأب : ثم إن معاناتك مع التقشف لا تطول أكثر من سنتين.

وهنا سأل الولد أباه : وبعد مرور السنتين...؟ فأجابه : تكون قد تعودت على التقشف والاقتصاد وشد الحزام. ولا تنسى هذه الحكمة الذهبية : "قْبر مَجلِي. ولا شَكَّارة خاوية" ومعناه لأن يدفن المرء في قبر مجهول في تخوم الدنيا، خير من أن يعيش في بلده، ومع أهله وذويه بجيبٍ فارغ. فالناس تحترم الميسور، حتى لو كان بخيلاً...

وقالوا في التحذير من مغبة : "اصرف ما في الجيب. يأتيك ما في الغيب" "لا تطلق بيد، حتى تقبط بأخرى" ومعناه : لا تزهد بما في هذه اليد حتى تمتلئ اليد الأخرى. وأضافوا : "الشي من الشي : نزاهة والشي من قلة الشي : سفاهة". فالذي ينفق مما أفاء الله عليه به، ومما هو متيسر لديه وفي استطاعته يكون إنفاقه من قبيل المتعة. باعتبار أن كسب المال يسعد ويفرح ويثلج الصدر وصرفه في أوجه الاحتياج يفرح أيضا ويثلج الصدور، على أن يكون الإنفاق متوازنا وبغير مغالاة ولا مبالغة وشتان ما بين الكرم والإسراف ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ. وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ ﴾ صدق الله العظيم. والأيام المتوالية تصون الإنسان من التقلبات والمفاجآت. وما لا يخطر على بال.

والأقوال المأثورة والأمثال والحكم الشعبية لعبت دورا كبيرا في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية، ومن ذلك تبادل الهدايا، والدور الاجتماعي الحضاري والاقتصادي الذي كانت تقوم به ولعلها ما زالت في كثير من الأوساط الشعبية، ذلك أن الهدية كما كانوا يقولون :

دين أو سلفة وهي أيضا نوع من الدعم والمساعدة وبذل الخير لتكافأ بمثله أو بأحسن منه : والخير كما يقول المثل : "الخير سلفات، والشر سلفات" ومنهم من يقول : "الخير : سلفات. والشر : تلفات" ومعناه أن الخير يرد للأخيار والشر ينسى ويتلف. وهذا التجاوز عن الشر أو مقاومته بالخير قيل فيه الكثير : "اعمل الخير وانساه" "اعمل الخير ف هله، و من غير هله. حتى يجيب الله اللي يستهله" و "الخير ما عنده خوه" ليس كالخير أي شي، ولا يماثله أي شيء. والخير ينتصر على الشر دائما.

قالوا في رد الهدية : "اليوم علي. وغدا عليك" و "اللي كْلَ دجاج الناس، يسمَّن دجاجه" ومن يحسن فن الأخذ، عليه أن يجيد فن العطاء. ولاستقبال الهدية طقوس وكلمات مجاملة كثيرة يطبعها الرد باللطف واللياقة، فإذا قال صاحب الهدية : قبلوا علينا، وجهكم عندنا أغلى من الدنيا وما عليها. ردَّ عليه المستقْبِل : نردوا عليكم ف الخير إن شاء الله. والخير هنا تعني المناسبات السارة، باعتبار أن الهدايا كانت متبادلة في السراء والضراء، في الأفراح والأقراح. والكلام المتبادل في المناسبات، جميل جدا، ورقيق أكثر من جدا. وكله حذق ولباقة، ومفرداته مختارة بدقة وعناية كبيرتين. وتتسم بالبلاغة في تحسيس المهدى إليه، أنه أكبر وأهم من كل الهدايا، وخصوصا عندما تكون الهدية نوعا من المساندة والدعم.

والمتعمق في الدور الذي لعبته الهدية، في حياتنا الاجتماعية اليومية والاقتصادية بوجه خاص، يقف على مستوى الوعي الحضاري في عاداتنا وأعرافنا وتقاليدنا. فالوقوف إلى جانب الأحباب والأقارب والأصدقاء في مناسبات - الحاجة - للسند والعون - مسؤولية جماعية لا جدال فيها : "تحتاجني، ونحتاجك". و "اللي تصيبه ما تقطع نصيبه" أي لا تنسى من قد تحتاج إليه. ولرفع الحرج ومواساة المحتاج يقولون "السلطان بالتاج ويحتاج". وتلك هي قمة التعاضد. والمساندة في اليسر والعسر. وتحسيس الآخر بوجود اليد الممدودة المُنجِدة، المسعفة، وما الهدية في النهاية إلا نوع من السلف مغلف. سلف بعيد المدى. مؤجل التسديد وبلا منٍّ ولا فائدة. يقدم بكيفية طواعية، تلقائية، إنسانية،

ولكنه سلف يرجع إلى صاحبه بكل تأكيد. وفي الغالب، إذ النادر لا حكم له، ولا يدخل أبدا في خانة "سلف فجعة مشية بلا رجعة". والذي لا يرد الهدية – سلف – يسمونه "شمات" أو : "شماتة" أو "ما شي رجل" ومن لا يرد الهدية – وهي دين – لا يتسم بالرجولة في نظر الجميع. وحتى في حالة وجود خلاف أو سوء تفاهم بين من كان قد قدم الهدية لقريبه أو صديقه – وتسمى أيضا "المودة" و"الصواب". وأدى الخلاف إلى تباعد وقطيعة، أو حتى عداوة. فلابد لمن كانت قد قدمت له الهدية أن يردها، باعتبارها دين في عنقه. وهنا قالوا : "العداوة ثابتة... والصواب يكون" والقطيعة لا تبرر التخلي عن القيام بالواجب . ومن أطرف ما سمعت بخصوص تبادل الهدايا في المناسبات المفرحة والمحزنة من باب : توادوا تحابوا وتعاونوا. أنَّ أحد الأصدقاء قدم لصديقه هدية في إحدى المناسبات، ومر عليها زمن، وحدث عنده حدث سعيد وانتظر فيه أن يرد إليه الصديق الهدية بمثلها، أو أحسن منها، فلم يفعل، فشكاه إلى قاضي المدينة، فحكم على المهدى إليه أن يرد الهدية.

قد تكون هذه الحكاية حقيقية، وقد تكون من قبيل المبالغة في التنبيه إلى وجوب رد الهدية باعتبارها سندا ماديا يعطى عند الحاجة ليؤخذ أيضا عند الحاجة ولكن البُعد الاجتماعي والاقتصادي واضح كل الوضوح.

وما الهدية أيضا بهذه المواصفات، والحمولات الاجتماعية إلا مساجلة ودية يطبعها أخذ ورد جميل وممتع وطريف، هذا بالإضافة إلى المساءلة دائما على الأقارب والأصحاب، وتقصي أخبارهم في كل الأحوال. وبعد :

قد لا نلتفت بانتباه كبير إلى بعض موروثاتنا من العادات الجميلة الرائعة. في حين أننا لو فعلنا، لوجدنا أن أسلافنا قد سبقوا العالم في كثير من أوجه الخير والتحضر... والتي يُلْتَمَسُ بها حسن التساكن، والتعايش، والتعاضد، والمسالمة والتآزر لتوفير الحياة السعيدة، الآمنة المطمئنة لكافة الناس.

بعض الأمثال البحرية
في الشمال الغربي للمملكة

محمد البوعناني

يتميز رجال البحر بموهبة خارقة في استنتاج عميق لتجاربهم مع البحر الذي هيأ لهم فرص التأني والصبر، والوحدانية، والتأمل، والتّفنُّن في صياغة الأمثال والحكايات التي تبهرنا بواقع أهول من الخيال، وتجذبنا بخيال أجمل من الواقع، حتى أصبح رجل البحر في نظر المجتمع شبه أسطورة.

كثير من أمثال البحارة تعمّقت في قلب المجتمع، فأصبحت بحكم التواصل المستمر، تنطبق على كل بقعة وإنسان، ولوكان بعيداً عن البحر، مما يدل على قوة الملاحظة والتدبّر، والمهارة في التبليغ.

البحار لا حدود بينها، إلاّ ما اصطنعه الإنسان ضد الطبيعة.

البحار واسطة التواصل بين القارّات والمخلوقات، للتعارف، والتلاقح، والتمازج، والتشارك.

والبحر الأبيض المتوسط Medi - terraneo وسط الأرض، أو «حزام الأرض» كان مهد الحضارات التي تناسلت من رحمها ثقافات البحر من علوم وحكم ، وأمثال وتقاليد.

واللاّتينية طبعت تأثيرها على شعوب البحر الأبيض المتوسط ، شمالية وشرقية وجنوبية، وما تزال الأسماء ومغازيها والعادات ومراميها كامنةً في مجتمعاتها رغم التباين والاقتباس والتحريف مع تقلبات الدهر، وتداول الأجيال.

يقول المثل : «كل وقت ونَاسُه» .

والمغرب المسلم ، بعربيته وأمازيغيته ويهوديته، وموقعه الطبيعي بين بحرين ، واحتكاكه وانصهاره مع مختلف الأجناس شرقاً وغرباً، اكتسب من الثقافة اللاّتينية البحرية وغيرها ذخيرة وافرة، تتناقلها المجتمعات رغم ما يسجله التاريخ من أننا لم نُولِ بحرنا ما يستحقه من الاهتمام والدراسات والتوظيف.

أمثالنا ثروة غنية متشعبة تنبع من قلب مجتمعنا بالفصحى والعامية والأمازيغية أو العِبرية أو الدخيلة مع المستعمر الإسباني والبرتغالي والفرنسي.

ومحاولتي هذه – تلبية للساهرين الأجلاّء على أكاديمية المملكة المغربية، والجمعيات المغربية لحفظ التراث – ماهي إلاّ نَبْشَةٌ متواضعة تحفز الباحثين والمهتمين ليغرفوا بمكيالهم الواسع، من بحر الأمثال الشائعة عندنا انطلاقاً من رأس الماء (كبدانة) إلى الرأس الأبيض (الكويرة) للمساهمة في إثراء الهدف المأمول من هذه الندوة.

الرمز في الأمثال

في جلسة الأمس، استدل الأستاذ عمر أمرير ببعض الأمثال على أن رموزها كثيراً ما تخفى عن المتلقّي ، فلا يدرك معناها ومرماها، بل يفسّرها حسب وضعيته وهواه. هذا هو الواقع في غالبية أمثالنا بدءاً من فاتحة خطبة طارق بن زياد : «البحر من ورائكم » التي أصبحت ضربة حاسمة في شدّ العزائم ، والدفع للأمام ، وقطع خط العودة.

فالجملة أصبحت مثلاً، خرجت من المجاز (المضيق الذي حمل اسم طارق) للاستدلال بها في الصحراء والجبل وما وراءهما مثل الكلمة الفصل : (ماشي بيننا البحر) أو (اشرب البحر) أو (خايفة البحرْ لَيَرْحَلْ) وحتى الأمثال الأخرى المستخلصة من الشعر أو الزّجل والغناء، كالمثل الأخير الذي تغنّيه الحاجّة الحمداوية، وأصبح يرمز أيام المقاومة إلى الخوف من عدوان الاستعمار على ملِك البلاد.

ومن الداخْلَة وأگادير وأسفي والصويرة والجديدة والدار البيضاء والرباط وسلا والمهدية ومولاي بوسلهام والعرائش وأصيلة وطنجة وتطوان والحسيمة وكبدانة تتفرع أفانين من شجرة الأمثال البحرية المغربية يرتبط بضعها ببعض مع احتفاظ كل غصن بثماره الخاصة في طراوتها وعراقتها ، ولونها ومذاقها.

وقد أدركت أنني حتى ولو اغترفت غالبية هذه الأمثال من معين محصور - أعني مدينتي أصيلة - ومراجعة بعض الكتب والمقالات فإن أمثالنا متلاحمة في صيغتها ورموزها وأهدافها ، كما أدركتُ أنه كما تتحوّل أمثال بحرية إلى البر، تتحوّل بريّة كذلك إلى أمثال عن البحر، والرموز كذلك تتغير من جهة لأخرى.

مالْطا : لافْراش، لاغْطا

يبرز التأثير الإسباني البرتغالي في مصطلحات بحّارتنا من جنوب المملكة إلى شمالها أكثر من الفرنسي وغيره.

وتوجهات البرتغال نحو بحرنا قديمة لتمهيد الطريق نزولاً من إفريقيا الغربية إلى رأس الرجاء الصالح فجزر الهند.

وكان على البحّار البرتغالي أن يعاني المشاق ماخراً تيار بحر الظلمات (جزر الخالدات CANARIAS) ...

يقول فيرناندو بْسوا :

«مَنْ يطمع في تجاوُز رأس بُوجدور عليه أن يتحمّل الآلام، ويُحسنَ استعمال هذا الطريق».

ومن هنا نتذكر المثل : «ابْقى تْدُورْ ، حتى لْبُوجْدُورْ».

الشاعر هذا - وقد اهتم كثيراً ببحرنا - يؤكّد : (جعل الله الأخطار والأهوال والهاوية في البحر).

ونتذكر مؤرخنا الكبير المقريّ وهو يعبر البحر على متن سفينة تحيط بها الأهوال ، فقال : (ونحن قُعود، كدودٍ على عود).

ويصف في «نفح الطيب» جزيرة مالطة بالجزيرة الملعونة لكثرة الحوادث التي التصقت في ذهن المغاربة عند عبورها : (الله لا يّديك لمالطة ، لافراش لاغطا) .

ريح الشمال تهبّ من إسبانيا

ومن الجانب الآخر نجد للإسبان نفس الاتجاه والتحذير :

EL NORTE TE BAJA AL SUR SINO TE COJE LA PALMA TE PATA EL JUBI

معناه : الشمال ينزل بك جنوباً إذا لم يحتويك الكف PALMA يرفسُك الجوبي.

(هنا تورية، تقصد اليد، وعاصمة كناريا‌س وأكبر جزرها، والجوبي هو رأس طرفاية الخطير الذي تصطدم به السفن لتتكسّر على صخوره أو تحرّث على رماله حينما تجرفها رياح الشمال القوية).

ومن الأمثال المقتبسة والشائعة في الشمال الغربي للمملكة :

NORTE EN EL VERANO

LE VANTE EN LA MANO

يعني «هبوب ريح الشمال صيفاً، يجعل الشرقي بين يديك».

وريح الشمال يكرهها الصيادون لأنها تبرّد الماء ، وتحدث تيارات جارفة في العُمق، مما يجعل الصيد صعباً ، وتوقّف الخيوط والشباك عسيراً.

وهي نذير بمجيء الريح الشرقية العنيفة LEVANTE عند الإسبان، والميسترال MISTRAL عند الفرنسيين.

ومما يقال كذلك عن الريح الشمالي : (النّورطي NORTE ، ما يْهنّي ما يعطي).

وهناك أمثال مأخوذة من أحداث تاريخية أو أساطير أو مقطوعات شعرية مثل:
- الله يرحم السلطان محمد بن عبد الله.

كلما سُمع صوت المدفع ، لأنه أعطى للمدفع قيمة ووزعه على كل شواطىء المملكة لحمايتها من أطماع الدخلاء .

– دابا تجي قنديشة ، تفْرس لك الكْريشة .

عايشة قنديشة ، الكُونْديشة Condesa عند البرتغال جنية البحر على شكل امرأة جميلة بقدمي بهيمة ...) .

– مْزّيْنْ النْسا بْضَحكاتْ ، لُوكانُوا فيها يْدُومُو الحوتْ يْعُومْ في الْما وْهُنْ بْلاَمَا يْعُومُو

(أبيات من شعر عبد الرحمن المجدوب).

– الخدود مرجان، والسّيقانْ شابْلاتْ، والخطوة بالسُكاتْ.

نماذج من الأمثال البحرية

(أكثرها من أقصى الشمال الغربي للمملكة)

السمك (الحوت) :

– فحال الحوت، إذا خرج من الما يموت . (فحال معناها : مثل).

– السردين والما باردين. (السردين والماء البارد مبالغة في الفخر بلا شيء).

– السكر بالكْراكـر، واتايْ بالتْـراتر ، والسّـردين بالقناطر، والضّـوْ في الشُّرطان.

(كناية عن الجبلي الذي يصف المدينة بعد زيارته الأولى فيعبّر عن إعجابه، بالسكر القالب وكركرة قطعه ، والشاي بالمصبّات، والسردين بالقناطر، والكهرباء من الحبال).

– كيف (مثل) الحوت، القوي يأكل الضعيف .

– الحوت كله حوت، والنساء كلهن خوت (أخوات متشابهات).

– الجذام المنعوت، الحليب مع الحوت .

– مات الحوت، وصلّى عليه الخلّ . (يقصد المثل فعالية الخل في الحفاظ على طراوة السمك وطعمه.

– المرينة وحدها مطفية في العسل. (عادة من فاس وهي إطفاء ثعبان البحر (الشّيق) في العسل بعد قلْيه وذلك لحفظه وتحلية طعمه ، وأهل فاس يتناولونه كدواء ضدّ الروماتزم).

– كل اللحم بدمُّه، والحوت اقْتُل لُو سمُّه. (لكن أهل البحر يعكسون ذلك إلى أكل السمك بدمه، واللحم بقتل سمه).

– حوتة واحدة تخنّز الشواري.

– البوقة ملعوقة، مليانة بالشوكة، اللّي عندو العْواول مايْسُوقا .

(المثل شمالي من طنجة عن سمكة البُوقة (تازناغ) في الجنوب ، كثير شوكها، لهذا يحذّرون من لهم أطفال ألاّ يشتروها ...

ويتميز المثل بلهجة المنطقة التي ينطق الكثيرون فيها القاف والكاف ألفاً . أما في أصيلة والعرائش فهي تاغْزالت وليس الْبِيسُوغُو .

– الرْمولي، اقْليه وقَرْبُولي. (والرمولي هو «الحنبل» الأبيض المخطّط بالأسود عمودياً).

– أوْلاح أوْلاح، مافيه ما يتْلاحْ . أولاح (من سوس) سمكة من نوع الحماميات Palomete يسميه الفرنسيون اللّيش Liche ، ويعني المثل أن هذه السمكة اللذيذة الملحّمة ليس فيها ما نَرْميه.

أمثال عن اليهود

– المعزة الكبيرة (القرب Corbine) للزّرود ، بيضها لوليدي ، وراسْها لليهودي.

(يعني أنها سمكة الولائم، وبيضُها الرقيق لأولادي، ورأسها الملحّم يفضله اليهودي).

- بوشويكة يعجب التجار، يْضَدْ اللُّوپايْرَا مقلية ، والتراني يامَالي مَالي.
(بوشويكة نوع من كلب أو قط البحر «الحرطوگة»، وهو من صغار سمك القرش، لذيذ الطعم، أشهره وأفضله الرمادي المفتوح، والأسمر المنقّط. والمقصود يضد اللّوپايْرا والتراني يعني يضاهي الميرو وكذلك الدّرعي وما شابهه، ومالي مالي تعبير غنائي عن الإعجاب والرضى).

- مثله مثل اللّي يشري الحوت في قاع البحر.

- الحلاّمة اللّي داز عليها يتْعامى.

(الحلاّمة سمكة يسمّيها الإسبان سليمة Salema، تالُوزيتْ في سوس، تتميز بمذاقها القوي الذي يأتي من غذائها المنحصر على أنواع معيّنة من أعشاب الأعماق، ورغم ثمنها الرخيص، فكل من مرّ عليها يتعامى ويتركها، لكن اليهود يفضلونها لمعرفتهم بقيمتها الغذائية، ويشترونها جملة ليتقاسموها كما في المثل التالي ...

- البوري والحلاّمة، عند اليهود بالقْسامة.

وعن البوري المولي Mulet بالفرنسية، اللّيسا Lisa بالإسبانية الذي يفضل اليهود صيده وأكله منذ القدم، ويعيش في البحر وكذلك في الأنهار، يزيدون هذا المثل.

- ما يقْتل الزُّفورية، في الحلاّمة والبورية، غير طبْخ اليهودية .

(وشرمولة طبخها وقلْيها تعتمد على الثوم والقزبور والزعتر والفلفل الأحمر - الحارّ وغيرها من التوابل التي تلذّذ طعم الأسماك).

- في البحر الميرو ، وفي البر الكورديرو Cordero.

وأصل هذا المثل إسباني

EN EL MAR EL MERO

EN LA TIERRA CORDERO

(والميرو – المارو – نوع من التّارنا TCHARNA وجمعها التّراني كما في المثل السابق .

– الشابل في الليالي، ياكْلوه أصحاب الموْالي، مايقدرش عليه المسكين فْحالي.

(الشابل ألذ الأسماك النهرية والعذبة مثل السلمون في هجراته من البحر للتوالد في مصبّات الأنهار، ومع الأسف فقد انقرض من أنهارنا اللهم إلاّ بعض الوحدات لماماً، وثمنه في فصل الشتاء (بداية دخوله الأنهار للتناسل) يرتفع فلا يقْتنيه إلاّ ذوو الأموال، ولا يقدر عليه المسكين مثلي في نونبر ودجنبر حتى يتكاثر بين يناير وفبراير).

– مجرّب فْحال بوري المجاز.

(يوصف بوري مضيق جبل طارق (المجاز) بذكائه وصعوبة صيده بالصنارة، بل إنه كما يقول مثل تطواني – أندلسي آخر ...).

– فحال البوري دَ لْمَجاز، يأكل الطّعم، ويتغوّط على الصنارة.

– عُوَيْنات تُونينَة.

(تونينة Tonine أُسْقُمري رشيق لذيذ الطّعم يعرف بعينيه الصغيرتيْن، عكس الأسقمري العادي ذي الرأس المدبّب والعينين الكبيرتين ؛ ولحم هذا الأخير من الأزرق الميدّم).

– المارْجع صْفيفر، التارنة ولاّت بْغيغَرْ Pageot.

(إذا تعكر لون المصايد إلى أصفر تصبح التّارنة، من نوع الميرو حتى ولو كانت كبيرة، سمك پاجو صغيرة، أي يذهب السمك الكبير)، ويرى آخرون العكس

وهو أن الماء العكر يساعد البحارة على الصيد لأن السمك يحجم عن التقرب من الصنارة والطعم، عند ما يصفى الماء الذي لا يُجيد الصيد فيه سوى المَـهَرة.

- الحوّات إذا صْفالو الْما ، بانتْ الحكمة .

- البحر إذا صْفا وْوَرّاكْ قاعُه ، تْصنَّتْ لَصْداعُه.

(يعني اقتراب العاصفة أو الهدوء الذي يسبق العاصفة).

- الشْتا تْطيَّحْ الموج.

(أصله فرنسي ؛ الأمطار تقتل البحر) La Pluie tue la mer.

- غَلِّيني.

(هذه الكلمة وحدها مثلٌ في أصيلة حينما يسأل بحار زميله كيف أصبح البحر؟ فإذا أجابه: غَلّيني فمعناه هادىء ... كصفحة زيت، والكلمة أصلها عربي فصيح من فعْل غلَّن البحرُ بمعنى هدأ بعد عاصفة).

- من السْطارة للسْطارة ، يمشي النهار خْسارة .

(السطارة -الرصيف : صفوف الحجارة الشاطئية يصيد عليها البحارة ، فإذا كان السمك على أحد الجوانب يظل فيه ، وإذا خلا جعله ذلك يتنقل من سطارة لأخرى حتى يضيع نهاره بلا فائدة).

- ما بقاتش في تَدْويرْ اللّيخِي (حبلُ محرك المركب) خصْنا ما نْعملو في الجيب.

(ليست الفائدة في التنقل من هذا المصيد لآخر، بل الفائدة فيما نَجْنيه من مصروف، ويُضرب كذلك للحظ الذي يصادفه صاحب زورق «بالمقاذف » المجاديف ... ولا يناله صاحب المحرّك الآلي).

البحـر

– رد بالك، هذا واد فاس، ماشي البْحيَّر ديالكم.

(هذا الكاريكاتور الساخر يجعل نهر فاس أوْعر وأخْطر من البحر ـ بالتصغير البْحيّر– ويذكرنا هذا بالمثل الهزلي : من حاضرة صفرو إلى قرية فاس).

– يوجد في النهر مالا يوجد في البحر .

– فرّق البحر، يرجع سواقي.

– يْكيّل البحر بالكسكاس.

– يغربل البحر بالغربال.

– كل واحد يغرق في بحرُه.

– رماه في البحر وقال لو، بالك تَتْفزَّگ، (إحذر أن تتبلّل).

– بالْما والشطابة (المكنسة) لقاع البحر.

– رموْا سُرَّتُه في البحر.

(كناية للذي يلتصق كثيراً بالبحر، ومن عادتنا دَفْنُ سرة المولود في الجامع حتى يصير عالماً لا يترك المسجد).

– باراكا ما تْميّحْ علينا.

(أي كفى سخرية منا، والميّاح خشبة بمقبض تُفرغ بها المياه المتسرّبة بين الشقوق والثقوب إذا حدثت بين ضلعة وأخرى في الزورق. والكلمة من أصل عربي فِعْلُها ماحَ يميح أي اغترف، والميّاح من استسقى الماء بكفّيه أو ما شابههما) .

– الحوّات يده متقوبة، اللي جاب النهار يذهب به الليل ، وفْلوس اللّْبن ، ياخذْهُم زَعْطوط ...

(أي لا يفكر في غده ، وكل ما يجنيه من صيده بالنهار ، يصرفه قبل أن ينام ، وفلوس قُوته (اللبن كمثال) تذهب به بليته ...).

وعن السفينة ...

- السفينة ما تبْحر بْلاَ رَايَسْ.

- السفينة بزوج رُيّاس، غادية للغرق.

- واشْ غَرقو لك المراكب ؟

(لمن يُطيل تفكيره وانشغاله)، ويتساءلون أيضاً : اشحال من سفينة غرقت لك؟

- كيف المقذاف خْلوق الغابة، وتْرابي البحر، (المجداف أصله من الغابة، وتربيته في البحر).

- جاونا بالقلوع والمقاذف.

(كل الهجومات الاستعمارية كانت تأتي عن طريق البحر وبقي المثل يُضرب عن الهجوم المتنوّع الضخم).

- تعلّق الغريق بالغريق.

- تقطّع به الحبل.

(من هذه الأمثال تلك التي نتداولها في البحر وكل جهة ولم تبق فقط عن البحر الذي خرجت منه).

BIBLIOGRAPHIE

- Le Coran, Sourate 69, Verset 7 (Sur cette période qui commémore l'anéantissement des peuples de 'Ad et de Thamoud)

- A. Joly,"Un calendrier agricole marocain", dans les Archives marocaines, Vol. III, 1905, p:301 sqq

- E. Lévi-Provençal, "Pratiques agricoles et fêtes saisonnières des tribus de Djebalah de la vallée moyenne de l'Ourghah", Archives berbères, Vol. 3, Fasc. 1, 1918

- Revue Langages, No 90, 1988

- J. Pineaux, Proverbes et dictons français, Coll. Que sais-je?, Paris, 1956

- E. Westermarck, Ceremonies and Beliefs, Helsingfors, Akademiska Bokhandeln, 1913.

ملخّص

المثل الفلاحي، من ذاكرة جماعية إلى ذاكرة «جامدة»

يتناول البحث بالدراسة نموذج الأمثال الفلاحية وموقع الأمثال في الخطاب اليومي، إذ أصبح تداول هذه النتف من التراث يتراجع يوماً عن يوم خصوصاً في الخطاب اليومي للأجيال الشابّة . وهذا البحث هو نتيجة عمل ميداني ارتكز على مجموعة من الأمثال الفلاحية التي جمعت في منطقة الغرب ويحاول الكشف عمّا إذا كان هذا النمط ما زال يتصف بالجِدّة وما زال صالحاً للاستعمال أم طاله الإهمال والنسيان.

autrefois sont perdus; par contre, certains ont pu résister et continuent à être fréquents dans le discours .

On pourrait avancer que les proverbes dont la syntaxe et le vocabulaire sont archaïques sont tombés dans l'oubli vu la difficulté liée à leur mémorisation et à leur diffusion; alors que d'autres proverbes demeurent en circulation et d'actualité de par leur forme simple et leur contenu qui ne vont pas à l'encontre de la modernité.

NOTES

1) Coran, Sourate 69, verset 7.

2) (yennayer = janvier; yebrayer = février; mares =mars; yebril = avril; mayy = mai; yunyu = juin; yuluz = juillet; &u$t = août; $utanbir = septembre; Ktuber = octobre; nuwanbir = novembre; dujanbir = décembre).

3) Voir la liste des symboles ad hoc utilisé en fin d'article.

Liste des symboles *ad hoc*

$	$ems	"soleil"
X	Xaw	"vide"
&	&aba	"forêt"
$	ar $	"voisin"
≠	elwa ≠	"douceur"
@	@id	"fête"
t	tifl	"enfant"
d	dell	"ombre"
s	seb≠a	"compagnon"
z	zina	"douzaine"
r	rayeb	"yagourt"
≠	su≠al	"question"

Tout ce qui n'est pas blé ou laine est sans importance. Pour les agriculteurs, le blé et la farine constituent la source de leur richesse.

En effet, pour les paysans, le blé est la céréale par excellence, à côté de l'olive comme fruit. Le blé est quasiment omniprésent dans le proverbe agricole, c'est la céréale noble au dépends de l'orge, des fèves, des pois-chiches, du maïs, et du riz.

2- DIFFICULTÉS D'INTERPRÉTATION

L'utilisation du proverbe faiblit et sa compréhension pose de plus en plus de problèmes aux locuteurs d'aujourd'hui. En effet, les étudiants et les informateurs, auxquels il a été demandé de donner le sens des proverbes proposés, ont doté ces proverbes de sens différents de ceux communément admis. Il s'avère qu'un grand nombre de proverbes sont sortis de l'usage courant, et leur interprétation n'est pas évidente car, des fois, le proverbe peut être caractérisé par une opacité partielle qui entrave son interprétation ou son décodage. Autrement dit, le sens du proverbe n'est pas nécessairement déduit du sens de ses constituants, surtout lorsqu'il comporte des items lexicaux non courants comme il est souvent le cas dans les proverbes agricoles. Certes, lorsqu'un locuteur est confronté à un énoncé proverbial qu'il ne connaît pas, il essaye d'accéder à l'interprétation en ayant recours à un calcul compositionnel. Par ailleurs, il ne faut pas nier que le moule sémantique du proverbe ainsi que la situation de discours mis en relief guident généralement dans l'interprétation d'un proverbe connu ou non.

CONCLUSION

Il est indéniable qu'il y a eu de substantiels progrès réalisés dans la description du fonctionnement du proverbe de façon générale, mais ce ne sont pas les études descriptives qui vont empêcher les proverbes de continuer à sortir de l'usage.

Le fonds parémique d'une langue est en mouvement perpétuel comme l'ensemble de son vocabulaire: des proverbes qui étaient courants

et enfin

اللي حطب شي يصخن عليه

lli £teb $i ysxun @lih

Qui ramasse des bûches se réchauffe avec; autrement dit, on savoure le résultat de notre effort.

Ainsi, les agriculteurs ne peuvent pas se permettre de travailler à leur guise. Leur vie quotidienne est régulée par le temps ou plutôt par la météorologie. Toute activité agricole, qu'il s'agisse de labour, de semence, de gémination, de récolte, etc., sont en corollaire avec les effets climatiques sur les cultures et l'élevage.

d- Les céréales

Comme le blé est central dans l'alimentation des Marocains en général, une grande variété de proverbes agricoles se rapporte d'abord au blé, et ensuite au «Foin», au maïs et aux olives. Ceci étant, pour le paysan, lorsqu'on a du blé chez-soi on est à l'abri de la famine et de la honte :

اللي عندو الزرع فدارو ولادو ما يسعاو لجارو

lli @endu zzre@ f daru wladu ma ys@w l§aru

Les enfants de celui qui a du blé chez-lui ne risquent pas d'aller mendier chez les voisins. Le blé préserve de la misère.

اللي زرعو حبوب يحصدو مشدود

lli zer@u £bub £esdu me$dud

Qui cultive les grains de blé en tire large profit. Les petits profits accumulés finissent par faire de gros bénéfices.

Et enfin

كل شي هتوف من غير الزرع ؤ الصوف

kull $i htuf men &ir zzre@ u ssuf

Celui qui n'a pas de champs fertile n'a pas de jugement sûr

ou encore :

بيع العرض واشري الأرض

bi@ l@erd u $$ri l#erd

Vends le boeuf et achète la terre

et encore mieux :

اللي با ع أرضو با ع مو

lli ba@ #erdu ba@ mmu

Qui vend sa terre se renie

Les agriculteurs insistent fortement sur les règles de conduite à adopter pour travailler la terre convenablement et à en tirer un maximum de profit. Ainsi,

الغرس بلا عريف لابد ما يخرج ضعيف

l&ers bla @rif labudd ma yxre§ d@if

La récolte d'un labour inexpérimenté est inévitablement médiocre

العنقود الكبير من الدالية المخدومة

l@enqud lkbir men ddalya lmexduma

Une belle grappe est le fruit d'une vigne bien soignée; tout effort est récompensé

اعطي الما ؤ الغبار تخد فوقتو النوار

@te lma u l&bar taxud f weqtu nnuwwar

Pour que la récolte soit bonne, la terre et les plantes ont besoin d'eau et de fumier

الزرع كيجرحو يناير ؤ كيقتتو يبراير ؤ يتسمى على مارس

zzre@ Ka y§er£u yanayer u ka yqetlu yebrayer u ytsemma @la mars

le blé est blessé par janvier, tué par février et c'est mars qui est le coupable. Autrement dit, si, en mars, il n'y a plus de blé, ce n'est pas la faute de mars mais plutôt celle de janvier et de février

c- Le travail et la terre

Un bon nombre de proverbes agricoles sont liés au travail de la terre et à sa vénération. Les paysans pensent que:

الحرت حرب ؤ البحيرة حيرة ؤ الجنان جنون ؤ الغنى زيتون

L£ert £erb u lb£ira £ira u §§nan §nun u l&na zitun

Le labour est une guerre, le potager un tourment, le verger une folie, et l'olivier une richesse

Ou encore:

الحرت بجوجة احسن من الحرت بفرد

l£ert b §u§a £sen men £ert b ferd

Il vaux mieux labourer avec deux boeufs qu'avec un seul pour plus d'efficacité

De plus,

الحرت بلا تمارة بحال الراجل إلى الطرطقات فيه لعمارة

l£ert bla tmara b£al rra§el ila ttertqet fih l@mara

Le labour sans sérieux mène à la catastrophe

Par ailleurs, ne pas posséder sa propre, terre est la plus grande honte pour un paysan:

اللي ما عندو فدان تابت ما عندو عقل تابت

lli ma @endu feddan tabet ma @endu @@qel tabet

إلا دخل يناير بتنين تفرح الأرض ؤ المسكين

ila dxel yennayer b tnin tefre£ l#erd u lmeskin;

si janvier commence un lundi la terre et le pauvre seront heureux;

يبراير ضرب گرينات المعزة ؤ خلاها تطاير

yebrayer dreb grinat lme@za u xellaha tttayer

le froid de février est redoutable pour les chèvres;

مارس كايگول فينكم آحراتين الضاية

mars ka ygul fin kum a £erratin ddaya

le mois de mars se moque des laboureurs des mares ;

فأبريل فيما شفتي الفول ميل

f abril fin mma $etti lful mil

au mois d'avril, chaque fois que tu vois des fèves bouge pour en manger ou pour les ramasser;

مايو حصدو واخا يكون فلايو

mayyu £esdu waxxa ykun flayyu

Le mois de mai est le mois de la moisson; Il faut tout moissonner même si c'est de la menthe poivrée;

إلا تكلم الرعد فيوليوز كول من غير الزرع ؤ اللوز

ila tkellem rre@d f yulyuz kul men &ir zzre@ u lluz

s'il y a du tonnerre au mois de juillet évite de manger du blé et des amandes pour éviter les maladies amenées par le tonnerre;

إلا كان مارس يسيل ؤ يبريل ضليل ؤ ما يو صافي صقيل التلت فالغلة يعيل

ila kan mars ysil u yebril dlil, u mayyu safi sqil ttelt f l&ella y@il

si mars est pluvieux, avril couvert, et mai dégagé et ensoleillé, le tiers de la récolte sera malsain;

attribuent les mêmes dates à ces périodes agricoles. A titre d'exemple, pour le proverbe ci-dessus à propos de Ddebran, 114 informateurs sur 130 ont été incapables d'expliquer le mot Ddebran; certains l'ont associé au porc-épique, d'autres au nom d'un mois, et d'autres enfin à la sécheresse. Par ailleurs, une période agricole comme Nissan est située entre le 27 avril et le 2 mai chez Westermarck et Levi-Provençal, elle s'étend au 3 mai chez Colin, et va jusqu'au 7 mai pour le Larousse; autrement dit, les données actuelles sont approximatives.

b- Les mois

D'une façon générale, les paysans se servent du calendrier julien pour marquer les différentes époques de l'année agricole et conservent les dénominations d'origine latine pour les mois de l'année romaine. Pour le paysan marocain, certaines périodes de l'année sont, plus que d'autres, moins favorables à l'homme et à la terre. Les anciennes croyances résumant des conseils relatifs à chaque mois[2] sont prescrites dans des proverbes. On dira pour les animaux que :

الشتا ديال يبراير كتسلخ البگر فالدواير

$$ta dyal yebrayer ka tslex lbger f ddwayer[3]

La pluie de février amaigrit les vaches même dans l'étable

Et pour les humains, on recommande:

إلا دخل يناير غطي ولادك ۇ عطيهم في الصباح الحراير

ila dxul yennayer &etti wladek u @tehum f ssba£ l£rayer

A partir du début janvier, couvre tes enfants chaudement et nourris-les bien.

Il y a des règles qu'il faut observer au cours de la vie normale ou dans les pratiques agricoles; des périodes fastes ou néfastes sont clairement déterminées par la tradition et le calendrier:

ila tkellcm rrc@d f se@d ddabe£ ykun rri£ fih &ir nafc@

le tonnerre de *saad ddabeH* est à craindre pour la santé des humains et du bétail

سعد بلع وكلو ما يشبع صخرو ما يسمع

se@d ble@ wekklu ma y$be@ scxxru ma ysme@

période de grand froid où personne ne veut sortir et où tout le monde a très faim

D'autres périodes agricoles servent de repère aux paysans marocains tels que : *baten lhout* (du 23 mars au 4 avril) :

باطن الحوت قلب الدرا قبل يفوت

baten l£ut qelleb ddra qbel tfut

Il faut retourner la terre pour le maïs avant que la période de la semence ne s'écoule

Vient ensuite *lbutayen* (du 18 au 30 avril) :

البوطاين كيخلي الفول بطاين

lbutayen ka yxelli lful btayen

c'est la période pendant laquelle les fèves murissent

Et enfin *Ddebran* (du 1er au 13 mai) :

إلا دخل الدبران لادرا لا تيران

ila dxel ddebran la ddra la tiran

Pendant cette période, l'agriculteur ne doit ni semer le maïs ni labourer avec les boeufs car la terre est très dure

Il est à noter que c'est au niveau de cette terminologie, entre autres, que le risque d'une déperdition du patrimoine culturel, oral se manifeste le plus. Mis à part le fait que rares sont encore les gens capables d'attribuer une référence à ces termes, il n'y a pas deux sources , orales ou écrites, qui

Vers le 26 novembre c'est *nnçayem* qui commence et dure treize jours:

النعايم البرد من الأرض قايم ؤ يكترو فيه المنايم

nn@ayem lberd men l#erd qayem u yketru fih lmnayem.

Durant *nnçayem*, il fait tellement froid que les gens restent au chaud, dorment souvent et font beaucoup de rêves.

Arrive ensuite *bulda* le 9 décembre:

بولدة الصغيرة كتولي قردة ؤ الكبيرة كتولي جلدة

bulda ss&ira ka twelli qerda u lkbira ka twelli §elda

Bulda est une période de froid intense qui n'épargne ni jeunes ni vieux

Puis arrivent *llyali* du 12 décembre au 20 janvier :

إلا دخلت الليالي يجريوا العناصر ؤ يتسقا و الدوالي

ila dexlet llyali y§riw l@naser u yttesqaw ddwali

s'il pleut pendant *llyali*, il y aura assez d'eau pour boire et pour arroser.

Ensuite ou presque en même temps, s'étale la période de *Saad*. Les paysans distinguent alors entre *saad lbulda* (du 9 au 21 décembre), *saad ddabeH* (du 22 décembre au 3 janvier), *saad ble'* (du 4 au 16 janvier), saad ss'ud (du 17 au 29 janvier), et *saad lxebya* (du 30 janvier au 12 décembre).

Ainsi,

إلا نفخ الغربي فسعد البولدة لا باس على اللي عندها ؤ اللي ما عندها

il a nfex l&erbi f se@d lbulda labas @la lli @endha u lli ma @endha

s'il y a du vent de l'ouest pendant *bulda*, riches et pauvres sont satisfaits

إلا تكلم الرعد فسعد الدابح يكون الريح فيه غير نافع

est connu que cette période est favorable à la culture de «l-quTnia» (fèves, lentilles, pois, etc.). On dira :

حيان بتلوج لولو بيضة ؤ آخرو أسلوج

£iyyan bu tlu§ luwlu beyda u #axeru aslu§483

c'est-à-dire qu'au début de *Hiyyan*, les perdrix pondent et à sa fin les herbes sauvages poussent et peuvent être mangées. Cependant, la pluie de Hiyyan est considérée comme étant néfaste pour la culture, les légumes et les arbres fruitiers.

Vient ensuite la période de *Nissan* qui s'étend du 27 avril au 3 mai. C'est le septième mois de l'année civile des juifs et le premier de leur année sacrée. (Il correspond à une partie de nos mois de mars et avril)

La pluie de cette période est très bénéfique et la période en elle-même est constituée d'un bon présage

إلا ساط الشرگي في حيان تتحمم الدرا فنيسان ؤ يجي العام زين بلا نقصان

ila sat $$ergi f £iyyan tel£emmem ddra f nisan u y§i l@am zin bla neqsan

si le chergui (vent d'est) souffle pendant *Hiyyan* (du 2 janvier au 4 mars), le maïs sera lavé pendant *Nissan* , et l'année sera bonne.

Pendant quarante jours, du 12 juin au 20 août, s'étend la période de la canicule *SSmayem*. Si le tonnerre se fait entendre durant cette période, la maladie sévira parmi les femmes et les animaux

إلا نفخ الشرگي فالصمايم المرض فالنسا ؤ البهايم

ila nfex $$ergi f ssmayem lmerd f nnsa u lbhayemu

الليالي ؤ الصمايم هما روح الخير يا فاهم

llyali u ssmayem huma ru£ lxir ya fahem

- Question n° 1: 77.51% des informateurs ignorent les proverbes proposés.
- Question n° 2: 75,51% des informateurs ne peuvent interpréter ces proverbes.
- Question n° 3: 50% des informateurs ne proposent aucun sens aux mots agraires soulignés.
- Question n° 4: 77,51% des informateurs ignorent le contexte d'emploi de ces proverbes.

Ces chiffres, quoique partiels, renseignent sur un état de faits. Nous sommes face à une génération de jeunes issus d'un milieu rural, paysan, et pour qui ces proverbes sont totalement méconnus, voir énigmatiques.

Toujours dans le même sens, cette hypothèse du déclin du proverbe, nous a encore été confirmée de nouveau cette année même, suite à une seconde recherche effectuée avec un autre groupe d'étudiants. Cette fois-ci, il s'est agi simplement d'interpréter des proverbes ou de les soumettre à interprétation auprès de personnes âgées. Le fait est que les étudiants ont encore été confrontés, assez souvent, à des réponses négatives.

Ainsi, pour mieux saisir la difficulté inhérente à l'interprétation de certains proverbes, je propose ci-après une typologie succincte du proverbe agricole.

1- TYPOLOGIE

a- Les saisons ou les périodes agricoles

Les deux périodes de l'année qui sont les plus redoutées chez les paysans sont celles de *l-Hsum* et de *SSmayem*. Les Hsum commencent le 25 février et durent, comme il en est fait mention dans le Coran[1] «sept nuits et huit jours». Le terme *Hsum* est connu comme vocable coranique, mais le terme communément employé par les paysans est plutôt celui de *Hiyyan*, dénommée «tamghart» en pays berbère. Ainsi, s'il ne pleut pas pendant *Hiyyan*, les puits ne se rempliront pas de toute l'année, comme il

champs d'application très varié; ils peuvent se rapporter aux humains, aux animaux, aux objets, à la nature, au travail, etc.

Pour ma part, je m'intéresse aux proverbes agricoles; ce sont des proverbes à caractère paysan transmettant tout un code de savoir-vivre, de savoir-faire applicable à des situations très concrètes. Leur thématique et leur lexique sont également spécifiques puisqu'ils portent sur la météorologie et sur toutes les facettes du travail agricole. Cependant, bien des proverbes agricoles sont tombés dans l'oubli du fait, entre autres, que la société rurale où ils sont nés a cédé la place à une société technologique et industrielle. Par conséquent, de nombreux proverbes concernant la vie et les activités propres aux paysans sont en train de tomber en désuétude.

Ainsi, pour vérifier cette hypothèse, j'ai procédé à une enquête sur le terrain, dans la région du Gharb, avec l'aide d'étudiants de la Faculté de Lettres de Kénitra. Dans un premier temps, le travail a consisté en une simple collecte de données, c'est-à-dire, un simple inventaire des proverbes agricoles «survivants». Ensuite, après avoir complété l'inventaire obtenu en puisant dans différentes sources écrites disponibles, j'ai entamé la deuxième étape de l'enquête en soumettant un questionnaire à un grand nombre d'étudiants de ladite Faculté afin de vérifier :

1. si les étudiants connaissaient ces proverbes;

2. s'ils étaient capables de les interpréter;

3. s'ils pouvaient expliquer certains mots clés;

4. s'ils connaissaient les circonstances d'emploi de ces proverbes.

Malgré que le public étudiant de la Faculté des Lettres de Kénitra est, à 80%, originaire de la région du Gharb (Sidi Slimane, Mechraa Bel Ksiri, Souq Larbaa, Sidi Kacem, Khemissat, Tiflet, Ouazzane, etc.), région connue pour son caractère agricole, la plupart des proverbes concernés par l'enquête ont été méconnus par les étudiants et même "ininterprétables" par ces derniers. Voici, brièvement, quelques chiffres révélateurs d'une situation critique pour une partie capitale de notre patrimoine culturel :

LE PROVERBE AGRICOLE, DE LA MÉMOIRE COLLECTIVE À LA MÉMOIRE INERTE

Hafida El AMRANI

Ma contribution à ces journées d'étude consacrées au patrimoine culturel de tradition orale porte sur le proverbe agricole. Dans un premier temps, je ferai part des constats que j'ai pu déduire à partir d'une enquête dans la région du Gharb. Ensuite, je proposerai une typologie du proverbe agricole, et enfin, j'exposerai des données relatives à l'interprétation du proverbe chez les nouvelles générations et à son déclin progressif de la communication orale.

Il n'est pas nécessaire de s'attarder sur la description de la forme proverbiale considérée comme prototype, (d'autres collègues s'en seront chargés au cours de cette journée); toutes les études parémiologiques la mentionnent : structure binaire, voire quadripartite, allitération, brièveté, ellipse, répétitions de mots, assonance, présentation en proposition infinitive, etc., ce qui pour tout dire, reviendrait à une fixité formelle et à des traits prototypes constituant des universaux parémiologiques.

On conviendra également que le proverbe est une courte maxime entrée dans l'usage courant et puisée à un fonds commun de sagesse représentant la tradition. Il renvoie à une vérité commune et reconnue par tout le monde. Il est le point d'insertion, dans le discours, du savoir commun de la collectivité; il n'est pas lié aux idées particulières de celui qui l'exprime. C'est une sentence commune à laquelle l'usage accorde foi.

Même s'ils varient selon les régions et les périodes, c'est-à-dire d'un point de vue aussi bien dialectal que diachronique, les proverbes ont des

المنازل الفلاحية من خلال الأمثال الشعبية

صالح شكاك

تمهيد

شكلت الأمثلة الشعبية ركيزة أساسية من مكونـــات منظومة ثقافية متكامــلة، أنتجها التراث الشعبي بمختلف مكوناته وعلاقاته. فالأمثلة الشعبية بهذا المعنى خلاصات لتجارب إنسانية طويلة مع الطبيعة. لذلك فهي أكثر الأشكال المنطوقة تراكما وتعبيرا عن هذه التجارب [1] إلا أنها لا تختص بأحد أو بجماعة، ولا ترتبط بموضع جغرافي دون آخر، وتبسط أفكارا تتعدد موضوعاتها وتتنوع تشكيلاتها اللغوية، بما تحويه من بلاغة وإيقاع، وبما تبسطه من تجانس وإمكانيات واسعة للتأويل. واكتسبت الأمثال الشعبية أهميتها من كونها ترتبط بقوتين أساسيتين: خلاصة الممارسة و بلاغة الكلام. فالممارسة المكتسبة بالتعامل مع الطبيعة، تفرق بالكلام بين قوة الطبيعة وإرادة البشر، لما يتعلق الأمر بوسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية. فالمهارة تشكل قيمة إنتاجية مادامت مرتبطة بتراكم معرفي واعتقادي. لذلك تستمد الأمثال الشعبية بقاءها من تواصلها الاجتماعي، ومن اندراجها الشفهي والكتابي في المنظومة المعرفية للمجتمع [2].

تادلة : ملتقى الرجال والأمثال

تتوفر الأرياف المغربية على رصيد هائل من الأمثال الشعبية. فالريف هو المجال الأصلي للاستقرار، وهو المصدر الأساس للأمثال الشعبية، لذلك فهو الخزان الذي يزودها بما يحتويه من تراث شعبي على اختلاف أشكاله وتعدد

موضوعاته، إذ مازال الكثير من سكان الأرياف يتوارثون هذا الرصيد. وطالما بقي الارتباط بالأرض، بقي المزارعون والكسابون أوفياء لهذا الموروث، يوظفونه في حياتهم اليومية وما تعنيه من مسالك من باب العلاقات الاجتماعية، والعلاقات مع الطبيعة كالأرض والزراعة والمواشي والمناخ ...

ومن الجهات التي يمكن الاعتماد عليها في هذا المضمار، بلاد تادلة، فما هي الإمكانيات التي تقدمها تادلة في هذا المضمار؟ وإلى أي حد تعكس هذه الأمثال خلاصة تجارب الإنسان التادلاوي في تعامله مع الطبيعة؟

اشتهرت تادلا بإمكانياتها الفلاحية الهامة وعليه فقد ارتبط اسمها بهذا النشاط، فكلمة (تادلة) تعني (حزمة السنابل) [3] أو تعني(المطمورة) [4]. واكتسبت تادلا شهرتها من موقعها الاستراتيجي ومن إمكانياتها الفلاحية والبشرية. وبما توفرت عليه من رصيد صوفي عميق. فقد كانت تادلا إقليما وسطا من بين أقاليم كبرى كالأطلس المتوسط وزعير والحوز والشاوية، وبذلك كانت ممراً حيويا عبرته القوافل والأفكار، وسوقا التقت فيها تجارب الآخرين وأخبارهم، وعلى أرضها تمازجت تجارب وتبلورت خلا صات. فكان أهلها خزانا احتفظوا في ذاكرتهم بمخزون شعبي، منه ما هو خاص بهم، ومنه ما هو مشترك مع مجموعات بشرية أخرى.

ورثت تادلا إرثا صوفيا غنيا، مكنها من تحقيق تراكم لغوي ومعرفي هائل. فتادلة دار صلاح وولاية، وهي أكثر بلاد الله أولياء، إن الأولياء يفرون إليها من أوطانهم كما تفر الإبل إلى بلاد الرعي [5]. وعليه توفرت تادلة على شبكة من الأضرحة والزوايا، امتلكت الأراضي الزراعية والرعوية، وسخرت لخدمتها مريدين وخداما، وكانت نقطة لانعقاد المواسم العامرة، وقبلة لطلبة العلوم من مختلف أنحاء المغرب. وكان شيوخها وأولياؤها معروفين بالكرامات، أشرفوا على تقسيم المجال الفلاحي بين القبائل، ووزعوا الأدوار، ووازنوا بين سنوات الجدب وسنوات الرخاء، قالوا أقوالهم البليغة في الخاص والعام، وتناقل الناس أخبارهم وكراماتهم، وحفظوا عنهم أشعارهم وحكمهم.

ما أبصرت عيناي من منظر كتادلا في زيها الأعجب
وما رأت أهلا كسلطانها الصدر في الشرق وفي المغرب[6]

وبالاعتماد على النشاط الرعي - زراعي، تنقسم السنة الفلاحية عند فلاحي تادلة عموما إلى ثلاث محطات أساسية [7] :

– فترة الحرث، وتمتد من أكتوبر إلى فبراير، يستقر خلالها الفلاح في المجال المزروع، ويعتمد في تغذية قطعانه على مخزونه من التبن والشعير وعلى بعض المراعي المحلية إن وجد الكلأ مبكرا. وعليه يعتبر مخزون الفلاح من التبن خلال هذه الفترة عنصرا حيويا لإنقاذ القطيع.

«القوم جاية ورانا، المخزن وبرد القبيلة جلا نـه
الخزان يخزن التبن، واما الشعير من بغداد جانه».

ويشكل هذا الفصل أساس السنة الفلاحية، يحتوي على منازل عديدة، وينطلق منذ منتصف الخريف :

الشهر الميلادي	اليوم	الشهر الفلاحي	اليوم	المنازل
أكتوبر	14	أكتوبر	1	راس السنة
أكتوبر	19	أكتوبر	6	الزبنان
أكتوبر	30	أكتوبر	17	بداية الحرث
نونبر	1	أكتوبر	19	الإكليل
نونبر	14	نونبر	1	القلب
نونبر	27	نونبر	14	الشولة
نونبر	29	نونبر	16	حلول فصل الشتاء
دجنبر	8	نونبر	25	الانقلاب الشتوي
دجنبر	10	نونبر	28	النعائم
دجنبر	23	دجنبر	10	البلدة
دجنبر	25	دجنبر	12	أول الليالي

يناير	5	دجنبر	23	سعد الذابح
يناير	18	يناير	5	سعد البولع
يناير	31	يناير	18	سعد السعود
فبراير	2	يناير	20	آخر الليالي
فبراير	9	يناير	27	تمام الحرث
فبراير	13	يناير	31	سعد الأخبية
فبراير	26	فبراير	13	الفرغ المقدم

– فترة الربيع، ويرحل خلالها الفلاح في حركة تعزيب نحو مجالات رعوية محددة، بينما تبقى الخيام الأصلية ملتصقة بالمجال المزروع. وتمتد هذه الفترة من فبراير إلى يونيو. وتضم هي الأخرى عدة منازل، وتشكل عربونا عن نتائج الصابة والقطيع :

الشهر الميلادي	اليوم	الشهر الفلاحي	اليوم	المنازل
فبراير	28	فبراير	15	حلول فصل الربيع
مارس	10	فبراير	25	أيام الحسوم – الليلي حيان
مارس	11	فبراير	26	الفرغ المؤخر
مارس	24	مارس	10	بطن الحوت
أبريل	6	مارس	24	النطح
أبريل	19	أبريل	6	البطين – بداية مطر النسيان
أبريل	25	أبريل	12	أوان الحصاد
ماي	2	أبريل	19	الثريا
ماي	10	أبريل	27	أول أيام النيسان
ماي	15	ماي	2	الدبران
ماي	16	ماي	3	آخر أيام النيسان
ماي	28	ماي	15	الهقعة

– فترة الصيف. تتم خلالها عملية الحصاد والدرس، وتجوب خلالها القطعان حقول الحصائد. وباستثناء السمايم، لاتقدم هذه الفترة منازل حاسمة، إلا أنها تشمل جزءاً من الخريف :

الشهر الميلادي	اليوم	الشهر الفلاحي	اليوم	المنازل
ماي	30	ماي	17	حلول فصل الصيف
يونيو	10	ماي	28	الهنعة
يونيو	22	يونيو	9	الانقلاب الصيفي
يونيو	23	يونيو	10	الذراع
يوليوز	6	يونيو	23	النترة
يوليوز	7	يونيو	24	العنصرة
يوليوز	19	يوليوز	6	الطرفة
يوليوز	25	يوليوز	12	حلول السمائم
غشت	1	يوليوز	19	الجبهة
غشت	15	غشت	2	الخرتان
غشت	28	غشت	15	الصرفة
غشت	30	غشت	17	حلول فصل الخريف
شتنبر	2	غشت	20	تخرج السمائم
شتنبر	10	غشت	28	العواء
شتنبر	23	شتنبر	10	السماك – الاعتدال الخريفي
أكتوبر	6	شتنبر	23	الغفر

إن استراتيجية النشاط الرعي - زراعي وما يعنيه من استمرارية وبقاء، جعلت التادلاويين، يربطون بين المحورين ربطا متوازيا :

«كل شي هتوف حتى للزرع والصوف

وكل شي هتوف حتى للصحة والشوف»

وينطلق الفلاحون، في طرح أمثلتهم، من منطلق عام، يعتمد التجربة والملاحظة في مختلف مناحي الحياة، متحرين الخبرة والصدق.

«سال المجرب لا تسال الطبيب»

«اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة»

المنازل الفلاحية

تنقسم السنة الفلاحية إلى 28 منزلة فلاحية، تمتد 27 منزلة على 13 يوما، وتمتد واحدة على 14 يوما [8].

وعدتها إن تحصها بكمالها	ثمانية من بعد عشرين تحصر[9]

وفي تقسيم أخر، تنقسم السنة إلى اثني عشر منزلة، تشكل مقدمة لكل شهر. فذكر بعضهم أن الشهر الذي هو يَنَّيْر يهل بسعد السعود وفبراير بالفرغ المقدم ومارس بالنطح وأبريل بالثريا ومايه بالهقعة ويونيه بالذراع ويوليه بالطرف وغشت بالصرفة وشتنبر بالغفر وأكتوبر بالقلب ونونبر بالنعايم ودجنبر بسعد الدابح.

ونظم الشريف الكاتب الحسن الحسني، فقال في المنازل التي تشكل بدايات الشهور[10] :

سعودك ينير لا تتحول	وفرغك يا فبراير لاشك أول
ونطحك يا مرس وبرقك يتقى	كما أن أبريل ثرياه تشعل
فلا يستهل ما فيه بهقعة ما بقي	قاربا ذراعا منه يونيه وأطول
ولم يال يوليه وهو يسمو بطرفه	لصرف أغشت بالتي هي أجمل
شتنبر مغفور له كل ما جنى	وأكتوبر من قلبه يتململ
وكل نعام في نونبر بدى	وإن ذبحوه في دجنبر أفضل

وفي قصيدة أخرى، نظم نفس الناظم ، أبياتا جمع فيها أهم المنازل الفلاحية [11] :

طلـع النطح والبطيـــــن زمانا والثريا تسابـــــق الدبرانـــا

هقـع الهنـع ذرعة بعـــــد نـــثرة طـرف بجبهـــة بعده الخرثانـا

صرفو العـوا نحو سماك وقربوا الغـــفر بعـــدها والزبانـــا

وتفتتح السنة الفلاحية، بسعد البلع ، وهو أول منزل فلاحي بعد مضي فصل الخريف، يبتدئ يوم 4 يناير ويشكل بذلك جزءاً من فترة (الليالي) وهي فترة تتميز بسقوط الأمطار وانخفاض درجة الحرارة. لذلك يلزم الناس بيوتهم وتقل الحركة، ويصبح الدفء والغذاء الدسم ضروريا :

«سعد بلع، سخرو ما يسمع، وكلو ما يشبع»

وفي 17 يناير، يدخل سعد السعود، وهو منزلة ممطرة، تجري فيها الماء في الأودية، وتستفيد النباتات من التساقطات :

«سعد السعود، يجري الماء في العود»

فإذا طلع سعد السعود ، جرى الماء في العود ، ودفى كل مبرود، وكره عند النار القعود ولانت الجلود وذاب كل مجمود [12].

وبعد مرور ثلاثة عشر يوما من سعد السعود، يطل سعد الأخبية في 30 يناير، وينتهي موسم الحرث. وتعزز أمطار فبراير رصيد التربة من المياه :

«يبراير تصب الشتا بالغراير»

«يبراير يفلتها من الضراير، أو يزيدها ضراير في ضراير»

ويصبح لأشعة الشمس دفء خاص، حيث يمكن للحشرات والزواحف أن تغادر مخابئها، بحثا عن الدفء :

«سعد الخبية تخرج كل من هي مخبية»

فإذا طلع سعد الأخبية اخضرت الشعاب والأودية :

«سعد الخبية ماتبقاش الزريعة مخبية،

وتخرج من هي مخبية وتهجع من هي مربية»

وبعد هذه المنزلة، تهل منزلة استراتيجية من حيث الأمطار، تلك هي منزلة بطن الحوت، الذي يحل يوم 10 مارس، وخلال هذه الفترة تبدأ بوادر فصل الربيع بالظهور، وتنبت كل البذور المزروعة إذا توفرت الأمطار بالكميات الكافية :

«بطن الحوت الماء ولا نموت»

يظهر النحل وتصبح كل ذات مولود تتوفر على الحليب الكافي، وإذا ارتوت الأرض بما فيه الكفاية تستطيع الصابة أن تتجاوز منزلة النطح الذي يدخل في 23 مارس. وسمي كذلك لكون النباتات والمزروعات (تتناطح) أي تتسابق نحو الأعلى بحثا عن الدفء والضوء.

تنتشر الحشرات وتعرف الأبقار ظاهرة (طيكوك) خاصة إذا توفر الكلأ بكثافة. ويزداد الإنتاج من الحليب ومشتقاته (اللبن ـ السمن ـ صيكوك...). وببداية البطين في 5 أبريل لأن النعمة الجديدة تدخل بطن الإنسان، يكون شهر مارس قد ولى ورحل. وقد يستمر مارس بكل خصوصياته فترة أخرى إذا ما توفرت الأمطار بشكل متأخر. واعتبرت منازل مارس من المنازل الهامة، لأنها تأتي بين فترتين مختلفتين، ويتأرجح فيها الطقس بين الجو الصحو والجو المطير(13) :

«مارس عرقة وبرقة»

لذلك فسقوط الأمطار خلال شهر مارس يشكل ضمانا للموسم الفلاحي فـ:

«مارس يمرسها أو يملصها»

ففيه تزرع الزراعات المازوزية والأشجار المثمرة :

«فاتك الغرس قبل مارس»

وفي 18 أبريل، تتقدم منزلة الثريا، وهي فترة مطيرة تساهم في بداية ظهور السنابل واكتمال الثمار في الأغشية. فالثريا :

«تصيب النوادر مبنية وإلا المط على كل تنية وإلا كل فدان يجيبو منه كلية»

ففي أبريل تتضح مزروعات الحقول عن بعد، وتنضج الثمار :

«أبريل، فين ما شفتي الفول ميل»

ويصبح للضباب إشارة أخرى، بحيث عند انجلائه تظهر الشمس وتستفيد المزروعات من الندى :

«إلى شفتي الضباب عرف من موراه الطياب»

وفي الشهرين السابقين، يقول مؤلف مجهول [14] :

وفي واحد بعد عشر لطرفة	بمرس ذهاب البرد لايستمر
وفي رابع العشرين من مرس فحتوى	العوا في بدء الربيع قصر
وفي سادس من شهر أبريل مربع	لنوء السماك بالمحامد يعمر

ويقدم شهر ماي بمنزلة تعرف بالدبران، تبزغ مع فاتحه إيذانا ببداية موسم الحصاد :

«قطع ولا دبر»

ومع ماي يُزالُ حرف الراء من أسماء الشهور، علامة على بداية الحرارة :

«حيد الرا واخرج لبرا»

«فإذا طلع الدبران، كرهت النيران... ويبست الغدران... وبات الفقير بكل مكان»

وفي هذه المنزلة، يقول المثل الشعبي بزعير:

«آت عيالك بالعصيان وجمالك بالكطران وغلمك بالهجران وإلا بالخصران»

ففي هذا الفصل تداوى الجمال على شبع، حتى لا تصاب بالجرب، ولا تخرج قطعان الأغنام إلى المراعي قبل تبخرالندى، حتى لا تصاب بمرض (الغش) أو (الرعاش) [15]. إلا أن قبائل جبالة يضيفون منزلة بين شهري أبريل وماي، تسمى عندهم «النيسان» وتدخل يوم 27 أبريل وتخرج يوم 4 ماي، يقولون عنها إن

أمطارها مباركة، يستعملونها في كتابة بعض (الأحجبة) ويقول مثلهم الشعبي عنها :

«شتاء النيسان كتغور الأفاعي في الغيران» [16]

وبعد الهفعة التي تمتد من 14 ماي إلى غاية 27 منه، يأتي دور الهقعة. وهناك من يعتقد أنها تحريف للكلمة الدارجة الفكعة فخلالها يظهر نهائيا نتيجة المحصول الزراعي، ففيها : **«الهقعة يموت مول الفدان بالفكعة»** إذا حرث مساحة ضيقة وكان هناك موسم جيد، يشمت ويندم على كونه لم يحرث مساحة واسعة. أما إذا حرث مساحة واسعة ولم تكن هناك صابة أصابه الندم [17].

ويستغل الفلاحون هذه الفترة، للقيام بأعمال أخرى، فيخيطون خيامهم ويجزون أصواف الأغنام.

وفي يوم 22 يونيو، تكون منزلة العنصرة قد حلت، وخلالها يدب اليبس في الأعشاب، وتتصلب الحبوب في الحقول. ومنذ هذا التاريخ ينهي الفلاح مرحلة الحصاد ويشرع في الدرس، وهي فترة تعرف منزلات عدة كالذراع [18] والنترة[19] والطرفة والجبهة والخرثان والصرفة... وهي فترة طويلة تشمل الصيف وطرفا من الخريف. وتتميز بمرور 40 يوما تعرف بالسمايم. ورغم حرارة منازل شهر غشت، فقد يحمل علامات، ينظم حولها الفلاح أمثلة ، ففي هذه الفترة تكثر الفواكه على ألوانها وخاصة التين بنوعيه **«إلى دخلت الكرموصة دخلت الغيسة»** وفي دكالة يقولون **«غشت أولُه تين وآخره طين»**[20] ويختتم غشت أيامه بدخول العواء، أما شهر شتنبر فيتميز بوجود منزلتين : السماك والغفار. إلا أن شهر شتنبر يحمل العلامات الأولى للمطر وتحولاً ملحوظاً في الطقس، **«شتنبر يزداد الماء في كاع البير وتحلى ماكلة الشعير»**، ويشهد أكتوبر ونونبر عدة منزلات توصف كلها بتراجع الحرارة وبداية موسم الأمطار والبرد القارس، ومنها : الإكليل والقلب والشولة والنعايم :

«إذا طلعت النعايم تم الليل للنايم، وقصر النهار للصايم، وابيضت البهائم من الصقع الدائم وايقظ البرد النائم وكثرت العمائم» [21]

ويضم شهر دجنبر ثلاث منازل أساسية، ففي التاسع منه تدخل منزلة البلدة، وعنها يقال : «**سعد البلدة كيرد لعروسة قردة والعكوزة جلدة**» [22]. وفي 12 منه تدخل اللْيَالِي، وفي 22 منه يبدأ سعد الذابح :

«**إذا طلع سعد الذابح انحجرت الصوائح، ولم تهد النوائح من الشتاء الفادح**»[23].

إن قسوة البرد خلال هذه الفترة تدفع بالفلاح إلى الحفاظ على المواشي في الزرائب والاصطبلات، وتقل الحركة وتتغير ملامح الوجوه من فرط البرودة :

«سعد الدابح لا وجوه تشابه ولا كلاب تنابح»

وعلى العموم، ترتب المنازل الفلاحية على الشكل التالي:

سعد البولع، سعد السُّعُود، سعد الأَخْبِية، الفرع المقدم، الفرع المؤخر، بطن الحوت، النَّطْح، البُطين، الثرية، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثر، الطرفة، الجبهة، الخرثان، الصرفة، العواء، السماك، الغفار، الزبنان، الإكليل، القلب ، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الدابح.

وبالإضافة إلى هذه المنازل ، توجد منزلتان أساسيتان ، تمتد كل واحدة على 40 يوما، الأولى مرتبطة بفصل الشتاء وهي «اللْيَالِي» والثانية مرتبطة بفصل الصيف وهي : «السْمَايم»، «**الله يجعل سْمَايْمنا سْمَايْم ولْيَالِينا ليالي**»، وإذا كان الأمر كذلك فـ «**حتى وقت ما يحشم من وقته**». فإذا كان المطر مبكراً ومدراراً، تصبح الليالي والسمايم سابقة لأوانها :

أربعين يوما قبل الليالي هي الليالي بروحـــــها .

وأربعين يوم بعد الليالي لوي الغمرة ولوحـــهـــا .

أربعين يوم قبل السمايم هي السمايم بروحهـــا .

وأربعين يوم بعد السمايم صون زُوجَك وحوصها .

وتمتد الليالي مدة أربعين يوما، من 12 دجنبر إلى 20 يناير، وتطول الليالي بظلامها الحالك وبردها القارس، وحتى لو كان الجو صحواً «**فلا تغرك النجوم في**

الليالي» أما إذا كان محمرا فتلك علامة المطر «**إلى حمارت مع العشية، سرّج عودك في السروية**»[24]. أما اللّيَالي حِيَان فتأخذ من فبراير ثلاثة أيام وأربعة أيام من مارس، وهي ذات رياح قوية وباردة، يحافظ فيها على دفء الأجسام والمواشي :

«لا تعزل جْدِيكْ من الْجَدْيَانْ حتى دُوزْ اللْيالي حِيَان»

وفي 20 يوما من اللّيالي، يكون رأس السنة، وهو ما يعرف بحاكَوزة أوالنّايرْ. أو خليط العام على العام، وهي ليلة تُطهى فيها وجبات من الدجاج تفاؤلاً بالعام الجديد.

إن المتأمل في هذه التقسيمات، يلاحظ أنها اتخذت من تقلبات الطبيعة، والأنشطة الزراعية والرعوية مجالاتها، فكانت فعلاً كلاميا، اكتسبت معه الأمثال الشعبية مكانتها من السياق الاجتماعي وكذلك من التركيب اللغوي. وعلى هذا الأساس استطاعت الأمثال التادلاوية، كغيرها من الأمثال، أن تخترق المفردات كي تحافظ عليها وتعيد إنتاجها.

فالفكرة لا يعتريها كثير خلاف، والأمثال تضرب لتقريب المعنى أو لتوضيحه، لذلك تتغير المفردات طلبا لرديفها الدارج المألوف لاعتبارات اللغة ولاكتساب المعنى قوة لا تتوفر باستعمال الفصيح[25]. وإذا كانت المنازل مصحوبة ببعض الدلالات والرموز زيادة على بعض الطقوس والعادات، فالفلاح يعتمدها كمخطط لحياته الفلاحية [26]، ويجعل من علامات الطبيعة وتقلباتها دلالات يتنبأ بها. ومنها مثلا تتبع تموضع النجوم :

«إلى طلع المشبوح عند العْشَا، لوح الشعير بالكمشة وكَول الحال مشا»

«إلى طلع المشبوح عند المغرب، لوح المحراث وهرب»

وملاحظة هجرة الطيور:

«عام الزرزور حفر وغرق المطمور»

«عام الكَطا هز أولادك لا تبطا»

وعلى العموم فالعام الفلاحي مقسم لشهور وفصول، ولكل فصل منازله الفلاحية التي تعبر عن وجه الفصل وخصوصياته الطبيعية والإنتاجية [27] :

جدول فصول السنة ومداخلها ومنازلها وبروجها [28]

الفصل	مدخله الفلاحي	مدخله بالميلادي	منازله السبعة	بروجه الثلاثة
الربيع	15 فبراير	28 فبراير	1ـ الفرغ المقدم 5ـ البطين 2ـ الفرغ المؤخر 6ـ الثريا 3ـ بطن الحوت 7ـ الدبران 4ـ النطــح	1ـ الدلو 2ـ الحوت 3ـ الحمل
الصيف	17 ماي	30 ماي	1ـ الهقعة 5 ـ الطرفة 2ـ الهنعة 6ـ الجبهة 3ـ الذراع 7ـ الخرثان 4ـ النترة	1ـ الثور 2ـ الجوزاء 3ـ السرطان
الخريف	17 غشت	30 غشت	1ـ الصرفة 5ـ الزبنان 2ـ العواء 6ـ الإكليل 3ـ السماك 7ـ القلب 4ـ الغفر	1ـ الأسد 2ـ السنبلة 3ـ الميزان
الشتاء	16 نونبر	29 نونبر	1ـ الشولة 5ـ س. بولع 2ـ النعائم 6ـ س. السعود 3ـ البلدة 7ـ س. الأخبية 4ـ س . الذابح	1ـ العقرب 2ـ القوس 3ـ الجدي

خلاصة

رصدت الأمثال الشعبية السائدة في بلاد تادلة بداية ونهاية كل فصل أو منزلة فلاحية، وربطتها بالظواهر الجوية التي ترافقها، والمتغيرات التي تلحق بالطقس. وبوصفها لهذه المراحل، تكون الأمثال الشعبية قد وضعت أسسا

للتعامل مع الطبيعة، فوظفت المعارف والتجارب لتحدد السلوك الذي يتخذه الفلاح للاستفادة مما تقدمه الطبيعة من إمكانيات ولاتخاذ الاحتياطات عند كل ضرر أو نقصان. وأما مجمل الأعمال فرهينة بنوع الأساليب والوسائل المستعملة. وفي هذا المضمار تتشارك كثير من الأمثال الشعبية التادلاوية، سواء من حيث اللفظ أو المعنى مع أمثال أخرى من المغرب أو من الوطن العربي ككل، وذلك بسبب تشابه الظروف الطبيعية والاقتباس المشترك من تراث عربي أصيل. ومن ثم، فالمثل الشعبي هو أدب الشعب وعنوان ثقافته، والدليل على عقلية الأمة الخام وأخلاقها الأولية ونتيجة اختباراتها في الحياة[29].

الـهوامـش

1) محمد غيلان، الأنواء والفلاحة في الأمثال الشعبية الجزائرية، المأثورات الشعبية عدد 43، مركز التراث الشعبي، الدوحة، يوليوز1996.ص. 5.

2) خليل احمد خليل، نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية، دار الحداثة، بيروت، 1979، ص 76.

3) Peyronnet (Raymond), TADLA, payś zaïra, Moyen ATLAS. Imprimerie ALGERIENNE, Alger 1923, p.17.

4) Ibid

5) محمد بن عبد الكريم العبدوني، «يتيمة العقود الوسطى»، م. خ. ع، رقم 307 ك، ص 136.

6) أحمد المقري، «روضة الآس»، المطبعة الملكية، 1969، ص. 62.

7) Marty (p), Notice sur le TADLA, Ben Ahmed, 1908.

8) Loubignac (victorien), Textes Arabes des Zaêr, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1952. p.161.

9) مؤلف مجهول، «تقاييد في مغيب القمر...» م.خ.ع. رقم : 2197/8 د ، ص.16.

10) نفسه، ص 166

11) نفسه ، ص 167.

12) نفسه، ص 159

13) نفسه، ص 176.

14) يقول المثل الشعبي الجزائري في أهمية شهري مارس وأبريل :

«إذا ما خرجتش في مارس أو أبريل، راني هالك أو ضرير»

وفي علامات الموسم الفلاحي الجيد، انطلاقا من هذه الفترة :

«العام المسعود نعطيك دلايله في الليل تبات تصب، وفي النهار تحمى قوايله»

انظر، د. محمد غيلان، مرجع سابق، ص ص. 58 – 60.

15) مؤلف مجهول، م، س، ص. 161.

16) Loubignac..., op. Cit. P 164.

17) Colin (Georges. S), la vie marocaine, libraire d'Amérique et d'Orient, Paris1953, p. 27.

18) Loubignac..., op. cit.

19) وفيه يقول أهل نجد **«إلى طلع الرزم ، فاحمل المحزم»** والمرزم هو نجم عرف عندالعرب القدامى بمرزم الدراع. وفيه يقول الشاعر محمد بن عبد الله القاضي :

ويظهر دراع الليث هو المرزم الذي كما مشعل الساري بنوره تشاعق

محمد بن ناصر العبودي، «الأمثال العامية في نجد»، ج 1، دار اليمامة، الرياض، 1979، ص 164.

20) وفيه يقال كذلك **«إلى طلعن الكليبين، تاخذ الحفنة من المدين»** والكليبين نوء يسميه العرب القدماء النترة. نفسه.

21) إدريس المرابط، الفكر العربي في الأمثال الشعبية، موسوعة شراع الشعبية، العدد الأول، يناير–أبريل 1999. ص. 46.

22) مؤلف مجهول، م. س. ص. 176.

23) إدريس المرابط م. س. ص. 47.

24) مؤلف مجهول، م. س.

ويستعمل الشاميون نفس المثال، فيقولون :

«سعد الذابح، ما يخلي كلب نابح»، «سعد الذابح لاراعي سرح ولا فلاح فلح ولاكلب نبح».

انظر، د. إحسان هندي، فصل الشتاء في الأمثال الشعبية... في الشام، المأثورات الشعبية، عدد 31، مركز التراث الشعبي، الدوحة، يوليوز 1993، ص. 96–97.

25) في هذا المعنى يقول المثل الشعبي الجزائري:

«إذا حمرت مع العشية، هيئ دابك للمشية،

وإذا حمرت مع الصباح، رد دابك للمراح» .

انظر، محمد غيلان، م. س. ص. 57.

26) عمر شاع الدين، الأمثال الشعبية منحى لغوي، المأثورات الشعبية، عدد 27 ، مركز التراث الشعبي، الدوحة ، يوليوز، 1992. ص. 24.

27) إدريس المرابط، م ، س، ص. 52.

28) التقويم الهجري المغربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية: ص- 247.

29) مارون عبود، الشعر العامي، دار مارون عبود، بيروت ، 1960. ورد عند. د. أحمد خليل، م، ص. 77.

تداول المثل في الصحافة من خلال رسائل القرّاء (النموذج : جريدة الأحداث المغربية)

محمّد بلاجي

الأطروحة والإشكاليات

يروج في الأوساط العلمية والثقافية أن عصر الأمثال قد انتهى إلى غير رجعة في عصر ابتعد الناس فيه عن مجتمع البادية واندمجوا في مجتمع الحاضرة الذي تنظمه قوانين مكتوبة، لا تحتاج معها إلى الأمثال القديمة ذات الطابع المعياري، والمتناقضة في كثير من الأحيان.

كما يروج أن الفئات العُمْرية التي ما تزال تحفظ المثل وتروجه وتتداوله هي فئات الشيوخ الذين كانت الأمثال جزءا من ثقافتهم إبان طفولتهم، أما الفئات العمرية الشبابية – خاصة الموجودة في المدن – فإنها لا تحفظ الأمثال ولا تتداولها.

وكناقد قدمنا بحثا يفند أطروحة انتهاء الأمثال عند الشيوخ والشباب معا، حيث وجدنا أن الفاعلين السياسيين شيوخا وشبابا قد استخدموا الأمثال بغزارة في خطابهم السياسي[1] المنشور في جريدة "العلم" و"الاتحاد الاشتراكي".

وفي هذا البحث نريد أن نناقش الأطروحة السابقة ونختبرها عند الشباب خاصة على ضوء متننا الذي جمعناه من جريدة الأحداث المغربية محاولين الإجابة عن أسئلة من قبيل :

1. من يستعمل المثل من الفئات العمرية والجنسية ؟
2. أين يكثر استعماله : هل في المدن أم في القرى أم فيهما معا ؟

3. ما علاقة المثل بالوسط البيئي والاجتماعي والثقافي (مدينة - قرية - تعليم - مثاقفة - هجرة) ؟

4. هل لدى القراء وعي بجنس المثل ومصطلحاته وسلطته ؟

5. ما مصادر الأمثال المستعملة ؟

6. كيف استعمل هذا المثل ؟ هل احتفظ ببنيته وتركيبه أم وقع التصرف فيه ؟ هل تقبله المستعملون بالإيجاب أم بالسلب ؟

7. ما الوظائف التي يؤديها المثل ؟

معطيات عن المتن :

نقدم فيما يلي المعطيات الوصفية والإحصائية لمتننا المأخوذ من جريدة الأحداث المغربية :

- المدة الزمانية : من 1999/3/30 إلى 2000/5/11.
- الأبواب : بابان يعنيان بشؤون الشباب والأسرة العاطفية والجنسية والمهنية وهما :

- من القلب إلى القلب
- ركن الأسرة.

} تضمنا معظم الأمثال.

يليهما ركنان سياسيان تضمنا أمثالا وهما :

- من صميم الأحداث (7 أمثال)
- على مسؤوليتي (مثل واحد)

عدد أعداد الجريدة : 37 عدداً

- عدد المراسلين : 219 :

112 ذكور

74 إناث

21 استعملوا رموزاً لأسمائهم

4 لم يذكروا أسمائهم

7 ركن من صميم الأحداث

1 ركن على مسؤوليتي.

- عدد الأمثال : 260 مثلا :

186 مثلا عربيا أو مغربيا مُعَرّبا

65 مثلا مغربيا

4 أمثال فرنسية

2 أمثال مصرية

1 مثل أمريكي

1 مثل هندي

1 مثل أجنبي

يعتبر هذا المتن ذا أهمية قصوى لأنه يقدم الأمثال داخل خطاب، أي داخل شبكة من العلاقات (مرسل – متلق – مثاقفة – أيديولوجيا) مما يتيح دراسته من جوانب متعددة اجتماعية ونفسية وثقافية وبيئية وفنية.

كما أن هذا المتن يصلح لدراسة ميدانية لأنه يقدم معطيات عن السن والجنس والمستوى الثقافي، ويحدد المجال الجغرافي لمستعملي الأمثال.

1. من يستعمل المثل من الفئات العمرية والجنسية ؟

من المفروض أن يكون أغلب المراسلين من الشباب لأن باب الجريدة (من القلب إلى القلب) هو فضاء للشباب كما هو مصرح به، ويستحوذ هذا الباب على أغلب أمثال متننا.

ومع ذلك فإن لدينا عينة من المراسلين صرحت بأعمارها وعددها 78، منها: 32 ذكور، 46 إناث وتتراوح أعمارها ما بين (16) سنة و(40) سنة.

ونقدم فيما يلي جدولا مفصلا في الموضوع :

الفئات العمرية للمراسلين وعدد الأمثال عند كل فئة ممن صرحوا بأعمارهم

السن	مثل عربي		مثل مغربي		مثل أجنبي		المجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
16	5						5
17		3	1				4
18	1	3		1			5
19	1	2		3		2 مصري	8
20	4	4	1	4			13
21		1	1	2			4
22	1	2					3
23	1	1	1				3
24	2	3		1			6
25		1	1				2
26		2					2
27	1	2		1			4
28	1						1
29	2	2	2				6
30	2	2		1			5
33				1			1
34	1		1				2
40		1	2	1			4
المجموع	22	29	10	15		2	78

نستخلص من الجدول أن الفئة العمرية ما بين 16 سنة و 30 سنة هي التي تستعمل الأمثال بنسبة عالية جدا بلغت90%.

كما نستخلص أن الفئة العمرية ما بين 30 – 40 لم تستعمل سوى سبعة أمثال.

النتيجة الأساسية – على عكس ما هو سائد – هي أن الفئات العمرية الصغرى هي التي تروج الأمثال وتستخدمها، وكلما تقدم العمر قل إنتاج الأمثال وقل استعمالها.

كما أن الإناث أكثر استعمالا للأمثال العربية والمغربية من الذكور، كما أنهن ينفردن باستعمال المثل المصري كما هو مبين في الجدول الآتي :

استعمال الفئة العمرية من 20 سنة إلى 30 سنة للأمثال :

	مثل عربي	مثل مغربي	مثل مصري	الجميع
مذكر	21	7		28
مؤنث	28	13	2	43
الجميع	49	20	2	71

2. أين يكثر استعمال المثل ؟

سنقدم فيما بعد جدولا يبين مناطق وجود المثل من حيث الكثافة والنوعية.

تنتشر الأمثال في كل مناطق المغرب من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، غير أن كثافة وجودها تكون في المدن لا في القرى كما تدّعي الأطروحة التي انطلقنا منها.

وهكذا نجد الأمثال حاضرة بكثافة في المدن الكبرى :

الدار البيضاء	39
الرباط	12 :
أكادير	10
فاس	8
مكناس	8
مراكش	9

ثم تبدأ في القلة في مدن أخرى مثل طنجة : 5، بني ملال : 5، الناظور : 6، القنيطرة : 5.

والجدير بالذكر أن المثل المغربي حضر كذلك بكثافة في المدن مثل الدار البيضاء : 13، الرباط : 9، أكادير : 5، فاس : 5، مكناس : 6، الجديدة : 4، ولكنه غاب غيابا تاما في بعض المناطق التي يظن أنها موطنه بامتياز مثل وادي زم، عين تاوجطات، تازة، الراشيدية، آيت ورير، إنزگان، آسفي، سيدي قاسم، سلا، إيموزار كندر، الحاجب، اليوسفية، الساقية الحمراء، المحمدية، آزرو، لمكانسة، قلعة السراغنة، قرية أبّا محمد.

أما المثل العربي فهو غائب كليا عن : الجديدة، تطوان، برشيد، أسا، القصر الكبير، باريس، إكلزان، الشمال، الشمال الشرقي، وجدة، سيدي بنور، آزمور، شيشاوة.

ولعل استئثار الدار البيضاء بحصة أكبر من الأمثال يرجع إلى الأسباب الآتية :

- هي أكبر تجمع سكاني في المغرب.
- قريبة من مقر صحيفة الأحداث المغربية.
- تضم مختلف سكان المناطق المغربية.

وفيما يلي الجدول التفصيلي لتوزيع الأمثال حسب المناطق :

توزيع الأمثال حسب المدن والقرى

المدينة أو القرية	مثل عربي	مثل مغربي	مثل أجنبي
البيضاء	23	13	فرنسي 2 هندي 1
الرباط	3	9	
أكادير	5	5	فرنسي 1 أمريكي1
فاس	3	5	مصري 1
مكناس	2	6	
مراكش	8	1	
طنجة	3	2	مصري 1
بني ملال	3	2	
الناظور	5	1	
القنيطرة	4	1	
الجديدة		4	
تطوان		3	
بوجدور	1	2	
سطات	1	2	
برشيد		2	
أسأ		2	
القصر الكبير		2	
وادي زم	2		
تمارة	2		
ع. تاوجطات	2		
تازة	2		
الراشيدية	3		
أيت ورير	2		
أيت باها	1		
تزنيت	1		
صفرو	1		
باريس		1	

المدينة أو القرية	مثل عربي	مثل مغربي	مثل أجنبي
اكلزان		2	فرنسي 1
الشمال		1	
الشمال الشرقي	2	1	
وجدة	1	1	
سيدي بنور		1	
انزگان	1		
بوزنيقة	1		
آسفي	2		
سيدي قاسم	1		
تارودانت	1		
سلا	1		
إيموزار كندر	1		
الحاجب	1		
الريف	1		
اليوسفية	1		
الساقية الحمراء	1		
خميس الزمامرة	1		
المحمدية	1		
آزرو	1		
قلعة السراغنة	1		
قرية أبا محمد	1		
آزمور	1	1	
شيشاوة	1	1	
مكناسة	2		
مناطق مجهولة	29	9	فرنسي 1
المجموع	130	83	9

3. علاقة المثل بوسطه :

من الجدير بالذكر أن كل المراسلين متعلمون بدليل أنهم كتبوا رسائلهم إلى الجريدة كتابة، لذلك سيكون أثر الوسط البيئي ضعيفا في الأمثال التي استعملوها، ومن المراسلين من صرح بمهنته – وهم قلة – مثل التعليم (21، 23، 25) أو الانتماء إلى التعليم الثانوي بصفة تلميذ (11، 21) أو الانتماء إلى الجامعة بصفة طالب (6، 13)، وأربعة أطفال صرحوا بأنهم مشردون (20).

ونجد في هذا المستوى المفارقات الآتية :

استعمل تلاميذ الثانوي ثلاثة أمثال عربية وغابت الأمثال المغربية :

استعمل طلبة الجامعة مثلين مغربيين وغابت الأمثال العربية.

استعمل المشردون مثلا عربيا وغابت الأمثال المغربية.

أما الأساتذة فقد استعملوا مثلين مغربيين ومثلا عربيا واحدا.

أما الذين استعملوا الأمثال الأجنبية فإنهم استقوها من المناقشة إما عن طريق التعليم أو المطالعة أو وسائل الإعلام أو السياحة.

وتدل غلبة الأمثال العربية على الأمثال المغربية أن عنصر البيئة وأثرها ضعيف، في حين يغلب أثر التعليم والقراءة.

ومن خلال تصنيف الأمثال حسب حقول كبرى وجدنا ما يلي :

حقل الإنسان : 144 مثلا

حقل الطبيعة : 93 مثلا

حقل الحضارة : 14 مثلا

أما حقل الإنسان فيضم القيم الدينية والأخلاقية وبعض العادات الراسخة

المتصلة بالسلوك والمظهر الاجتماعي والعلاقات مع الآخر وخاصة مع المرأة. ومعظم مضامين هذا الحقل مستمدة من التعاليم الإسلامية إلا النادر، ويبتعد حقل الطبيعة عن البيئة الحضرية ليندمج في بيئة البادية فيوظف الحيوان والنبات وبعض مظاهر العيش القديمة.

أما حقل الحضارة فيحيل على أدوات ينتمي أغلبها إلى الفلاحة (المنجل - الشواري - الفأس).

وعلى العموم فإن الأمثال المغربية بمعجمها ودلالاتها هي التي تقترب من البيئة المغربية، أما الأمثال العربية فتحيل على بيئة ثقافية، وكذلك الأمثال الأجنبية.

والنماذج الآتية توضح ما قررناه سابقا :

حقل الإنسان : المرأة ضَلْعَة عَوْجَة (11)

الناس طَوْبْ وَحْجَر (12)

حقل الطبيعة : دجاجة بكامونها (20)

حوته وحده كتخنّز الشواري (30)

حقل الحضارة : كل بذوقك والبس بذواق الناس (25)

منين دازت الإبرة يدوز الخيط (18)

4. الوعي بالمثل

I - المصطلحات :

استعمل المراسلون عدة مصطلحات للدلالة على المثل يتجلى منها ومن تصريحات بعض المراسلين أنهم يعرفون أنهم يوظفون خطابا قبليا في رسائلهم ويعرفون أن لهذا الخطاب حدودا مفهومية وتركيبية، وهكذا نجد المصطلحات الآتية :

1. المثل : وهذا المصطلح هو المهيمن في متننا كما في هذه الأمثلة :

كما يقول المثل المغربي (1، 7، 9، 11، 12، 13، 15، 20، 21، 22، 23، 25، 27، 28، 29، 32، 37).

المثل الشعبي : (13، 22، 25، 27، 28، 29).

2. الحكمة : وهذا المصطلح نادر الورود إذ لم يرد إلا مرة واحدة هي : والحكمة تقول : "لا تصاحب إلا من يستر أسرارك ويكون معك في النوائب وينصر حسنتك ويطوي سيئتك" (31).

3. العبارة : وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة مرادفا للمثل لأنه قرن بوصف هو "الشائعة"، وها هو مكان وروده :

"إذا كان الشتاء بارداً على من لا يملكون ذكريات دافئة، تقول العبارة الأمريكية الشائعة، فإن الصيف كذلك أكثر حرارة بالنسبة لمن لا يستروح السعادة وراحة القلب والبال في حياته"(29).

4. القول ومشتقاته : مثل، كما يقال، كما يقولون، من قال، القول، القولة :

كما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها (34).

بهذه القولة الفرنسية أبدأ رسالتي (28).

5. أفكار : استخدم هذا المصطلح مرة واحدة في قول المراسل : "أما أفكار مثل : النهار الأول يموت المش..."(11).

6. فلسفة : وردت عبارة لشاعر الهند طاغور مقرونة بوصف أضيف إليه هو وصف (فيلسوف)، فكأن العبارة – في ذهن المراسل – تقترن بالفلسفة يقول المراسل : "يقول الفيلسوف الهندي طاغور : وراء كل عضلة قوية من عضلات الرجل، وكل فكرة ثقافية في ذهنه امرأة حانية تعهدت تلك العضلات بالغذاء حينما كانت ضعيفة، ورعت ذلك العقل بالوعي حينما كان صفحة بيضاء"(27).

والملاحظ أن المصطلحات السابقة تتداخل مع المثل كما قرر ذلك الباحثون، تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم : "... حينما نتساءل عن الفرق بين تلك العبارة الشهيرة : زوبعة في فنجان، وقول المتنبي : مصائب قوم عند قوم فوائد، ثم بينها وبين الأمثال الشعبية... فإنه يتعذر علينا حينئذ أن نفرق بينها ، لأنها – كما تبدو – تنتمي كلها إلى نوع أدبي واحد، وهو تلك الأقوال المأثورة التي تلخص تجربة أو فكرة فلسفية"(2).

II – الأوصاف :

استعمل المراسلون عدة أوصاف :

أ– إما للدلالة على مصدر المثل مثل قولهم : المغربي (20)، المصري (6)، العربي (14)، الفرنسي (8)، الأمريكي (29)، الهندي (27).

ب– وإما للدلالة على انتشاره وشهرته :

– المثل المصري الشائع (6)

– المثل المغربي الشائع (30)

– مثل شعبي مشهور (25)

– المثل الشهير (28)

ج– وإما للدلالة على جنسه الأدبي :

ولكم كان الشاعر صادقا حين قال (28)

إليكم هذه الأبيات الزجلية (8)

د– وإما للدلالة على لغته :

– المثل الدارجي يقول (37)

– يقول المثل العامي (23)

- إن هناك مثلا عربيا قديما يقول (15)

هـ- أو للدلالة على الصحة :

- صدق من قال (24)

- يصح عليك المثل (24)

- ولكم كان الشاعر صادقا (28)

و- أو للدلالة على نسبته إلى فئة شعبية :

- على رأي المثل الشعبي (13)

- في أمثالنا الشعبية (21)

- كما قال المثل الشعبي (27)

III- العناوين :

اتخذ بعض المراسلين الأمثال عناوين لرسائلهم، ويعتبر هذا نوعا من التبئير له دلالته، وهي هنا الوعي بالمثل وبخطابه المخالف للخطاب العادي.

وإن عدد الرسائل التي جعلت المثل عنوانا بلغ أربع عشرة رسالة (1، 17، 24، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 34، 37)، نذكر فيما يلي بعضها :

- صاحب من واتاك (1)

- للصبر حدود، ولكن السيل بلغ الزبى (27)

- زواج ليلة تدبيره عام (30)

- المرأة الحرة قد تموت جوعا ولا تقتات من ثديها (37)

- تذكر هذا دائما : كما تدين تدان (32)

ونلاحظ في العنوان الأخير ما يدل على تبئير العنوان أي جعله خلاصة

الرسالة، وهو قوله : تذكر هذا دائما.

وفي رسالة أخرى نجد تنصيصا على تبئير المثل نظرا لأهميته، جاء فيها : "أحب من يحبك وليس من تحب ! بهذه القولة الفرنسية أبدأ رسالتي إلى..." (28)

العناوين / الخواتم :

وهذا نوع آخر من الوعي بالمثل إذ يجعل المثل نفسه عنوانا وخاتمة للرسالة فيبأّر مرتين كما في الأمثلة الآتية – وهي ثلاثة فقط في متننا :

- المرأة الحرة قد تموت جوعا ولا تقتات من ثديها (37)
- الدجاجة التي تبيض ذهبا (16)
- الصبر مفتاح الفرج (24)

IV– الخواتم :

وهي نوع من تبئير المثل كذلك لأنها آخر ما يبقى في ذهن القارئ، وعدد الأمثال في الخواتم يقارب عددها في العناوين وهو أربعة عشر مثلا (14، 15، 18، 21، 23، 24، 25، 26، 27، 34).

نذكر ها هنا بعضها :

- منين دازت الإبرة إيدوز الخيط (18)
- الصمت أفضل طريقة للصراخ أحيانا (21)
- لا تهدم كوخك إذا كنت لا تعرف كيف تبني خيرا منه (26)

V– عبارات التنصيص :

تدل هذه العبارات على الوعي بالمثل وجنسه وحدوده، ومن ثم تعتبر نوعا من التبئير كذلك، والعبارات هي :

- وظفتُ : المثل المصري الذي وظفته (9)
- أومن : هذا المثل الفرنسي الذي أومن به كثيرا (8)
- أؤيد : كنت أؤيد المثل الذي يقول (21)
- أتفقُ : أنا متفق معك في هذا القول (34)

VI- التواتر :

تدل الأمثال المتواترة بكثرة على أهميتها، كما تدل على وعي المراسلين بأهميتها كما يدل على ذلك مقياس الكم، وأكثر الأمثال تواترا هي :

- زاد الطين بلة : اثنان وثلاثون مرة.
- تجري الرياح بما لا تشتهي السفن : ثلاثة عشر مرة.
- أهل مكة أدرى بشعابها
- سال المجرب لا تسل الطبيب
- الله يمهل ولا يهمل
- يكيل الصاع صاعين

} أربع مرات لكل مثل

والأمثال الباقية كانت أقل من ذلك، فهي إما وردت ثلاث مرات (عشرة أمثال) وإما وردت مرتين (ثلاثة عشر مثلا).

5. مصادر الأمثال :

يتضمن متننا أنواعا من الأمثال نذكر مصادرها فيما يلي :

1- القرآن الكريم : وهو مثل واحد هو قوله تعالى :

"الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات" (1)

2- الحديث النبوي : وقد نص أحد المراسلين على كون المثل الذي أورده

حديثا نبويا، قال : (فقد قال النبي ﷺ : "كما تدين تدان") (32)

أما الأحاديث الأخرى فقد وردت على اعتبارها أمثالا ولم ينص أصحابها على أنها حديث، وهي أربعة :

- المسلم لا يلدغ من جُحْر مرتين (2، 24)
- اعقلها وتوكل (28)
- كما تدين تدان (32)
- الساكت عن الحق شيطان أخرس (37)

3- الشعر الجاهلي : والشعر غير منسوب إلى صاحبه، من ذلك قول المراسل :

"ولكم كان الشاعر صادقا حين قال :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند(28)

والبيت كما هو معروف لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة.

4- الشعر العباسي : أكثر الأمثال الشعرية تنتمي إلى العصر العباسي، وهي غيرمنسوبة، وأكثر الأمثال من شعر المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه (20)

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (37)

تتعدد الأسباب والأصل واحد (22)، (الأصل : تعددتِ)

مصائب قوم عند قوم فوائد (25)

إذا غامرت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم (34)

وبعض الأمثال لأبي تمام، وفيها بعض التغيير :

كم من منزل يعـشـقـه الفـتـى وحنينه دومـــا لأول منزل (10)

ما الحب إلا للحبيب الأول (10)

5- الأمثال العربية القديمة : وهي الغالبة في المتن، ومن أقدمها :

- بلغ السيل الزبى (13)

- ما هكذا تورد الإبل يا سعد (14)

- ثالثة الأثافي (28)

وفي المتن أمثال عربية جديدة كما يتجلى ذلك من معجمها وتركيبها وبلاغتها، مثل :

- من يزرع الشوك من المستحيل أن يحصد وردا (1)

- إن الله يغفر للرجل وللمرأة، والرجل يغفر للمرأة، لكن المرأة لا تغفر لا للرجل ولا للمرأة (1).

- من خرج من داره قل مقداره (7)

- المرأة أدرى بعشاقها (16)

- مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة (12)

6 - الأمثال المغربية : منها ما هو نثري، وهو الأغلب، لكن منها ما هو مُعَرَّب مثل :

- فالسلوك بالكلام خيمة بلا أوتاد (17)

أصله : المرا بلا أولاد بحال الخيمة بلا أوتاد.

- فالكل يشحذ سكينه كأن بقرة قد سقطت في الحي (27)

أصله : إلى طاحت البكرة كيكثروا اجْنَوَا.

- تبحث عن غمد منجل (31)

أصله : كَتْبَرّي على جوْا منجل.

- إن الدم لا يمكن أن يتحول إلى ماء (35).

أصله : عَمّر الدم ما يكونْ مَا.

وهذا النوع قليل لا يتجاوز واحدا وعشرين مثلا، ويظهر فيه أثر التَعَلُّم كأنه ترجم إلى اللغة العربية ليفهمه نوع من القراء وهم المتعلمون.

ومن الأمثال المغربية ما هو شعر زجلي، وفي متننا منه نموذجان :

الأول : عنوان رسالة وهو : قالت ناس الغيوان :

الماضي فات (29)، وهو إحالة على أغنية معروفة ومتداولة.

الثاني : عبارة عن مقطع زجلي لم يذكر ناظمه، هو :

"تْساريتْ بين لحوالْ ولا لْگيت شبْيهك يا حالي

مَرَارْ ظلمك ما خَرْجَاتُو تنهيده

شِي نبالُّو حكيم شي نبالُّو بُوهالي

مَطوِي عَا لكيَّة وَمْداري التَّنكيدة

قَاسيتْ حَرْ الزّمان وعانِيتْ قْسَاوة اللْيالي

نشربْ الدمعهْ ونخلقْ من الهموم تَوْسِيدَة

ما غواني جديد لقيت نفسي فَالْليالي

ما جَرْني زْواق ما صحَبتْ ناس التَّبنيده" (8)

7- الأمثال الأجنبية : وهي قليلة في متننا، غير أنها تدل على المثاقفة والانفتاح على الأمم الأخرى عربية وأجنبية : منها أربعة أمثال فرنسية : واحد ورد بأصله الفرنسي دون تعريب، وهو Qui cherche trouve (35). وآخر ورد بصيغته الفرنسية مع التعريب، وهو: "من يضحك جيداً هو من يضحك في النهاية Rira bien qui rira dernier (30) ومثلان فرنسيان معربان هما :

- "إذا فقدت إنساناً فدعه يرحل برغم حبك له، فإن عاد فهو لك، وإن لم يعد فاعتبره لم يكن يوما موجوداً (8).

- أحب من يحبك وليس من تحب"(28).

ومن الأمثال الأجنبية مثلان أحدهما هندي والآخر أمريكي، فأما الهندي فهو من قول طاغور: "وراء كل عضلة من عضلات الرجل، وكل فكرة ثاقبة في ذهنه امرأة حانية تعهدت تلك العضلات بالغذاء حينما كانت ضعيفة، ورعت ذلك العقل بالوعي حينما كان صفحة بيضاء"(27).

أما الأميريكي فهو : "إذا كان الشتاء بارداً على من لا يملكون ذكريات دافئة، فإن الصيف كذلك أكثر حرارة بالنسبة لمن لا يستروح نسائم السعادة وراحة القلب والبال في حياته"(29).

ونجد مثلا مصرياً واحدا ذكر في متننا مرتين هو : "فلنترك الطابق مستور" (6، 9) والظاهر أن المراسلين استقوا هذه الأمثال بعدة طرق :

- التعليم : أمثال القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأمثال العرب.

- السماع : الأمثال المغربية.

- المطالعة : الأمثال الأجنبية.

- وسائل الإعلام : الأمثال المصرية (بواسطة التلفزة).

6. كيف استعمل المثل :

يظهر من خلال رسائل المراسلين أن المثل فيها هو البؤرة، فكأن صاحب الرسالة لم يكتبها إلا والمثل قابع في شعوره أولا شعوره يوجهه ويحدد أفكاره، كذلك نجد عبارات تدل على النية والقصد مثل :

- المثل المصري الذي وظفته (9)
- خطر ببالي ذلك المثل الشهير (28)
- هذا المثل الفرنسي الذي أؤمن به كثيراً (8)
- لأنني كنت أؤيد المثل القائل (21)

غير أن ثمة فئتين من المراسلين :

الأولى : تؤمن بالمثل وتؤيده وتعتبره بمثابة قانون يصح تطبيقه في حالات معينة، وتشكل هذه الفئة الأغلبية. ونجد في ركن (من صميم الأحداث) لوما للذين يصرون على عدم الاعتراف بالمثل القائل : "لكل دهر دولة ورجال" (26).

وتطلق هذه الفئة على المثل أوصافا مثل الصحة (24) والمطابقة للحالة (10) (26) (1)، بل إنها تصدر أوامر لتطبيق المثل : اعمل بالمثل (5، 13).

الثانية : تفند المثل ولا تؤمن بمضمونه ، وهي قليلة جدا، يتجلى موقفها من المثل في عدة أشكال :

أ- ترفضه وتقوم بتغيير تركيبه كما في هذا المثال : " أشير إلى المثل المصري الذي وظفته: فلنترك الطابق مستوراً... وأقول لك : إن فضول المراهق وغريزته سيجعلانه يكشف الغطاء عن الطابق ويعرف ما بداخله"(9).

ب- تدعو إلى مراجعته لأنه نسبي لا ينطبق في كل زمان ومكان : "أما أفكار مثل : النهار الأول يموت المش، أو : المرأة ضلعة عوجة، أو : الرجل هو الذي يحكم، فتلك أفكار ينبغي مراجعتها خصوصا إذا كنت في لندن"(11).

ج- تغيُر كلمة من كلماته بكلمة أخرى : "لا تنسى أن زواج ليلة تدبيره عام وفي نظري : زواج ليلة تدبيره عمرٌ" (37).

د– تنقله من مجال إلى مجال مثل : "فالسلوك بالكلام خيمة بلا أوتاد" (17)، فهذا المثل يقال عن المرأة التي بلا أولاد كأنها خيمة بلا أوتاد، فوقع نقله من المرأة إلى الكلام.

هـ– تنقله من التذكير إلى التأنيث : "أول شيء أود أن أناقشك فيه هو قولك للمثل المغربي: كلشي أولاد عبد الواحد واحد، فلماذا لا تقولين : كل بنات حواء سواء" (24).

وهذا مثال آخر لهذا النوع "فَرُبَّ أخت لك لم تلدها أمك" (16).

و– توجهه من دلالة سابقة إلى دلالة جديدة : "ويد واحدة لا تصفق أبدا لكنها تستطيع أن تمسك قلما لتخطط سطورا" (19).

ز– تخرجه من الإطلاق إلى التقييد، فالمثل المعروف (الأقارب عقارب) يُقيد فيصبح في متننا : (الأقارب يصبحون أحيانا عقارب) (34).

ح– تخرجه من النفي إلى الإثبات، فالمثل المعروف (ما كل مرة تسلم الجرة) يصبح في متننا: (في المرة الأولى سلمت الجرة) (27).

7. وظائف المثل :

إن المثل خطاب بعيد عن الحياد، فكل مثل يوجه إلى متلق تثوي خلفه نوايا تتحول إلى وظائف عند القيام بعملية وصفية لذلك الخطاب، وهكذا استطعنا أن نلم بعدة وظائف للمثل من خلال متننا، وهي :

1– الوظيفة التربوية : نجد هذه الوظيفة بعبارة صريحة في نص خارج متننا ولكنه نشر بجريدة الأحداث المغربية نفسها، وهو عبارة عن استجواب مع الأستاذ (بوعزة يكن) (يوم 1999/6/29)، قال فيه : "لقد لقنني والدي رحمه الله أصول التربية بالأمثال والحكم، فكان يسألني مثلا عن كلمة تبدأ بالخاء، فأقول له: الخبز، فيقول لي : بل الخير، ودير منه فدان ومطيرة، باشْ إلى مَتِّي تخلي لاولادك ادخيرة".

وهي الوظيفة الأساسية للمثل عند القدماء كما هو واضح في هذه القولة لمعاوية وقد وجهها لعبد الرحمن بن الحكم : "وقل من الأمثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك" (3).

وما دامت كثير من الرسائل هي مساهمة في حل مشاكل الشباب وإجابة عن تساؤلاتهم فإن النزعة التعليمية بارزة من خلال إصدار أوامر على شكل فعل أمر توجه من أعلى إلى تحت :

- اعملي بالمثل المغربي (5، 13)
- فانتقي المثل (30).

2- الوظيفة الإرشادية : وهي قريبة من الوظيفة السابقة إلا أنها ليست على شكل أوامر وإنما هي نوع من النصح والإرشاد كما في الأمثلة الآتية :

- نصيحتي كما يقول المثل (28).
- أنصحك أن تعمل بالمثل (30).

3- الوظيفة النفسية : يذكر المراسلون كلمات ذات علاقة بالجانب النفسي مثل الشفاء والقسوة والخوف والضحية، مما يدل على أن المثل يشفي من جهة ويضر من جهة أخرى :

أما الشفاء فكما في الأمثلة الآتية :

- وفي أمثالنا الشعبية شفاء لك : اللي ضربو لحنش يخاف من القنبا (21).
- أهدئ من روعك وأقول لك : تتعدد الأسباب والموت واحد (22).

أما الضرر فكما في الأمثلة الآتية :

- أخاف من المثل القائل : من شب على شيء شاب عليه (29).
- المحترمات يسقطن ضحية المثل القائل : حوته وحدة كتخنز الشواري(30).

– كثرة كلامه القاسي لي : كلكم فحال فحالْ مسقيين من مغرفة وحدة(35).

4. الوظيفة الحجاجية : توظف الأمثال بصفة مهيمنة في متننا للاحتجاج على صحة القضايا المطروحة للنقاش، وهنا يصبح المثل حجة لا يمكن دحضها أو تفنيدها.

وقد اتخذ الاحتجاج عدة مظاهر إما لغوية وإما منطقية وإما حضارية وإما جدالية وإما نصية وإما طبيعية :

أ– المظهر اللغوي : يتجلى في استعمال أدوات التوكيد والقسم :

– لأن المثل يقول (2، 10)

– لأن المثل الدارجي يقول (37)

– فوالله كما يقول المثل (29)

ب– المظهر المنطقي : يتجلى في استخدام منطق القياس :

– مثل يقال في مثل حالتك (1، 10، 26)

– قولك للمثل المغربي : كلشي اولاد عبد الواحد واحد، فلماذا لا تقولين : كل بنات حواء سواء (24).

ج– المظهر الحضاري : فما يصلح في حضارة لا يصلح في غيرها :

– أما أفكار مثل... المرأة ضلعة عوجة... فتلك أفكار ينبغي مراجعتها خصوصا إذا كنت في لندن (11).

د– المظهر الجدالي : وأداته هي الاستفهام وخصوصا الإنكاري منه :

– أليس صحيحا أن فاقد الشيء لا يعطيه ؟ (18)

– ألم يقل المثل : وراء كل رجل امرأة ؟ (32)

هـ– المظهر النصي : ونجده في استعمال النص الديني وخصوصا القرآن

الكريم والحديث النبوي.

و- المظهر الطبيعي : ونعني الاحتجاج بما هو معروف بالحس ولا يحتاج إلى برهان :

- فكم من شجرة شامخة تعطي ثماراً فاسدة (23)

وهكذا نلاحظ أن هذه الوظائف لا تخرج عن وظيفتين أساسيتين هما الدفاع والهجوم.

فكاتب الرسالة يقوم بعملية بوح يبرز فيها موقفه باستعمال الأمثال، وعدد الرسائل في متننا قليل (72 رسالة) إذا قيس بعدد الردود والتعقيبات (210 ردود).

أما أصحاب الردود فيقومون بعملية هجوم لأنهم يعلمون أنهم يملكون قوة ضاغطة على المتلقي بسبب قدم ومسكوكية ومعيارية الأمثال التي اكتسبت مشروعيتها من كثرة التداول. ثم إن كاتب الرسالة هو في موقع القوة لأنه يفترض أنه يملك الحكمة بدليل احتياج الأول إلى نصحه وإرشاده.

إن كلا الطرفين استخدما الأمثال لبلوغ أهداف متضاربة، وقد أسعفتهما الأمثال لأنها تضم المثل ونقيضه، فكل واحد ينتقي ما يلائمه ويوظفه إما للدفاع وإما للهجوم.

ملاحظة هامة عن الإحالات

نظرا لكثرة الإحالات على جريدة الأحداث المغربية فقد رتبنا الأعداد من 1 إلى 37 حسب صدورها. وكل رقم بين قوسين يحيل على العدد وتاريخه، مثلا رقم(20) معناه أن تعود إلى رقم (20) في اللائحة الآتية بعد هذه الملاحظة لتعرف تاريخ صدور العدد وهو يوم 1999/9/14.

الإحالات على جريدة الأحداث المغربية

(جدول ص 31)

الهوامش

1) محمد بلاجي : «المثل في الخطاب السياسي المغربي»، مجلة فكر ونقد، العدد : 2001/35 م ص 46 - 60.

2) «أشكال التعبير في الأدب الشعبي» 173، د. نبيلة إبراهيم مكتبة غريب، ط 3 - القاهرة.

3) «العقد الفريد» 281/5 لأحمد بن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وآخرون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965 - القاهرة.


المناقشات

1- عبد الهادي التازي

أريد فقط التعقيب على بعض الأمثال التي سمعتها، والتي ربما تحتاج إلى تصحيح . سمعنا من الأساتذة مثلا يقول : «لاَ حْمَارْ لا سَبْعَةَ فْرانَكْ»، أعتقد أن هذا المثل معروف ، وهو في الواقع مثل قديم جداً ويتصل بناحية من نواحينا الحضارية، والمثل مضربه كالتالي : كان أحد الطلاب يدرس في القرويين بفاس، ولما أنهى دراسته أو أوشك أن ينهيها استدعاه أهله للعودة إلى القبيلة ، وأعتقدُ أنه لم يكن قد أكمل دراسته كما ينبغي ، وإنما كان يغش أهله في تلك الدراسة، ولما كان راجعاً في الطريق إلى القبيلة بعث له أهله بحمار كي يركبه، وفي الطريق أخذته سنة من النوم، فسرق أحد الأشخاص حماره، ووصل صاحبنا إلى القبيلة في حالة كَئيبة، فسأله أهله عن الحمار، فأجاب : « هَذَا مَاوَعَدَ الرَّحْمنُ وصَدَقَ المرْسَلِينْ !» فقالوا له : لاَ وَاوَ وَلاَ حْمَارْ. (ويقصدون بالواو واو الجمع في كلمة المرسلون).

أما قضية الفرنك، فهو طارئ على حضارتنا، لذلك فإن إقحامه في هذا المثل ربما كان خطأً تاريخيا، لذلك، إذا أمكن ، بعد المناقشة أن يُسحب الفرنك ويُعوَّض بالوَاو.

2- أحمد الطيب العلج

وردت في بعض المداخلات مسألة اللغة، والمخاوف التي أبداها الأستاذ عمر أمرير هي حقيقة مخاوف ثابتة ولا جدال فيها . أما فيما يخص اللغة التي نستعمل ، أذكر أنني منذ ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة عندما كان المرحوم الأستاذ محمد الفاسي وزيراً للثقافة، أدليت بحديث في التلفزة المغربية وقُلت فيه إن اللغة التي كان يتحدث بها أسلافنا منذ عشر سنوات ليست هي اللغة التي نتحدث بها اليوم . وغداة هذا الحديث طلب مني الأستاذ عزيز السغروشني وهو موجود هنا أن أذهب معه لزيارة السيد وزير الثقافة، ولما دخلت عنده قال لي بالحرف : استمعت لحديثك وأردت أن أنبّهك إلى شيء هام وحيوي جداً، سأمهّد لك اتصالاً مع الأب بنعبد الجليل لأنه غادر المغرب منذ زمن بعيد لترى كيف كان الناس يتحدّثون باللغة العامّية في العشرينيات، لأنك ستجد عنده مفردات قد

اندثرت من قاموسنا المجتمعي المستعمل حالياً. ولكن هذا اللقاء، بكل أسف، لم يتحقق، إذْ وافت المنية الأب بنعبد الجليل وبقي في ذهني أن لغتنا تتطوّر على حساب بعض الجماليات التي نزهد فيها نحن قبل أن نُعلّم الزّهدَ فيها لأبنائنا الصغار الذين يرطنون الآن بكل اللغات إلاّ عاميّتنا. فالواحد منا من عشاق المثل المغربي، عندما يقول مثلاً من هذه الأمثال لبعض شابّاتنا وشبابنا يكون كمن يقرأ زبور داود.

3- حسناء داود

لديّ تعقيب على لفظة «العَبْرُوقْ» التي وردت في مداخلة الأستاذ يوسي، فهذه الكلمة هي موجودة في تطوان ومعروفة، خاصة في القديم حيث كانت تستعمل في بعض وسائل الزينة عند النساء. فالمرأة التطوانية في القديم كانت تزين رأسها بطريقة هي ككل تسمّى «الحَنْطُوز». هذا الحنطوز كان يشتمل على عدد من القطع أو من المناديل المختلفة، وهي كلها وسائل للتزيين وتسمّى : العَبْروقْ والشّمْبيرْ والكَمْبُوشْ والشَّرْبِيَة والفَرْخَة والسَّبْنِيَة دْ الدْهَبْ والسَّبْنِيَة دْ البْحَرْ. وتسمّى «سبنية البحر» لأنها تجلب من الخارج عن طريق البحر. وتجلب «السبْنية دْ الدهبْ» من فاس كما هو الشأن لباقي القطع الأخرى. وكانت المرأة التطوانية تضعها على رأسها للتزيين. كما أن منها ما هو خاص بالمرأة الشابّة ومنها ما هو خاص بالمرأة المسنّة. هذا فيما يخص كلمة العبروق وهي واحدة من هذه الأشياء التي كانت تضعها المرأة على رأسها.

وفيما يخص نفس الكلمة : العبروق، عندنا في تطوان يضرب مثل : «جَنَّةْ عَبْرُوقْ، النَّارْ من تحْتْ والحْطَبْ مَنْ فُوقْ»، ولا أرى أية علاقة بين هذه الكلمة الواردة في المثل وبين الكلمة كما سبق شرحها كمنديل أو كشيء للتزيين، ولكن المثل موجود كما أوردتُ، وهو يعني أن هناك جنة لا كالجنة المعروفة بل العكس هو الحاصل لأن هذه الجنة لا تحتوي على ما يجب أن تكون عليه صفات الجنة : «النار من تحت والحْطبْ من فوقْ».

4- عبد الهادي التازي

لي سؤال قصير أوجهه إلى الأستاذ شمعون ليڤي والأستاذ أحمد شحلان، كثيراً

ما أسمع مثلا بالعبرية ولم أتأكد من معناه بالضبط ، يقول : «بْرَاخَا ولاَ يْلِيخْ» والمثل يضرب بالمغرب للشيء الذي يمكن أن نقول فيه «اللهم هَكْذَاكْ وَلاَّ بْلاَشْ» أو «نَتْفَةَ من الفَكْرون ولاَ يَفْلَتْ»، فما معنى هذا المثل بالعبرية ؟

5– شمعون ليڤي

المثل ما هو لاَ باللغة العبْرية ولا باللغة العربيّة ، وإنما المثل يكون بـ «اللاّسونية» وهي لغة اللّغز ، أي اللغة السِّرِّية التي كان يستعملها التجار اليهود فيما بينهم في السوق لكي لا يفهمهم الزبون المسْلَمْ ، فمثلاً يقولون : «حتَّى يْلِيخْ ونْدِيبِّيرْ لاَخْ» وتعني حتى يذهب هذا وأتكلّم معك . لكن الناس أهل البادية من فلاّحين وغيرهم سرعان ما كانوا يكتشفون مغزى هذه الجُمل فلا يبق السّر موجوداً، ولكن التجار اليهود يُبقُون عليها وذلك على سبيل التسلية.

وهو الشيء الذي يجعل بعض الكلمات العبْرية تمرّ عن طريق اللاّسونية إلى الدارجة المغربية. مثل : كلمة «كُوَّنْ» وهي تعني – كوين – بالعبرية تعني : فَكِّرْ وَاصْمُتْ ، ثم مرّت من اللغة اللاَّسُونيَّة أو تلاَسُونتْ أو تادْبِيرَتْ كما كانت تسمّى حسب الجهات، وهو كلام سرِّي بين اثنين لا يريدان أن يفهمه شخص ثالث.

ومعنى بْراخَا ولا يليخ : خُذْ ما أعطاك من ثمن فهو أحسن من لا شيء . وبْراخَا تعني بالعربية – البركة .

البْرَاخَا هي مجموعة من الجمل التي تكون صلاة معيّنة مثل الصلاة على الخبز أو أية نعمة من نعم الله . في حين كلمة يليخ تعني يذهب أي – اللهم اقبل ما أعطاك عوض أن يذهب الزبون.

وجواباً على سؤالكم حول العبروق، فهذه الكلمة سمعتها في مدينة صفرو بنفس المعنى، أي بمعنى قطعة الثوب التي تغطي بها العروس رأسها.

6– أحمد شحلان

لا أجد فيها عبرية باستثناء حرف النفي . ف «برِخَا» كما قال الأستاذ شمعون من نفس جذر «بَركة»، ولو ترجمنا المثال كله نقول بالعامّية : «غِيْر البَرَكَة منُّو وَلاَّ

يَفْلَتْ» لأن : «يلِّيخْ» هو جدر «هَلاَخْ» التي تقابله في العربية : هَلَكَ بالمعنى الموجود في علم الفرائض كقولنا : (هَلَكَ هالِكٌ وترك مالاً).

7- المصطفى الشادلي

عندي في البداية ملاحظة حول المنهج، فمن خلال ما استمعنا إليه من عروض ومداخلات كثيرة، نلاحظ أن هناك إشكاليات كثيرة نوقشت مثل الجمع والتدوين وتوثيق الأمثال، وإشكالية الترجمة وكيفية استقبال الأمثال. لم نتطرّق للإبداع، وهذه إشكالية تفرز أبعاداً جدّ هامّة تتمثل في توظيف الطاقة الإبداعية وفي إعادة إنتاج الأمثال كما تجلّى ذلك في بعض التجارب المسرحية والغنائية في المغرب وفي بلدان أخرى من حوض البحر الأبيض المتوسّط.

وبالنسبة للمنهج، فإني أعتقد، إذا عرَّفنا المثل كملفوظ لغوي (Un énoncé linguistique)، أن مسألة المنهج محسومة، وقد تم حسمها في جميع الجامعات العالمية وفي الجامعة المغربية أيضاً. فأيّ لسانيّ كيفما كان إطاره النظري يعرف تمام المعرفة كيف يتناول المثل. هناك المستوى الصِّواتي في البداية ثم المستوى الصرفي ثم التركيبي ثم الدلالي ثم البلاغي، فهذه مسألة محسومة. والذين يشتغلون في مجال علوم اللغة يدركون أن المثل كملفوظ لغوي وخطابي هو ملفوظ متعدّد الجوانب ومتعدّد الأبعاد.

النقطة الثانية ترتبط بالمعنى. فحينما نتكلّم حول المعنى الأول والمعنى الثاني، أنا لا أشاطر الأستاذ عمر أمرير فيما يسمّى بالرمز ، وكل لساني يعرف هذا. هناك بُعد أول ثم هناك بعد ثان. هناك المعجم والموسوعة . فعندما نتناول مثلاً، فأول مسعى يكون هو مسعى المعجم اللغوي، ثم المستوى الثاني وهو مستوى ما يمكن أن نسمّيه بالموسوعة. والموسوعة تعني مثلاً المتخيّل، تعني القيم، تعني التداعيات، الخ. أما مسألة الرمز فأنا كسيميائي لا أعرف ما معنى الرمز إلاّ إذا سيق هذا المصطلح في سياق نظري علْمي مدقّق ، وإلاّ فهو يتيح تداعيات كثيرة.

يمكن أن نتناول أيضاً المثل كوحدة خطابية أو كملفوظ خطاب، وهذا ما سأحاول أن أتطرق إليه في عرضي . ثم هناك المختصون الذين يعملون في مجال العلوم

الإنسانية ، فدائماً يُربط المثل بشيء آخر ، يُربط بمجتمع، يمكن أن يربط بمجموعات بشرية معينة. مثلاً البعد الأنتروبولوجي يمكن أن يربط بالسيكولوجيا وبالثقافة، الخ. فهذه كلها مستويات قد حُسمت في الغالب ، منهجياً على الأقل. إلاّ أن الباحثين بصفة عامّة كانوا دائماً يجتنبون تناول المثل لسبب بسيط، وهو أن المثل كملفوظ لغوي جدّ معقّد لأن له ارتباط بالتراث وبالأدب الشفهي – ولا أقول الأدب الشعبي – ، وله ارتباط أيضاً من ناحية تشكيلته الصورية بالشعر.

إذاً ، فالمختص يجد نفسه أمام صعوبات منهجية يصعب عليه أن يواجهها وبشكل دقيق أن يحدّد كل مستوى على حدة. فأنا أقول، إنه مع الأسف، في بلادنا وفي الجامعة المغربية التي لها ما يزيد عن أربعين سنة، هناك مشكل ذاكرة ! فلا يعقل أنه في بداية الألفية الثالثة نبدأ بمقاربات للمثل الشعبي ونحن نغفل ما كُتب وما دُوِّن وما أُنتج ، فمثلاً السيد محمد بنشريفة كان من الأولين الذين تناولوا هذه المتون. ويجب أن تكون لنا ذاكرة أكاديمية بحيث يُشيد حَجر فوق حجر إلى أن يتم البناء.

8- عمر أمرير

بالنسبة لي فالأستاذ الشادلي أحيله على أطروحتي الجامعية «رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام». وبما أنه أشار إلى البحث الأكاديمي فهذا بحث أكاديمي، أقتنع بوجود لغة رمزية في الشعر الأمازيغي وفي الحكايات والأساطير. وكان الإحساس الوطني جليا في آخر الأطروحة، بحيث لم أكمل كباحث فقط بل كانت لي رسالة وواجب أؤديه، فتجرأت ووجدت أن هذه الرموز ليست خاصة بالأمازيغية بل هي مشتركة بين المغاربة. ولم أبق حبيس البحث الأكاديمي فقط، بل شمرت على ساعدي وصعدت الجبال العربية والأمازيغية، لإنجاز الحلقات التلفزيونية التي كشفت كلها أن للمغرب لغة رمزية.

9- المصطفى الشادلي

عندما أقول مسألة الرمز، فباستثناء بعض النظريات الكبرى، كالرمزية عند (LACAN) أو الرمزية عند جيلبير دوران (Gilbert Durand)، وإلى حدّ ما عند كلود ليفي ستروس – ولو أنه لا يحب هذه الكلمة – فما يسميه الأستاذ رمزاً

يسميه الآخرون إيحاءات Connotations.

10- عبد الرحمن الملحوني

فيما يتعلق بالطرح الذي ساقه الأستاذ عمر أمرير في مداخلته وما قدمه أيضاً من صور شعرية مرموزة من الشعر الشعبي الأمازيغي، هناك نظير لهذه الصور في الشعر الشعبي المغربي الملحون، وهو ما كان يسمى عند أهله بـ «الجَفْرِ» أي التَّنَبُّؤُ بأحداث ووقائع المستقبل.

وفي هذا اللون من الشعر ، كان شاعر الملحون يتأمّل أحوال مجتمعه ومحيطه ... ذاكراً عيوب وقته وزمانه ، مشيراً إلى مناكر أهله المنتشرة هنا وهناك، معتمداً - في نفس الوقت - على الرَّمز بالحيوان، على طريقة ابن المقفع في كتاب : «كليلة ودمنة»، وعلى التَّلميح والإشارة والتشبيه والمقارنة، بل على ضروب أخرى من التحايُل الذي كان يستخدم فيه التَّلاعبَ بالمعاني، وإيهام المخاطب بما يُلقَى في رُوعه من صور شعرية قابلة للشَّرح اللَّفظي، والشَّرح المراد (مما يتضمن المحسنات البلاغية).

.. ولنعطي مثالاً حياً لهذا النوع من الشعر الشعبي المغربي الملحون على غرار ما ساقه الأستاذ عمر أمرير من صور شعرية مرموزة من الشعر الأمازيغي، نقدم الصورة الشعرية الآتية من صور الجفر عند شعراء الملحون.

يقول الشاعر الشعبي ما نصه :

فَرْعَنْتْ الْبُومْ عَلْ الْبِيزَانْ تْوَلَّاتْ   بَيَّنَتْ أَنْيَابْهَا وْدَرْكَاتْ الصُّولاَ

وَالسَّبَعْ خْشَى مَنْ الضَّبَعْ بَعْدْ الزَّهْرَاتْ   الْزَمْ التَّحْذِيرْ خَافْ مَنْ وَلْدْ الْغُولاَ

دَرْكُو الَقْرُودْ مُنْتَهَى فِي الْغَابَاتْ   حَتَّى النَّمْرُودْ بِينْهُمْ حَازْ الْعُولاَ

حَضْرُوا لِهْ الذِّيَابْ مَنْ جْمِيعْ الْجِهَاتْ   هَذَا الْغَابَة عْلاَشْ قَالُوا مَعْمُولاَ ؟

تْسَاوِنَا فِيهَا الْيُومْ مَا فِينَا فَرْقَاتْ   لاَشْ الْخَنْزِيرْ مْنَعْهَا مَنْ الْفَحُولا ؟

... إذاً ، فهذا اللون من الشعر المرموز ، يوجد في الشعر الأمازيغي بنفس المضامين، كما عليه الحال - أيضاً - في الشعر الشعبي المغربي الملحون. نعم

فالغابة والبوم والسبع والضبع وغيرها مما ذكر من الحيوانات في هذا النص، ما هو في الحقيقة إلاّ رمز لشخصيات يريد شاعر الملحون التشهير بها.

وفي نفس المسار تجري بعض الأمثال الشعبية المغربية، كقول القائل : «فْلانْ سْبَعْ فْي دَارُوا» أي مُهابِ في هيئته ومكانه، فلا يجرؤ أحد في الدخول عليه. وتقول العامة : «فْلانْ جَامُورْ الدَّارْ» أي هو الكلّ في الكلّ ... إذاً فالقُبَّة عند العامة بدون جَامُورْ، لا تنال قُدْسِيَتَها وليس لها حظُّها من استجلاب الخير والبركة كغيرها ...

ويقال أيضا : «الْقَاهَا مْسَرْجَة وَارْكَبْ»، أي وجد الظروف مواتية، فنال ما نال من حظوظ حياته ومُتَعِها ...

11- ابراهيم الخطابي

لي بعض الملاحظات حول عرض الأستاذ عمر أمرير الذي عنونه بـ : «الرمز في المثل الأمازيغي» فكنت أنتظر من الأستاذ عمر أمرير أن يعرض لنا مثلا أمازيغيا، فإذا به عرض علينا أشعاراً أمازيغية، ونسب شطر البيت الذي نطق به في بداية عرضه لسيدي حَمُّو الطَّالَبْ عن طريق دْجُونْسُونْ، ولكوني من بين الذين اهتموا بهذا الشاعر لما يقرب من 20 سنة، أي قبل صدور أطروحتكم، كنت أنتظر أن تعرض علينا ولو مثلا واحداً يشتمل على الرمز الأمازيغي، لأن الشعر كله وخصوصا الشعر الأمازيغي هو شعر رمزي كالملحون. لقد اتفقنا جميعا على تعريف المثل، وهناك عدة عروض حددت معناه، ويجب علينا في هذا المقام العالي علميا أن نفرق بين المثل وبين الشعر، أو توظيف المثل في الشعر. فإن كان ما جمعه شْطُونْ وغيره من الكتاب الألمانيين الذين يهتمون بالأمازيغية وخاصة في الأعداد الكثيرة لمجلة «الدراسات الشرقية الألمانية» التي اهتمت بهذا الشعر، ولكن هذا البيت الذي ذكرتم لا يوجد في ديوان سيدي حمو الذي جمعه الأستاذ محمد الصويري في سنة 1931.

فهل تقصدون بالرمز في موضوعكم الذي عرضتموه، الرمز في الشعر الأمازيغي، أم الرمز في المثل الأمازيغي؟ لأن هناك أمثالاً أمازيغية، ولكن لم تعرض علينا منها ولو مقطعاً واحداً.

12– عمر أمرير

أوضح للأستاذ الخطابي بأنني أقصد في عرضي المثل الشعري : والأمثلة التي ذكرت في عرضي كلها أمثال شعرية باستثناء النماذج الشعرية الأولى التي بينت بمعجمها وجود لغة رمزية في الشعر الأمازيغي.

13– الحسين بوزينب

لدي ملاحظة منهجية، ذكرت الأستاذة حسناء داود هذا الصباح أن المرحوم والدها كان يقول الأمثال في تطوان، وسمعت مراراً البعض يتكلم عن الأمثال التطوانية أو الأمثال المغربية أو الأمثال كذا نسبة إلى مدينة أو جهة من الجهات، وكأنها أمثال خاصة بتلك المنطقة. وعندما تكلمت الأستاذة منذ لحظة عن قضية (جنة عبروق.....) ذكرت بأنه مثل يُضرب في تطوان، إلا أننا نجده في غرناطة في القرن السادس عشر، وربما إذا دقّقنا البحث فسوف نجده في القرن الثالث عشر. إذاً ما المقاييس أو المعايير التي تقام عليها نسبة مثل إلى جهة معينة ؟ وربما تكون العبارة التي استعملتها الأستاذة هذا الصباح : «المثل في كذا» تكون عبارة صائبة بمعنى أن هذا المثل يُستعمل بغزارة في هذا المكان، ولكنه لا ينتهي فقط إلى تلك المنطقة.

وهناك إضافة أخرى وهي : أن فريدريكو كوريينتي يشرح كلمة عبروق باليهودي.

14– محمد مصطفى القبّاج

تدخلي هو من باب اهتمامي بفلسفة الأنساق التربوية ، ومن وحي ما ذكره بعض الإخوة الذين تناولوا قضية استعمال الأمثال في الأنساق التربوية أو الأنساق التعليمية. في الواقع إن الأمر محيّر إلى حدّ ما. عندما كنتُ أُهيّيء رسالتي ببروكسيل ببلجيكا، من جملة التقنيات التي استعملتها، أو من جملة الوسائل التي استعملتها لإبراز قيمة الفكر الصوري لتدريس الفلسفة، استعملت الأمثال كنوع من القياسات، أي كتركيبة قياسية تتضمن مقدمة أولى ومقدمة ثانية ثم نتيجة. وحاولت أن أبرز هذه القضية فوجدت معارضة قوية من كل الأساتذة الذين أشرفوا على رسالتي ، لأن الأنساق التربوية المعاصرة تحاول ما أمكن أن تؤكّد

علي شيء أساسي هو تجنّب كل المضامين التعليمية أو المواد التعليمية التي تكرّس، كما قيل، العقلية التقليدية.

فالأنساق المعاصرة التي نتجت عن التقدم التقني وفي المعلوميات وفي الاتصال تحاول أن تؤسّس لفلسفة جديدة في التربية تقوم على أن نُنْشِئ الأطفال لزمان ليس هو زماننا، يعني الزمن المستقبلي. فكانت هذه المعارضة شديدة، وطبعاً من المعارضين من كان ينتمي إلى الاتجاه البنيوي Structuralisme، ومنهم من كان ينتمي إلى مدرسة بْيَاجي Piaget، ومنهم من كان ينتمي إلى مدارس أخرى معروفة. فتنبّهتُ إلى هذه القضية وقلتُ : هل من الضروري إدماج الأمثال في النسق التعليمي، إمّا كأداة استكشافية أو كأداة تسجيلية لبعض المواد اللغوية أو التاريخية أو الجغرافية ؟ وبعد سنوات من البحث مع الجماعة التي اشتغلت معها تبيّن أن الخطر ليس في استعمال المثال في التعليم، وإنما الخطر في عدم تسليح الأستاذ والتلميذ بمنهجية تضمن تباعداً (بمفهوم بْريشتي) بين التلميذ والمثل حتى لا يجعله عبارة عن مرجعية قيمية أو مرجعية تشريعية أو شرعية لإبقاء العقلية على ما كانت عليه، لأن الأمثال في تصوّر الغرب عبارة عن وسيلة لجعل الفرد يتشبّث بالماضي وبالتقاليد المرتبطة بالماضي.

إذن، في نظري، إذا ما أرادت جمعية التراث اللغوي الاهتمام بهذا المحور التربوي، يجب أن تُشغِّل الخيال والإبداع لخلق أو لصياغة منهجية أو مقاربة لتسليح التلاميذ ببعض الدروس في الإعدادي والثانوي بأدوات منهجية لكيفية التعامل مع المثل لاَ في صيغته الجمالية ، ولا من حيث البنية اللغوية، ولا من ناحية البيان والمجاز الخ ، حتى يكون تعامل التلميذ مع المثل تعاملاً فيه نوع من التباعد (DISTANCIATION)، ونتجنّب ذلك التعامل بين القيم المتعارضة، القيم المتناقضة بين الإيجابي والسلبي، وحتى نتجنّب أيضاً بعض النماذج من الأمثلة التي تجعلنا مرتبطين إلى حدّ مّا بعقلية، ربما لم تعد مناسبة للعصر. وهذا ما يبين غزارة وغنى خيال البيداغوجيين ، لأن المهم ليس هو المادة التعليمية، وليس هو المضمون التعليمي، بل المهم هو المنهج الأساسي الذي يجب أن نضمن به تباعداً بين التلميذ – سواء كان في الثانوي أو في الإعدادي أو في الجامعة – وبين الأمثال ، بل مجموع التراث ككل، لأن كل ما في التراث ليس بالضرورة إيجابي ! ولهذا ندعو اليوم إلى تصفية الحساب مع التراث، لأن فيه جوانب غير

مشرقة، وفيه جوانب مشرقة يمكن أن تفيد في العملية التطورية أو التنموية المعاصرة.

15- محمد المدلاوي

أودُّ أن أشير إلى مسائل وردت على لسان الكثير من الزملاء، ألا وهي الانتقائية، انتقائية المتون في الآداب الشفهية عامّة، والكيفية التي يمكن أن تستغل بها تلك المتون.

أفتح أولاً قوساً لأشير إلى أن المجتمع المغربي، يكون ربما قد وصل، كما يهيأ لي، إلى مرحلة هي في عمر المجتمعات بمثابة سن الوعي والرشد ؛ إنه كما لو أنه أصبح يعي ذاته ويعي وجوده . ولذلك فإنه لم تعد لديه عقدة مع مكوّناته. ففي السابق كان يترك كل ما يتعلق بالأمثال والنكت وغيرها للأجنبي. فالأجنبي هو الذي يتخذ المجتمع المغربي كموضوع للدراسة. الآن أصبحت الذات المغربية هي نفسها ذاتاً واصفةً لنفسها كموضوع لها. إذن، وفي هذا المستوى من النظر إلى الأمور، لا داعي إلى ما أشار إليه بعض الإخوة من ضرورة الانتقاء من حيث أن هناك بعض الأمثال التي تكرس بعض الأمور من تفرقة وغير ذلك. هذا الاعتبار يمكن الأخذ به في المعالجات البيداغوجية والتربوية للمتون المدونة حين اتخاذها كمادة تثقيف بالنسبة للأطفال. أما بالنسبة للدراسة فإن العكس هو الصحيح. فالعمل الذي قام به الأستاذ بلاجي مثلاً ربما اعتبر رائداً أو من بين الرواد في هذا الميدان. إن المادة الغنية لما يرد في جريدة «الأحداث المغربية» مادة مهمة بالرغم من كل التصنيفات والنعوت التي يمكن أن تُلصق بها. فهي بالنسبة لعالم الاجتماع ولعالم النفس، وبالنسبة للمروّجين وللفاعلين الاقتصاديين وللأطباء والباحثين وغيرهم منجم كبير من المعلومات. وقد تناول الأستاذ هذه المادة من ناحية من النواحي، ولكن هناك مختصون من مختلف القطاعات يمكن أن يعودوا إلى هذا المنجم ليستخرجوا منه مادة دراستهم للمجتمع في تحركه كما هو في الواقع. ولعل مثل هذا الانفتاح على الأمثال وعلى مثل هذه المادة الصحفية هو الكفيل، من جهة أخرى بأن ينقذ الدراسات الأدبية- خصوصاً عندنا- من الكساد. فنحن نلاحظ الآن في المؤسّسات التي ننتمي إليها نوعاً من الباب المسدود أمام الدراسات المسمّاة بالأدبية . لماذا ؟ لأن المتون الكلاسيكية التي تشكل مادة المعالجة متون أصبحت موقوفة وهي منقطعة عن الرواج الحي الحالي

للمجتمع. المتنبي كان منخرطاً بمادته الأدبية في إعلام مجتمعه ورواجه كمنبر من المنابر، ونحن نعود إليه في كثير من الدراسات والأطروحات في انقطاع عن الرواج والحياة الحالية . ليس معنى هذا أن تكون هناك قطيعة مع المتنبي وغير المتنبي من المتون القديمة ؛ ولكن يجب أن ننفتح على المتون الجديدة لأنها مرتبطة بالإشهار، بالرواج، بالكتابة الدرامية الحية، بلسان المجتمع وروحه. فالذي يعرف الأمثال ويعرف مكونات المجتمع المغربي وقيمه، ويعرف المنافسات والمنافحات التي تقوم داخله، من حيث أن هناك مثلاً الرحماني والفيلالي والفاسي والسوسي والتطواني والجبلي، واليهودي والمسلم ...الخ يكون مؤهلاً أكثر من غيره. فالكتابة والإنتاج الدرامي عامة بدون معرفة بهذه المسائل شيء غير مجد وغير مقنع، فلا يبقى إلاّ الاتجاه نحو الدراما المشرقية أو الغربية أو المكسيكية لإضفاء الحيوية على النص الدرامي ؛ هذا مع العلْم بأن المجتمع الذي لم يتحكم بعد في الدراما مجتمع لم يلج بعد عالم الحداثة .

16- عبد الهادي التازي

من خلال ما استمعنا إليه، أثار انتباهي، أن الأمثال العامّية المغربية تستحق أن تقارن وتُفارق بينها وبين الأمثال العالمية. ومن هنا فكّرت في أن أطلق على هذا النشاط الذي يمكن أن نقوم به : «عولمة الأمثال»، بحيث في كل جهة رُحنا إليها وأثرنا مثلا من الأمثال سواء في العالم الأوروبي أو العالم الأنگلوساكسوني لابد وأن نجد شيئاً يشبه هذا المثل. ولابد أن نشعر بأن هناك اقتناعا من الجميع بمصداقية المثل، حيث إن المثل المغربي لم يبق له بُعد محلي بل أصبح له بعد عالمي. وسأقول لكم مجموعة دونتها فيما يتعلق بالقواعد الفقهية التي تحدث عنها الفقهاء، والتي أصبحت مثلا من الأمثال يضرب بين العامة. مثل: «صحّ إن قُدِّم أو أُخِّر» كما نسمع في أمثالنا : «قُضِيَ للسابق» يقولها شخص يأتي من خلفك وأنت واقف مثلا أمام الجزار، ويريد أن يسبقك في شراء اللحم.

شيء آخر أريد قوله يتعلق بالحوت، زُرت قبل نحو من زمان مدينة وَزَّانْ واستمتعت بحديث شيخ هناك، يتحدث عن : فرّوجْ ضاع له، أو بَرّوگْ ضاع له، ولاَزمة القصيدة التي كانت ترددها الجماعة هناك : «أَربِّي أمُولاَيْ غيتْني بالبَرُوگْ مْشَ لِي». وهذا البَرّوگْ أخذ يصفه الشيخ عضواً عضواً وريشة ريشة، واستمتعت

كثيرا ببعض المفردات التي لم أكن أعرفها في حياتي. مثلا كلمة «الغَرِّيمَة» وهي تعبر عن شيئين يكونان في مؤخرة الدجاجة. يقول الشيخ في قصيدته «غير الرَّاسْ والغرِّيمة وكَانْ عَشَّا لِي حلْيِمَة»، «غِيرْ الرَّاسْ والبَنّارَة وكان عَشَّا لِي الْحَمَّارَة».

وأجدّد شكري للإخوة الذين ساهموا في إثراء هذه الندوة التي لم أكن أتوقع أن تصل إلى هذا المستوى من الثراء.

17- الحسين بوزينب

لدي ملاحظة على إثر مداخلة الأستاذ بلاجي، تتعلق بجانب الإبداع في الأمثال. فالأمثال تدخل فيما يسمّى بالأدب الشعبي، أي ذلك الأدب الذي صار مشتركا بين الجميع ويُجهل واضعُه ومؤلفه . إذن هذا الجانب الإبداعي معناه أن للجميع الحق في التدخل فيه والإضافة إليه وإغنائه.

ومما أوحي لي بهذه الملاحظة أن ألُونصُو دِي كَاسْتِيُّو الذي قدمته البارحة يقدم لنا بعض الأمثال من وضعه، وهذه ظاهرة ربما غير عادية باعتبار أن نقول هذا المثل هو لي. فهناك يحدث تناقض ! وأقرأ لكم من بين هذه الأمثلة : «مْضَى الحْبَلْ وابْقَ الفَدَّان»، «لا تَجِدَّ مْعَ اللاَّيَمْ ولا تَهْزَلْ......». وهناك ما يقرب من 30 مثلاً ينسبها إليه. فَتَدَخُّل الإنسان في الثقافة الشعبية، وإعطاؤه لهذه الثقافة مستوى شخصياً أو إقحام لذاتيته فيها....

18- عمر أمرير

كان الأستاذ الخطّابي قد تدخل بالأمس في مناقشة لعرضي وقال إنني أعطيت أمثلة شعرية وليست أمثالاً، وقال إن الصباح مرّ بتعاريف محدودة وهذه الأشعار تخرج عن تلك التعاريف. لذا أريد أن أوضح ما يلي :

أولا : البارحة في عرضي أتيت ببيت شعريّ واحد ليس مثلاً لتطبيق النظرية التي قلت فيها إن هناك عند المغاربة لغة رمزية، وأعطيت البحر كمثال : «زايد آ لبحر تاندرا ...... الخ»، وهذا شعر وليس بمثل. ولكن كل النصوص التي استشهدت بها

فيما بعد تدخل كلها في باب الأمثال الشعرية، ولو حضرت البارحة لذكرت بأن هناك أمثالا شعرية في الأمازيغية لها خصوصيات ولها مقاييس ولها معايير.

19- المصطفى الشادلي

عندي توضيح بسيط، أولاً، يجب أن نميّز بين إعادة صياغة المثل لغاية تعليمية أو تربوية أو صحافية، وبين إعادة إنتاج المثل كإعادة كتابته في عمل إبداعي. وأعتقد أن هذا تمييز لا بدّ منه.

ثانياً، إننا نتكلم عن الأدب الشفهي أو الشفاهي لا الشعبي، فكل ما هو موروث ليس شعبياً بالمعنى الدقيق للكلمة. رجائي عندما تُنشر هذه الأعمال من طرف الأكاديمية أن تكون هناك إشارة إلى الرواد المغاربة كإهداء الأعمال، أو شيء من هذا القبيل، للجامعيين والمبدعين المغاربة الأوائل.

20- ربيعة حاتم

لست متخصصة في هذا الميدان، ولكني من المغربيات اللواتي تربين بالأمثال. أثار انتباهي قول الأستاذ بلاجي بأنه ليس هناك أمثال باللغة العربية الفصحى يستعملها الأشخاص غير المتعلمين . فأنا استمعت كثيراً عند عائلتي الذين كانوا يتكلمون بالدارجة أو بالأمازيغية ثم يقولون «قُضِيَت الأُمُور»، أو «كَانَ أَبُوكَ صَالِحا» أو في ميدان النميمة عندما تكون النساء مجتمعات ويتكلمن تقول الواحدة منهن : «مَجْمُوعِين عْلَى قَالْ رَبِّي، قَالَ الرسُولْ». فلا يصح القول في اعتقادي، بأنه ليست هناك أمثال بالعربية الفصحى، فهولاء نساء كن غير متعلمات.

سمعت الكثير عن النساء وعن كيد النّسَا، ولكن لم أسمع أمثالاً تخص الرجال وخاصة أن النساء فيما بينهن يستعملن كثيرا من الأمثال تخص الرجال ويسهرن على سرّيتها حتى لا يسمعها الرجال، وبالأخص حينما نتكلم عن (تَحْرَامْيَّاتْ دْيَالْ الرْجَال)، أو عن معاملة الرجل بالنسبة للمرأة، فتقول الأم لابنتها مثلاً «عَنْدَاكِ أبْنِيْتِي الرَّاجِلْ والزْمَانْ ما فيهم ثقة ! هُمَا بْحَالْ بْحَال، الزْمَانْ دُوَّارْ تيدور......» «وَلْدَكْ وْمَارَبَّيْتِي وْرَاجْلَكْ وْمَا وَلَّفْتِي». ثم عندما نتكلم مثلا عن المبادئ، وبالخصوص عند جيل السبعينيات حيث كانت هناك ثورة إزاء صداق المرأة أو

تعدّد الزوجات الخ، فتقول الجدّة مثلا لحفيدتها : «لاَ يَا بْنِيْتِي غيرْ صَبْرِي، الرَّاجَلْ يْلاَ دْخَلْ لَلدّارْ دْيَالَكْ بْوَحْدَك ويْلاَ خْرَجْ رَاهْ دْيَالْ النَّاسْ كَامْلِينْ». وعندما لا يقوم الرجل بمسؤولياته كما يجب تقول المرأة آنذاك : «إِيْوَا شَنْعْتُو عْلِيَ وْمَا غَطَّا وَدْنِيَا»، وعندما يبدأ الرجل يبحث عن (السّبَايْبْ) لتعليل تصرفه، تقول المرأة «سِدي عْلَى سَبَّة طَلَّقْ لاَلاَّ.......» ، ثم تقول لها الأم أو الجدة : «إيوَا يَا بْنِيْتِي يْلاَ بْغَيْتِي سَعْدَك ديريهْ بِيْدَكْ»، «وحَتّى وَحْدَة ما خْذَاتْ لاَ بَّاهَا وَلاَخَاهَا»، ثم عندما تبدأ في سرد المشاكل تقول مثلاً : «إِيْوَا طْلَيْتُ اخْضَرْ يا بْنِيْتِي وْمَّا اليَابَسْ يَتْفَتَّتْ»، «من خَيْبُو حْتِيتْ الحَمَّصْ». والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

ثم ما قاله الأستاذ أحمد الطيب العلج فيما يخص النقود (الفْلُوسْ) التي كانت تُساق في إطار مبادئ، فنحن نرفض أن نتزوج للمادة... «ولكن أبَنْتِي رَدِّي بَالَكْ رَا حْنَا كَانُوا كَيْقُولوا لينَا، رَاهْ جَا وَاحَدْ العْرِيسْ، إيْوا يَا بْنِيْتِي رَاهْ دَقّ البَابْ. شْكُونْ هُوَ يَا مِيمْتِي ؟ زينْ وبَحْرُوفُه ! دِيّهْ لاَمُّو تْشُوفُو ! رَاهْ جَاكْ رَاجَلْ اَخُرْ أبْنِيتِي. وشْكُونْ هُوَ هَذَا ؟ هَذَا يا بْنِيْتِي قْرَعْ وْبفْلُوسُه ! ايْوا آرَا دَاكْ الرَّاسْ نْبُوسو ! ».

21- أحمد الطيب العلج

تقول النساء «لَحْبِيبْ الْوَافِي، مْسَخَّنْ كْتَافِي، والعْدُو الْجَافِي، الرَّاجَلْ بُورَجْلَة وتْنَطْحُو عَجْلَة ...».

أردتُ أن أتكلم في مقام أول عن توخي الحذر في المعاملة مع الأمثال ! لأنني سمعت من الأمثال ما يُضْحك ، مثلاً «اللّي كْلاَ البَرْقُوقَة يْلُوحْ لَعْضَمْ ! »، هل هناك من مُحَصِّل للحَاصل كهذا ؟

فيما يخص النقطة التي أشار إليها الأستاذ بوزينب وهي قضية ادّعاء الإبداع ، لا أحد يستطيع أن يدّعي الإبداع في المثل ! فالمثل يُطلق ، فإذا صادف الرّضى يشيع وينطلق مثل الأغنية. وانطلاقاً من تجربتي، فأنا أعتقد أن الأغنية إذا كانت ناجحة ولقيت إعجاب الناس فهي ناجحة وتصبح متداولة. وإذا لم تكن ناجحة ولم تنل إقبال الناس عليها، فيكون مصيرها النسيان. وكذلك المثل فهو يُلقى أول ما يُلقى في صيغة ما، ثم بالتداول وبالممارسة وبالاستعمال يأخذ حجمه النهائي. فهو شيء حيّ يتجدّد ويتطور ويُساير. وهذا ما يعطي للمثل فرص النجاح ومعايشة الناس وصحبتهم ، لأنه القوت الفكري اليومي.

22- عبد الرحمن الملحوني

...«ففي مجال العناية بالأمثال العامّية المغربية، وتوظيف مضامينها من أجل إبراز أثر الأحداث الوطنية في مشاعر الجماعة الشعبية العريضة. نعم، ففي هذا السياق شاركت ببعض المداخلات في الثقافة الشعبية كانت تكشف عن أهمية الأمثال الشعبية المغربية التي قِيلَتْ في ثورة الملك والشعب، وبخاصة ما كانت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير تنظم من ندوات علمية في هذا الموضوع. نعم، فقد ألحَحْتُ إلحاحاً كبيراً في شأن جمعها، وتصنيفها وشرحها لتصبح وثيقة أخرى من الوثائق التي تسجل هذا الحدث الوطني العظيم، ولتكون عند أجيالنا - على تعاقبها - بمثابة كتاب ناطق ، كتاب حي في جميع البيوت والمحافل، ترسم فصولَه معالمُ ملحمةِ شعب أصيل ، تضرّع وأنَّ أنيناً تحت جبروت الاستعمار ما يزيد عن أربعين سَنة، لا قوة له ولا حول، إلاّ إيمانه وعزيمته !

ولهذا، فقد تيسَّر التَّعريف ببعض الأزجال ، والمردَّدات الشَّفاهية في بعض الندوات التي كانت تنظمها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير من حين لَحين، ومنها على سبيل المثال :

- ندوة المقاومة في المغرب الشرقي، الإسهام والخُصوصية 9-11 نونبر 1994.

- ندوة المقاومة في الجنوب الشرقي : 15-17 أكتوبر 1998.

وكذلك كان الشأن في إحداث برنامج إذاعي تحت شعار : «من وحي اللقاء» يذاع على أمواج الإذاعة الوطنية والجهوية بمراكش، ويُعنَى عناية خاصة بالتعريف بميراث الذَّاكرة الشعبية ، أمثالاً شعبية ، وأزجالاً ، ورباعيات ، وحكايات ، وأحاجي ، وغيرها . ومن خلال حلقات هذا البرنامج الإذاعي ، تمَّ التوصُّل إلى ما يقرب من ألفي مثل في ثورة الملك والشعب، جُمِعَتْ من قبل الصناع التقليديين وهواة الثقافة الشعبية المغربية بواسطة مجموعة من «الاستمارات». وقد ميَّزنا فيما جمعناه من أمثال بين رغوها وصريحها، وغثها وسمينها لأن هناك أمثالاً دارجة تروج في محافل الجماعة الشعبية وهي تحتاج إلى الغربلة، فقد تجري على

ألسنة العامة وفيها ما فيها من العيوب غير مستوفية لشروط المثل الشعبي المغربي الأصيل، من حيث لغته، وتركيباته الفنية البديعة.

وقد أشار إلى هذا الإخلال الذي لحق بأمثالنا الشعبية، وبخروجها عن المعايير القديمة، الأستاذ الطيب العلج ، حيث قدم من محفوظاته نماذج حية من الأمثال المغربية الشعبية الساقطة كشاهد على ما يروج اليوم في مجالسنا، مما يُوجب إعادة النظر في كثير من مردداتنا الشفاهية، ويدعو المهتمين بهذا اللون من الثقافة الشعبية إلى التخزين والتوثيق حتى لا يضيع ، واستجابة – أيضاً – لما ورد في تدخل الأستاذ القبّاج الذي أنار الموضوع بآرائه الصائبة، وكشف عن بعض الحقائق الهامّة تفيد الدارس والباحث وتجنّبه الكثير من العثرات.

23– عبد الهادي التازي

أُلفت النظر، على إثر ما اقترحه الزميل عبد الرحمن الملحوني، إلى أن هناك ثروة تتعلق بما قيل في الحركة الوطنية باللسان الأمازيغي. وأريد أن أحيلكم، وأنا أوجه كلامي إلى الزميل عمر أمرير، إلى ما قاله بْوَايِ دُو لاَتُورْ، وهو جنرال ألف كتاباً اسمه : "la vérité sur l'Afrique du Nord" وقد قمت بترجمة بعض منه في بعض الصحف، أتى بأشياء في منتهى الدقة حيث يحكي عن نفسه لما قدم للمغرب مكلفا بمهمة تهدئة الحركة الوطنية، ذهب للأطلس وسمع الناس يغنون ويرددون لازمةً، قال عنها في كتابه : من هذه اللازمة فهمت أنه لا تفاهم مع المغاربة إلا بإرجاع محمد الخامس ! يقولون في تلك اللازمة ما معناه : «آهْيَا لِّجِتِي تَنْسَجْ الزَّرْبِيَّة بالْكُبَّة رَاهْ رَاسْ الخَيْطْ ضَاعْ». قلت هذا لألح على ضرورة أن تكون نظرتنا شمولية فيما يتصل بالموضوع المهم الذي طرحته.

24– عبد الرحيم العطاوي

أريد أن أجيب الأستاذ المدلاوي عن مسألة انتقاء الأمثال. لقد قلت هذا الكلام، لكنني قلته بالنسبة للمرحلة الأولى من التعليم، أما في مراحل التعليم العالي فإن كل شيء يجب أن يقال.

أتوجه الآن إلى الأستاذ محمد البوعناني. كان هناك نوع من الملحون خاص بالبحر. أذكر أنه في مدينتَيْ آسفي والصويرة كان عندنا نوع من الملحون يسمى «تاگبالت» وكان يبدع فيه عدد من الناس، آخرهم على ما أظن هو سي عبد الله بن حيدة رحمه الله، فلست أدري هل يوجد مثل هذا النوع أو شيء يقابله عندكم في الشمال ؟

25– حسناء داود

أجدّد الشكر الجزيل لأكاديمية المملكة المغربية التي استضافتنا في رحابها واستطاعت أن تجمع هذه الثلة الطيبة من الفعاليات التي أفادتنا كثيراً من خلال الاستماع إلى العروض والمداخلات الهامّة. وأعتقد أن هذه هي إحدى المزايا التي تكمن في مثل هذه المجامع الدراسية، من جانب التواصل وكون الإنسان يجدها فرصة من خلال عقد الصلات التي تعود عليه بالفائدة والمنفعة.

كما أشكر جزيل الشكر كذلك ، الجمعية المغربية للحفاظ على التراث اللغوي لكونها تقوم بمهمّة الحفاظ على التراث الثقافي المغربي وتعمل على بلورة الأصناف اللغوية، وهذا دليل على نبل الهدف الذي تصبو إليه هذه الجمعية .

لي طلب في نهاية هذا التدخل، وهو : بما أن من بين مجالات اهتمام هذه الجمعية العناية بأصناف متنوّعة من التراث اللغوي المغربي من أصول مختلفة : الأدب الشفوي، الآلة، الزجل، العروبي، السيرة، الأسطورة، الأشعار القصصية، الملحمة، الحكاية، المثل، الحكمة، العادات والتقاليد والتاريخ الشفوي إلى غير ذلك ، فأعتقد أن هذه مجالات خصبة جداً، ونحن كما قالت الأستاذة زكية هذا الصباح، موكول إلينا أن نحافظ على هذا التراث وأن نوصله إلى الأجيال اللاّحقة، حيث أن هذه الأشياء صارت الآن إلى ضياع إذا لم يكن هناك جيل الواسطة بين الجيل السابق والجيل الآتي. وأتمنى أن تكون هناك فرص قادمة بحول الله كندوات وأيام دراسية تهتم بكل هذه الأصناف من التراث اللغوي.

26– أحمد رمزي

لي كلمة أخيرة قبل ختم هذه الجلسة، وهو أنه يظهر لنا جميعاً من خلال ما

تدارسناه، أن المثل يحمل رصيداً لغوياً هائلاً، وكم نحس بالحاجة إلى هذا الرصيد اللغوي الشعبي.

كان لي صديق رحمه الله يعرف من أصناف الثمر عشرين صنفا، وكان يعرف من أصناف العنب ما يقرب من خمسة عشر صنفا. أما نحن اليوم فلا نعرف إلا الثمر كإسم شامل فقط، وهناك من يعرف بعض الأصناف كالمجهول وبوفقوس ، إلى غير ذلك ، بحيث إذا ذهب الإنسان ليشتري الثمر لا يستطيع أن يميز بين أصنافه العديدة. وكذلك الشأن بالنسبة للعنب، هذه الفاكهة التي صارت مع تقنيات التلقيح تتشابه أصنافها المتعددة، أما في القديم فقد كان الإنسان يميز بين الأصناف المحلية كعنب دكالة المعروف بكبر حجمه وبطراوته، وعنب مراكش المعروف بصغر حجمه واحتوائه على كمية كبيرة من الماء، والعنب المسكي بناحية تمارة - الصخيرات المعروف بطعمه ولذته. أما الآن فقد أصبح الكثير من هذه الأصناف ممسوخا من جراء التصرف في تلقيحه بالجينات وبواسطة التقنيات الحديثة حتى فقد طعمه.

أما الرصيد اللغوي فهو مهم جداً، وقد أفادنا السيد البوعناني كثيراً فيما يخص أسماء السمك كما أفادتنا الأستاذة حفيظة البارحة في ميدان الفلاحة، مما دفعني إلى التفكير في ضرورة وضع قاموسٍ بعد طباعة الأمثال وتدوينها، قاموس للتعريف بالمصطلح الوارد في المثل، لأنّ هناك الكثير من الأسماء التي لا يعرفها إلا الخاصة. ثم بعد طباعة هذه الأشياء، وهي حقيقة مشاريع مستقبلية هائلة نرجو أن تتم، ربما يجب التفكير في تسجيلها كذلك على أسطوانة مدمجة C.D-Rom بطريقة Multimédia وهي طريقة مثلى لسهولة التعامل معها بالنسبة للأطفال والشباب على وجه الخصوص.

وفي الختام لديّ اقتراح من بعض الإخوة المشاركين في هذه الندوة، فهم يودّون أن تُعدّ أعمال هذه الندوة اعترافاً للأستاذ أحمد الطيب العلج بما أسداه للتراث المغربي بفضل جهوده المبذولة طوال حياته، في المسرح والأمثال والزجل. وأرجوك أيها الأخ الكريم أن تتقبل هذا الإكبار من قبل زملائك، وأنت أهل له. حياك الله وزادك توفيقا.

كلمة اختتام أعمال الندوة

محمد بنشريفة
عضو الأكاديمية

ها نحن حضرات السيدات والسادة نصل إلى ختام ندوتنا حول الأمثال العامية في المغرب، ولا شك أننا جميعاً نشعر أن العروض والبحوث التي ألقيت كانت متنوّعة ومتكاملة. هذه الندوة كانت في البداية عبارة عن فكرة ثم كان بحمد الله أن تطوّرت وتحقّقت في صورة هذه الندوة التي سعدنا جميعاً بها والتي لا شك أن حصيلتها ستتقدم بالبحث في هذا المجال، مجال الأمثال.

وأريد أن أذكر الإخوة والأخوات الحاضرين أن جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، كان حريصاً على أن تكون عناية أكاديمية المملكة المغربية بالتراث المغربي سواء منه الفصيح أو العامي، أن تكون عنايتها متواصلة. وقد تحقق والحمد الله خلال العقدين اللذين مضيا، شيء كثير من هذا. كان رحمه الله قد عهد إلى الأكاديمية أن تعنى بتدوين ما يرجع إلى العادات والتقاليد وما يرجع إلى موسيقى الآلة، فقامت الأكاديمية بإخراج ثلاثة نصوص فيما يرجع إلى فنون الآلة أهمّها «كتاب الحايك»، وكتاب «إيقاد الشموع» للبوعصامي، وكذلك «بغيات وتواشي». وهذا يضاف بطبيعة الحال إلى عناية الأكاديمية بالتراث الثقافي الفصيح، فقد نشر عدد من الدواوين وعدد من معاجم الأعلام إلى غير ذلك.

وفي السنوات الأخيرة أحسسنا، وهذا كان متحقّقاً أن الأكاديمية انفتحت منذ مدة خاصة على المحيط الجامعي، لأن ظهيرها يدعوها إلى أن يكون لها إشعاع في داخل المغرب وفي خارجه. ومن خلال تاريخها عقدت دورات وندوات

في معظم المدن المغربية، في الرباط لعدة مرات، وهو مقرها، وفي فاس كذلك عدة مرات، وفي مراكش وأگادير وطنجة وتطوان وفي الشاون والناظور ومكناس، وهكذا تحقّق والحمد الله الهدف من إنشائها.

وكما قلت فإن هذه الندوة كانت بدأت كفكرة يرجع الفضل فيها إلى الأستاذة السيدة زكية عراقي التي كلّمتني ذات يوم عن أن اهتمامها بدأ بمشروع الأمثال العامّية وتدوينها، يعني جمعها في رصيد شامل كامل وتدوينها ، فكان تحبيذ الفكرة وكان الاقتراح على السيد أمين سر الأكاديمية، وكانت لنا اجتماعات تبلورت في الاتفاق على عقد ندوة حول الأمثال.

وكما تفضلت الأستاذة حسناء داود بالإشارة إلى بقية فنون التراث الشعبي، فإن هذه الندوة لن تكون إلاّ بداية لندوات أخرى، ونرجو أن تكون حول الأنواع الأخرى من فنون القول الشعبي. والشيء الذي يمكن أن أذكره في هذه الكلمة، هو أن هذا التراث في عدد من البلدان له مؤسّسات رسمية وله ميزانيات كبرى وفي بعض الأحيان لا يكون لبعض هذه البلدان من التراث إلاّ الشيء القليل ولكن لها من الإمكانيات ومن الوسائل الشيء الكثير. وهذه الندوة بلاشك، سوف تثير الانتباه إلى ضرورة أن تكون هناك مؤسسة قائمة الذات للتراث الشعبي بمختلف أنواعه وألوانه ، ومن حيث القيام بتسجيله وبتدوينه وبنشره.

صحيح أن الجمعيات لها دائماً دور رافد ودور مساهم، ولكن أضربُ مثلاً بمصر، هناك مؤسسة قائمة الذات منذ زمن للتراث الشعبي، لها مجلاّتها ولها نشاطاتها المختلفة في عقد ندوات ودورات، ولها أطرها في مختلف أنواع التراث الشعبي. ونحن نريد أن تكون ندواتنا هذه منطلقاً إن شاء الله إلى العناية بهذا التراث بمختلف أنواعه.

ولا شك أننا جميعاً سعداء بما تحقق في هذه الندوة، ولا شك أننا سنكون أكثر سعادة عندما تصبح هذه الأعمال منشورة ومتداولة بين أيدي القراء، ولا شك أن الغاية المرجوة، والتي هي إعداد معجم، أو ديوان كما قال البعض، شامل للأمثال العامّية على اختلاف لهجاتها، لا شك أن هذا من الأهداف

المرجوة من وراء هذه الندوة، وسيكون العمل متواصلاً ومستمراً من أجل إنجاز هذا المشروع ، مشروع معجم الأمثال المغربية.

وكما أشار الزميل السيد أحمد رمزي إلى قضية الألفاظ، صحيح أن الأمر متعلق بمعجم الألفاظ العامّية بصفة عامة ومعجم الألفاظ المستعملة في الأمثال وفي غير الأمثال من الفنون الشعبية. وكما أشار إلى ذلك البعض، فإن هذه الأعمال لم يكن يقوم بها في القديم إلاّ الأجانب، فأنا عرفت شخصياً الأستاذ كولان الذي يعدّ في طليعة الذين قاموا بإنجازات كبيرة سواء في اللهجة العامية أو في أمثالها، أو في دراسة اللهجات. الآن، لا شك أن هناك طبقة جديدة وجماعة من أساتذة الجامعات الذين أخذوا يعنون بهذه الفنون عناية منهجية خلال الدراسات الأكاديمية. وهذا ما يزيد سعادتنا ويحقق اطمئناننا إلى أن تراثنا، إن شاء الله، سوف يحفظ. طبعاً المهم هو التدوين أما ما سوى ذلك من الاستعمال الذي ربما قد تحول دونه العوامل التي أشار إليها البعض، أو قضية الاختلاف حول التوظيف التربوي أو غيره، هذه أشياء جانبية في مقابل الهدف الأهم الذي هو التدوين حفاظاً على هذا التراث من الانقراض والضياع.

لا بد لي من أن أشكر جميع الإخوة والأخوات الذين ساهموا في هذه الندوة، وأشكر بالخصوص إخوتنا الذين حضروا من أقاليم من خارج الرباط، كما أهنّيء كذلك وأشكر، في إطار الشراكة بيننا وبين الجمعية، إخوتنا وأخواتنا في الجمعية على المجهود الذي بذلوه. وأودُّ أن أشكر كذلك، وهذا مستحقّ، إخوتنا في الأكاديمية الذين حرصوا على حسن التنظيم وإتقان التهييء لهذه الندوة، فالشكر للجميع، وإن شاء الله نتمنى أن نلتقي دائماً على خير ونجتمع على ما ينفع ويفيد، والسلام عليكم ورحمة الله.

تحليل وتركيب

زكية عراقي سيناصر

لقد تميز هذا اليوم الدراسي بتقديم مداخلات باحثين مختصين في الميدان، منها تسع ورقات تصب في المحور الأول وتسع ورقات تتعلق بالمحور الثاني وإحدى عشرة ورقة تهم المحور الثالث.

المحْور الأول : إشكاليات جمع الأمثال المغربية وتدوينها

إن عملية تدوين الأمثال مرتبة ومشروحة بدأت منذ الجاهلية واستمرت في مختلف العصور والأمصار الإسلامية، كما جاء في عرض الأستاذ محمد بنشريفة، نشرت في كتب لم يصل منها إلينا إلا القليل. ومعظم هذه الأمثال مصنفة حسب المحاور أو حسب الترتيب الهجائي ومصحوبة بتفسيرات وتعاليق ولكن بدون تحليل كما ورد في ورقة الأستاذ ميمون ناجي. أما من حيث مناقلة هذا الصنف الأدبي من الشفوي إلى الكتابي فغالبا ما يفقد من دلالته كما جاء في ورقة الأستاذة فائزة جبلين. وتعكس الأمثال الحياة الاجتماعية مع خصوصيات كل جهة كما توضحه مداخلة الأستاذة حسناء داود بالنسبة لمنطقة تطوان. وكما جاء أيضا في عرض الأستاذ الطالب بويا العتيك و الأستاذ محمد الضريف بالنسبة لمنطقة الصحراء حيث يعتبر المثل الحساني نموذجا فريدا يعبر عن نمط الحياة في مختلف مكوناتها. أما الأستاذ الملحوني فقد بين أن رصد الأمثال استفاد كثيرا من قصائد الملحون ومن الرُّباعيات.

ولمناقلة هذه الأمثال يجب استعمال طريقة معيارية لتدوينها تقتضي، كما قال الأستاذ محمد المدلاوي في عرضه، معرفة أسس الأنظمة الخطية والإملائية

وعلاقتها بالخصائص الصوتية والنحوية. وطرحت الأستاذة فوزية بنجلون في عرضها ضرورة استعمال الوسائل المعلوماتية للحفاظ على هذه الذخيرة من الأمثال وتجميعها في قاعدة معطيات تيسر استغلالها من طرف الباحثين حسب حاجياتهم.

المحور الثاني : مناهج دراسة الأمثال

فيما يتعلق بإشكالية مناهج دراسة الأمثال، اقترح الأستاذ عز الدين الكتاني تعريفا لمصطلح "مثل" وطريقة التصنيف العمودي إلى جانب التصنيف الأفقي. وتناول الأستاذ عبد الرحيم يوسي في عرضه إمكانية توظيف نظرية لسانية وسيميائية في دراسة المثل واستعمال آلياتها في تحليل البنيات البيانية. ودعا الأستاذ عمر أمرير إلى العناية أيضا بالمستوى الرمزي بجانب المستوى اللغوي. أما الأستاذ المصطفى الشادلي فيرى أن تحليل المثل يقتضي ثلاث فرضيات عمل : البنية السردية والبنية الحجاجية والبنية الاستهوائية ويؤكد خصوصا على البنية السردية التي تتضمن ثمانية أشكال للمحكي. ومن الناحية الصرفية تبين من خلال عرض الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور أن الأمثال المغربية تتفق مع قواعد اللغة في المضاف والمنسوب والمنعوت. وبينت الأستاذة خديجة بنسينا مدى صعوبة ترجمة المثل حيث الترجمة الحرفية والدلالية لا تؤديان المعنى الحقيقي بأمانة.

وبالنسبة إلى الأمثال اليهودية فالعديد منها يوجد في مدونات الأمثال المغربية ويصعب التمييز بين هذين الصنفين إلا في خصوصيات دينية وتقليدية ولغوية كما بين ذلك الأستاذ شمعون ليفي أو خصوصيات صوتية ونطقية كما جاء في ورقة الأستاذ أحمد شحلان. أما بالنسبة إلى الأمثال الأندلسية، فأبرز الأستاذ الحسين بوزينب أوجه تشابهها مع اللغة المغربية العامية من خلال دراسة لألفونصو دي كاستيو.

المحورالثالث : استعمال الأمثال في مختلف الميادين وخصوصاً في برامج التربية والتعليم

يوظف المثل في العديد من المجالات ويواكب الحدث الدولي كما تناول ذلك الأستاذ عبد الهادي التازي في عرضه حيث تناول المثل في الخطاب الرسمي والعلاقات الدبلوماسية. وعلى مستوى التواصل بين مختلف الأفراد والأجيال بيّن الأستاذ الحاج بن مومن دور المثل في الحفاظ على مكونات الهوية وترسيخ الأشخاص في عشيرتهم. وعالجت الأستاذة زكية عراقي دراسة الأمثال من حيث شكلها اللغوي ومضمونها ، وأبرزت وظائفها وإمكانية استثمارها في طرائق بيداغوجية جديدة. كما اقترح الأستاذ عبد الرحيم العطاوي خطة علمية لاستعمال المثل في المجال التربوي و ذلك في مختلف مستويات التعليم الأولي والإعدادي والثانوي والعالي. وأكد الأستاذ الحسين المجاهد ضرورة استعمال المثل العامي في المجال التربوي كأداة لاكتساب الثقافة واللغة الأم وخصوصا للأطفال المغاربة في المهجر. وعالج الأستاذ محمد الذهبي هذا الجانب التربوي أيضا حيث أكد أن الأمثال تساعد على نشر الهوية الثقافية وتنقل بعض مبادئ التربية الأساسية إلى الأجيال الناشئة. ويلعب المثل أيضا دورا مهما في المعاملات التجارية لاسيما أنه يوصي باحترام العد والحساب والحرص على الأمانة والثقة ورد السلف والهدية ومقاومة الشر بالخير كما جاء في مداخلة الأستاذ الطيب العلج. أما الأستاذ البوعناني فقدم دراسة مجموعة من الأمثال البحرية في شمال غربي المغرب والتي تحولت إلى حكم ونصائح في قلب المجتمع. ورغم دقة المثل وغناه ووجوده بوفرة في الميدان الفلاحي ، فقد بيّنت دراسة الأستاذة حفيظة العمراني أن هناك تراجعا عند الأجيال الحديثة، وأظهرت دراسة الأستاذ صالح شكاگ مدى التصاق الأمثال الشعبية الفلاحية بالطبيعة وتقلباتها. وفي الأخير قدم الأستاذ بلاجي في عرضه دراسة ميدانية حول استعمال المثل في إحدى الصحف المغربية.

... والمثل حين يصاغ بلغة الشعب، يكون أوسع انتشاراً بين أفراده وأقوى أثراً فيهم ؛ ومن ثم أكثر تداولاً على الألسنة، لنقل الأفكار وإبراز التصورات، والكشف عن الواقع المعيش وما يكون فيه من تجارب خاصة وعامة، وما يكون فيه كذلك من أفراح ومسرّات وأحزان وأزمات.

وعلى الرغم من الجهود الحميدة التي بذلها باحثون مغاربة وأجانب لجمع - ولو محدود - لتراث الأمثال، ومحاولة دراسته، فإن الحاجة اليوم تلحّ على ضرورة وضع مشروع للنهوض بهذا التراث، يتسم بالاتساع والتكامل، والسعي إلى استيعاب كل متعلقات المثل والإشكاليات التي يثيرها. وهي إشكاليات كثيرة لاشك تبدأ من التحديد العلمي لمفهومه إلى النظر في المنهجية الملائمة لجمعه من مواقعه وبيئاته وتدوينه وكيفية كتابته، إلى جانب تصنيفه وشرحه ودراسته، ثم توظيفه في المجالات المشار إليها. إنها أهداف تقتضي البحث في أسباب نزوله والغاية الأولى منه، دون إهمال مدى العلاقة التي له مع المثل المعرّب، وكذا مع أجناس تعبيرية أخرى، ولاسيما مع الأحاجي والألغاز التي لا يخفى أنها كذلك ذات غِنى كبير في الأدب الشعبي وغيره من الآداب.

... لقد انطلقنا من فكرة تجلت لدينا، نحن جماعة من الأساتذة الباحثين، مفادها قلة مجالات البحث الجامعي في التراث اللغوي المغربي؛ وبعد الاطلاع على وضعية ومستوى الدراسات التراثية في دول مختلفة، تبيّن لنا أن الميدان الثقافي عندنا يتوفر على كافة الشروط لإقامة أسس للبحث التراثي، حيث توجد أرضية خصبة في هذا المجال، كما لاحظنا أن قطاعاً مهمّاً من هذا التراث يستجيب لمواصفات العلوم ويخضع لمقاييس دولية متعارف عليها في ميدان البحث؛ واعتباراً لذلك فقد بادرنا إلى وضع هذا التخصص في إطار جمْعَوي مؤكدين أن التراث يناشدنا ويسترعي تكريس جهودنا، كما هو الشأن في بلدان أخرى لها الباع والصدارة في البحث. إننا نلاحظ بارتياح أن انشغالاتنا كباحثين تصادف توجهات جديدة وحلولاً تم إدراجها أخيراً في المشاريع الرسمية، نذكر منها ما ورد في مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين حيث أصبح من الممكن الاستئناس باللغة الأم في التعليم الأوّلي والتفتح على الأمازيغية في بعض الجامعات. إن أعمالنا في مجال التراث وما نساهم به فُرادى وجماعة، سواء في ميدان الأمثال وغير ذلك من الأصناف الأدبية المتنوعة كالقصص والسيَر والمعاجم يعتبر من قبيل نشر الإبداع وتقريب الموروث الشعبي من الأجيال الحديثة ؛ وما ذلك إلا استجابة لضرورة البحث وإنصافا للهُوية ومساهمة في تحقيق توازن ثقافي وسياسة لغوية متكاملة .

مطبعة المعارف الجديدة - الرباط-